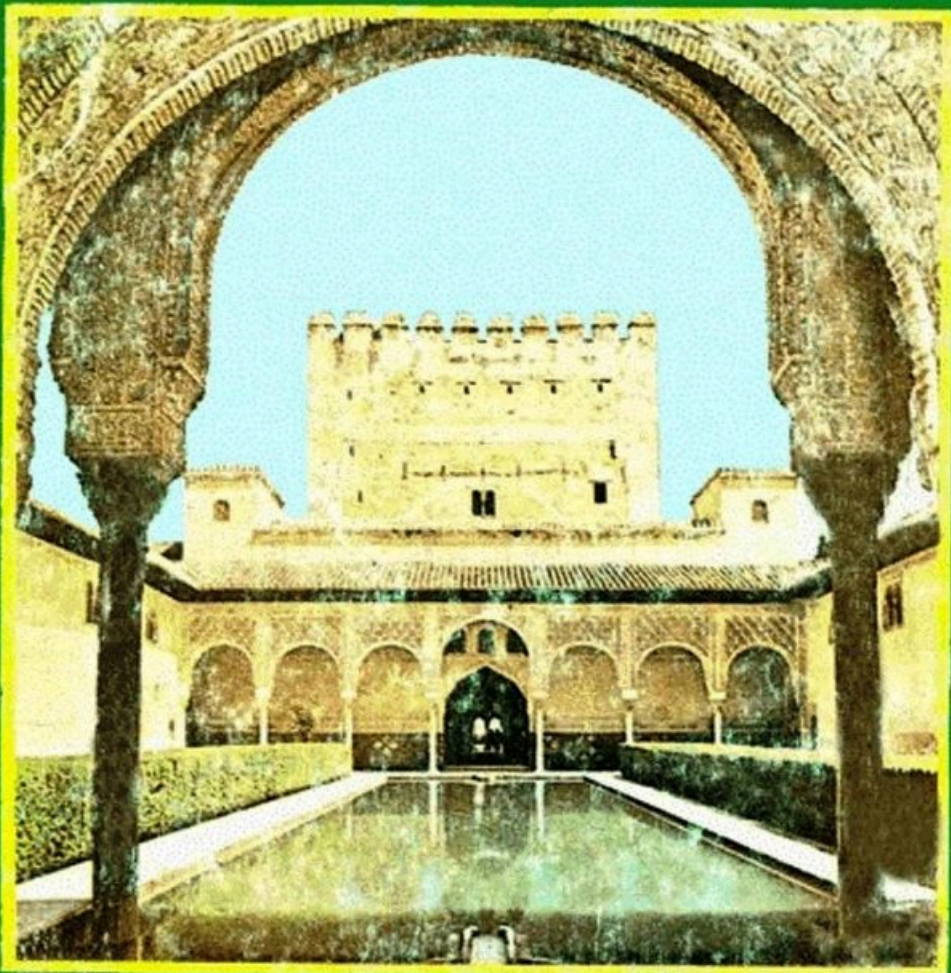


أعلام المغرب والأندلس

في القرن الثامن

وقولك شير الجملان في شعر من يحيى ورتبه الزمان
للأخري الروادري جميل بن يوسف بن الأعمش القرظي الأندلسي



أعلام المغرب والأندلس

وهو كتاب: نشير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان

تأليف أمير الأندلسي الفزناطي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (٥٨٠٧هـ)

حققه وقدم له

الدكتور محمد رضوان الديرية

أستاذ الأديب الأندلسي المساعد بجامعة دمشق

مؤسسة الرسالة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

مؤسسة الرسالة - بيروت شارع سورية - بناية صمدي وصالحه

ص ب ٧٤٦٠ هاتف ٢٩٥٥٠١

برقياً : بيوشران

أعلام المغرب والأندلس
نشير الجمان لابن الأحمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) يُعَدُّ القرن الثامن - الهجري - أكثر عهود دولة بني الأحرار (من بني نصر) زهاء وقوة وتمكناً ؛ فقد كانت أيامهم في القرن السابع (منذ سنة ٦٣٥) تهيئاً لحدود الدولة وإرساء لدعائمها ، ورسماً لسياستها ، وتهيئة للأسرة الحاكمة وأصهارها ومن يلوذ بها في أنحاء المملكة الفتية . وكان استقرار الأمور وهدوءها - في القرن الثامن - نسبياً ، فقد شهد النصف الأول منه حربياً سجالاتاً مع قشتالة وغيرها من دول إسبانيا المجاورة ، بينما اتسم النصف الآخر بالحفاظ على معاهدات السلم والهدنة التي عقدتها دولة غرناطة مع جيرانها . وكان هذا القرن حافلاً بالأعلام في الآداب والفنون والعلوم وشؤون الهندسة والعمارة ، وحافظ الأندلسيون على خبراتهم الموروثة ، كما ظلت الأندلس الباقية منار إشعاع فكري وحضاري على الرغم من ظروفها السياسية والعسكرية القاسية .

ويكفي أن نذكر من أعلامه لسان الدين بن الخطيب^(١) ، وأستاذه أبا الحسن بن الجياب^(٢) ، وابن خاتمة الأنصاري^(٣) ، وابن زمرك^(٤) ، والشريف

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب (٧١٣-٧٦٦) الوزير الكاتب الشاعر صاحب المصنفات الشهيرة . (انظر دراسة عنه خاصة للأستاذ عنان)

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن الجياب (٦٧٣-٧٤٩) الوزير الكاتب الشاعر له ديوان شعر ، ورسائل . (وديوانه في سلسلة دراسات أندلسية)

(٣) أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة (٧٠٠-٧٧٠) متصوف ، شاعر ، أديب له ديوان مطبوع . (وزارة الثقافة بدمشق)

(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف الغرناطي (٧٣٣-٧٩٣) شاعر من مشهوري كتاب الدولة النصرية . (انظر دراسة عنه في سلسلة الدخائر)

(السبتي) (١)، وأبا القاسم بن جزَيّ السكبي المفسر المشهور (٢)، وأبا البقاء خالد البلوي صاحب رحلة «تاج المفرق» (٣)، وأبا الحسن النباهي القاضي المشهور (٤).

(٢) ومن رجال القرن الثامن الأديب المؤرخ المشارك في فنون من الثقافة العربية والإسلامية أحد أمراء البيت النصري: أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف المدعو بالأحمر. وبنو نصر هم حكام دولة غرناطة منذ نشوئها - بعد انتهاء الموحدين وانقراض الثائرين على دولتهم - إلى نهاية الإسلام في الأندلس، وينتمون في نسبتهم إلى الصحابي الجليل سعد ابن عبادة الأنصاري. ومحمد بن الأحمر (شقيق جد صاحب الترجمة) هو مؤسس الدولة الذي استدعاه أهل غرناطة فملكها سنة ٦٣٥. أما أبو سعيد فرج فقد كان والياً على « مالقة ». وكانت لمحمد بن فرج ثورة في مدينة أندرش سنة ٧٢٧؛ ذلك أنه قدم من تلمسان - حيث يقيم - إلى أندرش باستدعاء عثمان بن أبي العلاء القائد المغربي المريني صاحب (الجند الغربي) (٥) بعد أن جافى الأمير محمد النصري (٨٢٥ - ٧٢٣) واصطدم بالوزير محمد بن أحمد بن المحروق. ولكن الخلاف بين ابن أبي العلاء والأمير النصري انتهى بوفاة الوزير، فصرف القائد المريني الأمير محمد بن أبي سعيد فرج ثانية إلى تلمسان.

(١) أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني الغرناطي (٦٩٧-٧٦٠) القاضي الأديب صاحب شرح مقصورة حازم (رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة).

(٢) (٦٩٣-٧٤١) الشهيد في وقعة طريف، صاحب تفسير (التسهيل لعلوم التنزيل).

(٣) أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي القتوري صاحب الرحلة المشهورة تاج المفرق بتحلية علماء المشرق.

(٤) علي بن عبد الله بن الحسن النباهي (٧١٣-٧٩٢) صاحب كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المطبوع بعنوان: تاريخ قضاة الأندلس.

(٥) كان المرينيون والنصريون قد اتفقوا على إبقاء حامية من الجند المغاربة برسم الجهاد في أرض العدو ومساعدة الأندلسيين في دفاع أو هجوم. وأول من رأس الجند المغربي عثمان بن أبي العلاء. (انظر اللحة البدرية لابن الخطيب، ونهاية الأندلس لمحمد عبد الله عثمان).

وكان الفرع الذي ينتمي إليه صاحب الترجمة قد اضطرب أمره بخلافات حول الملك ، واصطدم إسماعيل بن فرج (خامس الملوك النصريين) بوالده ، وبأخيه محمد ، مما أدى إلى انتقال محمد إلى بلاد المغرب مع نفر من آله . ومع هذا فإن صاحب الترجمة يقول إن والده يوسف خرج من الأندلس إلى بلاد المغرب ، فوفد على بجاية أولاً ثم استقر - مع أولاده ، وفيهم إسماعيل - بفاس . ويظهر لنا من ترجمته أنه ولد بالأندلس ، وعاش فيها صدرأ من صباه ، ثم استقر بالمغرب يتذكر أيامه بغرناطة ويحن إليها ، ويتعش من أعمال في دولة بني مرين ، وجراية كانوا يجيرونها على (الوافدين) من الأسرة النصرية^(١) .

٣) ولد إسماعيل بن يوسف بن محمد نحو سنة ٧٢٥ بغرناطة^(٢) ، وغادرها مع أبيه - على الأكثر - إلى بجاية ، ثم استقر بفاس . وكانت مغادرته في عهد الأمير يوسف (الأول) « ٧٣٣ - ٧٥٥ » ، ويروي لنا أنه غادرها مرغماً مُتَمَرِّباً « فلو لا أن هدر الملوك بنو عمي بوطني دمي لسرت إليهم على رأسي لا على قدمي ... »^(٣) ، ويوافق هذا عهد أبي الحسن علي المريني . وقد نبغ صاحب الترجمة في عهد أبي عنان المريني الذي قربه في جملة العلماء والأدباء

(١) راجع تفاصيل ذلك في الدراسة في الموسعة عن إسماعيل بن الأحمر في (نشير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان : دراسة وتحقيق - المكتبة الأندلسية العدد ١٨٥ تأليف د . محمد رضوان الداية) .

(٢) انظر في ترجمته : درة الحجال لابن القاضي ١ : ١١٦ ، وجذوة الاقتباس ، له : ٦٩٠ ونيل الابتهاج لأحمد بابا : ٩٩ ، واللحمة البدرية للسان الدين بن الخطيب : ٢٤ ، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف : ٢٣٨ . وسلوة الأنفاس للكثاني ٣ : ٢٥٦ وفهرس القهارس والأنبات لعبد الحي الكثاني ١ : ١٠٠ ، وإيضاح المكنون ١ : ١٧٢ ، وهدية العارفين ١ : ٢١٥ .

وله تراجم في كتب المعاصرين مثل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، والأعلام للزركلي ، ومعجم المؤلفين لكحالة ، وغيرها .

(٣) نشير الجمان (نسخة داو الكتب) ٢/ب .

والشعراء ، وكان مشهوراً يجب العلم وأهله ، جماعاً للكتب ، مثيباً للشعراء . واستمرت صلته بالدولة المرينية طوال حياته ، سواء كانت علاقة بالسلطين أنفسهم أم بالكتاب والوزراء والحجاب وطبقتهم .^(١)

وقد تلقى علومه الأولى في غرناطة ، ولكن شيوخه الذين ذكرهم في فهرسته كانوا من المغرب ، أو من الأندلسيين المقيمين فيه ، أو الأندلسيين في أثناء ترددهم عليه أو في أثناء رحلاتهم إلى الشرق وعودتهم منه . فمن شيوخه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ابن آجروم) ، والقاضي الفقيه الحسن بن هيثم الوائشريسي ، والقاضي محمد بن أحمد الفشتالي ، والفقيه سعيد بن أبي العافية المكناسي . ومن أجازته من الأندلسيين أبو سعيد فرج بن لب التغليي الغرناطي وأبو القاسم عبد الرحمن الأموي ، وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرعييني . السراج ، وأبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري وغيرهم . وكان يتصل بالوفود الغرناطية الأندلسية الزائرة ، ويلتقي بالعلماء والأدباء يستجيزهم علومهم ، ويستنشدهم أشعارهم ، ويستكتبهم رسائلهم ويدون ذلك ويجمعه ويحرص عليه . كما كان يطلب إليهم موافاته ببعض إنتاجهم ليرسمه في بعض مؤلفاته ، كما يظهر بجلاء في ثنايا كتابه هذا الذي نقدم له . وكانت وفاته عن سن متقدمة بفاس سنة ٨٠٧ ، وقيل سنة ٨١٠ .

(٤) وقد حفظت لنا عدة أسماء ممن تتلمذ على ابن الأحمر أو روى عنه أو أخذ عنه الإجازة مثل سعيد بن إبراهيم السدراي الشهير بشهبون ، وعبد الرحمن الجادري^(٢) .

وله عدد من المؤلفات ، بعضها مفقود ، والذي نعرفه منها :

(١) راجع تفاصيل صلته ببني مرين في دراسة المحقق عن حياة ابن الأحمر وأدبه : ٨٥-٨٧ .

(٢) انظر : دراسة في حياة ابن الأحمر وأدبه : ٨٧ .

- ١ - شرح البردة : ذكره في نثر الجمان ونقل منه نصاً في الورقات ٥٣ - ٥٦ (مخطوطة دار الكتب المصرية) .
- ٢ - عرائس الأمراء ونفائس الوزراء : ذكره في نثر فرائد الجمان ، وذكره ابن القاضي أيضاً .
- ٣ - تأنيس النفوس في تكميل نقط العروس : ذكره ابن القاضي ، وأحمد بابا ، وصاحب سلوة الأنفاس ، وصاحب فهرس الفهارس .
- ٤ - برناهج أو مشيخة ونقل أحمد بابا منه نقولاً كثيرة في (نيل الابتهاج) .
- ٥ - المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك : ذكره في نثر الجمان (الورقة ٣٢) .
- ٦ - نظم وشرح : على غرار كتاب لسان الدين رقم الحلل (في التاريخ) ذكره في سلوة الأنفاس ، وأحمد بابا في نيل الابتهاج .
- ٧ - فريد العصر في شعر بني نصر : ذكره في نثر الجمان .
- ٨ - مشاهير بيوتات فاس : قال في فهرس الفهارس : وهو الذي اختصره أبو زيد الفاسي في كتابه المطبوع .
- ٩ - حديقة النسرين في أخبار بني مرين : ذكره ابن القاضي ، وأحمد بابا ، وفي فهرس الفهارس .
- ١٠ - روضة النسرين في أخبار بني عبد الوادي وبني مرين : ذكره غير واحد وهو مطبوع . نشره ل . بروفنسال في المجلة الآسيوية (أكتوبر ديسمبر - ١٩٢٣) ، ثم أعاد نشره الأستاذ المؤرخ عبد الوهاب بن منصور (١٣٨٢ - ١٩٦٢)^(١) .

(١) المرجع السابق ص ١٢٥ - ١٢٩ .

١١ - مستودع العلامة ومستبدع العلامة : ذكر فيه من تولى «العلامة» من الكتاب عن المموك . وطبع الكتاب في تطوان عن كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بتحقيق الأستاذ محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني .

١٢ - نشير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان : ألفه سنة ٧٩٩ وجعله في فصلين : الأول لعدد من شعراء المشرق والثاني لعدد من شعراء المغرب . وجعل الفصل الثاني في قسمين : أحدهما لشعراء الأندلس والثاني لشعراء المغرب (برّ المدونة) . وتراجم الكتاب كله ثلاثون عدا ترجمة المؤلف الذاتية وقد حققت الكتاب ونشرته في المكتبة الأندلسية (العدد ١٨) (١) .

١٣ - نشير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان : وهو هذا الكتاب الذي تقدم له ألفه ابن الأحمر سنة ٧٧٦ وقصره على شعراء الأندلس والمغرب (بمغناه العام) ولم يذكر فيه أحداً من المشاركة على سبيل الترجمة . وهو كتاب تراجم يعتمني بالنصوص الأدبية ، وبخاصة منها النصوص الشعرية . وفيه نيف وسبعون ترجمة لأدباء ومتأدبين من الأندلس ، والمغرب (الأقصى) من رجال الدولة المرينية ، والمغرب (الأوسط) من رجال الدولة الزيانية العبد الوادية ، والمغرب (الأدنى) من رجال الدولة الحفصية . وقد انتظمت هذه التراجم معظم المشهورين من أعلام هذه الدول ورجالها .

وجعل كتابه في اثني عشر بابا ، عشرة أبواب في التراجم ، واثنتان مكملان لمقاصد المؤلف ، فالأول في فضل الشعر وإباحت انشاده بالمساجد ، والثاني عشر في الشعر الذي قيل في السيف الذي [كان] بصومعة جامع القرويين من فاس ، مع مقدمة وخاتمة .

والكتاب واحد من كتب التراجم القليلة التي بقيت من هذا العصر ، وأشهرها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، وكتاب الكتيبة الكامنة فيمن

(١) طبع في دار الثقافة ببيروت .

لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ، وكتابا ابن الأحمر المشار إليها . وقد ألفت كتب أخرى في التراجم ، والتعريف بالمدن ورجالها ولكنها في حكم المفقودة مثل كتاب ابن خاتمة المسمى مزية المريّة .

(٥) والكتاب ، على كل حال ، من الآثار الأدبية الباقية من القرن الثامن وهو ذو أهمية متنوعة الجوانب ، فإن فيه نماذج هامة من شعر رجال العصر ونثرهم وفيه تراجم عدد كبير منهم ، مما يستقل المؤلف بذكره ، أو يعضد تراجم أخرى لهم في كتب سابقة أو لاحقة ، وفيه ملاحظات تاريخية واجتماعية وثقافية تلقي أضواء على العصر وأحواله وتقلباته . والكتاب - بعد - معرض لحياة المؤلف ، وعلاقاته ، وتجاربه ، وصلاته بالدول والأمراء لزمانه ، ومجال عرفنا فيه شخصيته التاريخية والأدبية ، ومشاركاته في عدد من الفنون والأغراض . وعلى الرغم من لغة المؤلف التي أكثر فيها من السجع ومن الأسلوب المرصع فإن القارئ يستشف آراءه وتقريراته وأحكامه بوضوح . وكان ربما خرج إلى الأسلوب المرسل وتحرر من القيود .

(٦) اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسخته المعروفتين لنا ، وهما مخطوطة دار الكتب المصرية (المحفوظة تحت رقم: أدب ١٨٦٣) ومخطوطة الخزانة الملكية بالرباط .

ومخطوطة دار الكتب المصرية تقع في ١٢٩ ورقة، وسقطت منها ورقتان من البداية وورقة واحدة من الخاتمة ، ولا نجد تأريخاً للنسخة لفقدان أولها وآخرها . وطمس أسفل بضع صفحات من أول النسخة (في حدود سطرين إلى ثلاثة أسطر) بفعل ترميم جرى عليها ، وهي بخط مغربي جميل .

أما مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط فتقع في ١٣٦ ورقة ، منها أربع

ورقات من الحوامي وليست من أصل الكتاب . وهي بخط مغربي دقيق ، وكتبت بأكثر من قلم واحد . وهي إلى ذلك متداخلة الصفحات مضطربة والترتيب . ولم يكن ناسخها - أو ناسخوها - على نصيب من العلم فتداخل الشعر بالثر في بعض التراجم . والنسخة المغربية بعد متأكدة في مواطن متعددة بفعل الأمانة . وقد عاينت النسخة الأصلية واستدركت مواضع كثيرة غمضت في النسخة المصورة منها^(١) .

وقد تداركت من النسخة المغربية ما سقط من نسخة دار الكتب المصرية وقابلت النصين ، وإن كانت الفروق بينهما قليلة . ولكن الفائدة الحقيقية كانت في توثيق الكتاب وعرضه وضبطه ، واستدراك أوله وآخره . واعتمدت نسخة دار الكتب أساساً ؛ لوضوحها ، وضبطها ، وحسن خط كاتبها ، ووضوح قاعدة رسمه ، وانسجام النسخة من أولها إلى آخرها . وجعلت النسخة المغربية أصلاً ثانياً أتدارك منه النقص ، وأقابل عليه . وقد اجتهدت في العناية بالنص ، وضبطه ، ومقابلته ، وأحلت في التراجم على مظاهر ذكرهم وأخبارهم ، وقابلت النصوص على أصولها في الدواوين والمختارات في الكتب الأصلية^(٢) - إن وجدت - وأضفت حواشي وتعليقات

(١) كان ذلك في شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٧٤ ، في أثناء مهرجان ابن زيدون ، وكانت زيارتي للرباط تلبية لدعوة كريمة من وزارة الثقافة ، وقد اطلعت على المكتبة العامة بالرباط والخزانة الملكية بها ، وسهل لنا المسؤولون جميعاً سبيل القراءة والمراجعة والتصوير ، فإليهم أقدم آيات الشكر ، والشناء .

(٢) من أم مارجمت إليه كتب لسان الدين بن الخطيب في التاريخ والأدب مثل الإحاطة والكتيبة الكامنة ، واللحة البدرية ، ورقم الحلل ، ومعيار الاختبار ، ومشاهدات لسان الدين ، وريحانة الكتاب ، ودواوين بعض المعاصرين كديوان لسان الدين بن الخطيب وديوان ابن خاتمة الأنصاري ، وديوان أبي الحسن بن الجيباب . ومن ذلك رحلة أبي البقاء البلوي والرقبة العليا للنباهي . ومن ذلك كتابا المقرئ فصح الطيب وأزهار الرياض ، بالإضافة إلى كتب التراجم ، وكتب التاريخ كتاريخ ابن خلدون وترجمته الذاتية... ومن هذه الكتب ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ، كما هو مبين في ثبت المصادر والمراجع .

بما يفيد الكتاب ولا يثقل به وامش يمكن الاستغناء عنها ، على قدر الطاقة ،
والنظر ، والاجتهاد .

وبعد :

فإنني أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع خطوة أخرى في طريق
إحياء التراث الأندلسي وأن يساهم في جلاء جوانب جديدة من حياة الأدب
الأندلسي وتاريخه وآمل أن يتلقاه المهتمون بالأندلسيات بعين الرضا وأن
يلتمسوا لما سهوت عنه ، وغاب عني منه ، عذراً مقبولاً .

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

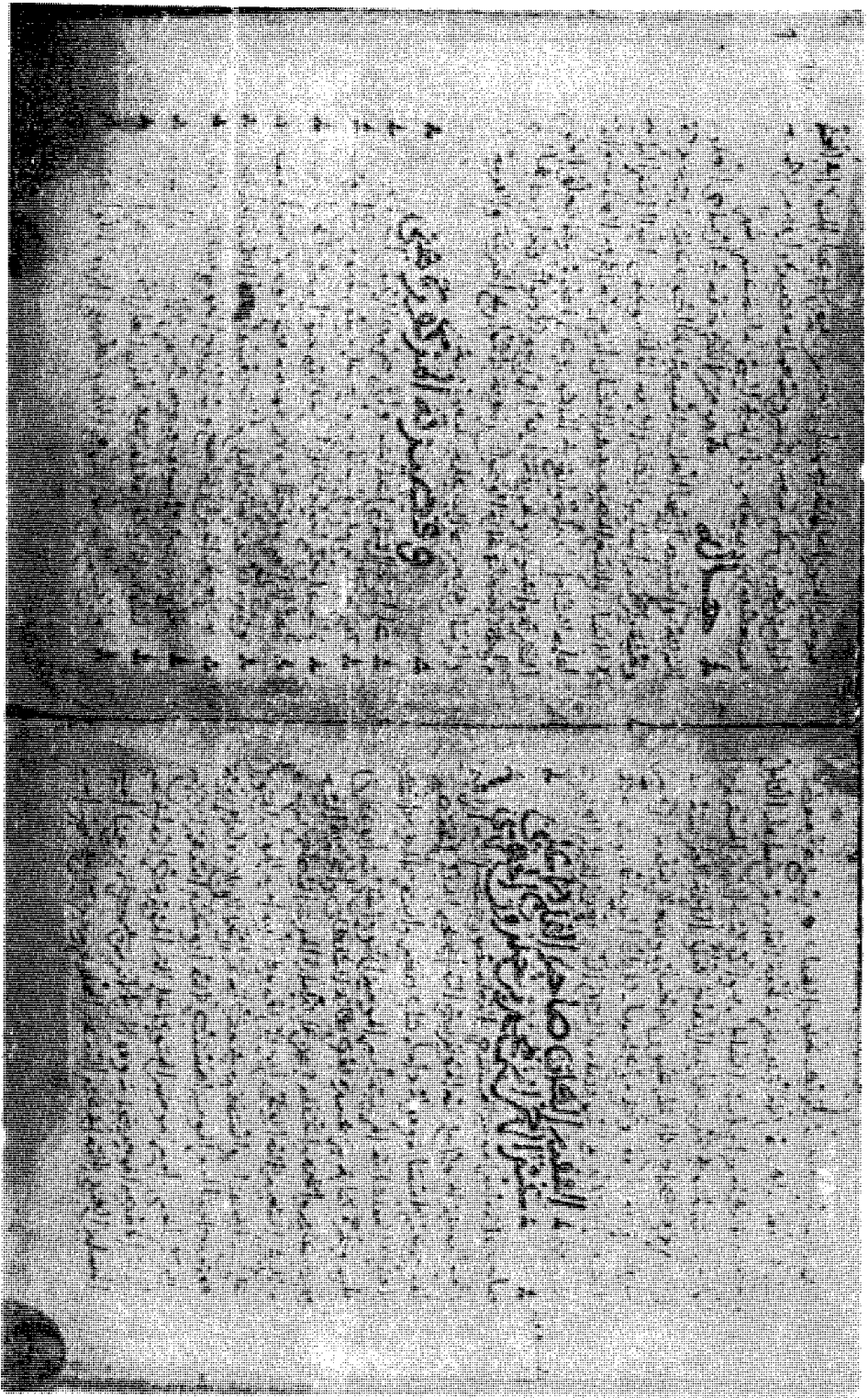
وهران (بالقطر الجزائري)

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

د . محمد رضوان الداية



صورة الورقة (٨٣) من مخطوطة دار الكتب المصرية (م) ، وفيها بداية ترجمة «ابن خلدون»

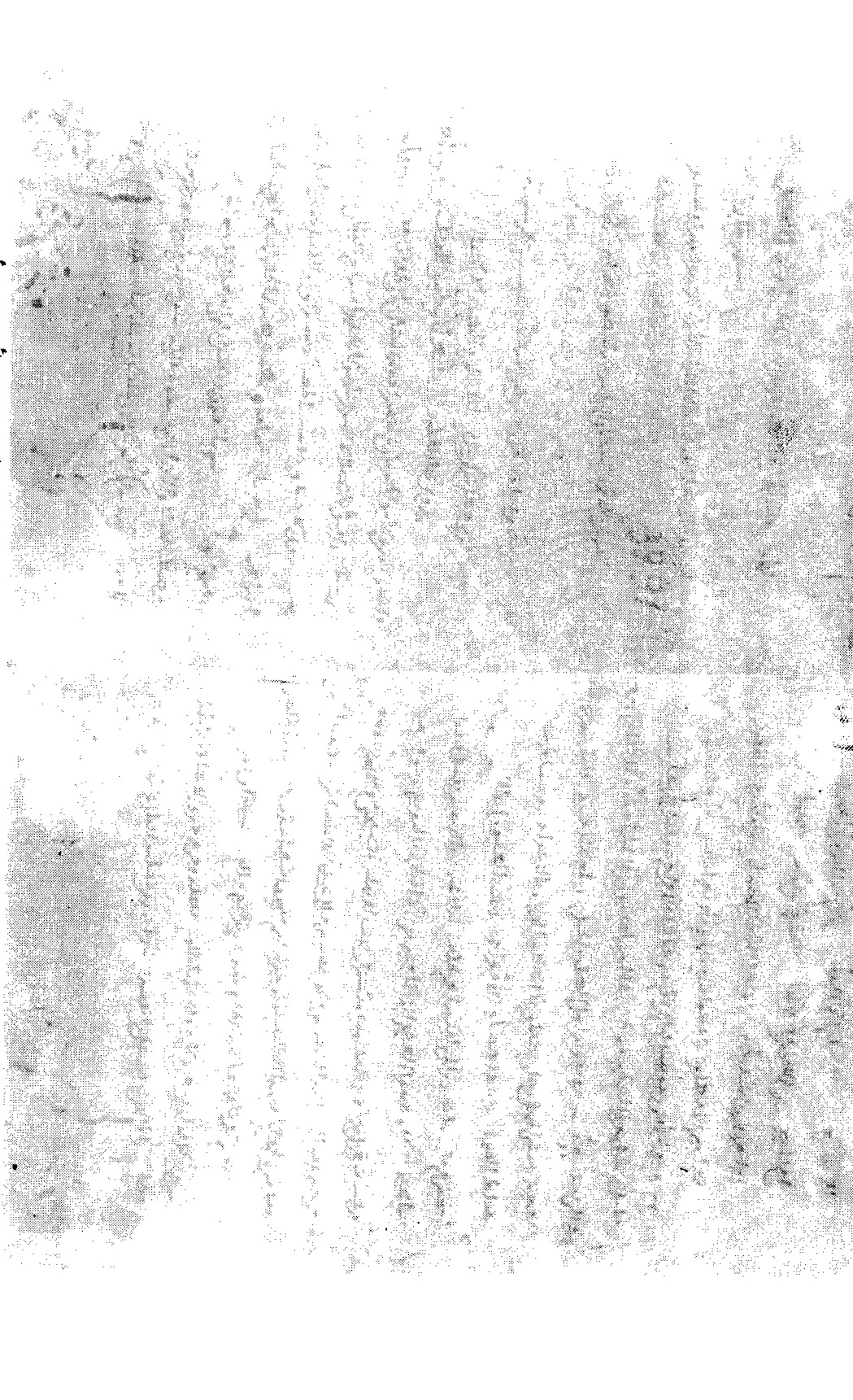


Handwritten text in Arabic script, likely a list or index, with some words appearing to be "الكتاب" (the book) and "المجلد" (the volume).

صورة الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية

Handwritten text in Arabic script, including a prominent heading "الكتاب المطبوع في دار الكتب المصرية" (The book printed in the Egyptian Library) and a list of entries.

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة دار الكتب المصرية



مكة وهو من النجف
والنعم انهم جميعا
وانواع النجف

ومس ارجاعه الى المار الا ان
احدى على النجف والى المار
وقال في حرمه من النجف

هو وان كان يفتقر الى بعض
والنقش فيه هو من النجف
التي والى النجف
فارجع الى النجف
فانهم جميعا
والنقش فيه
الذي في النجف
فانهم جميعا

احد النجف
فانهم جميعا
والنقش فيه
الذي في النجف
فانهم جميعا

طريقه والى النجف
والنعم انهم جميعا
وانواع النجف

ومس ارجاعه الى المار الا ان
احدى على النجف والى المار
وقال في حرمه من النجف

هو وان كان يفتقر الى بعض
والنقش فيه هو من النجف
التي والى النجف
فارجع الى النجف
فانهم جميعا
والنقش فيه
الذي في النجف
فانهم جميعا

احد النجف
فانهم جميعا
والنقش فيه
الذي في النجف
فانهم جميعا

صورة الوردية الاخيرة من الخطوط الخفية في الكعبة

لله واليه المرجع والمآب

قال الرئيس الفقيه^(١) النحوي^(٢) الراوية المسند الحافظ ، فارس النظم والنثر ، أبو الوليد إسماعيل بن الرئيس أبي الحجاج يوسف بن السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله^(٣) أبي عبدالله بن علم الأمراء ووالد الكبراء ، الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن الأمير أبي الوليد إسماعيل بن الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد ابن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن محمد بن محمد^(٤) بن نصر^(٥) بن علي بن يحيى بن سعد بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي ، رضي الله عنه بمنه وكرمه :

[أحمد الله تعالى الذي^(٦) جعل مورد الآداب لدى البث والاكْتئاب^(٧)

(١) و(٢) سقط من نسخة الرباط عدد من ألقاب المؤلف العلمية بسبب تآكل النسخة، وتقدر بنحو ٦ كلمات .

(٣) لقبه في نثير الفرائد بالقائم بأمر الله (ص ٢١٥) .

(٤) (محمد) زيادة عما أورده في نثير الفرائد .

(٥) في نثير الفرائد : نصير، ولعلها من تصحيف النساخ .

(٦) ما بين معقوفتين غير ظاهر تماماً في نسخة الرباط .

(٧) تآكل من الأصل بمقدار ٥ كلمات تقريباً .

بروي ذا القلب المعنى من فائق اللفظ ورائق المعنى . وأطلق من وثاق^(١) الحرمان نفس الجعد البنان^(٢) إلى طلاقة^(٣) وسماحة^(٣) .

وأخص بالصلاة سيدنا ومولانا محمداً سراج البيان^(٤) مصباحه ، وأعم به [آله]^(٥) ذوي الأخلاق الساطعة الإشراف والصباحه . وأسلم عليهم كثير أعميماً ، مساء الزمان وصباحه .

وبعد : فإنه لما كان الشعر أعذب ما تطمح إليه الهمم الهمامية^(٦) ، وأسنى ما تعتمده أنفس أولي الفعال الاهتمامية ، [لما يشتمل]^(٧) عليه من ضبط القوافي والأوزان ، ويحتوي عليه مسرحه من بديع الحلاوة والتغمات [المذهبة]^(٧) للأحزان . [ولما كان]^(٨) ديوان العرب الذي خلدت به آثارها^(٩) ، به تتفاوت في الناس الأخطار وتتشرف النفوس وإن اختلفت بهم الأقطار . وإذ هو أشرف زي وأرفع لباس ، وأجلب شيء لنفع وأدفع لباس^(١٠) ، ولما كان في المرتبة العالية في نفوس أهل العقدة والحل ، وبلغ عند ذوي الألباب المنزلة الرفيعة وسنيء المحل ، وصار يعتلق بها اعتلاق الحرياء بالأعواد ، ويسلك منها مسلك السباحة في أجساد الأجواد ، وكانت العيون

(١) في الأصل: وثائق . وهو تحريف .

(٢) جعد البنان : كناية عن البخيل .

(٣) كلمة غير ظاهرة .

(٤) كذا بغير واو العطف . وانظر الفقرة الموازنة بعد .

(٥) غير واضحة في الأصل .

(٦) تآكل بعض أجزاء الكلمة في الأصل .

(٧) غير واضحة في الأصل .

(٨) تآكل بعض العبارة في الأصل .

(٩) عبارات لم تظهر بتآكل شديد في النسخة ، تقدر بنحو ٣ أسطر .

(١٠) سطران غير واضحين في نسخة الرباط .

أبدأ إلى (١) المخترع منه طامحة ، وإلى رؤية (١) ما نجم من محاسنه لامحة ،
والأنفس بقبول حفظه ساححة ، وكان في هذا العصر الذي أنا فيه من يأتي
في (٢) نظمه بالبديع ويوفيه . من محب متغزل ، ومادح للمطلوب مستنزل ، سنحت
لأهله نصحيتي وسمحت بعمله قريحتي .

فسألت الله التيسير في كل عسير ، فزال عني الالتباس ، وذهب أكثر
الباس . فجمعت في هذا التأليف ما وجدته لهم متمحفاً شعاعه ، وألفته من
نفائس [جواهرهم] (٣) متفرقا شعاعه لأطلع منه على بدائع جالبة للسوان (٤)
في كل أوان . معولا في ذلك على ما طاب فصله ، وفرع نذرى الإجابة
فرعه وأصله .

واقصرت فيه على من لنفسه أنشدني ، ومن بنظامه البارع استرشدني
[من رأيته بالعيان من الشعراء الأعيان] (٥) ومن بسني لحقته (٦) . وغرضي أن
أكتب ما أجده من الرسائل لمن ثبت اسمه ، وأضمنه (٧) أنواعا شتى من
المكاتبات ، وأحسن رسمه .

إذ [هذا] (٨) النوع الإنشائي من الطبقة العليا بالموضع الذي لا يجهل علوه ،
ولم يتقلد حليه (٨) من الجنس الإنشائي إلا الآحاد فلا ينبغي أن يهمل سموه .
وسميت كتابي هذا : نشير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان . وألفته

(١) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) كلمة (في) زيادة على الأصل .

(٣) الكلمة متأكدة في الأصل ، واستدركت من نشير الفرائد (في عبارة مشابهة) .

(٤) سقطت عبارة تقدر بنحو ٣ كلمات ، ظهر منها : وأتيت ، بحاسن

(٥) من نشير الفرائد (في عبارة مشابهة) .

(٦) سقطت ثلاثة أسطر تقريبا .

(٧) في الأصل : ونضمته . وقد ورد كذا في نشير الفرائد في عبارة مقاربة . قلت : انظر
للفعل التالي .

(٨) غير واضح في الأصل ، والمثبت من : نشير الفرائد .

وأنا ببرّ العُدوة، في كنف الملك المريني والحفوة^(١)، حين أخرجنا من الأندلس بنو عمنا الملوك الأحمريون وعشيرتنا السلاطين النصريون، خوفاً منذاً على سلطانهم^(٢) بأوطانهم. [لأجل]^(٣) واش مروود^(٤) متملق بذلك [غير]^(٥) ودود. يظهر لهم النصيحة حالية، ويخوفهم بما^(٦) وقع في الأيام الحالية. وإن الملك عقيم. وإذ كل من هو من بيته من حوله مقيم.

ولما كان الحلول بملوك المغرب [أمطروا]^(٧) علينا سحائب كرمهم المغرب، وحسنت الأحوال، وذهبت الأهوال. وطاب المقام، ونجم الأمن واستقام.

ومع هذه^(٨) الفضائل السامية والمفاخر النامية، فكثيراً^(٩) ما أنشد في الحنين إلى الوطن:

بلادي وإن شطت عليّ عزيزة وقومي وإن شحوا [علي كرام]^(١٠)
إذ هو من وطن آبائه، ومحل قومه وأحبابه. ومن مروءة المرء حنينه

(١) في الأصل: الحفوة. قلت والمصدر من حفي به: حفاوة - بفتح الحاء وكسرها -

وتخفاية. وأما الحفوة بضم الحاء وكسرها فهو مصدر حفي: مشى بغير خوف ولا نعل.

(٢) نآ كل بمقدار كمتين. والأشبه أن تكونا: إذ كنا (?) .

(٣) ظهر نصف الكلمة.

(٤) في القاموس: مرد فهو وارد، ومريد.

(٥) ظهر نصف الكلمة.

(٦) وأقرأ أيضاً: بما.

(٧) غير ظاهرة في الأصل.

(٨) بعض حروف العبارة متآكل من الأصل.

(٩) في الأصل: فكثير.

(١٠) البيت ناقص في الأصل بتآكل الصفحة والمحفوظة فيه: وإن جارت.. وإن ضنوا.

إلى وطنه^(١) . وقد حن رسول الله ﷺ إلى مكة إذ هي دار مولده^(٢) .
 [وقد أصيل الغفاري على رسول الله ﷺ قبل أن يضرب الحجاب ،
 فقالت له عائشة رضي الله عنها] : كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد
 (اخضرت جنباتها)^(٣) ، و ابيضت بطحاؤها ، وانتشر سلمها ، وأعدق
 إذخرها ، فقال النبي عليه السلام^(*) [١/ب] : دع القلوب تقرر .

وحدثني بفاس في سنة أربع وسبعين وسبع مئة ، شيخنا الفقيه المحدث
 الراوية المسند الحاج الرحال الصالح المعمر أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيبي
 المعروف بالسراج ، و شيخنا الفقيه القاضي الخطيب العالم المفتي المدرس أبو عبد
 الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ؛ قال : حدثنا الفقيه الخطيب الحاج الرحال
 المحدث الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي
 نزيل فاس ، عن الفقيه الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن
 محمد الكناني الشاطبي عن الفقيه القاضي أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن

(١) جملة ظهر منها : وإن ؟... مستوطنه .

(٢) تآكث ثلاثه أسطر وظهر نحو سطرين ، ثم تعافتت النسختان المخطوطتان . وما بين
 معقوفتين غير ظاهر في نسخة الرباط . وفيه أصيل الخزاعي والحديث : قدم أصيل الغفاري
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب الحجاب ، فقالت له عائشة (رضي
 الله عنها) كيف تركت مكة ؟ قال اخضرت جنباتها ، و ابيضت بطحاؤها ، وأعدق
 إذخرها ، وانتشر سلمها . الحديث . وفيه : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وبها يا أصيل ، دع القلوب تقرر « أخرج الخطابي في غريب الحديث من طريق
 الزهري ، وأبو موسى المديني من وجه آخر . وانظر : المقاصد الحسنة للسخاوي ١٨٣
 وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١ : ٦٤٣ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١ : ٣٣
 والإذخر : حشيشة طيبة الرائحة ، تسقف بها البيوت فسوق الخشب . وأعدق أي
 صار له أعداق . والسلم : شجر .

(٣) في الأصل : وقد (اخضر؟) ثامها . وكلمة (اخضر) غير واضحة . والثمام نبات .

(*) من هنا تبدت نسخة (دار الكتب المصرية) وإحالات الأرقام عليها .

يوسف بن قطرال عن الحافظ محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري عن الراوية أبي عبد الله أحمد بن محمد الخولاني عن أبي عمرو عثمان بن أحمد بن محمد بن يوسف اللخمي القمحطيلي قال : حدثني أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى قال : حدثني عمي أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى عن أبيه يحيى ابن يحيى عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال . قالت فدخلت عليهما فقلت : يا أبت : كيف تجدك ؟ ويا بلال : كيف تجدك ؟ قالت فسكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل أمرى مصبّح في أهليه والموت أدنى من شراك نعليه
قالت: وكان بلال إذا أقلعت عنه يرفع عقيرته ويقول (١) :

الآليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحوالي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه بجنة وهل بيدون لي شامة وطفيل (٢)

[٢/أ] قالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: اللهم حبب لنا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حمتها فاجعلها في الجحفة (٣) .

وأنشدني في الحنين إلى الأوطان ذو الوزارتين الحاجب القائد الخطيب الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الخطيب الكاتب

(١) لم يظهر ما بين معقوفتين في الأصلين لطمس فيما وهو مستدرك من صحيح البخاري ج ٤: ٢٦٤ وهو في معجم ما استمعج ٢ : ٣٦٩ والعقد ٥ : ٢٧٢ . والبداية والنهاية ٤ : ٢٢١ ج (٢) نأكت حروف قليلة من الشعر في نسخة ط . وذهب الشعر كله من م . (٣) الحديث في صحيح البخاري ٤ : ٢٦٤ ، وفيه حبب إلينا . و: بالجحفة . والجحفة كانت قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة . وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يروا على المدينة . وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ٩ : ١٠٥

أبي محمد عبد الله بن سعيد بن الخطيب الساماني الأندلسي^(١) بفاس يتشوق
معاهده بالأندلس لما كان بالعدوة حين خلع عن ملكه بخدومه ابن عمنا
السلطان الغني بالله محمد^(٢)

أحبك يا مغنى الحقوق بواجب وأقطع في أوصافك الفر أوقاتي
تقسّم منك الترب أهلي وجيرتي ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي
وقلت أنا في ذلك ، حين مقامي ببر العدوة في حضرة ملوك مرين لما
أخرجنا عن الأندلس بنو عمنا الملوك الأحمريون النصريون لما قدمناه :

فؤادي يشتكي داء دفيننا لبعدي عن مزار الطاعنيننا^(٣)
وأكبادي من الأشواق ذابت ووجدني فاق وجد العاشقيننا
ولي جسم أضرب به سقام وقلبي بعدم أليف الشجوننا
ورب البيت لا أنسى هوام وكيف ؟ وهم بقلبي ساكنونا
لعمري [ما التوى] إلا عذاب وإني قد بليت به سنينا^(٤)
يهيئ زفرتي تذكر أرضي ويفجعني ويستهمي الجفوننا
حنيني ما حيت لها عظيم وما بسوى محبتها بئلينا
فا صبر وإن بعدت بباق كذا سنن الكرام الماجديننا
وما بمراد نفسي كان عنها بعادي ، لا ، ورب العالمينا !

فواجب على الحر الطاهر أن يحن إلى وطنه في السر والظاهر ، ويردد
بالشوق العظيم ما إني أردده من قصيدة ابن عبد العظيم :

- (١) هو لسان الدين بن الخطيب ، وسيرد عنه حديث مفصل .
(٢) هو الأمير محمد بن يوسف ، حكم غرناطة مرتين ، الأولى من ٧٥٥ - ٧٦٠ والثانية من
٧٦٣ - ٧٩٣ وهو بخدوم لسان الدين . انظر اللوحة البديرية : ٨٢ .
(٣) في الأصلين : لبعده . ورجحت ما أثبت .
(٤) (ما التوى) زيادة أقرحها ، لطمس في الأصلين مكانها .

حينني إلى تلك المعاهد أنها معاهد أحبائي تذكرتنا حبا
ويتأوه حزناً عليه ، ويكثر من تذكار الأوبة إليه . فلولا أن هدر الملوك
بنو عمي بوطني دمي ، لسرت إليه على راسي لا على قدمي !
على أن مثلي لانتهمه الزواجر ، ولا تصده عن مطلبه السيوف والخناجر ؛
بل يقتحم من مراده الأحوال ، ويعمل بقول الشاعر في كل الأحوال :

أزور ولو أن السيوف شواهره وأدنو ولو أن الجحيم مزارها
إذ كنت من بيت الملك الرفيع السعيد ، ومن أحفاد السلطان الرئيس الأمير
أبي سعيد . وقصدي في هذا الكتاب عند ذكر الملوك والأمراء والكبراء
وغيرهم من سائر الشعراء أن أغضي عما آخذه لهم من القبائح ، وأذكر ما امتازوا
به من الفضائل والمناجح ؛ لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات ، ولا يحل له
تتبع العثرات . غيرة على أعراض الموحدين^(١) ، [اتباعاً للشرع في تحريم
الغيبة ، وضرباً عن الكريهة ، وإثباتاً لحظوظ النقيبة الرغبة^(٢) .

تركت مثالب الرجال لأنني أفضل أن ألقى بفضلي للناس^(٣)]
وأرجو بذلك الستر يوم فضيحة إذا جل خطب في القيامة بالناس
مع أنه ليس في كشف عورات الناس مسرة . وربما نال ما أثبت^(٤) ذلك
بوسى ومضرة . فماضره لو اشتغل بذنوبه ، وتأسف على ما فرط من حوبه ، وستر
العيوب وكف الباس ، وقال كما قال ابن طاهر عامل آل عباس :

وما السر من قلبي كثاؤ بحفرة لأنني أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني أخفيه حتى كأنه من الدهر يوماً ما أحطت به خُبراً

(١) سقطت جملة ، لم تستبين في الأصلين .

(٢) ما بين معقوفتين من نسخة ط . وقد استجليت بعض الكلمات من ترجمة لسان الدين بن الخطيب في نثر الفرائد ٢٢٣-٢٢٤ ، فقد كرر هناك هذه الفقرة بمناسبة ترجمته له

إدلالاً بذكر حماسته دون مساوئه . (راجع للترجمة) .

(٣) الكريهة : الداهية الشديدة . والنقيبة ، النفس والطبيعة .

(٤) كذا فيها .

وقد قال بعض الناس من تعرض للأعراض^(١)، صار عرضه هدفاً لسهام الأعراس. وأرجو من الله بتركي لذلك، أن يقيني من المهالك.

وكتابي هذا قد أينعت أفنان رياضه، وملئت بالآداب الرائقة أرجاء حياضه، فأدابه فائقة، وصفحاته بالحسن رائقة، وقد قلت في وصفه:

هذا الكتاب له فضل على الكتب
 لأجل تركي مساوي من به، وسما
 لم أرض ذكر مساوي الناس عن كرم
 يبدي السرور لقاريه، ويبعده
 له فوائد مثل الروض في جيدة
 يروي الظما (ويداوي؟) كل ذي وآله
 إذ البطل عليه بزبد صنفعة
 علم البيان بأشعار مزخرفة
 تنافس الصبح فيه عند بهجته
 قاريه في لذة ما تنقضي أبداً
 من جاء يقبس منه نور فائدة
 تهديه للحق فيه كل بارقة
 أبدت فيه عجباً من محافظتي
 حتى ملأت عياب الطرس من طرف
 فخذّه واصلح به ما جاء من خلل

وليس جدواه عن راج محتجب^(٢)
 وجمهر آداب أهل العلم والكتب
 جنباً لها مثل نظم الماء بالحب
 وعندما تم منه منتهى أرب^(٣)
 إلى انقضاء الأمان في البيض في الطلب
 يلقي الهدى وهو لا يخشى من الريب
 تفوق بارقة الأمطار والسحب
 على العلوم ومن بحثني على العجب
 ومن علوم ومن شعر ومن نسب^(٤)
 واعذر، هديت إلى الإرشاد والقرب^(٥)

(١) رسم كلمة أشبهه بـ (أن) غير معجمة قبل صار. ولا معنى لها هنا.

(٢) بعد هذا البيت بيت لم يتضح. وكذا صدر البيت التالي له، وبعض عجزه.

(٣) كذا في الأصل؛ واقرأ: أربي.

(٤) العياب: جمع عيبة: ما يجعل فيه الثياب، وغيره.

(٥) في م: القرب وفي ط القرب.

ولعلي أن أكون قد خرجت عن حد الصواب ، فيما ألفتة ؛ وتركت من فصل الخطاب ، أضعاف ما عرفتة . وإنما ذلك من عوائق تبدل الدهن ، وموانع للنشاط توقع في الفكر الصحيح الوهن . ولم لا ؟ والدهر قد جار بالبعد عن الأهل والجار ، وتبدد شمل الألفة بالأحباب ، ومنع الحياة في القرب منهم والأسباب . والخروج عن الأوطان ؛ والربط من عدوانه بأشطان . فأبي صواب يوجد مع هذه المحن ، وأي فصل خطاب معها بما جرت من الإحـن . وإيم الله لولا لهـجي بالأدب ، وكلفي بمن جدي طلبه ودأب ، لم أسارع في تأليف كتاب ، بل لكنت بمن عن وضعه تاب ؛ لهذه المصائب التي غدا سهمها صائب^(١) . فمن تصفح كتابي هذا ، ووقع على خلل في تركيبه ، أو عدلني في تبويبه^(٢) :

[٤/أ] فعين الرضا عن كل عيب كليله . ولكن عين السخط تبدي المساويا

ومع ذلك فلم أخل أن جمعت ما تستملح ، وأحسن شيء في فنه العيون تستملح^(٣) . وجئت ببيان السحر ولبابه . وبدائع تنسي عهد الصبا وحسن شبابه .

بدائع جلّت عن مثال لأنها - لعمرك - إسماعيل ألفت حسنها !
فجئت بمجموع قد أشرقت أسرّة براعته الفائقة ؛ وهبّ عطر نواسم جودته الرائقة . قل ما يسمح الزمان بمثاله ، أو ينسج على منواله . لم تقدر على الإتيان بمثله أيدي المصنفين ، ولا شفت آذان إبداعه أنامل المشنفين !

(١) كذا في الأصلين ، مراعاة للسجع .

(٢) في الأصلين نحو سطرين ، طمسا في نسخة م بورق لاصق محا الأصل ، وبتأكل

نسخة (ط) نأكلأ شديداً .

(٣) فيها : في فنه العيون تستملح .

وَبَوَّيْتَهُ أَحَدَ عَشَرَ بَاباً (١) :

الباب الأول : في فضل الشعر وإباحة إنشاده بالمساجد .

الباب الثاني : في شعر ملوك بني مرين وأبنائهم .

الباب الثالث : في شعر الملوك-بني الأحمر من بني نصر-قومي-وأبنائهم .

الباب الرابع : في شعر ملوك الموحدين الحفصيين وأبنائهم .

الباب الخامس : في شعر ملوك بني زيان من بني عابد الوادي وأبنائهم .

الباب السادس : في شعر ملوك بني العزافي وأبنائهم .

الباب السابع : فيما بلغنا من شعر وزراء قومي بني الأحمر من بني نصر ،

ملوك الأندلس .

الباب الثامن : فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا الأندلسية ، وفقهاءها .

الباب التاسع : فيما بلغنا من شعر كتّاب قومي بني الأحمر ملوك الأندلس .

الباب العاشر : فيما بلغنا من شعر كتّاب بني مرين ملوك المغرب .

الباب الحادي عشر : فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهاءها .

الباب الثاني عشر : فيما قيل من الشعر في السيف الذي بصومعة جامع [٤/ب]

القرويين من مدينة فاس .



(١) فيها : أحد عشر باباً . والحسب أن المؤلف أضاف إلى تراجم الشعراء باباً للشعر الذي

قيل في السيف الذي كان بصومعة جامع القرويين بفاس (انظره فيما بعد) .

الباب الأول

في فضل الشعر وإباحتها إنشاده بالمساجد

نقول - والله المسدد - : الشعر لا يقوله إلا أهل الفضل والذكاء ، ولا يرتاح لسماعه إلا الكرام . وقد روي أن رسول الله ﷺ كان يحب أن ينشد بين يديه قصيدة امرئ القيس (١) :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فإذا وصل منشدها بين يديه إلى قوله (٢) :

ألا زعمت بسباسة اليوم أني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي
يقول رسول الله ﷺ : « أمسيك » نزهة منه ﷺ أن يسمع الفحش الذي بعد ذلك في القصيدة .

وبعض المتفقهين الذين لا أدب عندهم ، ولا هو في طبعهم ينكرون الشعر ويذمونهم ، ويرون أنه قبيح ، وقائله مذموم . فليت شعري لم أنكروه وهذا رسول الله ﷺ - وهو الأسوة والقدوة - كان يحب سماع قصيدة امرئ القيس المذكورة ، وكانت في أكثر الأوقات تنشد بين يديه . وقد أنشده كعب بن

(١) مطلع قصيدة له (الديوان بشرح الأعم الشنتمري) : ٢٧ .

(٢) قال الأعم « قوله ألا زعمت بسباسة هي امرأة عبرته بالكبر ، وأنه لا يحسن اللهو ، فنفي ذلك عن نفسه بقوله - في البيت التالي - كذبت لقد أصبي على المرء عرسه » .

زهير بن أبي سلمى بالمسجد قصيدته التي أولها (١) :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متم إثرها لم يفد مكبول
فأصغى إليها صلوات الله عليه وأثابه عليها ببرده . ولو كان الشعر - مدحاً
أو غزلاً - نُكراً ما سمعه عليه السلام بالمسجد ولا بسواه ، ولا أصغى إليه .
وحسب الشعر رفعة وعزة أن كان رسول الله ﷺ قد حظي عليه وندب
أصحابه إليه ، وتجنّد على المشركين به ، فقال لحسان بن ثابت : شق القوافي على
الغطاريف من بني عبد مناف ، فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في
غيش الظلام (٢) .

ومن فضل الشعر وشرفه أن النبي ﷺ أورد الشريد بن سويد يوماً
فاستنشده من شعر أمية بن أبي الصلت فأنشده مئة قافية ؛ يقول النبي عليه
السلام عند كل قافية : هيه ! استحساناً له (٣) .

ومن فضل الشعر أن رسول الله ﷺ قال : إن من الشعر لحكماً (٤) ؛
قاله للعلاء بن الحضرمي وقد سأله : هل تروي من الشعر شيئاً ؟ ، فأنشده
العلاء (٥) :

(١) ديوان كعب بن زهير : وانظر خبر إسلام كعب ، وقصيدته في السيرة النبوية لابن
هشام (بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا ورفاقه) ٤ : ١٠٥ . وانظر العمدة ١ : ٧

(٢) انظر العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق (ط الخانجي) ١ : ١٢٠ .
والغطاريف : السيد الشريف والسخي السري .

(٣) الخبر في العقد ٥ : ٢٧٧ ، وفيه «فقال - النبي صلى الله عليه وسلم - هذا رجل آمن لسانه
وكفر قلبه» .

(٤) قال في كشف الخفا ؛ رواه أحمد وأبو داود عن ابن عباس . وهو عند مالك وأحمد
والبخاري وأبي داود والترمذي عن ابن عمر بلفظ إن من البيان لسحراً . وفي رواية
البخاري قال جاء رجلان من الشرق فخطبا فقال صلى الله عليه وسلم : إن من البيان
لسحراً : (كشف الخفا ومزيل الإلباس : ٢٩٦) وانظر العمدة ١ : ٩ .

(٥) الخبر في معجم الشعراء للمرزباني ١٥٦ ، والعمدة لابن رشيق ١ : ١٨٠ .
وفي رواية الأبيات بمض خلاف .

وحى ذوي الأضغان تسب قلوبهم
تحيمتك الحسنى وقد يرقع النمل
فإن دحسوا بالكره فاعف تكرماً
وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسمل
فإن الذي يؤذيك منه سماعه
وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

ومن فضل الشعر : روى عيسى بن طلحة أن النبي عليه السلام قال :
الشعر الحسن مما يزين الله به الرجل المسلم .

ومن فضل الشعر : لما قدم وفد تميم^(١) على رسول الله ﷺ فنادوه من
وراء الحجرات^(٢) ، خرج إليهم عليه السلام فقال : ما تشاؤون ؟ قالوا :
جنناك بخطيب وشاعر نفاخرك^(٣) ، فقال عليه السلام : قولوا ماشتم . فقام
الزبيرقان بن بدر^(٤) فقال : قد علم الله أنا أكثر أهل الأرض عدة وعدداً ، ولو
شئنا أن نقول قلنا ، ولكنه لا يجمل بنا فيما آتانا الله الإكثار . فقال رسول
الله ﷺ لزيد بن قيس بن شماس^(٥) الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج :
تم فأجبههم . فقام فقال : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض بأمره ، ولم
يكن له شيء فيما مضى إلا بعلمه ؛ بعث خير خلقه رسولاً ؛ أكرمهم حسباً

(١) السيرة النبوية ٤ : ٥٦٠

(٢) انظر في ذلك ماساقه المفسرون في سورة الحجرات . كالقرطبي ٣٠٠ : ١٦ .

(٣) ورد ذكر الخطيبين والشعرين في مصادر كثيرة ، منها تاريخ الطبري : ١١٥ - ١٢٠ .

والسيرة النبوية لابن هشام ٤ : ٥٦٠ - ٥٦٧ . وديوان حسان : ٢٤٣ - ٢٥٢ وتفسير

القرطبي ١٦ : ٣٠٢ - ٢٠٦ والأغاني ٤ : ١٥٠ .

وقد تصرف المصنف في نقل الخطيبين فاجتزأ ، واختصر .

(٤) في السيرة النبوية وتاريخ الطبري ، وديوان حسان ، وغيرها من المصادر اتفاق على أن

خطيب تميم يومها هو عطار بن حاجب ، وأن شاعرهم هو الزبيرقان بن بدر . بيد أن

القرطبي ذكر أن الخطيب هو الأقرع بن حابس . وأجمعت المصادر على أن الأقرع بن

حابس هو الذي شهد الخطيب المسلمين بالغلبة .

(٥) الصحيح أنه ثابت بن قيس بن شماس أخو بلحارث من الخزرج .

وأوسطهم نسباً في عقرته من قريش، وذوي رحمه من الأنصار. فلم يزل يقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها منع منا ماله ودمه، ومن أبى قتلناه، وكان قتله من الله يسيراً. ثم جلس، فقالوا للأقرع بن حابس^(١) :
م فأنشده، فقام فقال : [ه/ب]

نحن الملوك فلاحي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع
ونحن نطعم يوم المحل جائعكم من السنام إذا لم تبصر القرع^(٢)
فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : م فأجبه، فقام فد لسانه
فضرب به أرنبه أنفه، وقال قصيدته التي يقول فيها^(٣) :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد شرعوا سنة للحق تتبع
يرضى بها كل من كانت سجيته تقوى الإله ويرضى كل ما صنعوا
أكرم بقوم رسول الله قائدم إذا تفرقت الأهواء والشيع
خذ منهم ما أتوا عفواً فإن منعوا فلا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم فاحذر - عداوتهم سما يخاض عليه الصاب والسلع^(٤)

(١) الشاعر كما سبق هو الزبرقان بن بدر . (انظر الحاشية ٤ صفحة ٣٣)

(٢) رواية البيهقي في السيرة النبوية (٤ : ٥٦٣)

نحن الكرام فلاحي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع
ونحن يطعم عند القحط مطمئنا من الشواء إذا لم يؤنس القرع

وبينهما بيت ثالث في أبيات أخرى . ورواية المؤلف هنا غريبة . (والبيع : مواضع الصلوات والعبادات واحدها بيعة . والقرع السحاب الرقيق . يريد : إذا لم تطررم السماء فأجدبت أرضهم) .

(٣) ديوانه : ٢٤٨ . والأبيات هنا مختصرة على غير ترتيب رواية الديوان . وبين روايته ورواية الديوان خلاف في مواضع كثيرة .

(٤) الصاب والسلع : ضربان من الشجر ممران . يقال : أمر من السلع .

فقال التميميون : نشهد أن خطيبك أخطب من خطيبنا ، وأن شاعرك أشعر من شاعرنا وأنتك امرؤ مهياً لك الخير ، وأنتك لرسول الله . فأسلموا من حينهم . وكان شعر حسان سبب إسلامهم . فلأي شيء يُذم الشعر وهو يفعل هذا؟ (*)
ومن فضل الشعر خرج الترمذي عن أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء ، وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول :

خلثوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يُزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال عمر : يا ابن رواحة ! بين يدي رسول الله ﷺ ، وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال رسول الله ﷺ : خل " عنك يا عمر ، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل .

ومن فضل الشعر ، روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ [يقول] فجاءهم حسان - يعني قريشاً - فشفى واشتفى (٢) ؛ حين قال (٣) حسان (٤) : [١ / ٦]

(*) في السيرة النبوية (٤ : ٥٦٧) أن حسان بن ثابت رضي الله عنه لما فرغ من قوله قال الأقرع بن حابس : « وأني إن هذا الرجل لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا وجوزم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم . »

(١) انظر العمدة لابن رشيقي ١ : ١٢ .

(٢) في الديوان (١-١٠) أن حسان رضي الله عنه قال هذه القصيدة قبل فتح مكة ، والأبيات المختارة هنا في الرد على أبي سفيان بن الحارث ، وكان هجا النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل إسلامه .

(٣) روى أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة حسان (دار الثقافة ٤ : ١٤٧) بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب ابن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى . »

(٤) الأبيات مختارة ، وفي رواية الديوان خلافاً عما ذكر المؤلف هنا . وفي ترتيب المؤلف هنا للأبيات تقديم وتأخير .

هجوتَ محمدًا فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاءُ
هجوتَ محمدًا برًّا حنيفًا رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بُنيتي إن لم تروها تشير النقع غايتها كداء (١)
(تبارين) الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمُر النساء
فإن أعرضتمُ عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا الجِلاذ يوم يُعزُّ الله فيها من يشاء
وقال الله قد يسرت جنداً هم الأنصار عُرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد قتال أو سباب أو هجاء
فمن هجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس كفاءُ

ومن فضل الشعر، كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نصر الله وجهه إلى
أبي موسى الأشعري: مرُّ من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق،
وصواب الرأي ومعرفة الأنساب (٢).

وقال أيضاً - رضوان الله عليه - الشعر جزل من كلام العرب يسكن به
الغيظ، وتطفأ به الثائرة، ويتبلغ به القوم في ناديتهم، ويعطى به السائل (٣).

(١) كذا فيه، وفي الديوان: عدمنا خيلنا إن لم تروها.

(٢) الخبر في العمدة ١: ١٠٠. والعقد ٥: ٢٨١.

(٣) في العمدة ١: ١٠٠: «وروى ابن عائشة يرفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشعر كلام من كلام العرب، جزل تتكلم به في نواديها، وتسل الضغائن من بينها وأنشد
ابن عائشة قول أعشى بني قيس...»

وقال أيضاً - رضي الله عنه - [خير] ما تعاملته العرب الأبيات يقدمها
الرجل أمام حاجته فيستنزل بها اللثيم، ويستعطف بها الكريم وقال الأعشى^(١):

قلدتك الشعر يا سلامة ذا فإيش والشيء حينما جملا

والشعر يستنزل الكريم كما استند.....زل رعد السحابة السبّلا^(٢)

يا خير من يركب المطي ولا يشرب كأساً بكف من بخيلا

ومن فضل الشعر قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله - [ب/٦]
الشعر ميزان القول . ورؤي ، القوم ؛ وكلاما حسن^(٣) .

ومن فضل الشعر قال أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله
عنها - يجب على الرجل تأديب ولده ؛ والشعر أعلى مراتب الأدب^(٤) .

ومن فضل الشعر كان عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - يقول : إذا
قرأتم شيئاً من كتاب الله ، فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب . وكان
رضي الله عنه إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً^(٥) .

ومن فضل الشعر ، قيل لسعيد بن المسيب - رضي الله عنه - إن قوماً من
العراق لا يرون إنشاد الشعر ، فقال لقد نسكوا نسكاً أعجمياً^(٦) .

ومن فضل الشعر ، قيل لابن سيرين إن قوماً يرون إنشاد الشعر ينقض
الوضوء فأنشد^(٧) :

(١) ديوان الأعشى : ٢٣٣ (وفيه جاء البيت الثالث قبل الآخرين) يدح سلامة ذا فائش .

(٢) السبل : المطر .

(٣) الخبر في العمدة ١ : ١ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه ١ : ١١ .

(٦) العمدة ١ : ١١ .

(٧) البيت في ديوان جرير : ٨٨ وانظر حواشي المحقق .

لقد أصبحت عيرس الفرزد ناشراً ولو رضيت رمح استه لاستقرت!
وقام يصلي^(١) .

ومن فضل الشعر : ذكر أن رجلاً من الشعراء قال للحسن البصري : وهو في المسجد [يا] أبا سعيد : هل ينقض الهجو الوضوء ؛ فأنشده الحسن :
شهد الفرزدق والقبائل كلها أن الفرزدق نساك أم جرير !
ثم قام فصلى ركعتين ؛ جعلها جوابه .

ومن فضل الشعر قيل لابن السائب الخزومي - رضي الله عنه - أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟ فقال : أما بمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ! .
ومن فضل الشعر كان عروة بن أذينة^(٢) - رضي الله عنه - على نبذه زهرة الدنيا، وترك نعيمها وورعه وزهده، رقيق القول ؛ وهو القائل^(٣) :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبرد
هني بردت ببرد الماء ظاهره فمن يحتر على الأحشاء يتقد؟^(٤)

ومن فضل الشعر عن ابن عباس - رضي الله عنه - في حديث قس بن ساعدة الإيادي^(٥) - وإنما أوردنا الحديث بكامله لما تضمنه من البلاغة والحجة في إنشاد [النبي ﷺ الشعر]^(٦) [٧/أ] وسماعه - قال : قدم على رسول الله ﷺ وفد فقال أي وفد أنتم؟ قالوا وفد عبد القيس . قال : أيكم يعرف قس بن ساعدة؟

(١) المصدر نفسه ١ : ١١ .

(٢) عروة بن أذينة «من فقهاء المدينة وعبّادها ، وكان من أرق الناس تشبيهاً» .

(٣) البيتان في العقد ٥ : ٢٨٩ .

(٤) في العقد : فن لنار .

(٥) أورد ابن عبد ربه في العقد صدرأ من هذه الخطبة ، والشعر الذي فيها ؛ : ١٢٨ .

(٦) كلمة (النبي) مطموسة في م . وفي ط القس؛ والظاهر من سياق النص ما أثبت .

قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله فماذا فعل ؟ قال : لست أنساه بسوق عكاظ على جبل أحر وهو يقول : يا أيها الناس اجتمعوا ، فإذا اجتمعتم فاسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فقولوا ، فإذا قلتُم فاصدقوا . إنه من عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هو آت آت . إن في السماء لخبيراً . وإن في الأرض لبعبراً ، بحار^(١) لا تغور ، ونجوم لا تمور . وسقف مرفوع . ونهار موضوع . ومطر ونبات . وذاهب وآت . وأحياء وأموات . وعظام ورفات . وليل ونهار . وضياء وظلام . ومسيء ومحسن . وغني وفقير . يا أرباب الغفلة ! ليصلح كل واحد منكم عمله . تعالوا نعبد إلهاً واحداً ليس بولود ولا بوالد . أعاد وأباد ، وغداً إليه المعاد . أقسم قس بالله ، وما أثم ، لأن كان في الأرض رضى ليكونن سخطاً . إن لله ديناً هو أرضى من دينكم الذي أتم عليه .

يا أهل إياد ! مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟

فقال رسول الله ﷺ : وسمته يتمثل بأبيات الشعر ولساني لا ينطلق بها فقام إليه رجل منهم فقال : يا رسول الله أنا سمعتها منه ، فهل علي فيه من إثم إن أنا قلته ؟ فقال رسول الله ﷺ : قل ؛ فإن الشعر كلام ، حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، فقال : سمته يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيتُ موارداً للقوم ليس لها مصادر
ورأيتُ قومي نحوها يمضي الأكبر والأصغر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقي غابر
[٧/ب] أيقنتُ أنني لا محالة حيث صار القوم صائر

(١) في النسختين : بحاراً .

فقال رسول الله ﷺ : من يزيدنا في إيمان قس بن ساعدة ؟ فوثب إليه رجل من القوم فقال : يا رسول الله ، بينا نحن في ملاعبنا إذا أشرف علينا من شرفة الجبل متجلجل بشملة مرتد بأخرى وبيده هراوة ، وهو واقف على عين ماء وهو يقول : آلا وإلله السماء « لا يشرب القوي قبل الضعيف . وليشرب الضعيف قبل القوي » .

فوالذي بعثك بالحق نبياً يا رسول الله لقد رأيت القوي من الوحش يتأخر حتى يشرب الضعيف . فلما تنحى ما حوله هبطت إليه من ثنية الجبل فرأيته واقفاً بين قبرين يصلي . فقلت : انعم صباحاً ما هذه الصلاة التي لاتعرفها العرب ؟ قال : صليتها لإله السماء . قلت : وهل للسماء من إله (١) سوى اللات والعزى ؟ فانتفض وانتقع لونه ثم قال : إليك عني يا أبا إياد . إن للسماء إلهاً عظيم الشأن هو الذي خلقها فسواها . وبالكواكب والقمر المنير والشمس أشرقها . أظلم ليلها وأضاء نهارها ، يسلك بعضها في بعض . ليس له كفووية ولا إنسية ولا كيموسية . فقلت ما أصبت موضعاً تعبد إله (٢) السماء إلا في هذا المكان ؟ فقال : إني لم أصب في زماني غير صاحبتي هذين القبرين ، وإني لمنتظر ما أصابها وسيعمكم حق من هذا الوجه ، وأشار نحو مكة . فقلت له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب ، يعني محمداً ﷺ ، يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد ، فإن دعاكم فأجيبوه ، وإن استصرخكم فانصروه ، وقد وصف لي علامات شتى وخلائق حسناً . قال إنه لا يأخذ على دعواه أجراً . قلت فما لك لاتسير إليه ؟ قال إني لا أعيش إلى مبعثه . ولو علمت أني ممن يعيشت إلى مبعثه لكنت أول من يسمى إليه .

(١) في م : الله . والصواب من ط .

(٢) فيها : الله . والصواب ما أثبت . راجع الحاشية السابقة .

فأضرب بصفقة كفي صفقة [٨/أ] كفه ، فأقيم بين يديه حكم الله تبارك وتعالى ، فقال رسول الله ﷺ : حسبك حسبك ، فإن قس بن ساعدة كان أمته يبعثه الله يوم القيامة وحده .

ومن فضل الشعر^(١) : لما انتهى شعر أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب إلى النبي ﷺ شق ذلك عليه ، فدعا عبد الله بن رواحة فاستنشده فأنشده ، فقال : أنت شاعر كريم . ثم دعا كعب بن مالك فاستنشده فأنشده فقال : أنت تحسن صفة الحرب . ثم دعا بحسان بن ثابت فقال : أجب عني ، فأخرج لسانه فضرب به أرنبته ثم قال : والذي بعثك بالحق مأحِب أن لي ميقولاً من معد^(٢) ، ولو أن لساناً فرى الشعر الفراه^(٣) . ثم سأل رسول الله ﷺ أن يمس من أبي سفيان . فقال : وكيف وبينني وبينه الرحم التي قد علمت؟ فقال : أسلك منه كما تسلك الشعرة من العجين . فقال : اذهب إلى أبي بكر الصديق ، كرم الله وجهه ، [فذهب إليه] فذكر له معانيبه ، فقال حسان^(٤) :

وإن سنام المجد من آل هاشم	بنو بنت مخزومٍ ووالدك العبدُ
ومن ولدت أنساء زهرة منهم	كرام ، ولم يقرب عجائزك المجدُ
ولست كعباس ولا كابن أمية	ولكن لئيمٌ لا تقوم له زند ^(٥)
وإن امرءاً كانت سميته أمه	وسمراء مغموزة إذا بلغ الجهد
وأنت زعيمٌ نيط في آل هاشم	كأنيط خلف الراكب القدح الفرد

(١) انظر الخبر في الأغاني ط دار الثقافة . ٤ : ١٤١ ودويان حسان - البرقوقي ، المقدمة .

(٢) كذا في الأصلين . وفي الأغاني - بروايات الخبر المتعددة - (والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء) .

(٣) في الأغاني . لو شئت لغريت به المزداد . والمزدادج مزادة وهي التي يحمل فيها الماء .

(٤) الأبيات في ديوانه : ١٥٩ ، والأغاني ٤ : ١٤٦ .

(٥) في الديوان : ولكن هجين ليس يورى له زند .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب ، فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان ، قال :
هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة^(١)، يعني أبا بكر الصديق نصر الله وجهه .

- يعني ببني بنت مخزوم : عبد الله وأبا طالب والزيير بن عبد المطلب
ابن هاشم ، أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأخواتهم^(٢)
وأيممة [٨/ب] والبيضاء جدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضوان الله عليه ، أم أمه
أروى بنت كرين . وقوله : ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام ، يعني حمزة وصفية
أم الزبير بن العوام رضي الله عنه ، أمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة^(٣) .
وقوله : ولست كعباس ، ولا كابن أمه ، أم العباس نقيلة^(٤) من النمر ابن
قاسط وأخوه ضرار بن عبد المطلب .

وقوله «وإن امرءاً كانت سمية أمه وسمراء؛ سمية أم أبي سفيان ، وسمراء
أم أبيه ، وليس هذا موضع إطناب في رفع الأنساب ، تحامياً على الطول .
والعاقل لا ينكر أن الشعر جائز إنشاده واستنشاده . وقد قدمنا من الأدلة
الناصعة والبراهين الواضحة على ذلك ما لا يسع رده .

ومن الدليل أيضاً على ذلك أن الخلفاء الراشدين الأربعة ، وهم أبو بكر
الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلي أبو السبطين عليهم السلام
قالوا الشعر ، وقاله أيضاً جملة من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم الصلاح .

(١) الأغاني ٤ : ١٤٣ .

(٢) اسم غير ظاهر ، وانظر أسماء أبناء عمرو بن عائذ في جمهرة أنساب العرب لابن
حزم : ١٤١ : وانظر ما في الأغاني ٤ : ١٤٦ والحواشي . وما في الديوان .

(٣) النسختين : أهيب ، والتصويب من جمهرة أنساب العرب .

(٤) في النسختين : نثيلة . والصواب من جمهرة أنساب العرب ، والأغاني .

قال أبو بكر - رضي الله عنه (١) - .

أمن طيف سلمى بالبطاح الدَّمَائث وهي طائفة ، وفيها يقول :

ونحن أناسٌ من ذؤابةٍ غالبٍ لنا العز منها في الفروع الأثاثِ
وفيها يقول :

فإن تشعثوا عرضي على سوء رأيكم فإنِّي من أعراضكم غير شاعثٍ

وقال : أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه (١)

هوّن عليك فإن الأمور . . . بكف الإلهٍ مقاديرُها
فليس بآتيكَ منهمُها ولا قاصر عنك مأمورُها

وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه (٢) :

تفنى اللذاذة ممن نالَ صفوتها من الحرام ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقب سوءٍ من مغبَّتْها لا خير في لذة من بعدها النار

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه [٩/أ] :

إذا عقَدَ القضاء عليك أمراً فليس يحلُّه إلا القضاء (٣)
فما لك قد أقت بدار ذلٍ وأرض الله واسعةٌ فضاءُ
تبلغ باليسيرِ فكلُّ شيءٍ من الدنيا يكون له انقضاء

(١) من أبيات رواها في العمدة ١ : ١٣ . وقال إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أنشدها في غزوة عبدة بن الحارث .

(٢) في العمدة ١٤ : ١٣ . قال : ويروى الشعر للأعور الشبي . ونسبها في العقد (٣ : ٢٠٧) لابن أبي حازم ، وفيه : ولا تحرصن فإن الأمور ...

(٣) في النسختين : إلى في موضعٍ إلا .

وقال: أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام^(١)
ومارست هذا الأمر خمسين حجة وخمساً أرجني قابلاً بعد قابل^(٢)
فلا أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي أهوى علقته بطائل
وقد أشرعت في المنايا سهامها وأيقنت أني رهن موتٍ معاجل

وقال أمير المؤمنين الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
عنهما في بنته سكينه ، وأمها امرأته الرباب بنت امرئ القيس الكلبيّة^(٣) :

لعمرك إنني لأحب بيتاً تحل به سكينه والرباب
أحبها وأبذل جل مالي وليس لعاتبٍ عندي عتاب
ولست لهم - وإن عتبوا - مطيعاً حياتي ، أو يغيبني التراب
وقال حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه -^(٤) :

عشية ساروا حاشدين وكلنا مرآجه من غيظ أصحابه تغلي
فلما تراءينا أناخُوا ففعلُوا مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
وقلنا لهم جبل الإله نصيرنا وما لكم إلا الضلالة من جبل !
فثار أبو جهلٍ هنالك باغياً فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكباً وهم مثنان بعد واحدة فضل

وقال أخوه العباس بن عبد المطلب ، رضي الله تعالى عنه^(٥)

ألا هل أتى عيرسي متكبرتي وموقفي بوادي حنينٍ والأسنة تُشعرُ

(١) الأبيات في العقد ٤ : ٢

(٢) في العقد : قائلاً بعد قائل . وفي الأبيات الأخرى روايات مختلفة .

(٣) البيتان الأولان في العمدة (١ : ١٥) وفيه : وليس للائي .

(٤) في العمدة (١ : ١٥) أن حمزة رضي الله عنه قال هذا الشعر يذكر لقاءه بأب جهل وأصحابه .

(٥) قالها كما في العمدة (١ : ١٥) يوم حنين يفتخر بشبابه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

[٩/ب] وقولي إذاما النفس جاشت لها قري
 وهام تدهدى والسواعد تقطع
 وكيف رددت الخليل وهي مغيرة
 بزوراء تعطي باليدين وتمنع
 نصرنا رسول الله في الحرب تسعة
 وقد فر من قد فر عنه وأقشعوا^(١)
 وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنها^(٢)

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى
 وأعمل فكر الليل والليل عاكر
 وباكرني في حاجة لم يجد لها
 سواي، ولا من نكبة الدهر ناصر
 فرجت بمالي همته من مقامة
 وزايله هم طروق مسامر
 وكان له فضل علي بظنه
 بي الخير، إني للذي ظن شاكر !

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب ، وحسب من ذم^(٣) ، أن من قدمنا من
 الصحابة قد قالوه وكانوا^(٤) يتمثلون به ، ولا يرون أنه مذموم . فإن احتج
 عاظم من حلية الآداب وقال : إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقل الشعر ،
 وأن الله تعالى قال فيه ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾^(٥) قلت : لو كان
 النبي صلى الله عليه وسلم شاعراً لكان متهماً بالقرآن ولقيل إنه من عنده ، وإنه
 اختلقه ؛ فيكون ذلك نقصاً في حقه ، ومدخلاً للطعن في نبوته . فمنعه الله
 عز وجل من قوله ، وزمّه عن ذلك . وهذه معجزة في حقه عليه السلام .
 وقد قيل للإمام القاضي عبد الوهاب إن النبي عليه السلام لم يقل الشعر
 فقال له : ذلك في حقه معجزة ، وفي حقه معجزة^(٦) .

(١) في العمدة : سبعة .

(٢) في العمدة (١٦:٩) .

(٣) أي الشعر وإنشاده .

(٤) في النسختين : وكان .

(٥) يس ٣٦ : ٣٩ (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)

(٦) انظر البيان النبوي (٥) . عدنان زر زور) الطبعة الأولى ٢٨ - ٣٤ .

وإن احتج بقوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾^(١) الآية . قلت :
 قد قال الضحاك^(٢) إنها نزلت في رجلين أحدهما أنصاري ، مع كل واحد منهما
 غواة قومه - وهم السفهاء - وقال به ابن عباس : وعنه أنهم الرواة^(٣) . وعنه
 أنهم كفار الجن والإنس . قال أبو عبد الله هم الذين يشعرون^(٤)] ولا يتبعون
 سنن الحق] ، [١٠ / أ] وأراد هؤلاء شعراء الكفار عبد الله بن الزبير ، وهبيرة
 ابن أبي وهب ومسافع^(٥) بن عبد مناف وأبا عزة الجمحي وأمّية بن أبي الصلت
 كانوا يهجون النبي عليه السلام ، ويتبعهم الكفار .

وقال غضيف من أصحاب النبي عليه السلام ، قال النبي صلى الله عليه
 وسلم : « من أحدث هجاء في الإسلام فاقطعوا لسانه » .

وقال ابن عباس :^(٦) لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة رن إبليس رنة
 فاجتمعت إليه ذريته فقال : يا أسوا أن تترد أمة^(٧) محمد على الشرك بعد يومكم
 هذا ، ولكن أفشوا فيها - يعني مكة^(٨) الشعر والنشوح .

(١) الشعراء ٢٦-٢٢٤ (والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم
 يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا
 من بعد ما ظهروا وسيعلم الذين ظهروا أي منقلب ينقلبون) .

(٢) الخبر في تفسير القرطبي ١٣ : ١٥٢

(٣) في المصدر السابق : رواية الشعر .

(٤) فيها مسافر ، والمثبت من القرطبي .

(٥) الخبر في تفسير القرطبي ١٣ : ١٥٢

(٦) في القرطبي أن تريدوا أمة محمد .

(٧) في القرطبي : فيها يعني مكة والمدينة .

(٨) في ط : يشعرون «قلوب؟» وسقط بمقدار ٣ كلمات ، وفي م يشعرون وسقط بمقدار ٤
 كلمات . والعبارة مثبتة من تفسير القرطبي بحسب السياق .

يخرج من هذا كله أن (الغاوون) هم السفهاء، أو هم الكفار من الجن والإنس أو هم الرواة . فإذا كان هذا كذلك ، فأبي ذم يلحق شعراء الإسلام إذا لم يهجوا ؟ لاسيما والنبي عليه السلام قال لشاعره كعب بن مالك لما سأله رأيه في الشعر حين أنزل الله فيه هذه الآية : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكان ماتموتهم به نضح النبل^(١)، فإذا كان شاعر الإسلام لا يهجو إلا الكفار فهذا هو المطلوب .

وفي هذا الحديث تقرير الشعراء على قول الشعر على الوجه الجائز إذا حملنا خطاب النبي عليه السلام عموماً على ما يرد في بعض الأحكام الشرعية . ، أن يكون الخطاب لشخص والحكم متوجه على الجملة^(٢) .

وأما إن كان الذم المفهوم من قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ ليس على عمومه بل كما قيده أبو عبد الله بالشعراء الكفار ، فلا مدخل للإسلاميين فيه ؛ وبالله التوفيق .

وإن احتج أيضاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يرّيه خير له من أن يمتلىء شعراً »^(٣) . قلت : الجواب ما قاله الإمام أبو عبد الله المازري والقاضي عياض في ذلك الحديث ، ونقلته من الإكمال

(١) ورد الخبر في تفسير القرطبي ١٣ : ١٥٣ .

(٢) في الأصلين : أن . قلت ، ولعله أيضاً : أن يكون الخطاب... متوجهاً .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه ، وفي فتح الباري : قال ابن بطال ذكر بعضهم أن معنى قوله « خير له من أن يمتلىء شعراً » يعني الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو عبيد والذي عندي في هذا الحديث غير هذا القول ، لأن الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم لو كان شطر بيت لكان كفوراً . فكانه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه أنه قد رخص في القليل منه ، ولكن وجهه عندي : أن يمتلىء قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه . فأما إذا كان القرآن والعلم غالبين عليه فليس جوفه ممتلئاً من الشعر . ٠ ٤٥١/١٠ - ٤٥٣ . وانظر تفسير القرطبي ١٢ : ١٥٠ .

[١٠/ب] للقاضي أبي الفضل، وهذا نصه «قال الإمام، قال أبو عبيد قال الأصمعي: هو من الوري، على مثال «الرَّمِي» ، وهو أن يورى جوفه، يقال منه: رجل موري؛ مشدد غير مهموز: هو أن يأكل القيح جوفه. قال صاحب الأفعال: وري الإنسان والبعير وري، دوى جوفه، ووراه الداء ورياً: فسد جوفه. ووري الكلب: سعر أشد السعار.

قال أبو عبيد: وقوله صلى الله عليه وسلم «خير له من أن يتملىء شعرأ». قال بعضهم: يعني من الشعر الذي «مجي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان شطر بيت لكان كفرأ. فكأنه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه، فقد رخص في القليل منه. ولكن وجهه عندي أن يتملىء قلبه حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله عز وجل فيكون الغالب عليه من أي الشعر كان. فإذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوف هذا عندنا بمتلىء من الشعر.

وقال القاضي عياض في الإكمال: ذكر مسلم استنشاد النبي صلى الله عليه وسلم الشريد بن سويد شعر أمية بن أبي الصلت^(١)، وقوله هيه إلى أن أنشده مئة بيت؛ وقوله إن كاد ليسلم، فيه جواز سماع أشعار الجاهلية، وأخبارها، والتحدث بها، وإنشادها. و (هيه) مكسورة الهاء، ساكنة الياء والهاء الآخرة كلمة للاستزادة أي: زد. وأصلها إيه، فهي استزادة لما تعرف.

وفيه أن الشعر بنفسه ليس بمنكر، وإنما المنكر منه المذموم: الإكثار منه، أو ما يتضمنه من الهجاء للمسلمين وقذف المحصنات، والتشبيب بالحرم، وذكر أوصاف الخمر وأنواع الباطل [مما يهيج] المرتكبين لذلك، ويجرئهم على المعاصي. وقد جاء من ذلك أشياء في شعر حسان وكعب وغيرهما مما

(١) في خزانة الأدب للبغدادي ١: ٢٢٧. وتفسير القرطبي ١٣: ١٤٥. وانظر مقدمة

ديوان أمية بن أبي الصلت (بتحقيق الدكتور ع. السطلي).

مدح به النبي صلى الله عليه وسلم [١١/أ] في وصف الحجر والتشبيب^(١) بغير معين^(٢)، جرياً على عادة العرب فيستحب منه القليل ولم ير أصحابنا يمثل هذا رد شهادة الشاهد ، ولا جعلوه جرحاً فيه .

وقال أيضاً : القاضي عياض فيه - في الإكمال - وإنه كالكلام فحسنة حسن ، وقبيحة قبيح^(٣) ؛ كما روي عن الشافعي . وقد روينا هذا الكلام مرفوعاً للنبي عليه السلام ، وقد أنشد النبي عليه السلام الشعر وتمثل به واستنشده ؛ وقاله أصحابه ، وحضهم على قوله في هجاء المشركين .

وقد روي عن الخلفاء ، وأئمة الصحابة ، وفضلاء السلف في استشهادهم به وإنشاده^(٤) ، وقولهم الجيد منه^(٥) .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب : ولا مرية في جواز إنشاد الشعر والتمثل به ، وإنما المذموم منه ما قدمنا للإمام المازري ، وللقاضي عياض من هجاء المسلمين وقذف المحصنات وغير ذلك مما قالوا ، رحمها الله تعالى .

وأما إن كان الشعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو في هجاء المشركين ، أو غزل بغير معين ، فذلك جائز لامطن فيه . وحسبك ما قدمنا على فضله وجوازه من الأدلة ، وقول القاضي عياض . وقد أنشد النبي عليه

(١) في النسختين : والتشبيه .

(٢) راجع رأي ابن حزم القرطبي الأندلسي في هذا الموضوع : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس .

(٣) في تفسير القرطبي خبر عن ابن سيرين فيه « وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام

إلا في القوافي فحسنة حسن وقبيحة قبيح » . وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحة كقبيح

الكلام » ١٣ : ١٥٠ .

(٤) في الأصلين : وإنشاد . « بدون الهاء » .

(٥) زاد في النسختين ما رسمه « والريق والمثقف في ضروب أفانينه ما يعني « يعني ؟ » بن

خلف « ؟ » ، وبالله التوفيق » .

السلام الشعر؛ وتمثله به صحيح أخرجه أهل الصحة . ولكنه صلى الله عليه وسلم ، مهما أنشد الشعر وتمثل به لا يذكره إلا غير موزون ، لكونه لم يكن في طبعه ، وقد قدمنا سبب ذلك . فكان عليه السلام يتمثل بقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ينشده غير موزون ، يقول ، (ويأتيك من لم تزود بالأخبار)^(١) فيقول [١١ / ب] أبو بكر الصديق : ليس هكذا يارسول الله وإنما هو (ويأتيك بالأخبار من لم تزود) فيقول له عليه السلام ، لفي لست بشاعر ولا ينبغي لي قوله ، عليه السلام .

« ولا ينبغي لي » أي ماهو بحسن في حقه ، لأنه لو كان يقول الشعر لكان يورث الشبهة في الطعن فيما أتى به من القرآن ، ولقيل إنه من عنده . وقد قال المشركون فيه : شاعر ، ولم يكن بشاعر . قال الله تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾^(٢) فنزّهه عن ذلك . انظر قولهم ، وهو ليس بشاعر ، فما ظنك لو كان شاعراً ؟ .

وقال الحسن^(٣) : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بهذا البيت « كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً » ؛ فقال أبو بكر : يابني الله إنما قال الشاعر :

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً^(٤) *

فقال أبو بكر وعمر^(٥) : أشهد أنك رسول الله ؛ لقوله تعالى ﴿ وما علمناه

(١) الخبر في تفسير القرطبي ١٥ : ٥١ - ٥٢ .

(٢) سورة يس ٣٦ - ٦٩ . (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)

(٣) الخبر في تفسير القرطبي .

(٤) عجز بيت لسحيم عبد بن الحسحاس (ديوانه ١٦) وتماهه :

عميرة ودع إن تجهزت غازياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

(٥) يعني تعقيباً على ذلك .

الشعر وما ينبغي له ❦ . وقال الحكم : كان النبي صلى الله وسلم يتمثل بقول العباس بن مرداس^(١) :

أتجعل نبي ونهب العبيد . . . بين الأقرع وعينته

فقالوا يارسول الله إنما قال : بين عينته والأقرع ، فأعادها فقال : بين الأقرع وعينته . فقام إليه أبو بكر فقبل رأسه فقال : ❦ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ❦ .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب :

وإذ قد فرغنا من ذكر جواز الشعر وفضله ، والأدلة على ذلك ، فلنشرع في بعض ما يتعلق به من علم البديع ؛ من تجنيس وترصيع وغير ذلك مما يندرج تحته . فمن ملك زمام ذلك فهو المقدم لحل راية الأدب ، ومن كان خلياً منه فباعه في الإجابة^(٢) لا محالة قصير ، إذ لم يتمتع من ذلك بقليل ولا كثير . ولا بد للشاعر^(٣) من معرفة اللغة والعربية ، فإن كان قاصراً عنها كان شعره دون من يكون بهما عالماً لا محالة .

[١٢ / أ] والعربية أهم للشاعر من اللغة لأنه إن تكلم بشعر أو غيره لم يلحن ، وإن خلا منها لحن ضرورة .

واللحن من أقبح الأشياء . أتى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، على قوم يرمون رشفاً لهم ، فأساؤوا الرمي^(٤) . يا أمير المؤمنين نحن قوم متعلمين !

(١) الخبر مفصل في تفسير القرطبي ١٥ : ٥٢ : ٥٣ . والبيت على جهته :

أتجعل نبي ونهب العبيد بين عينته والأقرع

والعبيد اسم فرس عباس بن مرداس ، والبيت من جملة أبيات في العقد ١ : ٢٨٦ . وانظر البيت ورواياته في « ديوان العباس بن مرداس » جمعه د . يحيى الجبوري .

(٢) لم تنضح الكلمات في نسخة دار الكتب ، وهما من نسخة الرباط .

(٣) سقط نحو سطر تقديراً ، ولم ينبه إلى ذلك في المخطوطتين .

وفي ألف باء لأبي الحجاج البلوي ، عرف بابن الشيخ ١ : ٣٤ « مر عمر رضي الله عنه =

فقال عمر رضي الله عنه لإساءتكم في لحنكم شر من إساءتكم في رميكم أو رشقكم، رحم الله امرأً أصلح من لسانه. وقال أيضاً: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل. ولا بد له من معرفة العروض، وعلم القوافي، إذ بالعروض يقيم صنفاً^(١) الأوزان الموجودة للعرب. ومن كان جاهلاً به، والوزن في طبعه، ربما وقع في غير أوزان العرب، وخرج للأوزان الطبيعية من الدوائر وغيرها مثل أوزان الموشح وغيره. ولولا مخافة التطويل لذكرنا دوائره وبحوره، وأعاريضه، وضروبه، وتفصيلاته في التقطيع.

ولنذكر ما عليه يبني علم البيان^(٢) - ولا بد أيضاً للشاعر من معرفته - وهو أربعة أشياء: الكناية والاستمارة، والتمثيل والإشارة.

فالكناية على نوعين^(٣): النوع الأول أن تريد إثبات معنى فتترك اللفظ الموضوع له، وتأتي بتاليه وجوداً لتوميء به إليه، وتجعله شاهداً له ودليلاً عليه. مثاله: فلان كثير رماد القيدر، وطويل النجاد. فهذه الكناية أبلغ من التصريح.

النوع الثاني: أن تأتي بالمراد منسوباً إلى أمر يشتمل على من هي له حقيقة. مثاله قول زياد الأعجم^(٤):

إن الساحة والمروة والندى في قبة ضُربت على ابن الحشرج

== بقوم يتناضلون ورمى بعضهم فأخطأ فقال له عمر: أخطأت، فقال يأمر المؤمنين نحن متعلمين! فقال: والله لخطؤك في كلامك أشد علينا من خطئك في نضالك. احفظوا القرآن وقفهموا في الدين وتعلموا اللحن». قال ابن الشيبخ: والحن في هذا الموضوع: اللغة.

(١) الصفا: الميل.

(٢) راجع: الدكتور شوقي ضيف في: (البلاغة تطور وتاريخ) عن اضطراب مفهوم علم البيان في بعض الدراسات البلاغية.

(٣) بحث الكناية في تحرير التحبير: ١٤٣.

(٤) في مدح عبد الله بن الحشرج (الأغاني ١٢: ٢٠).

والاستعارة (١)

وهي مأخوذة من العارية ؛ لأن الشاعر يعبر المعنى ألفاظاً غير لفظه الموضوع له ، كقول بشار بن برد (٢) :

كان مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
و كقول بعضهم : (٣)

وكالسيف إن لا ينته لان منته وحداه إن خاشنته خشان

والتمثيل (٤)

وهو إنما يكون مجازاً إذا جاء على حد الاستعارة . وقد جاء به القرآن ، مثاله من القرآن قوله تعالى ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ (٥) وقوله تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ (٦) . وقد جاء به الحديث ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) « دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء » . وقد جاء في كلام العرب ، وهو قولهم للمتحير (٨) : « فلان يقدم رجلاً

(١) في تحرير التحبير : ٩٧ .

(٢) هو من شواهد التشبيه التمثيلي في التلخيص القزويني : ٢٥٤ ، والإيضاح له . وهو في الديوان : ٣١٨ وانظر رواياته .

(٣) البيت في العقد ١ : ٥٢ وفيه : هو السيف .

(٤) جمعه ابن رشيقي في العمدة من ضروب الاستعارة (١ : ١٨٧) . وانظر تحرير التحبير

٢١٤ وقال القزويني إنه يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة ، أو التمثيل مطلقاً .

(٥) سورة الإسراء : ١٧ : ٢٤ .

(٦) سورة مريم : ١٩ : ٤

(٧) أخرج الإمام أحمد بن حنبل من حديث الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء . والبغضاء هي الحالقة ، حالقة

الدين لخالقة الشعر ؛ والذي نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا . أفلا أنبئكم بشيء

إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم .

(٨) هو من كلام الخليفة الأموي الوايد بن يزيد ، كتب إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه

يتلكأ في بيعته « أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا

فاعتمد على أيها شئت ، والسلام ! » .

ويؤخر أخرى « . وقد جاء في الشعر ؛ قال عمرو بن كلثوم :
 ألا أبلغ النعمان عَسِيَّ رسالةً فمجدك حوالي^(١) ولؤمك قارح
 وقال العباس بن الأحنف : (٢)
 قد سحب الناس أذيال الحديث بنا وفرق الناس فيما قولهم فرقا
 فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

والاشارة (٣)

قال قدامة : هي اشتغال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة باللمعة الدالة .
 قال زهير بن أبي سلمى (٤) :
 فإني لو لقيتك فاجتمعنا لكان لكل منكورة كفاء
 وقال امرؤ القيس (٥) :
 على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولاواني

ذكر ألقاب في صناعة البديع (٦)

وهي ستة وعشرون لقباً : التجنيس ، والترصيع ، والاشتقاق ،
 والتطبيق ، ولزوم ما لا يلزم ، والتضمن المزدوج ، والاتفات ، والاعتراض ،

(١) الحولي : ما أتى عليه حول من ذي حافر وغيره . والقارح من ذي الحافر بمنزلة البازل
 من الإبل .

(٢) ديوانه (طبعة الجوائب : ١١٣) . وفي البيت الثاني : فجاهل قد رمى بالظن غيركم

(٣) الإشارة من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى (نقد الشعر : ٥٥) وانظر تحرير التحبير ٢٠٠

والعمدة ١ : ٢٠٦ .

(٤) البيت لزهير في ديوانه : ٨١ طبعة دار الكتب المصرية .

(٥) ديوان امرؤ القيس : ٣١١ (بشرح الأعم الشنمري - دار المعارف بمصر) .

(٦) اكتفى المؤلف بهذه الأنواع من فن البديع ، وسأحيل على بعض المصادر مثل العمدة

وتحرير التحبير . ويلاحظ أن هذه الأنواع هي أعيانها التي ذكرها ابن الزمكاني في

كتابه « التبيان » المطبوع في بغداد والذي رد عليه ابن عميرة المخزومي الأندلسي (انظر

دراسة صديقنا الدكتور محمد بنشريفية عن أبي المطرف بن عميرة المخزومي - طبع المغرب)

واللف والنشر ، والتفسير ، والتعديد ، والتخييل ، والمتواتر ، ورد العجز على الصدر ، والمساواة ، والعكس والتبديل ، والاستدراك ، والرجوع ، والاستطراد ، والاستهلال ، والتخليص ، والترديد ، والتتميم ، والتفويف ، والتجاهل ، والهزل المراد به الجد ، والتنبيه .

أما التجنيس^(١)

فهو مناسبة بين لفظين فأكثر ، في كل حرفيهما ، أو في أكثرهما ، مع اختلاف المعنى ؛ وسواء اتفقت الصيغ أو اختلفت . من ذلك قول ابن المعتز:

وإني للشعر الخوف لكاليء وللشعر يجري ظلمه لرشوف
انظر ما أحسن هذا البيت ، كيف جمع فيه بين الشجاعة والغزل .

وأما الترصيع^(٢)

فهو أن تكون الكلمات متقاربة في الأوزان ، متفقة الأعجاز ، مثاله قوله تعالى^(٣) ﴿إِن لِّإِنسَانٍ لِّإِبَاهِمِمْ ثُمَّ إِن عَلِينَا حَسَابِهِمْ﴾ . وقول الخنساء^(٤) :

حامبي الحقيقة محمود الطريفة نقتاع وضرار
[وقولها]
جواب قاصية ، جزأز ناصية عقاد أولية ، للخييل جرار

(١) تحرير التحرير : ١٠٢

(٢) باب الترصيع في تحرير التحرير : ٣٠٥

(٣) الغاشية ٨٨/٢٥

(٤) استشهاد المؤلف بالبيتين على أنها في درج واحد . والبيت الثاني في الديوان « ط بيروت

١٨٨٩ ص ٢٧ ، برواية :

شهاد أندية للجيش جرار حمال أولية هباط أودية

وفي قصيدة أخرى «ص ٤٣» :

سمح اليدين جواد غير مقتار جواب أودية حمال أولية

وأما الاشتقاق (١)

فهو أن تأتي بالفاظ يجمعها أصل واحد ، يكون معناه مشتركاً ، كما [تكون] (٢) حروفه [١٣/ب] الأصول مشتركة ، ويزيد على معنى الأصل بوجه مع تغاير اللفظين. مثاله: ضرب ، ويضرب ، واضرب ، وضارب ، ومضروب . وضروب ، وضروب ، ومضارب ، ومضرب ، فإن ذلك كله مشتق من الضرب . ومنه قوله تعالى ﴿ فَأَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ ﴾ (٣) . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً » . ومنه قول الشاعر (٤) :

ألم تبتدر كم يوم بدر سيوفنا وليلك عما ناب قومك فأمم ؟!

فكان الشاعر يقول : ينبغي أن يكون (بدر) سمي بهذا الاسم من ابتدار سيوفنا فيه إليك ، وإن كان الاسم سابقاً .

وأما التطبيق (٥)

فهو أن تأتي بالشيء وضده ، كقوله تعالى (٦) ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ . وكقول دعبل الخزاعي (٧) :

لا تعجبي يا سلم من رجسٍ ضحك المشيب برأسه فبكي!

(١) هو داخل عند ابن أبي الإصبع في باب التجنيس ، وقال فيه قدامة إنه اشترك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق . (نقد الشعر ٦١ . وتحرير التحبير ١٠٢-١٠٣) (٢) في مكان الكلمة طمس في النسختين .

(٣) الروم : ٤٣/٣٠

(٤) هو النعمان بن بشير ، والبيت في نقد الشعر «٦١» .

(٥) العمدة ٢ : ٦ ، وتحرير التحبير ١١١

(٦) التوبة ٨٣/٩

(٧) ديوان دعبل « بتحقيق : الدكتور عبد الكريم الأشر » .

وقول زهير بن أبي سلمى (١) :

ليث بعثر يسطاد الرجال إذا ما كذب الليث عن أقرانه صدقا
وقول عبد الله بن الزبير الأسدي (٢) :

فرد شعورهنّ السود بيضاً وردّ وجوههنّ البيض سؤدا

وأما لزوم ما لا يلزم (٣)

فهو ما في الاصطلاح أن الناظم أو الناثر يضيّق على نفسه في التزامه مؤاخاة
ألفاظ التسجيع . مثاله قوله تعالى ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا
تنهر ﴾ (٤) . وفي قول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضوان الله عليه « لا يكن
حبك كلفا ولا بغضك تلفا » . ومنه قول ذي الوزارتين الأمير أبي بكر
[١٤ / أ] محمد بن عمار المهري في وصف هبوب نسيم السححر على الرياض (٥) :

بحيث اتخذنا الروض جاراً تزورنا هداياه في أيدي الرياح النواسم
يبلغننا أنفاسه فتردّها بأعطر أنفاس وأذكى مناسم

وأما التضمين المزدوج (٦)

فهو أن يقع في أثناء قرائن البثر أو النظم لفظان مسجعان مع مراعاة
حدود الأسجاع الأصلية التي يسميها الأكثر الفقير . مثاله قوله تعالى ﴿ وجئتكم

(١) ديوانه «طبعة دار الكتب المصرية ٥٤» وفيه: ما الليث كذب . «وكذب الليث» لم يصدق
الحملة ، وكذب الرجل عن كذا إذا رجع عنه .

(٢) البيت من قطعة له في العمدة ٧:٢ . وساقه ابن أبي الإصبع مثلاً على العكس
والتبديل : ٣٢٠ .

(٣) ويسمى الالتزام ، كما في تحرير التحبير ٧١٥ .

(٤) الضحى ٩/٩٣ - ١٠ .

(٥) ديوانه صفحة ٢١١ : وفيه تبلفنا .

(٦) ورد عند ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير : ٣٠٢ بعنوان الترصيع .

من سبأ بنبأ * (٢) . ومنه قوله بعض الشعراء البلغاء ، وهو ابن نباته .
قال : (٢) ، أيها الناس :

احضروا . بصفاء الأذهان . لعظات الزمان .
فقد لخصها على قدمه . لمستمعها .
وتدبروا . قوارع القرآن . ببصائر الإيمان .
تكتفوا بزواجر . نواهيها .
وادروؤوا . سوابق العصيان . بلواحق الإحسان .
تسلموا من داوثر . مهاويها .

وعلى هذا الأسلوب أنشأ الفقيه القاضي الكاتب أبو الحسن علي بن القائد
أبي عبد الله محمد بن الصباغ العقيلي الأندلسي خطبة كتابه المترجم يجليس
الأديب وأنيس الغريب ، وهي :

الحمد لله معتمد الإنسان . بعميم الإحسان . عناية .
لاتحد ، ولطفنا .
ومعلمه من البيان . وملهمه إلى التبيان . رعاية .
لاتصد ، ولا تجفى .
عجز عنه كل لسان . فلو اجتمع الإنس والجان . نهاية .
فالرد . أن لم يبلغوا حرفا .

أحمده ، حمد من أقر على نفسه ، أنه أولاه نعمه ، إنعاماً وافى فوفى
وأشكره شكر من أمر على طرسه ، بذكر مولاه قلعه ، فيما قنع ولا استكفى
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعدّها :

شهادة تخلد في جنته لنا قراراً يؤنسنا بجله فنأمن خوفاً
وإفادة تجدد من مننته لنا جواداً يلبسنا حليته الرائقة شنفاً .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله :

أفضل ، مخصوص ، بقوله ، وخطابه ، والخاتم ، لمصطفيه ، أقرت بها ألفاً .
وأجل منصوص على فضله من كتابه ، بالمكالم ، تصار إليه ، ليست بهرجاً ولا زيفاً .
وأصلي عليه ، وعلى آله وصحبه ، وعترته ، وحزبه . صلاة تامة أجدها
وقاية يوم لا أملك لنفسي عدلاً ولا صرفاً .

وأما الالتفات (١)

فهو أن تعدل من الخطاب إلى الإخبار ، ومن الإخبار إلى الخطاب ، أو
من الغيبة إلى التكلم مثاله قوله تعالى (٢) : ﴿ ملك يوم الدين . إياك نعبد وإياك
نستعين ﴾ . وقوله تعالى (٣) : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم
في الفلك وجرين بهم ﴾ . ومنه ، قال إسحاق الموصلي قال لي الأصمعي :
أتعرف التفات جرير ؟ قلت : لا . فأنشدني (٤) :

أتنسى إذا تودعنا سليمي بفرع بشامة ، سقي البشام

ألا تراه مقبلاً على شعره ، ثم التفت إلى البشام ؟

و [منه] قول جرير (٥) :

(١) العمدة ٢ : ٤٤ . وتحرير التحبير ١٢٣ .

(٢) فاتحة الكتاب ١ : ٤ - ٥ .

(٣) يونس : ٢٢ / ١٠ .

(٤) ديوانه ٥١٢ ، وهو من الشواهد المشهورة .

(٥) ديوانه ٥١٢ : وهو مطلع قصيدة له .

متى كان الخيامُ بذِي طلوحِ . سُميت الغيثُ أيتها الخيامُ !

والاعتراض^(١)

هو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ، فيعدل عنه آخذاً في غيره ، قبل أن يتم الأول . ثم يعود إليه فيتممه ، فيكون ما عدل إليه مبالغة في الأول وزيادة في حسنه :

قال النابغة : - وقيل للجعدي -^(٢)

ألا زعمت بنو عبسٍ بأني ألا كذبت كبير السنِّ فانِ
و [منه] قول كثير^(٣) :

لو أن الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطالا
وقال الآخر :

فإني إن أفتك يفتك مني^٤ - فلا تسبق له - علق نفيس^٥

وأما اللف والنشر^(٤)

فهو أن تذكر شيئين ، ثم ترمي بتفسيرهما جملة ، ثقةً بأن السامع يرد كل تفسير إلى اللائق به ؛ كقوله تعالى^(٥) : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾ ولم تقل الطائفتان ذلك ؛ وإنما قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا النصارى .

(١) أورده القزويني في علم المعاني : التلخيص ٢٣١ .

(٢) ديوان الجعدي : ١٦٢ من قصيدة له وفيه : بنو كعب ... كذبت .

(٣) البيت في ديوان كثير ٥٠٧ وانظر العمدة ٢ : ٣٦ . .

(٤) التلخيص للقزويني : ٣٦١ .

(٥) البقرة ٢ : ١١١ وقامها : « تلك أمانيم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

وأما التفسير^(١)

فهو أن تذكر شيئاً ثم تقصد تخصيصه فتعديه مع ذلك المخصص ؛ مثاله قوله تعالى^(٢): ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ ثم قال: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ الآية. وقول طرّيح^(٣):

إن حاربوا وضَعُوا أو سالموا رفعُوا أو واعدوا ضمِنوا، أو حدثوا صدقُوا
وأما التعميد

فهو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد. مثاله قوله تعالى^(٤): ﴿لإله إلا هو الحي القيوم﴾ .

وأما التخييل

فهو تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد أنه مما يظهر في العيان . مثاله قوله تعالى^(٥): ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوية بيمينه﴾ .

وأما المتواتر^(٦)

فهو أن يتفق آخر الكلمتين اللتين بهما تاكل القرينتان وزناً ولفظاً في الحرف الأخير. مثاله قوله تعالى^(٧): ﴿فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة﴾ .

(١) انظر باب التفريق والتقسيم في التلخيص: ٣٦٦

(٢) هود ١١ : ٣٠٦ .

(٣) البيت من قصيدة مطولة في مدح الخليفة الأموي الوليد بن يزيد « الأغاني ٦ : ٩٨ » قال أبو الفرج ذكر يحيى أن الشعر لطريح ، وذكر ابن السكيت أنه لابن هرمة .

(٤) البقرة ٢ : ٢٥٥

(٥) الزمر ٤٩ : ٦٧ .

(٦) انظر باب التسجيع في تحرير التعبير : ٣٠٠

(٧) الغاشية ٨٨ : ١٣ - ١٤

وأما رد العجز على الصدر^(١)

. فهو أن يلاقي آخر الكلام أوله بوجه؛ مثاله قوله تعالى^(٢): ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾. [١٥/ب] وقول الشاعر:
سكران سكرهوى وسكره مدامة أتى يفيق فتي به سكران؟!

وأما المساواة^(٣)

فهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى من غير زيادة ولا نقصان؛ مثاله
قول زهير^(٤) :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تحفى على الناس تعلم

وأما العكس والتبديل^(٥)

فهو كل ما كان من قبيل ما يحمل على غيره لقصد المسدح أو الذم فتجعل
ما ينبغى أن يوصف به موصوفاً، وما ينبغى أن يكون موصوفاً صفةً؛ مع
إجرائها على الأصل في ذلك الكلام. مثاله :

وإذا الدرُّ زان حُسن وجوه كان للدرِّ حُسنٌ وجهك زينا!

وأما الاستدراك والرُّجوع^(٦)

فهو أن يعود المتكلم على ما سبق من كلامه بالنقض والإبطال. مثاله :
أليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتمها إليك وكلاً ليس منك قليلٌ

(١) تحرير التحبير : ١١٦

(٢) الأحزاب : ٣٣ - ٣٧ .

(٣) التلخيص : ٢٠٩ وأورده القزويني في علم المعاني .

(٤) ديوان زهير : ٣٢

(٥) تحرير التحبير : ٣١٨

(٦) تحرير التحبير : ٣٣١

وأما الاستطراد (١)

فهو كل كلام خرجت منه ، وأخذت في غيره مما يناسبه ويلابسه ، مع أنه دخيل فيما عقد له التصدير . ومنه : قال البحثري أنشدني أبو تمام يهجو عثمان بن إدريس الشامي (٢)

وسابح هطل الشعاء هتآن
على الجبراء أمين غير خوآن
أظمى الفصوص ولم تظماً قوائمه
فخل عينيك في ظمآن ريان
فلو تراه مشيحاً والحصى فلق
تحت السنابك من مثى ووحدان
حلفت إن لم تثبت أن حافيره
من صخر تدمر أو من وجه عثمان!
ثم قال : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري ؛ فقال هذا هو الاستطراد .
فقلت : فيما معنى ذلك ؟ [١٦ / أ] قال : يريك وصف الفرس ، وهو يريد هجاء عثمان . فأخذها البحثري فقال : (٣)

يهوي كما تهوي العقبابُ وقد رأت
صيداً وينصب انصباب الأجدل
ما إن يعاف قذى ولو أوردته
يوماً خلائق حمدويه الأحول!
وقال بشار بن برد (٤)

خليلي من كعب أعينا أخاكتها
على دهره إن الكريم معين
ولا تبخلاً بخل ابن قرعة لئنه
نخافة أن يرجى نداء حزين (٥)
إذا جثته في حاجة سد بابيه
فلا تلقه إلا وأنت كمين!

(١) تحرير التعبير : ١٣٠

(٢) ديوان أبي تمام ٤ : ١٢٥

(٣) ديوان البحثري ٣ : ١٧٤١ . وهما من قصيدة في مدح محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب . وفي أخبار أبي تمام أنه كانت بين المدوح وبين حمدويه عداوة . وبين البيتين السالفين ، في الديوان ثالث .

(٤) ذكرهما المبرد في الكامل ، وهما في ملحق ديوانه ٤ : ٢١١ .

(٥) بعد هذا البيت بيتان آخران قبل الخامس . (الثالث هنا) .

وأما الاستهلال^(١)

فهو أن تبتدىء بما يدل على الغرض . مثاله قول الخنساء^(٢)
وما بلغت كفّ امرئ متناولاً من المجد إلا والذي نلت أطول
وما بلغ المهيدون للنّاس مدحةً وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل^٣

وأما التخليص^(٣)

فهو أن تخرج من التغزل إلى ذكر الممدوح مع امتزاج بين النوعين بحيث يتلاءمان تلاؤم أجزاء النوع الواحد . مثاله قول محمد بن وهيب: (٤)

ما زال يُلثمني مرأشفه^٥ ويعلثني الإبريق^٦ والقدرح^٧
حق استردّ الليل خلعتة^٨ وبدا خلال سوادهِ وضح^٩
وبدا الصّباح كأن غرّته^{١٠} وجه الخليفة حين يمتدح!

وأما الترديد^(٥)

فهو أن تعلق لفظة بمعنى ثم تردّها بعينها ، وتعلقها بمعنى آخر . وأكثر ما يستعمله المحدثون . ومنه قول أبي حية النميري^(٦) ، وهو المقدم في ذلك ، إذ أجمعوا أنه [١٦/ب] سبق إلى الإحسان جميع من تقدمه أو تأخر عنه^(٧) :

- (١) في تحرير التعبير بعنوان : حسن الابتداءات : ١٦٨ .
(٢) من أبيات ترثي أخاها (الديوان : ٥) وانظر روايات البيتين .
(٣) في تحرير التعبير بعنوان: براعة التخليص .
(٤) في النسختين : محمد بن وهب . والشاعر هو محمد بن وهيب ؛ ترجم له في الأغاني ١٩ : ٢٠ - ٢٦ والأبيات من قصيدة له يمدح بها المأمون العباسي .
(٥) تحرير التعبير : ٢٥٣ .
(٦) ترجمته في الأغاني ١٦ : ٢٣٦ .
(٧) البيتان الأولان في الأغاني ١٦ : ٢٣٥ ، وفي العقد ٦ : ١٦٤ - ١٦٥ برواية أخرى .

الأحي من أجل الحبيب المغانبا لبسن البلى مما لبسن اللباليا
 إذا ما تقاضى المرء يومٌ وليلةٌ تقاضاه شيءٌ لا يميلُ التقاضيا
 كلانا غنيٌ عن أخيه حياتاهُ ونحنُ إذا متنا أشدُّ تغانبا
 وقال الخليلع الباهلي :

لقد ملثت عيني بحسن محاسن ملأن فؤادي لوعةً وهموما

وأما التثميم (١)

فهو أن تأخذ في بيان معنى، فلا تترك شيئاً يتم به ذلك التبيين ويتكامل الإحسان معه فيه إلا أتيت به . مثاله قول ابن الرومي (٢) :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
 منها معالمُ للهدى ومصابيحُ تجلوالدجى والأخريات رجوم
 وقول طرفة (٣) :

فسقى بلادك غير مُفسدها صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي

وأما التفويف (٤)

فهو أن تصف المذكور بما يدل على مدحه من صفات المكارم مثلاً ، ثم يدل على ذمه ؛ لكن تقرن بذلك الذم ما يرشد بأنه مديح ، مثاله قول جرير (٥) :

هم الأخيارُ منسكةٌ وهديا وفي الهيجا كأنهمُ صُفُورُ
 بهم حذبُ الكرامِ على الموالي وفيهم عن مساءتهمُ فُتُورُ
 خلانقُ بعضهم فيها كبعضُ يؤمُّ كبيرهم فيها الصُفُيرُ
 عن النُكراءِ كلُّهمُ غيُّ وبالمرؤفِ كلهمُ بصيرُ

(١) في تحرير التحبير بعنوان باب التمام : ١٢٧

(٢) لم يردا في ديوانه (ط الكيلاني)

(٣) ديوان طرفة : ٩٣

(٤) تحرير التحبير : ٢٦٠

(٥) الأبيات من قصيدة في ديوانه ٢٣٤ يمدح بني أمية . وانظر اختلاف الروايات .

وأما التَّجَاهُلُ (١)

فهو أن تسأل عن شيء تعرفه ، موهماً أنك لا تعرفه ، وأنه مما داخلك فيه الشك ، وخالجتك لقوة شبه حصل بين المذكورين . مثاله (٢) :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجلٍ وبين النِّقْصَا آ أنت أم أمٌ سالمٍ

وأما الهزلُ الذي يُراد به الجِدُّ (٣)

فهو أن تعلم لمن أتاك يُفاخرُك عيباً ، فتعرض له إذا فاخرُك بذلك العيب . مثاله : (٤)

إذا ما تيمميُّمُ أتاك مُفاخرًا فقل عَدَّ عن ذا ، كيف أكلُك للضبِّ ؟!

وأما التَّشْبِيهُ

فهو أن تطلق كلاماً للانتقاد فيه متسع ، ثم تزيطه بما [يدفع] ذلك ويدل على استقامته ، مثاله :

هو الذيب ، أوللذيب أوفى أمانةً وما منها إلا أزل خؤونُ

وقال الآخر :

إذا ما ظمئتُ إلى ريقها جعلتُ المُدَّامة منهُ بديلاً



(١) تحرير التَّجْبِير : ١٣٥ بعنوان تجاهل العارف .

(٢) البيت في الخصائص ٢ : ٤٥٨ وانظر تحريجاته فيه .

(٣) تحرير التَّجْبِير : ١٣٧ .

(٤) البيت لأبي نواس من قصيدة له في الهجاء « الديوان ٥١٠ » .

الباب الثاني

فيما بلغنا من شعر كتاب بني مرين ملوك المغرب *

أمير المسلمين أبو الحسن علي بن أمير المسامير عثمان بن أمير المسلمين
يعقوب بن عبد الحق (١) .

(*) بنو مرين من قبائل زناتة . كان موئلهم الأول بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة ، وكانوا في طاعة الموحدين فلما كانت هزيمة العقاب سنة ٦٠٩ ، وضعف أمر الموحدين ، بدأ نجم المرينيين بالظهور ، وبرز فيهم أبو محمد عبد الحق بن يحيو المريني الذي تنسب الدولة أحياناً إليه فيقال : الدولة المرينية العبد الحقية . واستمر نجم المرينيين بالظهور ونجم الموحدين بالأفول حتى استولى بنو مرين على أمصار المغرب الرئيسية كمرآكش وسلا والرباط وفاس وغيرها ، وانتهت محاولات فلول الموحدين نهائياً بمقتل أبي دبوس سنة ٦٦٧ على يد يعقوب المريني .

واستقر المرينيون في المغرب « الأقصى » وامتدت حدودهم في مدد كثيرة حتى شملت المغرب كله ، وكانت بين دول المغرب الثلاث المرينية ، والزناينة ، والحفصية علاقات متشابكة بين التصافي والتعاون من جهة ، والحروب والفتن - وهو الاقل - من جهة أخرى . واستمرت الدولة المرينية إلى أواسط القرن التاسع الهجري حيث خلفهم بنو وطاس . (راجع في ذلك : روضة النسرين لابن الاحمر «الرباط-المطبعة الملكية» وتاريخ ابن خلدون «العبر» ، والاستقصا للناصري) .

(١) أبو الحسن المريني «٦٩٧-٧٥٢» يلقب بالمنصور ، بوسع له بفاس سنة ٧٣١ بعد وفاة أبيه . كانت حياته حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية . وامتد سلطانه إلى تلمسان «عاصمة بني زيان» وتونس «عاصمة الحفصيين» . وامتد ملكه من مصراته إلى السوس الاقصى ، وأنجيد

حاله - رحمه الله - (هو) (١) محرز قصب سبق الكمال ، المستولي على أمد
الإجمال . له المناقب الجليلة ، والآثار الجميلة من العدل في الرعية ، وبذل
الغيرة المرعية ، واتباع الأحكام الشرعية . وحسبك من فضائله الجسيمة ، ومحامده
الجملة الوسيمة ، أنه ماتناول من الخمر كاساً ؛ ولا اتخذ منه خماساً . ولا حل مأزره
على حرام ، بل تبرأ من الفحش والآثام .
فمن قوله يفتخر - رحمه الله - (٢) :

أرضي الله في سرتي وجهري وأحمي العرض من دنس ارتياب
وأعطي الوفر من مالي اختياراً وأضربُ بالسيوفُ طلي الرقاب

= الأندلس بجيوشه وأساطيله بعد اشتداد حملة الدول الإسبانية ، وكانت عليه مع جموع الأندلسيين
هزيمة منكرة سنة ٧٤١ قرب طريف . وجهز جيشه للعودة إلى الجهاد في الأندلس ، فعلم
بوفاة صاحب تونس أبي بكر الحفصي ونشوب الخلاف بين ابنيه ، فقصده إلى تونس سنة
٧٤٨ ، وزار مدناً أخرى . وحصلت بينه وبين قبائل العرب خلافات ومعارك ، ثم تصالح
الطرفان . وفي هذه المدة بويغ لابنه أبي عنان بعد انتشار خبر يقول بموت والده ، وخرج
من المنصورة إلى فاس ، وتخلص أبو الحسن من طريقه بعد أهوال طويلة إلى قرب فاس ،
ولكن مؤيديه يخسرون معركتهم أمام جيوش أبي عنان ، فيخرج إلى جبل هنتاتة ويقوم في
قبائله زماناً يسيراً ، ويعتل ويتوفى سنة ٧٥٢ . وقد دفن بمراكش ونقل بعد ذلك إلى فاس .
ويعد أبو الحسن المريني في أشهر ملوك المرينيين ، وأبعدهم أثراً في الحضارة والعمران (انظر
روضة النسرين لابن الأحمر : ٢٥ ، جذوة الاقتباس لابن القاضي ٢٩١ ، والاستقصا في أخبار
المغرب الأقصى للناصرى ١١٨:٣ وما بعدها ، والمحة البدرية لسان الدين بن الخطيب ٩٢ -
٩٣ . ورقم الحلل في نظم الدول له : ٩٢ والعبر « تاريخ ابن خلدون » ٧ : ٢٧٨ ، ومشاهدات
لسان الدين : ١٢٣) .

(١) كلمة هو لم ترد في : ط .

(٢) البيتان في روضة النسرين : ٢٦ .

ابنه أمير المؤمنين المتوكل على الله فارس رحمه الله*

يكنى أبا عنان . ورأيت ، وكنت في حضرته بفاس تحت إيالته ، وسيد
إنعامه مدة حياته . وأعطى عني صداق ابنة عمي حين تزوجتها ، محبة منه
إلي - رحمه الله تعالى - .

وكان كمثل أبيه سمياً وهدياً، و(؟) ضخامة الملك واتساع البلاد. ملئك من
السوس إلى إطربلس وبلاد إفريقية مدة . وحين ارتحل إلى أرض إفريقية من
فاس ليملكها في عام ثمانية وخمسين وسبع مئة سرت معه ، فأتاحني من العطايا
ماقرت به عيني ، ولم أزل معه تحت بره ، حتى فرق الدهر بيننا بموته ، رحمه الله .
حاله - رحمه الله - :

هو الملك العالم بالمفروض والمندوب . الهمام الذي لم يزل لأذيال الشهامة
سحوب . من أشرفت بهائه ، وظهر بظهور روائه ، غياهب الظلم . ونجم
بتدقيق ذكائه ، وتحقيق آلائه ، مأثور العلم والكرم . فلا جهة من جهات البر
إلا عم علمه لديها ، ولا ناحية من نواحي الفقر إلا غطى كرمه عليها . وكانت
الملوك تبجله ، ومقصده تعجله ولا تؤجله ؛ لما كان أسداه المصور ، وفارسهم
المنصور .

(*) أبو عنان المريني (٧٢٩ - ٧٥٩) فارس بن أبي الحسن علي - صاحب الترجمة
السابقة - ولاءه أبوه مدينة تلمسان ، ثم يبيع بالملك سنة ٧٤٩ في حياة أبيه لما جاء الخبر
بوفاته ، واستتب له الأمر سنة ٧٥٢ بعد وفاة والده . ومن أعماله إعادة إخضاعه لبني زيان
ملوك تلمسان ، وللحفصيين أصحاب قسنطينة وتونس . وقد توفي مخنوقاً على يد وزيره الحسن
ابن عمر الفودودي .

اشتهر أبو عنان بحب العلوم والآداب ، وإثابة أهل العلم ، ومناظرتهم . وكانت له عناية
بجمع الكتب وبناء المدارس .

(راجع في حياته روضة النسرین : ٢٧ ، جذوة الاقباس : ٣١٤ ، والاستقصا ٣ : ١٨١
ورقم الخلل : ١١٢ ، والمحة البدرية : ٩٣ ، ١٠٤ - ١٠٦ ، والعبر لابن خلدون ٧ : ١٥١) .

ومن قوله في الحكمة :

وإذا تعرض للرياسة خاميل^(١) جرت الأمور على الطريق الأعوج!
 [١٨/أ] وكنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء من فاس
 [فدخل]^(٢) عليه رجل من المنخرطين في سلك المتصلحين ، فلما نظر إلى
 المتصلح قال بديهية :

تراهم في ظواهرهم كراماً ويخفون المكيدة والخداعاً!

وأخبرني الفقيه الإمام المفتي المدرس قاضي الجماعة بفاس ، وقاضي الحضرة
 المرينية المدينة البيضاء أبو عبد الله محمد القرشي المعروف بالمقري^(٣) ، بفتح الميم ،
 كنت يوماً عند أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ، فقال لي يا أبا عبد الله ؛
 كنت يوماً بقصري ، وكان في يدي تفاحة ، فحضرت عليّ جارية من جواري ،
 كنت أحبها حباً مبرحاً فأرميتها^(٤) بالتفاحة ، وقلت على البديهية :

خذها إليك هديةً من كفي ملك مالك
 يبدي العطايا دائباً ويبدي شمل الفاتك^(٥)

(١) غير واضحة في الاصلين.

(٢) أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تولى قضاء فاس أيام السلطان أبي عنان -
 وهو الجد الأعلى للمقري صاحب نفع الطيب - له ترجمة في (المرقبة العلينا ١٦٩ ،
 والتعريف بان خلدون ٥٩ ، والإحاطة ٢ : ١٣٦ ونفع الطيب ١ : ٥٥٦)

(٣) كذا فيها .

(٤) قال في روضة النسرین : ومن شعره الحلو :

رمى تصوب حي حي تصوب رمي
 نهى تقاصد خلي خلي تقاصد نهى

أخوه لأبيه أمير المسلمين عبد العزيز - رحمه الله* -

يكنى أبا فارس . ورأيته . وكنت بحضرته وتحت إبالته ، وكاد أن يكون
كأبيه المنصور بالله وكأخيه - أبا عنان - المتوكل على الله في هديها وضخامة
ملكيتها ، لو لم تحترمه المنية .

حاله - رحمه الله -

هو الملك المتحلي بالتقوى ، المستمسك في ذلك بالحبل الأقوى . ظهر له في
الدين ما بهر به العقول ، وخرج عن الحد والمعقول . وسار بسيرة المنصور
أبيه ، ولم يقصر في ذلك عن مدى المتوكل أخيه . وجد في نجوم الحق وعدل ؛
وعن سنن الطاعة ما عدل .

فمن قوله - رحمه الله - ؛ زادها [على قول] أبيه ؛ قال والده رحمه الله

[١٨ / ب]

أرضي الله في سرتي وجهرتي وأحبي العرض من دنس ارتياب^(١)
وأعطي الوفير من مالي اختياراً وأضرب بالسيفِ طلي الرقاب

(*) أبو فارس عبد العزيز بن علي المريني ٧٥٠-٧٧٤ . أحد ملوك بني مرين المعدودين .
جدد سلطة الدولة وبسطتها ، جاء به إلى الملك الوزير المتسلط على دولة المرينيين عمر بن عبد
الله ، ولكنه نقم عليه وتخلص منه ، وسام في استرداد الجزيرة الخضراء مع بني الأحمر وأعاد
الإستيلاء على تلمسان من أصحابها بني زيان . وتوفي شاباً سنة ٧٧٤ . وكان ولي الحكم ٧٦٧ .
(روضة النسرین لابن الأحمر : ٣٣ ، الاستقصا للسلاوي ؛ ٥٢ ، وجذوة الاقباس
٢٦٨ ، والتعريف بآبن خلدون ١٣٣) .

(١) راجع ترجمة أبي الحسن . وقد نقل الناصري في الاستقصا الأبيات عن ابن الأحمر
« الاستقصا : ٥٩ / ٤ » وفيه : « في سر وجهر » .

فقال هو - رحمه الله -

وأرغب خالقي في العفو عني^١ وأطلب حليمه^٢ يوم الحساب
وأرجو عونَه في عزِّ نصرٍ على الأعداءِ محروس الجنابِ
وعبدك واقفٌ بالبابِ فارحم عبيداً خائفاً ألم العقابِ

ابن عمه الأمير منصور*

ابن أمير المسلمين أبي علي عمر بن أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق .

يكنى : أبا علي ، ورأيتَه . وكان قد بعثه ابن عمه أبو عنان إلى الأندلس مع إخوانه الأمير المؤيد بالله عبد الحليم ، والأمير عبد المؤمن ، والأمير الناصر . فلم يزل بقرنطة تحت إيالة بني عمنا الملوك بني الأحمر إلى أن بعثه ابن عمنا السلطان أمير المسلمين الغالب بالله ، المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن أخي أبينا الرئيس الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا أبي عبد الله محمد بن جدنا أبي سعيد فرج ، مع أخيه السلطان المؤيد بالله عبد الحليم ، حين قدّم ابن عمنا عبد الحليم المؤيد بالله أميراً ، وجوزَه البحر لطلب ملك آباءه بني مرين بالعدوة . فلما استقر الأمير منصور بغساساة قبض عليه ، وسبق لابن عمه أمير المؤمنين

(*) الامير منصور بن أبي علي عمر . وأبوه أبو علي أخو أبي الحسن ، وكان والياً - لعهد أبيه - على جنوبي المملكة ، وكانت بينه وبين أخيه فتنة انتهت بقتله . وغرب أبو عنان بن أبي الحسن أبناء عمه منصور وعبد الحليم وعبد المؤمن والناصر وجملة من أهل إلى الأندلس .

وفي جملة المشكلات التي طرأت بين بني الأحمر وبني مرين محاولة محمد الغني بالله النصري التمدخل في شؤون المرينيين ، وتنصيب سلطان يدين له بالولاء ، ولكن محاولاته هذه لم تفلح كما ذكر ابن الأحمر . وكان هذا سنة ٧٦٣ . وكان لمؤامراته سنة ٧٧٦ شأن آخر .

راجع الاستقصا : ٤ ، ٤٣ ، ونفاضة الجراب ٢٩٩ .

المتوكل على الله أبي (١) [زيان] محمد (٢) بفاس ، فقتله بالسيف .

حاله - رحمه الله -

كان يوصف بالكرم الفائق ، والنبل الرائق . مع الفصاحة في اللسان ، والبلاغة في البيان . ومشاركة في العلوم ، ومعرفة بالمجهول والمعلوم [١٩ / أ]
وسمت ووقار وكلام ألد من كاسات العقار . لآتراه إلا جائداً بالجد (٣) . . . عن
البخل في كل منتهى . أخبرني صاحبنا الفقيه الكاتب أبو الحسن علي بن محمد ابن
معاود البلوي ، قال خرجت يوماً مع الأمير أبي علي منصور لمتنزهة بخارج بلدنا
غرناطة (فلقينا) (٤) وسيماً ، فقال فيه بديهة :
لو اطلعت على قلبي رأيت به من لحظ عينيك أو من ثغرك الأثرا

الشيخ أبو الحسن علي بن بدر الدين

ابن موسى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأمير عبد الحق المريني ،
كان ببلادنا الأندلسية ، وقدمه على جيوشه الغزاة شيخاً ابن عمنا أمير المسلمين
الغني بالله ، أبو عبد الله محمد بن أمير المؤمنين أبي الحجاج يوسف ، بن أمير
المسلمين أبي الوليد إسماعيل أخي جدنا ، بن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج ، ابن
جدنا الأمير إسماعيل بن جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر ، بن جدنا أمير
المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

(١) كلمة (زيان) لم ترد في النسختين

(٢) المتوكل على الله محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن ، حكم من صفر ٧٦٣ إلى ذي
حجة ٧٦٧ .

(٣) كلمة غير واضحة في النسختين .

(٤) الكلمة مطموسة في (ط) .

وهو من بيت الملك المريني . وبالأندلس وُلد هو ووالده . وجده موسى ابن عبد الرحمن هو الداخل إلى الأندلس فرمى بر العدوّة أمام ابن عمه أمير المسلمين، الناصر لدين الله يوسف المكنى بأبي يعقوب بن عبد الحق إلى الأندلس خوفاً من الملك . فقدمه شيخاً على الغزاة جدنا أمير المسلمين أبو عبد الله محمد الفقيه ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله محمد صاحب الدبوس، ابن جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن خميس ابن نصر الحزرجي .

حاله رحمه الله -

(كان) (١) بالشجاعة موصوفاً، وبالبراعة معروفاً. وله في الأدب باع مديد [١٩ / ب] ورأيه مستعمل سديد . وفعاله وسيمه ، وصناعاته جسيمه . وكان عارفاً بالتعديل، لم يكن له عديل . وخط بيده من التقاريم الحسنة ما يخبر بتحويل كل سنة .

أنشدني لنفسه - رحمه الله - ملغزاً في مملوك له وسيم من أبناء الروم يسمى فارحاً :

اسم فلان هيين	يُصبي النهى تقريبه
حروفها ثلاثة	ثلثها مقلوبه (٢)

وأنشدني أيضاً لنفسه ملغزاً ، يقرأ أول كل بيت فيخرج : اشتقول لمن يجيك ؟

أرقت وقد نام الخليلي المسلم	وبي من أليم الشوق ما ليس أكرم
شهودي نجوم راکدت كأنما	عدت عن طريق القصد والليل مظلم (٣)

(١) كلمة كان محسوة في (م) .

(٢) كذا فيها .

(٣) في الاصلين : عدت عن طريق القصر ، وهو تصحيف ظاهر .

تذكرني من قد بليت بحبه
 قضيب من الريحان غصن منعّم
 وضعت له خديّ وقلت ليعبرتي
 لزمت البسكا والشوق بعد فراقه
 له مقلّة ترمي إذا اللحظ نالها
 مريض عليل الطرف من غير علة
 نهيت فؤادي عنه فازداد لوعة
 يسرك يا مولاي إن مت بالهوى
 حكمت على قلبي فعذبت مهجتي
 بعينيك ما ألقاه فيك من الأسى
 كتبت فخذ من كل بيتي أو لا

وفي القلب والأحشاء نار تضرّم
 ولكنه بالوصل لي ليس يُسمع
 همي فوق خديّ عله لي يرحم
 وقلت لذي بثّ ودمعي يسجم
 وثغر كمثل الدرّ حين ينظّم
 فما أحد من سحر عينيه يسلم
 وهل يستطيع الصبر صبّ منيّم
 وحسبك ما ألقاه والله أعلم
 وللحب سلطان على الصب يحكم
 وإني في حيي إليك مضمّم
 ودبره أحياناً لعلك تفهم!





الباب الثالث

في شعر ملوك بني الأحمر من بني نصر قومي وأبناؤهم *

أمير المسلمين الغالب بالله المتوكل على الله محمد (**)

(*) يطلق اسم دولة بني نصر أو دولة بني الأحمر على المملكة التي أسسها أبو عبد الله محمد بن يوسف ، الملقب بالغالب بالله . نشأ بأرجونة من أحواز قرطبة ، ونبغ له شأن في المدة التي شغل فيها الجو السياسي الأندلسي بتداعي دولة الموحدين ، وكان واحداً من ثوار الأندلس المنازعين في الوصول إلى وياستها . وقد تملك جيان وخضعت له إشبيلية وقرطبة برهة يسيرة ، كما ذكر ابن الخطيب .

وفي خضم الأحداث استدعاه أهل غرناطة وملكوه عليهم ، فجعلها عاصمته واستمر فيها وأورثها عقبه من بعد ذلك . وفي زمانه استقرت الحدود بينه وبين جيرانه من الدول الإسبانية في حديث طويل .

وكانت بداية الدولة النصرية مع تملك الغالب بالله لها سنة ٦٣٥ وكانت نهايتها مع تسليم أبي عبد الله الصغير مفاتيح المدينة إلى الملكين الإسبانيين سنة ٨٩٧ هـ . وبين هذين التاريخين أحداث كثيرة تزخر بها الدولة النصرية .

(راجع الإحاطة لابن الخطيب ، واللحمة البدرية له ، ورقم الحلال له ، ونفاضة الجراب و«مشاهدات لسان الدين» وتاريخ ابن خلدون «العبر» ، ونهاية الأندلس لمحمد عبد الله عنان .

(**) هو محمد بن إسماعيل بن (القائم بأمر الله المتغلب على أندرش) محمد . وكان قد زوجه الأمير يوسف ابنته ، فاتصل بالفرع الحاكم اتصالاً وثيقاً . وفي سنة ٧٦٠ دبر مؤامرة أفضت إلى تنصيب إسماعيل بن يوسف أخي الأمير آ نذاك الغني بالله محمد بن يوسف ، وقام بالامر معه ، من وراء ستار . ثم جدت أمور أدت إلى مقتل إسماعيل المتغلب على الحكم باسمه

ابن عمنا الرئيس الأمير الذي بويغ بالطشأتين^(١) أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله أبي عبد الله محمد ، ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، ابن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ؛ ابن جدنا السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخرجي .

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته . وهو ملك الأندلس وهو ابن أخي أبي - رحمه الله - .

حاله - رحمه [الله] -

و صفته في كتابنا (فريد العصر من شعر بني نصر) ما نصه :
 « هو الملك الذي قدح زند الفضائل فأورى . وأعاد على الملة المحمدية عهد الشباب وقد أصبح ماؤه غورا ؛ والبهمة الذي تحدث الركبان بشجاعته نجداً وغورا ؛ الأريحي الذي جاد بجراه^(٢) رياض الآمال فراق نضرة ونورا . المتألق عطر ذكره تألق الصبح ، والذي كان له في تجارة الجهاد أوفر ربح . فإن ذكر الكرم فهو ابن يجده ، وإن وصف الإقدام فهو عين نجدته :

= وارتقائه إلى السلطنة من سنة ٧٦١ إلى جمادى الثانية ٧٦٢ . فقال لسان الدين « وشمر الصهر المذكور - وهو ما هو من الإقدام ومداخلة ذؤبان الرجال - عن ساعد جده وراش ويرى واستعان بن هفت به الأطماع . » . وجملة رأي لسان الدين فيه أنه أجلب بالفتنة وأفسد الدولة ، وقاد نفسه إلى الهلكة :

(راجع الملح البدرية : ١٠٨ و أعمال اعلام ٣٠٨ والإحاطة ٢ : ٢ ونفاضة الجراب (١٨٣) .

- (١) لم أقف على هذا الاسم ، وهو كما يظن ، مكان في غرناطة .
 (٢) في القاموس : من جراك وجرائك وجريرتك : من أجلك .

حدثت به عن حاتم يوم الندى وسمع يزيد الخيل يوم المغنم
ولا مرية في أنه بحر الجود المتلاطم الأمواج . ومنتهى الآمال حين تضيق
بالمعتفين المسالك والفجاج . جادت من سماء جوده على العلماء كل هائلة ثره ؛
وجرت أنهار عطائه لهم لأنهر المجره . أنسى -حقاً- ما يؤثر عن الطائي، ووسع
- صدقاً - بإشاره القريب والنافي . فعادت أخباره أحلى من الأناشيد، وأملك
للقلوب [٢٠/ب] من الأغاريد، ومنادته الفراقيد^(١)، وأعذب من ماء العناقيد.
وحين خطبته الخلافة ليكون لها بعلاً ، لما تخيرته كفؤاً وأهلاً ، زهد في
زهرة الدنيا وخاف النار ؛ وتسربل حلال السكينة والوقار . وأمر بإراقة
الخمور ، وقطع الملاهي ؛ فكان وجه الإمارة يشرق به ويباهي . لما أظهر من
الحلم والعفاف، وغمر المعتفين في إمارته من الإسعاد والإسعاف . مخالفاً لشهوات
قلبه ؛ في مرضاة ربه . لايشي العنان لريبة ، ولا يأسف - في غير الدين - على
مصيبة . عفيف الفرج والبطن عما يشينها من الحرام ، متبرئاً من كل موبقة
تجلب له الآثام . مضى في إحياء الشريعة على سبيل الخلفاء الراشدين ، وأرعى
في الشجاعة على من عاصره أو تقدمه من المتقدمين ؛ فكانت النصرارى تفرق من
خوفه ، وترى أن الحنف ملك لكفه .

فحليت تأليني هذا بما انتهى إلي من مآثره المألوفة ، ومكارمه الجملة
الموصوفة ؛ لكونه زهد حين أقبلت عليه دنياه ، ولم يستغزه هواه . وكان
يقتدي بالسلف الصلح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولبس ثياب
الصوف . ولولا قصدي الإيجاز والاختصار لألفت في آثاره ومآثره أسفار^(٢) .

فتى جمعت فيه الفضائل كلها ولا بد من نقص فكان من العمر !

(١) كذا فيها .

(٢) كذا لضرورة السجع .

فمن قوله - وكتب به مجابياً -

قُلْ لَتِي نَبَأْتُكَ هَذَا قد صح هذا به صح هذا (١)
 فلا تبالي صدود قوم يروم في صدك التذاذا (٢)
 وسلم الأمر والمقاضي لخير قاضٍ قضى بهذا

وعلى هذا الأبيات حكاية . وذلك أن كاتبه الفقيه أبا القاسم (٣) محمد ابن قطبة [٢١ / أ] الدوسي طلب منه أن يقلده رياسة كتابه ، وخطة العلامة . وكانت علامة كتبه ، وكتب آباؤه الملوك بني الأحمر من بني نصر : (صح هذا) تكتب بقلم غليظ القطة . فكتب له ابن قطبة هذا ، في ذلك ، بقوله (٤) :
 تقول ليلي .. وقد رأيتني كسييف بال - : فُدَيْت ، ماذا ؟
 فقلت مهلاً ، فعن قريبٍ يصح هذا به صح هذا !
 فجابوه ابن عمنا السلطان الغالب بالله ، المتوكل على الله ، أبو عبد الله المذكور بأبياته المتقدمة .

- (١) قال ابن الأحمر - مؤلف هذا الكتاب - في كتابه الآخر (مستودع العلامة) ص ٢٣ - ٢٤ : إن علامة دولة بني الأحمر (التي يوقع بها ملوكهم على الصكوك وغيرها) كانت « ولا غالب إلا الله » ثم كانت « وكتب في التاريخ » ثم كانت « صح هذا » .
- (٢) كلمة « في » جاءت في الاصلين قبل « صدود » وتحت البيت نظر .
- (٣) أبو القاسم محمد بن قطبة الدوسي ، من أسرة مشهورة بالأدب والخدمة الساطانية ترجم لسان الدين بن الخطيب لعدد منهم في كتبه المختلفة كالإحاطة والكتيبة الكامنة وغيرها . وانظر أيضاً نثر فرائد الجمان : ٣١٨ في ترجمة ابنه أبي بكر محمد .
- (٤) البيتان في مستودع العلامة .

الرئيس إسماعيل بن الأمير أبي سعيد فرج^(١)

ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، عم أئبنا بن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج ، ابن جدنا الأمير أبي الوليد ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر ، رحمه الله .

يكنى أبا الوليد . ورأيتة ، وصحبته ، وبيني وبينه وداد عظيم .

حاله - رحمه الله -

وصفته في كتابنا « فريد العصر من شعر بني نصر » بما نصته : طلع في سماء البراعة نجماً . وبرز في ميدان البلاغة ضيغماً شهياً . وحاز من الفصاحة مالم يحزه سواه ، ومن الذكاء ما هو أذمن الشهد في الأفواه . ومن الهمة ما يسمو أديانها فوق الشاهد ، ومن الفكاهات ما يلتذ بسباعها الغائب والشاهد . ومع ذلك فهو بالأدب عارف ، وعلى محبته عاكف . وربما نظم القصائد فتأتي كالقلائد في أجياد الخرائد . وتشبيهاته في الأدب ملوكية ، تلوح عليها مخايل العروبية . ومن علو همته وجلالة رتبته أن نفسه شغفت بحب الإمارة ؛ ولا يتكلم في غيرها ليله ونهاره . قد تمكن من قلبه هواها ، ولا يميل في دنياه لشيء سواها . فانظر [٢١/ب] همة هذا الندب ما أسماها ، ونفسه النفيسة ما أسماها . وهو فتى الجلالة ومحليي جيدها ، ومبدئ أسرار الفضائل لموعودها^(٢) .

(١) يلتقي المؤلف ، المترجم به هنا عند جددها الأمير أبي سعيد فرج (صاحب مألقة) .

فالمؤلف هو إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج ، والآخر هو إسماعيل بن فرج بن إسماعيل (خامس ملوك بني الأحمر) بن فرج .

(٢) هكذا في النسختين .

أنشدني لنفسه - رحمه الله -

أردد في ليلي فرائد فيكرتي فيحسبني صحي بليلى مؤلماً
ولو علموا ما يقتضي بعد همتي لخرتوا أمامي كلماً لحت ركبهما
ووليت بحمراء البلاد ولم يكن فؤادي بحمراء الحدود ليولعاً!
أراد بحمراء البلاد دار الملك بفرناطة .

وأنشدني لنفسه أيضاً - رحمه الله - وكان قد بلغه عن أحد بني عمه
- وهو الرئيس أبو عبد الله محمد الأبكم - كلام قبيح في جنابه فقال
يفتخر :

يقولون إني بالبطالة مؤلح ولكنهم لمّا رأوني سدّتهم
ولكنهم لمّا رأوني سدّتهم تقوّل كل في جنابي ضلّة
ولست ورب البيت، أعرّفها بتناً وما عرّفوا وصفاً لذاتي ولا نعماً
وأنشدني أيضاً لنفسه :

يتوق لمن يهواه قلبي صباية وأرسل طرفي محاسن وجهه
فلا حول لي قد ضاق ذرعني والهوى قيمعني عمّا أحبّ حياءً
قيمعني عن قصده الرقباء إذ البعد عنّي واللقاء سواء

وأنشدني أيضاً لنفسه ، يداعب شاعره الفقيه الكاتب أبا العباس أحمد بن
محمد الأنصاري الخزرجي المعروف بالدباغ عند زواجه ، وكان قد تزوج
امرأة مسنة :

أما العجوز فقد شغلت بكلماتها عن مدحنا والسين دون اللام
فأقصر وقصر ما استطعت فإنها باب السقام ومثنتى الآلام
(لا تكثرن من النكاح فإنه ماء الحياة يراق في الأرحام)

أخونا الرئيس محمد ابن والدنا^(١) .

يكنى أبا عبد الله ، وهو أكبر مني سنًا ، يفوتني بعشرين سنة .

حاله - أكرمه الله -

وصفته في كتابنا « فريد من شعر بني نصر » بما نصه :

هو أحد أبناء الملوك الموصوفين بالبراعة الفائقة ، والفصاحة الرائعة المعجبة الرائقة . ممن يشار إليه في فك معميات الأدب ، ويلجأ إلى معين فطنته في كشف مغيبات الطلب . متحل من الدين بشعاره المعجب ، مترنم بالقرآن ترنماً مستحسنًا مطرب . إن خط مهرقاً^(٢) فأين منه ابن مقلة في التتميق ؛ وإن شعر فما المرقش في التزويق . وإن خطب أنسك بلاغة سحبان ؛ أو أنشأها العماد وبديع الزمان . وإن شدا مغنياً شغف القلوب وأذهلها ، وإن تكلم منشدًا خدع العُصم في المعامل وأزلهما . فلو سمعه الموصللي لسلم إليه على ياس ، وكذلك ابن شكله إبراهيم بن المهدي صيت^(٣) آل عباس .

ومع ما حباه الله به من هذه الخصال البديعة ؛ التي لا تجتمع إلا في كل ذي نفس ذكية رفيعة ، لا تراه إلا مطرقاً من الحياء ، ولا متكلماً إلا في هبات الجزيل من العطاء .

لا يرفع الطُرف إلا عند مكرمةٍ من الحياء ولا يُغضي على عارٍ إن عقد حبوة خلته رضوى الوقار ؛ وإن نطق فكأنما سقي كؤوس العقار : سمت همته الشريفة إلى حب الطاعة ، فلم يُلّف من أبناء الأمراء الزهاد

(١) لم أقف له على ترجمة ، غير ما ذكره ابن الخطيب عرضاً في جملة بني الأحمر الذين لجؤوا إلى المغرب بعامة وإلى بني مرين بخاصة (اللوحة البدوية في الدولة النصرية) .

(٢) المهرق : الصحيفة .

(٣) رجل صات وصيت : (مشهور) .

مصادما . وسرت جنود ورعه إلى ميدان الفضائل ، فلم تلق له مقاوماً .
أيقابل السيل بالوشل ، أم يمارض الجد بالفشل ؟ ومكارمه قرت بهاكل
[٢٢/ب] عين . وانتظم في لبه الدهر واسطة زين .

أنشدني لنفسه :

يا نازحاً ولعهد الحبّ قد نقضا لا تستحلّ حراماً رُمته غرضاً
ناشدتُك الله هل في العيش مُنتفعٌ يوماً إذا ماجفاً المحبوبُ أو رفضاً ؟
ولقي يوماً ببعض الأزقة من فاس امرأة بارعة الجمال ، وقد لبست ثياب
حزن زرق ، وهي سافرة عن وجه كالقمر ، وهي تلطمه بيديها ، ومن حوالها
من النساء يرمن أن يبرقمنه فتمنعن بيديها ، فقال بديهية :

ألبسوها ليحجب الحسن فيها ثوب حزنٍ فزاد حسناً ومعنى
عجباً للسحاب تسترُ شمساً فتقت غيمه شمالاً ويئنى !

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب :

ولما نظمني معهم سلك الآداب ، وسلك بي مسلّمك شرف الانتساب ، ولم
أكن ممن قصر عن ذلك المرام ، ولأمن تبدد من ذلك النظام ؛ رأيت أن ترك
اسمي وعدم إثبات نظمي ، ثلّة في جمع ، ووترأ من شفع ، وفلا في حسام ،
وحظاً من أسقام . بل كنت في ذلك ، من فريق هنالك ؛ قاده طبعه إلى تولج
هذا الباب ، وحداه عقله إلى مطالعة نوع من الآداب .

فمن قولي - لطف الله بي - وكان قد بلغني عن بعض بني عمي بعض القول
مما يقبح :

رمانى بنو عمي بزورٍ مزورٍ وما زلتُ أوفاهمُ وأحسنهم سمتماً
رَموني حقداً بالذي لستُ أهلهُ وإني عن هُجر لأكثرهم صمتاً
وإن جدودي كالجبال رزانةٌ وما إن ترى فيها اعوجاجاً ولا أمتاً

[٢٣ / أ] وقلت أيضاً - خار الله لي - :

يومَ بانَ الظنابَ عَنُونِيا لا تَسَلْ ما ذا لَقِينِيا
أَيُّ شوقِ أَيِّ وَجَد فضحِ السمرِ المَصُونِيا
وأشدُّ من تَشكِّي من هَمِّ جُنِّ جنونِيا
فرحِ الحاسِدِ بِمِثِّا ألمَ القلبِ الحَزِينِيا
يا فراقَ الخِلِّ ما ذا من ولوعِ لك فينا ؟ !
كَلِمًا رُمنا بِعادًا مِنكَ أدتِنا الشُّجونِيا
جئتَ في فَعَلِكَ هذا بخلافِ المَغرِمينِيا !

وقلت أيضاً في مدح ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله محمد* الخلوع (١) :

أبي الله إلا أن يُمَلِّكَكَ الدُّنْيا ويحمي بك الإسلام إذ حطته رعيًا
حميت جناب الله فضلاً ولم تزل تراقب فيه أمر ربك والنهيًا

(١) سبقت الإشارة إليه (انظر إلى الحاشية ٢ صفحة ٢٥) . وقد امتد العمر

بالأمير النصرى الغني بالله ، وحكم الاندلس أكثر من أربعين عاماً على فترتين . وفي شعراء العصر عدد كبير من مدحه بالشعر والموشحات ، وفي أدبائه من رفع إليه مؤلفاته وطرزها باسمه . وفي هذا الكتاب تراجم عدد من الشعراء الذين مدحوه . (انظر : الكتبية الكامنة لسان الدين بن الخطيب ، والإحاطة له ، ونثير فرائد الجمان ، ونفح الطيب ، مثلاً) وتلقيبه بالخلوع غير مشهور . وهو يشير إلى الحادثة عليه التي سلبته ملكه من ٢٨ رمضان سنة ٧٦٠ إلى ٢٠ جمادى الآخرة ٧٦٣ ، ولجأ في أثنائها إلى المغرب ، ودخل فاس فاتح محرم ٧٦١ .

والمعروف بلقب الخلوع منهم ثالث ملوكهم محمد بن محمد بن محمد بن يوسف . فهو ولي السلطة سنة ٧٠١ ، وخلع عنها في حديث طويل سنة ٧٠٨ .

(راجع في ذلك : اللوحة البدرية ، والإحاطة ، وأعمال الاعلام - القسم الثاني) .

وأعزرتَ دينَ الله لما نصرتهُ
وسرتَ لعمري سيرةً عمريّةً
وقد خضعتَ صيدُ الملوكَ لأمرِكُ
ومن حادَ منهم عن مراميكَ كلِّها
سقيتَ بغيثِ الجودِ ما كانَ ماحلاً
ألا يا عفاةَ الأرضِ طراً تبادروا
هو الفدَى في الأملاكِ طراً لأنه
همامٌ إذا ما الروعَ عبَّ عبابُهُ
[٢٣ / ب]

وواحِتُ بَروقِ الهندِ وامتلاً الفضا
وطأطأتِ الأرماحُ تدمى أنوفها
أراكُ محيماً تالياً سورةَ الضحى
على فضله قد أصفقَ الناسَ مثاماً
بنتى حرماً للمكرماتِ تحجتهُ
وأذهبَ بالتقوى القبائحَ كلِّها
وأدركَ بالعزمِ الذي أعجزَ الورى
تعزَّرَ منه الدينُ لما أقامتهُ
كفيلٌ بتيسيرِ الأمانى وضامنٌ

بصلصالِ رعدِ الطبلِ أعظمَ به شيئاً^(٢)
وأحكَمَ طيرَ النِّبيلِ مرسلهُ الرِّميا
وقلباً على الأعداءِ قدرَ كِبَ البَغيا
على ملكهِ حتماً تطابقهُ الفَتيا
عفاةُ الورى أكرَمَ بمورده رُيا
وبدَدَ بالرُّشدِ السفاهةَ والغيا
وجاءَ بما أعينى سواه وإن أعينى^(٣)
ولم يشكُ منه المثلُكُ وهنأ ولا وهيا
عن الدهرِ ألا يمتنعَ السائلُ الرِّعيا

(١) يريد الرؤية ، وأعجزته القافية .

(٢) في اللسان « صلصل صلصلة ومصلصلاً » . قال : ويقال للحمار الوحشي صال

وصلصال ، يريد ، الصحيحة الاجساد الشديدة الاصوات لقوتها ونشاطها . والصلصلة

صفاء صوت الرعد .

(٣) كذا في الاصلين .

غدا المدح صعباً في سواه وإنه
 غدا فيه سهلاً إذ لدائره أحيى
 أفاض على العافين طراً مواهباً
 بأفضاله وعداً لهم منه ماتياً
 حلفت يميناً برة ليس في الدنيا
 ملكٌ سواه للمعالي سعى سعياً
 أبناء نصرٍ حزمٌ بليكنكم
 فخاراً بما يلقى مدى الدهر خفياً
 أشاد لكم ملكاً وعزاً مؤبداً
 فلا زال مأثوراً - مدى الدهر - مروياً
 لنا الله كم حزننا به من مفاخر
 تنافى بها عننا العنا في الورى نيفياً
 تسامت به العلياء منه بقربنا
 إليه وأضحى فعلنا منه مرضياً
 فإفخر أملك الدنيا والذي حوى
 لعمر المعالي الحزم والعزم والرأيا
 تموت يتشيب المفاخر مثماً
 شأوت ملوك الأرض طراً بلائياً
 منعت به الباغين بالعدل رحمة
 فكليس يخيف الذيب في قفره الظبياً

[٢٤/أ]

وقتلت أهل الشرك في عقر دارهم
 وأبنت ولم تترك بأحيائهم حياً

ومتلئكُ النَّصَارَى ذَلَّ قَسْرًا لِعِزِّكُمْ
 يَمَاوِدُ فِي سَلْمٍ لَهُ النَّشْرُ وَالطَّبِيَّ
 وَلَوْلَا ظُبَاكَ الْقَاهِرَاتُ لِمَلِكِيهِ
 لَمَّا كَانَ نَحْوَ الْحَقِّ مَسْتَمَعًا وَعَيْنَا
 فَلَا زِلَّتْ يَا أَسْمَى الْمُلُوكِ مُؤَيَّدَا
 وَلذَّتْ لَكَ الْبُقْيَا وَطَابَ لَكَ الْحَيَا

وقلت أيضاً :

سَهْرَتْ فِيمَنْ جَفَنَهُ نَائِمٌ وَذُبَّتْ فِيمَنْ جِسْمَهُ نَاعِمٌ
 ظَبِّيُّ ظُبَا عَيْشِيهِ فَعَالَةٌ بِالْقَلْبِ مَا لَا يَفْعَلُ الصَّارِمٌ
 يَسْتَلُّ مِنْ مَقْلَتِهِ صَارِمًا لِلصَّبْرِ مِنِّي أَبَدًا صَارِمٌ (١)
 يَنْشَأُ عَنْ عَيْنِيهِ سُكْرُ الْهُوَى فَكَلَلْنَا مِنْ تَمَلٍّ هَائِمٌ
 يَهْرَأُ بِي كَأَنَّهُ جَاهِلٌ بِمَا أَلَاقِي وَهُوَ الْعَالِمُ
 شَكْوَتُهُ (٢) مَا بِي مِنْ حُبِّهِ مِنْ وَآلِهِ لَعَلَّتْ رَاحِمٌ
 فَظَلُّ وَالْجَسْمُ غَدَا نَاحِلًا وَدَمَعُ عَيْنِي أَبَدًا سَاجِمٌ
 يَضْحَكُ فِي الْحُبِّ وَأَبْكِي أَنَا اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَاكِمٌ !

وقلت أيضاً فيه (٣) :

هَاجَتْ لِيَسْعِدَكَ لَوْعَةٌ وَغَلِيلٌ وَالْقَلْبُ بِعَدَاكَ وَاللَّهُ مُحْتَبُولٌ
 يَا نَارِحًا نَزَحَ الْكُرَى لِفِرَاقِهِ رِفْقًا فَعَقْدُ تَصَبَّرْتِي مُحْتَلُولٌ
 وَابْعَثْ وَلَوْ بِالطَّيْفِ فِي سِنَةِ الْكُرَى
 لِيُزَوِّجَنِي فِي النَّوْمِ عَنكَ رَسُولٌ

(١) الصارم في البيت السابق : السيف ، وصارم هنا « فاعل » من صرم : قطع .

(٢) في النسختين : شكوت ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) في غرض الغزل ، أو المحبوبة المذكورة في القطعة السابقة .

فاسألْ نَجُومَ اللَّيْلِ تَخْبِرُ قِصَّتِي

فَالنُّجُومُ عَنْ سَهْرِي (١) بِكَ الْمَسْؤُولُ

فإلى متى قلبي مروعٌ بالنوى فلقدرتى لي حاسدٌ وعدولٌ
قد هامَ قلبي في هواك (وإني) دَنِفٌ على جمر الغضا مجعولٌ

[٢٤ / ب]

يا ملبسي ثوب السقام ، تعطشاً يوماً بصبٍ من نواك عليلٌ
فلقد قضى أهلُ الغرامِ دُيونهم

وغريمٌ حُسْنِكِ في الهوى مَنطُولُ!

أدركتُ من سرِّ الغرامِ حقيقةً

ما نالها قيسُ الهوى وجميلٌ

إنَّ الذينَ جِمالهم يجيهاهم سارتُ إلى نحو الأراكِ تملُّ

وغدَّتْ تجدُّ السيرَ لما شاقها من نحو رامةٍ إذخرٌ وجيلٌ (٢)

أقوتُ معاهِدُ حيتهم منهم كما ملحوبٌ أقوى ربُّعهُ المأهول (٣)

لا عيشَ بعدهمُ بلذُّ وإنَّهمُ روحُ الحياةِ لهائمٌ والسؤلُ

علَّلتُ قلبي باقتراهمُ فلمُ ينفعُ مشوقاً بالنوى التعليلُ

يفنى الزمانُ وما قضيتُ لبانتي يا لستَ شعري هل لديك سبيلُ؟

هملتُ نجيعاً أدمعي (٤) يوم النوى وقد استقلتُ للوداعِ حمولُ

(١) في م صهر ، وفي ط سهر . ولعل الصواب ما أثبت ، وقد يفغل الناسخان باء المتكلم .

(٢) الإذخر : حشيش طيب الريح ، واحدها إذخرة ، وهي شجرة صغيرة .

الجيل : نبت التمام ، ضعيف « يحشى به خصام البيوت » .

(٣) يشير إلى بيت عبيد الأبرص :

أقفر من أهله ملحوب فالقطيبات فالذنوب

وملحوب : اسم ماء لبني أسد ، والقطيبات والذنوب مواضع لهم أيضاً . (الديوان

: ١٠ ، وانظر المعلقات بشرح التبزي ٣٢٤ ، وجمهرة أشعار العرب ٢ : ٤٧٣ ،

(٤) في الأصلين (أدمع) .

وَسَرَّتْ رُكَّائِبُ لَوْعِي مُنْثَالَةً ۖ وَالوَجْدُ هَادٍ وَالغَرَامُ دَلِيلُ
 يَارَاحِلِينَ عَنِ الْمَشُوقِ لَسَدْتَمَا خَلَدَتْ قَتْمُوهُ وَقَلْبُهُ مَسْتَبُولُ
 يَهْوَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ حَدِيثِكُمْ ۖ وَكثِيرُهُ فِيمَكِ لَدَيْهِ قَلِيلُ
 أَمَّا الْحَبِيبُ فَلَا يُمِيلُ حَدِيثُهُ ۖ وَحَدِيثُ مَنْ أَبْغَضْتَهُ مَمْلُولُ !
 لَكِنِّي آوِي (١) إِلَى حَرَمِ الَّذِي مَا إِنَّ لَهُ فِي الْمَالِكِينَ عَدِيلُ
 مَنْ شَيْدِ الْعِلْيَاءِ بَعْدَ عَقَابِهَا وَأَنَالَ مَا قَدْ كَلَّ عَنْهُ مُنِيلُ
 مَنْ لَمْ يَزَلْ يِرْعَى الْإِلَهَ وَعَقْلَهُ عِنْدَ الْمَشُورَةِ شَامَهُ ۖ وَطَفِيلُ (٢)
 مَلِكٌ إِذَا رَكِبَ الْمُطَهَّمِ طَالِبًا لِعِدَاتِهِ فَعَدْوُهُ مَغْلُولُ (٣)
 مَلِكٌ إِذَا مَا صَالَ يَوْمًا صَوْلَةً ۖ كَادَتْ لَهَا شَمُّ الْجِبَالِ تَزُولُ
 سَائِلُ (٤) عَنِ وَثْبَاتِهِ وَثْبَاتِهِ يَوْمَ الْكُرْبَةِ وَالذَّوَابِلُ غَيْلُ

[٢٥ / أ]

تُخْبِرُ بِمَا أَعْيَى الْفَوَارِسَ كَلَّمَهَا ۖ وَحَدِيثُهُ فِي الصَّالِحَاتِ يَطُولُ
 أَجْرِي مِيَاةَ الْعَدْلِ فِي أَحْكَامِهِ وَأَقَادَ صَعْبِ الدَّهْرِ فَهُوَ ذَلُولُ
 قَدْ رَوَّضَ الْإِحْتِمَالَ جُودًا مِثْلَمَا قَدْ شَيْدَ الْعِلْيَاءِ وَهِيَ طُلُولُ
 مَلِكٌ الْقُلُوبَ مَحَبَّةً وَمَهَابَةً ۖ وَلَيْسِيْفُهُ فِي الدَّارِ عَيْنَ صَلِيلُ
 سَادَ الْمُلُوكِ بِنِسْبَةِ سَعْدِيَّةٍ (٥) فَخَارُهَا أَبْدَأُ لَهُ التَّقْضِيلُ
 وَسَمَاهَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَإِنَّهُ لَا يَبْعَثَرِيهِ فِي الْهَيْبِاجِ ذُهُولُ
 يِعْمَلِي الْمَعْلَى جَدَّةَ سَعْدِ الرِّضَا ۖ مُوَالِي النَّدَى قَدْ أَفْصَحَ التَّنْزِيلُ

(١) في نسخة م « أو » ، ولم تظهر في « ط » لطمس في رأس الصفحة .

(٢) شامة وطفيل : جيلان مشرقان على مجنة ، وهي على بريد من مكة .

(٣) وأقرأ « مغلول » بالفاء .

(٤) في الأصلين : سائل كما أثبت ؛ ولعله : سائله .

(٥) نسبة المدروح إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري .

حامى الرسولِ وسيّد الأنصارِ مَنْ صَحِبَ الرَّسُولَ وَسِيفُهُ مُسْلُومٌ
أعطى أمير المسلمين وقد سَطَا بالمعتدين - ووعده مَفْعُولٌ

وطلب مني الفقيه الشريف محمد بن أحمد الحسيني^(١) المديني رسالة ذي
الوزارتين الفقيه الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي ،
التي كتب بها عن ابن عمنا السلطان أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد
الخلوع ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ معرفاً بجهاده الروم ونصره عليهم
وأخذ بلادهم . فبعثتُ بها إليه ، وكنت قد صححتها بيدي ، وطغى القلم في
لفظة وهي الأغوار بالواو فجعلت مكان الواو دالاً مهملاً جاء منه «الأغدار» .
فلما وقف على ذلك كتب عليه طرة ينبهني على نسياني ويعتذر ، فجاوبته بقولي :

حبوتَ جَنَابِي يَا سَلِيلَ مُحَمَّدٍ بعذراء ما أسنى سَنَاهَا وَأَعْجَبَا^(٢)
بَدَتِ شَمْسُهَا فِي هَالَةِ السُّعْدِ مِثْلَهَا تَضَوَّعَ رِيَاهَا مِنَ الْمَسْكِ أَطْيَبَا
فَلَا زِلْتَ تَسُدِّيهَا عَلَى الْخَلْقِ نِعْمَةً وَلَا زِلْتَ تَسْمُو فِي الْفَضَائِلِ مَنَصِبَا
[٢٥/ب] وصلت - أعزك الله - عقيلتك السالبة للعقول ، الخارجة
بنظمها البديع ، المسكت للبديع عن الحد والمعقول . وهي من الأصل الوسيم
والفضل الجسيم ، ترفل في حلال ؛ وتنتمي بنسبها العلي ، وحسبها النبوي في
أشرف الحلال .

إلى السَّادَةِ الْأَخْيَارِ أَبْنَاءِ هَاشِمٍ بَنِي الْحِجْرِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُعْجَدِ
هُمْ آلُ خَيْرِ الْخَلْقِ أَحْمَدُ وَالْأَلَى هَمٌّ عَزٌّ دِينُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
فَقَبَّلْتُهَا أَلْفَا ، وَلَمْ أَرْضَ - دَهْرِي - غَيْرَهَا إِلَّا لِفَا . وقلت لها مرحباً بذات

(١) القاضي الفقيه أبو القاسم محمد بن أحمد الشهير بالشريف الغرناطي ، ويعرف بالسيتي أيضاً ؛

وسيرجم له المؤلف في الورقة ٤١/أ .

(٢) القاضي أبو القاسم من الأشراف الحسينيين .

الجزالة ، وأخت غزالة^(١) والغزالة. والبارعة الجمال والفارعة ذرى الإجمال. ومصرح الناظر ومصرح المناظر . وبنت سليل الرسول ، ومنتهى الأمل بالسول : الرافعة من شأني ، والخافضة في طلق الفصاحة ، وميدان الصباحة ، من جاراني وماشاني . التي أذهبت عني الأتراح وتسربت لها ثياب الأفراح. وأزاحت الكرب ، وامتلاؤها دلو السرور إلى عقد الكرب. وزدت بها أنسا. وكلفت بحسنا الذي لأنسى. نفرت عن جلي عذرك فقبلته. وتأملت على سطرها مرور يدك فقبلته. وقلت إن سيدي صدر المجالس ، والتحفة التي ألقاها الدهر إلى المجالس. ما صدرت منه تلك الطرة لتعريض ، ولا لأن يظهر علمه الطويل العريض ؛ بل ليصلح ما طغى به لسان البراعة ، وذلك مما وهبه الله من فائق الحكمة ورائق البراعة . فما الظبية الوعساء ، ولا العزة القعساء عندي بأبدع^(٢) من تنبيه معظمي العذب الشائل ، المزهدي عرف عرفانه بزهر الخائل ، تهديه الصبا والشائل. فلا زال في صعود سيدي علم البلاد، والنحرير الذي أسلم وجهه لبلاغته وسلم لفصاحته المصاحب [٢٦ / أ] بن عباد. ما عطرت رياض الحزن غب سواكب المزن الرياح النواسم ، وأومضت في حندس الليل بروق الثغور البواسم ، والسلام .

وقلت أيضاً ، معزياً لابن عمنا الرئيس أبي الوليد إسماعيل بن الأمير

أبي سعيد فرج :

لَاتَجْزَعَنَّ أبا الصّدق الأمير عَليّ يَحْيِي سَلْمِيكَ ؛ فِي الباقِي لَكَ الخَلْف
كان الذي قد مضى نجماً فغابَ و منْ بَقِي بُدورٌ - لَعَسْرِي - ما بِها كَلَف

(١) غزالة ، علم وزن سحابة ، علم على الشمس .

(٢) في الأصلين : عند .

مثلك - أعزك الله - لا يذكّر عند المصيبة، إذ سهام صبرك مسددة مصيبة .
 وAIM الله لقد فجعت لرزئك في نجلك ، وعظم فقده عندي من أجلك . ومهما
 أمرت بناديه ، أتفجع فأناديه :

(إذا مادَعونا الصَّبْرَ بعدك والبُكَاءُ أجابَ البُكَاءُ طوعاً ولم يُجِبِ الصَّبْرُ
 فإن ينقطع منك الرجاءُ فإنَّهُ سيقمى عليك الحزنُ ما بقي الدَّهْرُ)
 والله يجزل بمصابه أجرك ؛ ويرفع - بالصبر عليه - في الدارين ذكرك .
 والسلام .

وقلت أيضاً :

- وبعثت بها إلى ابن عمنا أبي الوليد هذا رحمه الله تعالى - وكل ما في
 رسالتي هذه من الأبيات هي نظمي - :

أُكاتبكم يا أهل ودِّي وبيننا كما حَكَمَ البَيِّنُ المُشَيِّتُ فراسخُ
 فأما منامي فهو عني مشرّدٌ وأما الذي بالقلْبِ منكم فَراسخٌ^(١)

الأخ الوفي الذي لارتياب في صحة إخائه ، وابن العم الصفي الذي لم يشب
 الكدر صفو صفائه ، والولي الحفي الذي يشهد خالس محبته بحسن ولائه .
 الذي صحح وداده الاختبار ، وصرف عنان المحبة إليه الاختيار . المبرز في
 إحراز غاية الإعجاب والإعجاز ، الواحد الذي به فخار صدور القوافي
 والأعجاز ، المتزهة حقائق عزائه الصادقة عن شوائب المجاز . الذي كان له
 [٢٦/ب] سعد بن عبادة أبا ، واكتسب من المعالي ما امتنع عن غيره وأبى .
 واعترف له بالفضل من أهل عصره أعلامه ؛ وأطاعته في الحرب سيوفه ، وفي
 الكتب أقلامه . إنسان عين الكمال ، وفلذة كبد المجد الباهر الإجمال .

(١) فراسخ في البيت الأول جمع فرسخ ، و « راسخ » في الثاني اسم فاعل من رسخ : ثبت .

سلامٌ عليكم من مَشْوَوقٍ مُتَيْمِّمٍ أَخِي حُرُوقِ رِقِّ الْجِهَادِ لِمَا يَلْقَى
يَكْفِكُفُ دَمْعَ الْعَيْنِ مَهْمَا ذُكِرْتُمْ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَفِي لِرُؤْيَيْتِكُمْ شَوْقًا
بِرَاهِ الْهَوَى وَاسْتَأْصَلَ السَّقْمُ جِسْمَهُ
وغيره نأي الحبيب فما أبقى
يُنَادِي إِذَا مَا اللَّيْلُ أَرْخَى سُدُولَهُ

يَسْرُكُكُمْ يَا أَهْلَ وَدْيِ أَنْ أَشْقَى ؟
لِئِنْ سَرَّكُمْ هَذَا فِرَاحَةٌ مُسَهِّجَتِي
إِذَا قِيلَ لِي مِتْ مِنْ أَجْلِكُمْ عِشْقًا!
خُذُوا مَهْجَتِي بِالرَّفْقِ أَهْلَ مَوَدِّي
وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ أَسْأَلَ الرَّفْقَا
أَنَا الْمُغْرَمُ الْمُضْنَتِي بِحُبِّ جَمَالِكُمْ
فَرَقُوا الْمَلُوفَ غَدًا لِسَكْمِ رِقْنَا

كُتِبَتْهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - وَالِدَمُوعِ سَوَاجِمِ . وَالْقَلْبُ بِمَا اعْتَرَاهُ وَاجِمِ ؛
لَمَّا أُجِدُّ مِنَ التَّوَقُّقِ إِلَى حَسَنِ مَزَاحِكُمْ ، وَمِنَ الْأَمِّ مِنْ طَوْلِ انْتِزَاحِكُمْ .
وَبَعْدَ فِرَانِي أَصْرَفَ إِلَيْكَ عَنَانَ الْمُعَاتَبَةِ ، لَعَدَمِ الْمِرَاسَلَةِ وَالْمَكَاتِبَةِ . وَقَدْ
أَضْرَبْتَنِي الْأَسَى وَالتَّبْرِيحَ ، حَتَّى صَبِرْتُ أُبْعَثُ السَّلَامَ مَعَ الرِّيحِ . فَلَا أُدْرِي :
أَمَلَّكَ صَدِّكَ عَنِ جَوَابِي أَمْ أَرَدْتَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيَّ جَوَابِي (١) . فَارْفُقْ
بِمَلُوفٍ تَضْطَرُّمُ أَحْشَاؤُهُ لَوَارِدِ الْأَغْرَاضِ ، وَيَرْضَى بِكَلَامِ الْمَحْبُوبِ وَإِنْ
لَمْ يَكُنْ عَنِ تَرَاضٍ . فَلَوْ أَنَّ مَا بِهِ بِالصَّخْرَةِ الصَّمَاءُ لَذَابَتْ ، أَوْ بِاللَيْلَةِ الظَّمَاءُ
لَانْجَابَتْ . قَسَمًا بِمَحَبَّتِكَ الَّتِي تَيْمَّنْتَنِي ، وَفَضَائِلِكَ الْعَمِيمَةِ الَّتِي مَلَكَتَنِي . لَوْلَا
أُمْنِيَاتُ نَفْسٍ بِالْوَصَالِ نَعَلْتَهَا ، وَاسْتِنْسَاسُ (٢) بَلْقِيَاكَ نَوْمَتَهَا ؛ لَعَدَمُ مَا بَقِيَ

(١) رسمت فيها « جوابي » ، وفضلت ما أثبت .

(٢) لم تضيف الكلمة إلى شيء في النسختين . وقارن بالجملة السابقة .

من خيال الجسد، ولذاب الفؤاد من جمره الكمد^(١) وإلى كم نار شوق جوانحي أوريتهما، ودموعاً سواجماً على الحدين أسلتها^(٢). فهذه حالي [٢٧ / أ] يرق لها الجلمود، ويزدوب لها الجمود. فأحسني مهجتي من إماتة الشوق بالفاظ أسكن إليها، ورسائل اعتمد عند تأجج نار الشوق عليها. وأنا - وان تباعدت المساكن والأشباح، فقد تقاربت منا القلوب والأرواح. والصبر عليك قد ارتحل، والجفن بالسهاد لا بالإثم اكتحل. فلورأيت حالي من ذلك، لعلمت أني في أشد المهالك .



(١) في « ط » الكبد .

(٢) كذا في الأصلين . وفي « م » أوريتهما .



الباب الرابع

* في شعر ملوك الموحدين المحضيين وأبنائهم *

أمير المؤمنين المستنصر بالله المنصور بفضل الله محمد بن أبي بكر ابن إسحاق بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن أبي حفص**

يكنى : أبا عبد الله ، وهو ملك تونس ؛ ورأيت بفاس ابنه الأميرين أبا حفص عمر ، وأبا محمد عبد الواحد . ونحن جميعاً في حضرة الملوك من بني مرين .
حاله - رحمه الله -

كان عفتاً كاملاً ، وعالماً عاملاً . له شعر يصيي النفوس ، ويلتذ بسماعه

(*) بنو أبي حفص ، أصلهم من هنتاة ، وهي من أعظم قبائل المصامدة ؛ ودولتهم متشعبة من دولة الموحدين . وكان الشيخ أبو حفص من أوائل القائمين بدعوة المهدي ابن تومرت والناصرين له ، وتداول أبناؤه من بعده الإمارة بالأندلس والمغرب وإفريقية مع بني عبد المؤمن - أمراء الموحدين - وكان أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص أول من ولي إفريقية ، وذلك برغبة من الناصر الموحدي سنة ٦٠٣ هـ . ومن أشهرهم في القرن السابع أبو زكريا يحيى ، الذي استنجد به أهل بلنسية واستصرخه ابن الأبار بسينيته المشهورة . واستمرت دولتهم إلى حوالي منتصف القرن العاشر الهجري .

(**) انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور ١ : ١١٦ .

الرئيس والمرؤوس . وخطه تستلب العقول براعته ، كما أذهلت الفوارس شجاعته . أنشدني له الشيخ القائد المعدل أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر الموحد ، قال أنشدني لنفسه أمير المؤمنين المستنصر أبو عبد الله :

(جَزَى اللهُ الحِوَادِثَ كُلَّ خَيْرٍ) وإن كانت تُغصِّصُنِي بِرِيقِي
وما شُكْرِي لَهَا إِلَّا لِأَنِّي (عرفتُ بِهَا عَدُوِّي مِن صَدِيقِي)

أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبو بكر* ابن الأمير المنتخب^(١) لدين الله يحيى [٢٧/ب] ابن الأمير إبراهيم بن الأمير يحيى بن عبد الواحد ابن أبي حفص .

يكنى أبا يحيى . وأدر كته وهو ملك إفريقية . ورأيت بفاس ، في حضرة الملوك من بني مرين جملة من أحفاده ، وابنه الأمير أبا عبد الله محمد ، صاحبنا .

حاله - رحمه الله -

هو الملك الذي تليت في المحافل سور ذكره ، وجلت في النوادي صور فخره . إذ لم يُبْتَقِ للمعالي غاية إلا جازها ، ولا للمحامد راية إلا حازها . كما فاق بهيمته الهامية ، وساد بشيمته الاهامية . وبرز في ميدان الشجاعة ليثاً ، وكان للباس غوثاً وغيثاً . وله معرفة بقصر القريض . وصوته يُنسي ابن عائشة والغريض^(٢) . ولا ميرية في أنه أسد الكتائب ، ومن أتى في الحرُوبِ بالعجائب .

فمن قوله - رحمه الله :

بذِيَالِكِ الوَادِي وَذِيَالِكِ الحَمِي

سَلِّبْتُ فَوَادِي وَاعْتَدَيْتُ مُتَيْبِيَا

(*) انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ١ : ١١٦ .
(١) فيها : المنتخب . (٢) من مشهوري المغنين في المشرق .

سكرتُ ولم أعلمُ أَمِنْ خَمْرَةِ الهوى
 عراقِيّ هَذَا الشُّكْرُ أمْ خَمْرَةُ اللَّيْمَا
 عَلَّقْتُ كَحَيْلِ الْمُقْلَتَيْنِ مُهْمَهَمَفَا
 رَخِيمَا يَلِينُ الصَّخْرُ مِمَّا تَكَلَّمَا
 تَعَلَّمْ سَحْرَ الْجَفْنِ مِيزَ أَرْضِ بَابِلِ
 وَلَيْسَ لِيغْتِيرِي فِي الْأَنَامِ تَعَلَّمَا !
 رَمَانِي بِسَهْمٍ مِنْ مَذَانِبِ لِحْظِهِ
 شَدِيدٍ فَلَمْ يُخْطِئْ فَوَادِي إِذْ رَمَى (١)
 وَصَادَ بِأَشْرَاكِ الْفَوَاتِرِ مُهَجَّجِي
 فَوَاعِجِبَا مِنْ شَادِنِ صَادَ ضَمِيغَمَا
 لَهُ وَجِنَّتَا شَمْسٍ وَبَدْرٍ إِذَا بَدَا
 وَأَقْبَلْ مِنْ خَلْفِ السُّتُورِ مَسَلَمَا
 تَرَاهُ ضُحَى فِي الْقَصْرِ شَمْسًا مُنِيرَةً
 وَعِنْدَ الدَّجَا تَلْقَاهُ بَدْرًا مَتَمَّمَا
 الْأَثْمِي لَوْمِي إِذَا شُتَّ أَوْ دَعِي
 فَتَمَنَّ يَنْهَوْ هَذَا الْحُسْنَ لَمْ يَخْشِ لَوْمَمَا
 وَحَاسِدَةٌ قَالَتْ لِأَخْمَرِي تَعْبِيه
 لَقَدْ تَاهَ حَقِي قَالَ مَنْ قَالَ أَجْرَمَا
 وَظَنَّتْ بَأَنَا نَحْسِبُ التَّيْبَةَ زَلَّةً
 وَلَمْ تَتَدَّرِ أَنَا نَجْمَتَيْنِيهِ تَنَمَعَمَا
 [٢٨ / أ] فَلَوْلَا التَّجَنِّيُّ وَالتَّدَلُّلُ فِي الْهَوَى
 لَمَا كَانَتْ بُرْدُ الْعَشْقِ بِالْعَشْقِ مُعْلَمَمَا

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : يَخْطُ .

ولا هاج مُشتاقاً إلى جيرة اللّوى
 ومنزلٍ مَنْ هوى حمامٍ ترنّما
 وألطفُ شيءٍ في الهوى أنسُ خمسة
 «مق؟ أو عسى! أو هل؟ وكيف؟ وربما!»
 إذا لم يكن منها شعورٌ لعاشقٌ
 فليس له نحو المحبين مُستَمي
 إليك حديثي بالتي لم أستمها
 وعنك حديثي حيثما قلتُ حيثما
 ومنك هيامي والضحى لي شاهدٌ
 وفيك هيامي بعد كتمتي له نمتا
 ولم يعلم الواشونَ إلا تستهدي
 ولم يدركوا الأسبابَ إلا توشها
 ملكتُ الدنى شرقاً وغرباً بأسرها
 ولكنني أمسيتُ فيها مُستَيماً
 يغالبي ظي، وأغلبُ كلَّ مَنْ
 تممّلكَ فيها، وارتدى، وتممّما
 كتمتُ هواها عن فؤادي ومهجتي
 وعن سهدٍ جفني ما استطعتُ تكتمها
 ولكنّ لي نفساً تذوبُ صبابةً
 وتصبرُ عند الحادثاتِ تكرّما
 وتألّمُ من طولِ الصّدودِ ولا ترى
 لدى الحربِ من مَسّ الحديدِ تألمها
 وتهجرُ في نيل المعالي منامها
 وتتخذُ المكروهَ للفخرِ سلماً

فتدركُ ما تبغني من الحظّ سالمياً
ولو كان خلف البحر والبحرُ قد طمأ
وما هي إلا رفعة عمريّة
إلى ذروة العليها المتجدد قد سما
فإن صعد الأملاك بالإرث منبراً
فمنبرنا أعلى وأكرم منسماً
وآباؤنا في الملك والبأس والندى
تداولها الورائح عرباً وأعجمياً (١)
ولا فخر والأعداء تشهد أني
أجيه وغاها مسفراً متجمها
وأقدم والأبطال يُبصّر وجهها
هناك عبوساً منكراً متغنيا
فكم قائل لي في الرياس (٢) وغيره
وصدر القنا في القوم أوردته دما
[٢٨ / ب] وللتصريف من يميني مؤيد
فيقطف أرواحاً ويحطم أعظماً
وكم وادياً بددت فيه سراتهم
وخلقت ذلك الماء ماءً منحراً
فإن تجهل الحرب الزبون سكينتي
فتعرفني (٣) مها حطت التلثما

(١) هكذا في الأصلين : الورائح ، مشكولة بضم الواو وتشديد الراء .

(٢) فيها : في الرياس .

(٣) كذا فيهما .

جواد الوغيا والفخر والذكر حقه
 لمثلي من دون الوري أن يفخما
 وإني أمير المؤمنين متوجماً
 من الملك تاجاً بالأمانة كرمما
 جعلت بجدي ثم لفظي وصارمي
 فخازي يجيد الدهر دراً منظماً
 يراه ولا يرقى إليه معانيد
 ويبصره كالسجم في كبد السبا
 بنينا بناء الملك والعيز والعلا
 سماء على بنيان قوم تهدما !

ابنه أمير المؤمنين أحمد (*) :

يكنى أبا العباس ، وأدر كتبه . وكان أبوه أمير المؤمنين المتوكل على الله
 أبو يحيى اقتطعه (١) مدينة توزر (٢) ، وولاه عهده ، وصحبت بفاس
 في حضرة الملوك من بني مرين ابنه الأمير أبا عبد الله محمد ، وابن الأخر
 الأمير أبا البقاء خالداً .

حاله - رحمه الله :

برز في الجمال الرائع ، وحاز من الفصاحة ما تستغربه المسامع . وكان من

(*) انظر معجم الأنساب والأمرات الحاكمة : ١١٦ .

(١) في النسختين : اقتطعه .

(٢) توزر : مدينة في أقصى إفريقية (بلاد تونس) من نواحي الزاب الكبير من أعمال

الجريرد (ياقوت-معجم البلدان ٢ : ٥٧ - ٥٨) .

مُجِيدِي الشُّعْرَاءِ ، وَمَنْ أُولَى الشُّجَاعَةِ فِي الْأَمْرَاءِ ، مَعَ مَا حَوَى مِنْ مَسْكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَمَنْ الشِّيمِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ مِنَ الْقَبَائِحِ بَرِّيَّةً (١) .
أَنْشَدَنِي لَهُ ابْنُهُ صَاحِبُنَا الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ فِي أَخْذِهِ تَوَزَّرَ :

بِالْمَشْرِفِيَّاتِ يُحْمَى الْجِدُّ وَالشَّرْفُ وَمِنْ صُدُورِ الْمَعَالِي تُقْتَنَى الطَّرْفُ
وَالْفُتُوحِ رِيَاضَاتُ مُزْخَرَفَةٌ لَكِنَّهَا بَرْقَاقِ الْبَيْضِ تُقْتَنَطَفُ

[٢٩ / أ]

وَفِي حَيَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَزْنًا خِلَافَةً إِرْتَاءً عَنْ أَوَائِلِنَا
لَا يَبْلُغُ الْوَصْفَ فِي عَلَيَانِنَا أَحَدٌ نَاهِيكَ مِنْ حَسَبٍ مَا مَثَلُهُ حَسَبٌ
تَخَالَفَ النَّاسُ إِلَّا فِي مَفَاخِرِنَا حَمَى الشَّرِيعَةَ مِمَّا سَعَى مُجْتَمَعِهِدِ
فِينَا التَّوَاضُعُ وَالْإِعْضَاءُ شِمْتُنَا وَرَافَةٌ فِي جَنَابِ اللَّهِ صَالِحَةٌ
تَوَاضَعًا عَظُمَتْ فِي النَّاسِ هَيْبَتُهُ نَهَى الْحُرُوفَ الَّتِي مَجْمُوعُهَا نَعَمٌ
مَا إِنْ بَنَا سَرَفٌ إِلَّا مَوَاهِبِنَا لِبَاسِنَا يَرْعَدُ الصَّمْصَمُ مِنْ رَهَبِ
يَحْمِي أَيْبِنَا سَعُودٌ مَا لَهَا طَرْفُ فَا لِمَلِكٌ مِثْلَهُدُ فِينَا وَمُطَّرَفُ
إِلَّا وَسُودْنَا فَوْقَ الَّذِي يَصِفُ وَكَيْفَ لَا أَبُو حَفْصٍ لَنَا سَلْفُ
وَفِي الْمَعَالِي مَا شَكُّوا وَمَا اخْتَلَفُوا فَلَيْسَ بِالدِّينِ لَا حَيْفٌ وَلَا جَنْفُ
وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ مِنْ أِبْنَانِنَا عَرَفُوا فَلَا تَرَانَا لَغَيْرِ الْحَقِّ نَنْتَصِفُ
إِنَّ التَّوَاضُعَ فِي أَنْفِ الْعُلَى أَذْفُ وَلَيْسَ فِي لَفْظِنَا لَامٌ وَلَا أَلِفُ (٢)
إِنَّ الْمَوَاهِبَ فِيهَا يُحْمَدُ السَّرْفُ يَوْمَ الْوَعَى وَوَشِيحِ الرَّمْحِ يَنْعَطِفُ

(١) بريئة .

(٢) يتضمن البيت معنى قول الحزبن الكناني (وينسب للفرزدق) :

ما قال (٧) قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

سيفونا من تمادي سلسها نخلت^١ حتى كأن بها من عشقها دنتف^٢
وما ارتضىينا عديد الجيش يكتنفنا

بل الجيوش^٣ بنا في الحرب تكنتنف^٤

جيش تضيقي^٥ به الغبراء^٦ متمسع^٧ فالأرض^٨ ترجف^٩ والأطواد^{١٠} تنتسف^{١١}
مين^{١٢} الفوارس طعانين إن وقفوا^{١٣} يوم الكربة^{١٤} ضرب^{١٥} ابون^{١٦} إن وقفوا^{١٧}
بكل^{١٨} هندية^{١٩} رق^{٢٠} الغرار^{٢١} بها^{٢٢} وكل^{٢٣} خطية^{٢٤} قد زانها^{٢٥} هيئف^{٢٦}
يقودها^{٢٧} النصر خفاق^{٢٨} ذوائبه^{٢٩}

إذ ليس^{٣٠} إلا^{٣١} بريح^{٣٢} العدل^{٣٣} ينسعطف^{٣٤}

حتى أطل^(١) على سكان^(٢) توزر^(٣) لا

يخميهم^(٤) منه^(٥) سور^(٦) لا ولا^(٧) كتف^(٨)

ظننوا^(٩) الحفير^(١٠) حفيراً^(١١) مانعاً^(١٢) لهم^(١٣)

حتى رأوا^(١٤) سمعها^(١٥) عزماً^(١٦) وهم^(١٧) هدف^(١٨)

[٢٩ / ب]

تواقعوها^(١) فيه أمثال^(٢) الفراش^(٣) ردتي^(٤) كأنهم^(٥) بأكف^(٦) الجن^(٧) قد^(٨) خطفوا^(٩)

لكن^(١٠) عقفونا^(١١) أدناه^(١٢) اعترافهم^(١٣) والعفو^(١٤) أطيّب^(١٥) ما^(١٦) يحنيه^(١٧) معترف^(١٨) (٢)

نعفو^(١٩) ونصفح^(٢٠) عن^(٢١) عز^(٢٢) ومقدرة^(٢٣) فإن^(٢٤) خير^(٢٥) السجايا^(٢٦) الحليم^(٢٧) واللاطف^(٢٨)

أطاعت^(٢٩) العرب^(٣٠) لما^(٣١) أوردت^(٣٢) حمللاً^(٣٣) وإن^(٣٤) أرواحها^(٣٥) بالذعر^(٣٦) تختطف^(٣٧)

لاذوا^(٣٨) بخدمتنا^(٣٩) في^(٤٠) ظيل^(٤١) حر^(٤٢) متينا^(٤٣)

قصرأ^(٤) وعند^(٥) التلافي^(٦) يؤمن^(٧) التلطف^(٨)

(١) في الأصلين : أطل ، وهو تحريف .

(٢) فيهما : ظنوا الحفير حفير مانع لهم .

(٣) فيهما : لكن عفواً .

(٤) في الأصل : قصرأ (بالقاف) ، ولعله كما أثبت .

يَا سَعْدَ مُتَبِعِ آثَارَ دَوْلَتِنَا وَسُوءَ عَقُوبِي شَقِييَ عَنْهُ يُنْحَرِفُ
 وَيَاطْلِقَ فَتْحَ فِي أُسْرَتِهِ رِذَاذَ نُورِ بِهِ الْآفَاقَ تَخْتَلِفُ
 فَتُوزَرُ الْيَوْمَ مَا لِلسَّعْدِ مُنْفَرَجُ
 عَنْهَا وَلَا لَعْدِيدِ النَّصْرِ مُنْصَرَفُ

ونعمة عمت الأقطار سابعة وجددت لدوي الآمال ما ألفوا
 دامت إيا لستنا العلياء في سعة فالسعد والشمل بالأحباب مؤتلف
 ولا برحمتنا طويل العمر في دعة وللخلافة (١) من أبنائنا الخلف

أخوه لأبيه أمير المؤمنين الناصر

لدين الله المنصور بفضل عمر (*)

يكنى أبا حفص . وأدر كته وهو ملك تونس . وصحبت بفاس ابنه
 الأمير محمداً .

حاله رحمه الله تعالى :

هو الملك المنصور ، والأسد المسلمت المصور . والكمي المنجد ،
 والبهمة الأريحي المنجد . ممد الإمارة العمرية ، ومشيد منار المملكة
 الحفصية . صمصام الدولة ، المهروب البأس والصولة .

أنشدني له ابنه صاحبنا أبو عبد الله محمد - أعزه الله - [٣٠ / أ] وقال
 إنه قالها بديها بين يدي أبيه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي يحيى ، يخاطب

(١) في النسختين : ولا الخلافة ، وهي تحريف .

(*) معجم الأنساب والاسرات الحاكمة : ١١٦ وإتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف

أباه المتوكل لما سيق له رأس المعز بن مظاعن العربي ، وكان الذي ساقه
أخوه أمير المؤمنين أحمد بن المتوكل أبي يحيى :

لِيَهْنِكَ أَنْ اللَّهَ فَوْقَكَ مَا لِكُ ۖ وَدُونَكَ كُلُّ الْمَالِكِينَ عَبِيدُ
وَأَنْتَ سِرُّ اللَّهِ فِينَا وَأَنْتَنَا ۖ فَرُوعَكَ يَنْمِي فَضْلُهَا وَيَزِيدُ

وكان بني وبين ابنه الأمير أبي عبد الله محمد وداد عظيم بفاس في حضرة
الملك من بني مَرِين . وكان المطر قد حال بين لقائنا أربعة أيام فكتب
لي بقوله :

وحياة حبتك إنني	مذ غبت لا أدري المنام
لي ما رأيتك مدة	فكأنما هي ألف عام
لا بدع إن حجتك هـ	ذي السحب يا بدر الشام (١)
والدهر من عادته	أن يحجب البدر الغمام

فجاوبته بقولي :

يا أيها الخيل الذي	أرعاه ما بين الأنام
وصلت إلينا قطعة	تنبني بقطعك للنام
فظفرت منك بتحفة	قد جدت فرط الغرام
فكأنها إذ أقبلت (٢)	تفتر عن زهر الكيام
فطمحت نحو جوابكم	رعياً لودك والذمام
فوجدت شعري قاصراً	عن شكر ودك والسلام
فالنظم لا يستطيع أن	يحصي أيديك الجسام
لازلت في عز وفي	عيش هنتي مستندام

(١) في الاصلين : هذا السحب .

(٢) فيها : إذا أقبلت .

[٣٠ / ب]

أمير المؤمنين المستنصر بالله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن
أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي يحيى (*):

يُكنى أبا عبد الله . وأدركتته ورأيتُهُ وهو ملك بجاية . وصحبته
بفاس في حضرة السلوك من بني مَرِّين حين خلعه أمير المؤمنين المتوكل
على الله أبو عنان ملك المغرب عن ملكه ببجاية . وكان يُظهِر لي من الوداد
ما جلَّ عن الوصف .

حاله - رحمه الله تعالى -

طلع في سماء الإمارة بديراً . وسما بنسبه العربي قدراً . وفاق ببارع
جماله كما ساد بحظه وإجماله . وظهر له من العطاء ما أنسى به الطائي ، ومن
الشهامة ما أذهلت القريب والنائي ، ومن الفصاحة ما أسكتت الغائب
والرائي .

عزم على ظهور ملكه فخانه جده ، ولم ينفعه حزمه وجيده . بل
سطا الدهر به سطوة حاقده ، ونبت له جفنه الرائد . ففتك به ابن عمه ،
واحترز رأسه عن جسمه .

أنشدني لنفسه في العتاب :

لمّا وقفتُ على حقيقة أمركم
وجعلتُ جلّ وسائلي حبي لكم
أنشدتُ فيك معزياً بل سالياً
« إني وهبتك للذين تحبهم »
وعلمتُ أنّ الودّ فيك مُضَيِّعُ
ورأيتُ أنّ وسائلي لا تنفع
وجمّيل صبري للشدائد يرفعُ
هبة الكرام فإنها لا ترجعُ !

(* معجم الأنساب والأسرات الحاكمة : ١١٦ .

صاحبنا الأمير زكريا بن أمير المؤمنين أبي محمد عبد الواحد

ابن أمير المؤمنين ، القائم بأمر الله المنصور بفضل الله أبي يحيى زكريا بن أحمد بن الأمير أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص الموحد .

يكنى : أبا يحيى ، ورأيتُه [٣١/أ] وصحبته بفاس في حضرة الملوك من بني مرين .

حاله - أعزه الله -

حاز من العلوم أوفر نصيب . وسهمُ تفننته فيها مسدّد مصيب . وجنى بحفظها ثمر غرسها . وأشرق له وجه انقيادها وبهاء شمسها . فلو أبصره إياس لبات من ذكائه على ياس . ولو أدركه القعقاع بن شور ، وابن مامة^(١) ، لسلكها له في الجود ، وحفظَ ذمامه . وفي^(٢) إن وعد ، وصادق إن عهد . غير متكبر على صاحبه ، ولا متابٍ له عن توفية مأربه .

أنشدني لنفسه :

تفض ضلوعي كلما حنت الحشا عليك وأنفاسي إليك تميلُ
وبالقلوب منّي حرقه وصبابة^(٣) يفكر منها عروة^(٤) وجميل^(٥) !



(١) القعقاع بن شور الذهلي كان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيباً من المال .
وكعب بن مامة يضرب به المثل في الجود .
(٢) عروة بن حزام وجميل بن معمر من مشهوري عشاق العرب .

الباب الخامس

* في شعر ملوك بني زيان من بني عابد الوادي وأبنائهم

(*) دولة بني عبد الوادي (عابد الوادي) أو دولة بني زيان ، إحدى الدول الثلاث الرئيسية التي استغلت ضعف دولة الموحدين - بعد هزيمة العقاب - وظهرت في المغرب الأوسط . وهم من زناتة مثل بني مرين ؛ ووطنهم الذي انتشروا فيه هو المغرب الأوسط ، وعاصمتهم التي اتخذوها مركزاً طوال مدتهم هي مدينة تلمسان . وكانوا - أيام الموحدين - مواليين لهم ، داخلين في جماعاتهم وجنودهم ، ثم استقلوا بين دولتي بني مرين غرباً وبني حفص شرقاً . وبدأت دولتهم مع أوائل القرن السابع ، واستمرت - بين مد وجزر - إلى أواسط القرن العاشر .

ونظراً لتوسط هذه الدولة بين دولتين طامعتين في التوسع شرقاً وغرباً ، وبسبب ظروف متعددة أخرى ، عاشت دولة بني زيان في حروب معها ، ونشبت في داخل الأسرة الحاكمة خلافات طالما أذكاها المرينيون أو الحفصيون . وقد أثرت الخلافات بين هذه الدول على جدية دور المغرب في الجهاد في الأندلس . وكان يغمراسن بن زيان هو أول من أثل دولتهم ، واستقل بها ، واتخذ تلمسان حاضرة .

(راجع في ذلك : بغية الرواد ليحيى بن خلدون ، وروضة النسر بن لابن الأحمر - وهو مغال في ذكر مثالبهم - ، وتاريخ ابن خلدون « العبر » ، ورقم الحلل لابن الخطيب ، والاستقصا للناصري) .

أمير المسلمين المتوكل على الله موسى بن يوسف

ابن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن أمير المسلمين يغمراسن بن زيتان .
 يكنى : أبا حمو ، وأدر كتبه ، وهو الآن ملك تلمسان* .
 حاله - أكرمه الله -

هو الملك الذي ابتهجت بدولته الإمارة ، والهيام الذي لم تزل فيه
 لحفظ الجدي الأمانة . تمسك بالعلم فسما في سماء المعالي ، وتحلّى بالحلم فعلا
 على المعالي . وبرع في نظم القريض ، وجمع نور روضه الأريض . وجاز من
 الشرف بذلك ، ما أنسى به شرف كل مالك . وعقله عقل به جماح
 الأمور ، وبهاؤه بذكره الركبان [تدور؟] (١) .

فمن قوله - وهي من النظم الحسن - [٣١ / ب] وجئدت مكتوبة
 في حائط قصره ، حين خرج (٢) فاراً من تلمسان أمام أمير المسلمين أبي فارس
 عبد العزيز بن أمير المسلمين علي بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير
 المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (٣) :

(*) أبو حمو الثاني من مشهوري أمراء بني زيان . ترجم له ابن الأحرار في روضة النسرين ،
 وقلب ما أثبتته له هنا من فضائل ومكارم (٥٤ - ٥٨) ، وهو في ذلك يصدر عن رأي
 السلطة المرينية التي كان في ظلها . (وانظر تفاصيل أخباره أيضاً في تاريخ ابن خلدون
 « العبر » ٧ : ١٢٢ ، وبغية الرواد ليحيى بن خلدون ج ٢) .

(١) في الأصلين رسم يشبه (تبور) .

(٢) كان خروج أبي حمو أمام جيش عبد العزيز المريني في ١٤ محرم سنة ٧٧٢ ، ولم يطل
 ذلك ، فلم يلبث أن عاد إلى تلمسان في ٢٥ محرم ، (وقيل يوم عاشوراء) .

(٣) قال في روضة النسرين إن الأمير المريني أبا فارس عبد العزيز أمر بتغييرها ، فقالوا في تبديلها :

كناها ليالي خائفينسا	وأياماً تسوء الناظرينسا
بناها جدنا شيخ المعاصي	وكنا نحن شر الوارثينسا
فلما أن جلانا السيف عنها	تركناها لقوم غالبينسا

سَكَنَتْنَاهَا لِيَالِي آمِنِينَا وَأَيَّامًا تَسْرَ النَّاطِرِينَا
بَنَانَاهَا جَدْنَا الْمَلِكُ الْمُعَلِّي وَكُنَّا نَحْنُ بَعْضَ الْوَارِثِينَا
فَلَمَّا أَنْ جَلَانَا الدَّهْرُ عَنْهَا تَرَكَنَاهَا لِقَوْمٍ آخِرِينَا !

صاحبنا الأمير الحاج يوسف بن عمر بن يعقوب

ابن الأمير عامر بن أمير المسلمين يغمراسن بن زيان .

يكشى : أبا يعقوب . ورأيتُه ، وصحبته بفاس ، في حضرة ملوك بني مرين . وارْتَحَلْ إلى المشرقِ فَحِجْ وُقِفْ إلى المغرب . وقد تبرَّع (١) في العلوم حتى جاء نسيج وحده . فلما بلغ إلى جهة بسكرة (٢) من بلاد الزاب بآدمه من هنالك من الأعراب ، وقسَدُوا به ملكاً إلى بسكره ، فوقع بينه

(١) كذا فيها : بمعنى : برع .

(٢) بسكرة : ذكرها صاحب « الاستبصار في عجائب الأمصار : ١٧٣ » وتحدث عن مركزها الزراعي والحضاري وظهورها في مدن الزاب وقراه . ونقل ياقوت « في معجم البلدان » عن الحازمي أنها تضبط بكسر الباء والكاف ، وعن غيره بفتحها ؛ وقال : فيها نخل وشجر وقصب جيد .

وكانت بسكرة مركزاً رئيساً في دولة الموحدين ، ثم تنازعها الحفصيون ومتغلبون من بني زيان وبعض القبائل العربية المنتشرة . وحصلت في أيدي بني مزني مدداً من الزمن في القرنين السادس والسابع . وفي عهد أبي عنان المريني ظهر يوسف بن مزني الذي شايح المرينيين فعقد له أبو عنان على بسكرة عاصمة بلاد الزاب وما يلحق بها من بلاد ريفية وواركلي . قال ابن خلدون في تاريخه (٤١٢ : ٦) إنه قام بالأمر بعد يوسف ابنه أحمد « وهو لهذا العهد - وقت تأليف ابن خلدون كتابه - أمير على الزاب بمحل أبيه من إمارته » . وبسكرة اليوم من مدن القطر الجزائري ، ولا زالت تحتفظ بأهميتها الزراعية والتجارية .

الحربُ وبين أميرها أبي يعقوب يوسف بن مُزني^(١) . ثم قبض عليه وسيقَ لابن مُزني ، فعفا عنه ، وخلّى سبيله . ثم خرج بجبهة المدينة^(٢) على ابن عمه أمير المسلمين المتوكل على الله أبي حمو ملك تلمسان^(٣) ، وبُويع هناك . ثم تخلّى عن الأمر من غير منازع ، وقصد إلى ابن عمه أبي حمو المتوكل على الله فخيرَه^(٤) أن يقيم معه بتلمسان ، أو يعبر البحر إلى الأندلس ، فاختر الأندلس . فعبر البحر إليها ، واستقرت بقرنطة ؛ فأحسن نزوله ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد الخلوع . ثم عبر البحر إلى العُدوة فاستقر بحضرة ملوك بني مرين من فاس ، فأكرم مشواه أميرها أمير المسلمين أبو فارس عبد العزيز . ثم ارتحل عنها وقصد إلى جهة سجلماسة ، فبويع هناك ، وأقام أشهراً ملكاً ، وقتل رحمه الله .

[٣٢ / أ] حاله - رحمه الله تعالى - :

هو علم الأملاك ، وواسطة الأسلاك ، وإنسان عين المفاخر ، المتلفح من الدين بردائه الفاخر . قرأ العلوم ودرسها ، وشيّد الفضائل وأسسها . وحصل من علم الحدّثان على طائل . وحاز من الفصاحة ما أسكت به الأواخر والأوائل . وتحلّى في منصّة الجمال وحيداً ، وترفع في مراقي الكمال صنديداً .

أنشدني لنفسه - رحمه الله - :

رعى الله أيّاماً تقضتْ وحيّانها بأنس حبيبٍ كان أنسٍ مُحيّانها
وردّ ليالينا التي سلفتْ لنا وحيّى فؤاداً لا يملّ لذكرها

(١) راجع أخبار بني مزني في تاريخ ابن خلدون ٤٠٥/٦ - ٤١٢ .

(٢) المدينة : مدينة تقع الآن في القطر الجزائري .

(٣) أبو حمو سلطان الزيانيين ومعيد رسوم دولتهم - سبقت الإشارة إليه في أول هذا الباب .

(٤) هكذا فيها .

وحَيِّى الرُّبُوعَ الدَّارِساتِ بِفَقْدِ مَنْ
تَمَلَّكَ قَلْبِي وَالْحُشَّاشَةَ أَفْنَاهَا !

وَكَانَتْ لِيَالِنَا يُنَافِرُهَا الْكُرَى
فَعَادَ الْكُرَى مِنْ بَعْدِ ذَا يَتَلَفَاهَا

5 لِيَالٍ قَطَعْنَا الْوَصَلَ عَذْبًا بِقُرْبِهَا
فَوَاحَسَّرَتَا مَا لَانَ الْطَفَّ مَعَنَا

تَمَلَّكَ قَلْبِي قَلْبٌ هَيْفَاءُ إِذْ هَمَّ
بِتَذْكَارِهَا يَوْمًا ، دَعْتُهُ قَلْبِيَّاهَا

فَلَوْلَا مُحْيِيَّاهَا لَمَّا صِيرْتُ مُغْرَمًا
وَلَا صَارَ قَلْبِي - لِلصَّبَابَةِ - يِوَاهَا

وَلَا سَكَبْتُ عَيْنَايَ مِنْ بِي دَمُوعَهَا
وَلَا ذُقْتُ فَرْطَ الْحُبِّ وَالْوَجْدَ لَوْلَاهَا

فَقَدْ صَارَ قَلْبِي مُسْتَهَامًا بِحُبِّهَا
وَعَادَ فُؤَادِي وَالْهَامُ يَتَمَتَّاهَا

10 وَلَمَّا أَتَى حَادِي رِحَالِ نِيَاقِهَا
سَبَّابِي لَمَّا أَنْ حَادَا بِطَايَاهَا

سَرَّتْ حِينَ سَرَّتْ عَنْ فُؤَادِي هُمُومَهُ
وَأُودَى بِقَلْبِي شَوْقُهَا عِنْدَ مَسْرَاهَا

وَصَرْتُ حَزِينًا ذَا غَرَامٍ وَذَا ضَنْىً
أَسْأَلُ عَنْهَا رَتْدَهَا (١) وَخُرَامَاهَا

(١) في الأصاين : زندها .

فيا سائلي عن شرح حالي أما ترى
نحو لي وسقمي والذموعَ ومجراها
لقد خَطَّت الآماق من فوق وجنتي
سُطوراً فمن شاء الحقيقة يقرأها
فلا تُكثِّروا فيها الملامَ فإن لي
فؤاداً على طول النوى ليس ينساها !

صاحبنا الأخلص محمد بن الأمير أبي سرحان مسعود :

ابن أمير المؤمنين العادل بالله أبي تاشفين عبد الرحمن بن أمير المسلمين أبي
حمو موسى ابن أمير المسلمين عثمان بن أمير المسلمين يغمراسن بن زيان (*).

يكنى : أبا زيان . ورأيتُه ، وصحبته بفاس ، في حضرة الملوك من
بني مرين .

حاله : هو صاحبنا الصفي ، وخليفتنا الوفي ، المظهر لنا من الوداد
أطيبه ، والواهب من الاعتقاد أعذبه . الخالص صفاؤه من الأكدار ، الموفي
حقوق الصنحة بالابتدار . والذي نجم في المعالي فساد ، ولم يدنس درن الفساد .
كنت قد بعث له بأبيات من قولي ، طالباً منه أن يبعث لي بشعر أثبتته
في كتابنا : المنتخب من دُرر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك ، وهي :
قرت (*) بفضلك ألسن الأعداء

يا ابن الملوك ذوي التشقى الفضلاء

(*) ورد ذكر أبيه مسعود في جملة الذين قتلوا في حملة أبي الحسن المريني على تلمسان سنة

٦٣٥ ، حيث كان جده أبو عثمان عبد الرحمن هو الأمير ، صاحب دولتهم .

(١) قرئت في الأصلين .

انتَ الذي حُزَّتْ الشَّجَاعَةُ والنَّدَى
وَعُلاكَ أَرَبِيَّ فَوْقَ كُلِّ عَمَلَاءِ

أَبِشْرُهُ فَقَدْ لاحتْ طلائِعُ مَلِكِكُمْ
واهُناً بِمَمْلَكِ شامِخِ ، وبقاءِ

إنَ الإمارةَ لا تَقوتُكَ ، إنْها
تَأثِيكَ دُونَ تَوْقِفِ وَتَنامِ

أنتَ المرادُ بِها لَمَّا قد حُزَّتْ مِن
فَضْلِ وإِحسانِ وَحُسْنِ ثَنامِ

نَدْبٌ نَمَتَهُ مِنَ الخِلائِفِ عَصَبَتُهُ
أَكْرِمُ بِها مِنْ عَصَبَةِ خِزْمِ

شَهْمٌ إِذا ما الحَرْبُ شَبَّ ضِرامِها
يَمْشِي إِلِيا مِشِيَةَ الخَيْلاءِ

يُحْكِي إِذا ما لَاحَ نَورُ جِيبِنِها
شَمْسَ الضُّحَى والبَدْرَ فِي الظُّلْماءِ

راقَتُ مُحاسِنُهُ وطابَ ثَناؤُهُ
وهُوَ المَعْظَمُ فِي بَنِي العُظَماءِ

(٢٣ / أ)

كَمْ حازَ فِي يَوْمِ الوَعى مِنَ مَفْخَرِ
وَفَضِيلَةٍ جَلَّتْ عَنِ الإِحْصاءِ

يا ابن الأمير القرم مسعود الرضا
 وأخا السّماح وفارس الهيجاء (١)
 ابعث إليّ قريضك الحلوّ الذي
 حاكى رياض الحزن غيب سماء (٢)
 واعلم بأذني فيك ذو وجدٍ لما
 بيني وبينك من لزوم إخاء
 أنت الحبيب المخلص الغدّ الذي
 برعى المودة في بني الأمراء
 فرياض ودي نخبه جنباته
 وجميل عهدي مشرق الأرجاء
 خذها أبا زيان ميني قطعة
 غراء ذات طلاوة وبهاء
 وعليك مني ما حيت مجدداً
 أركى التحية خصصت ببناء

فجاوبني بقوله :

الله ما بلغت في الإطراء
 فآتحتنا بالمدح نظماً حاز من
 مالي يدان بشكر تلك أيدياً
 وبشئت من ودي وطيب ثناء (٣)
 حُسن حواه كواكب الجوزاء
 يا مُسدي التعمى لغير جزاء

(١) القرم : السيد .

(٢) في القاموس : الحزن ما غلظ من الأرض ، وموضع فيه رياض وقيعان .

(٣) فيها : بلغت بالتضعيف . قلت والأقرب أن تكون : بالفت .

أنتَ الحبيبُ المحضُ أنتَ أخو النشدي

أنتَ الأميرُ ووارثُ الأمرِ

ملك سواك أحقُّ بالحمراءِ ! (١)

ولتقطعنَّ أزاهيرَ العلياءِ (٢)

تبعاً إلى الأجدادِ والآباءِ

كفلاً بذكراكم مدى الآناءِ

أم زهُرُ أفقٍ لُحْنٍ في الظلماءِ

في جيد باهرةِ السنا غيماءِ

وبليغتهُ (٣) المزري على البلغاءِ

ولكم بهِ حوز السباقِ النَّائي؟

أنت الذي ما تحت خضراءِ السَّما

فلتَسْمُ إسماعيلُ ذروة نيقها

ولتقعدنَّ على مراتبِ مُلكيها

أبا الوليدِ نداءً مشغوفٍ بكم

ماذا بعثتَ لنا؟ أزهرُ يانِعُ

أم لؤلؤ رطبٍ تناسقَ نظْمه

أم ذلكم حُرُّ الكلامِ وعذْبُه

من ذاكِ يجاريكم لدى ميدانه

[٣٣ / ب]

أَنْ تُقْرَنَ الأَنْعَامُ بالشِعْرَاءِ ؟

ياذا المَحيَا السَّمْحِ والإغْضَاءِ

سَقَطَ التَّكْلِيفُ، شَرَعَةَ الفِضْلَامِ

واخْفَضَ جَنَاحَ مَذَلَّةِ الرِّحْمَاءِ

أيصحُّ عند ذوي البصائرِ والنَّهْيِ

عذراً فمُلكَ مَنْ تَسَامَحَ مُغْضِيَا

وإذا تحَقَّقَتِ المودَّةُ من أَخٍ

فانظُرْ بعينِ رضاك عيبَ نظاميه

واكتبه ، بل فاكتسبتهُ خيفةُ حاسدِ

لي أَنْ أَرَى في جُمْلَةِ الشِعْرَاءِ !

★ ★ ★

(١) يتقارض الأميران النصري والعمد الوادي الثناء ، ويتبادلان التمنيات الطيبات . وليس من شك في أن ابن الأحمر - صاحب الكتاب - لم يخطر له أن يتقلد أمور الحمراء على أي وجه ، وإنما هو الشعر وخواطره .

(٢) النيق - بالكسر - أرفع موضع في الجبل ج نياق وأنياق ونيوق .

(٣) فيها وبلغية « وهو تصحيف » .

الباب السادس

في شعر ملوك بني العزفي وأبنائهم *

(*) بنو العزفي أسرة مشهورة من أعيان مدينة سبته وعلماءها والمستقلين بها . وهم ينتمون إلى لحم في اليمن . وأول من كان له شأن في السلطنة منهم أبو القاسم محمد بن أبي العباس أحمد . وكان أبو القاسم في زمانه - كما قال ابن خلدون - كبير المشيخة بسبته ، وعقد له المرتضى الموحيدي على سبته ينفرد بحكمها في خبر طويل سنة ٦٤٧ هـ . وبقيت المدينة تحت نظر آل العزفي إلى أن احتلها أبو سعيد فرج صاحب المقة ، من بني الأحمر ، ونقل بني العزفي إلى غرناطة ، وضم سبته إلى دولة بني الأحمر . وكان احتلالها في جملة لواحق المنافسة والخلاف بين بني مرين وبني الأحمر ، وكان العزفيون قد دخلوا في طاعة يعقوب المنصور المريني ، وأخذت منهم سبته في زمن خليفته يوسف . وعاد العزفيون إلى المغرب بعد انتهاء الخلافات المرينية الغرناطية ، وعقد أبو سعيد المريني لأبي زكريا يحيى بن أبي طالب عبد الله العزفي - حفيد أبي القاسم - على سبته ، وبقيت في طاعته حتى توفي في خبر متمعب . وخلفه ابنه محمد الذي لم تدب دولته طويلاً ، وأنتهت مكانة أسرته السياسية على يده .

وقد انتشر بنو العزفي في فاس على الخصوص ، وسبته وغرناطة ، وبقي لهم ذكر وصيت في علوم الشريعة واللسان وغيرها .

(راجع ابن خلدون ج ٧ والاستقصا للتاصري ج ٣) .

الأمير محمد بن الأمير يحيى :

ابن الأمير أبي طالب عبد الله بن الأمير أبي القاسم محمد بن الفقيه القاضي الإمام المجتهد أبي العباس أحمد بن القاضي الخطيب محمد اللخمي العزفي* .

يُكنى : أبا القاسم ؛ وأدركته ، ورأيتُه بفاس في حَضْرَةِ المُلوك من بني مَرِّين وهو ملك مدينة سبتة ، وابن ملوكها .

حاله - رحمه الله - :

نال إمارة قومه بسبته ، أشهراً ستة . وقام عليه أحد بني عمِّه ، فخلعه عن ملكه وحكِّيه ، فاستقرَّ ببلادنا الأندلسية ، في كنف دولتنا الأحرية النصرية . فنال بها جاهاً مكيناً عند أمير المسلمين إسماعيل (١) عمِّ أبينا . ثم قوَّض عن الأندلس الرِّحال . واستقرَّ بالعدوة ، ولم يكن له عنها انتقال إلى أن أتتهُ بها المنيَّة فألقت عليه رداها ، وانصرمت أيامه وسقتهُ رداها . وكان في الآداب يمتاً لا يُسبح ؛ بنظم القصائد التي هي أصبح من الخرائد وأملح . [٣٤ / أ] مع قوَّة نفس في استخراج مُعتميات الأدب ، ومعرفة بالتأريخ ، ومشاركة في فنون شتى من الطلب .

أنشدني لنفسه ، طالباً من بعض الأعلام الرُّبَّ بالراء المهمة :

قُلْ* لأبي يحيى لنا حاجةٌ	بالرُّبِّ من صنعةِ أربابهِ
فابعثه لي صرفاً بلا نقطة	تكن أتيتَ الفضلَ من بابهِ
ودعه إن كانت به نقطةٌ	فأنت للحاجةِ أولى بهِ

(*) هو آخر من حكم مدينة سبتة من بني العزفي . تولى السلطة بعد أبيه أبي زكريا يحيى ولكنه « لم يستقم له حال » كما قال فيه الأستاذ كنون في أثناء ترجمته عمه أبي العباس فأخره السلطان أبو سعيد ، وكان ذلك نهايةِ رئاسة بني العزفي بسبتة (تاريخ ابن خلدون - أبو العباس العزفي للأستاذ عبد الله كنون) .

(١) الأمير النصري إسماعيل بن فرج ، حكم غرناطة ما بين ٧١٣ - ٧٢٥ .

وأشدني أيضاً لنفسه يخاطب... (١) :

يا ماجيداً ما جئتُه في حاجةٍ
ومؤملاً مهبها شكوتُ بواقعٍ
إلا وكانَ له الكريمَ المُفضيلاً
داوى ولو ألقاهُ داءٌ مُعضيلاً

وأشدني أيضاً لنفسه ، يداعب :

باللهِ خبّرني وكنْ صادقاً
أو كنتَ أيضاً عاجزاً قاصراً
هل نيلتَ شيئاً ليلةَ البارحةِ
ولم تقمُ منك لها جارحةُ
وحالةُ المرءِ بيلاً حيلةُ
لنيستَ لعمري حالةٌ صالحه!

ابنه صاحبنا محمد - سلمه الله - :

يكنى : أبا يحيى ، ورأيتُه ، وصحبته بفاس ، في حضرة ملوك
بني مَرين (*) .

حاله : ظهر بمفخره الإماري على الظُّهراء ، وسما بمحتدِه العرَبِي على
النظراء ، وساد بشر فيه العلمي في بني الأمراء ، وله هممة عالية ، ونفس عن
حبة الفخر غير آبية .

أشدني لنفسه يدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز بن أمير المسلمين
أبي الحسن علي بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف
يعقوب بن عبد الحق بمدينة [٣٤ / ب] تلمسان ، حين دخلها أمير المسلمين
أبو فارس عبد العزيز مالكا لها ، وفرّ أمامه منها أمير المسلمين المتوكل على

(١) فراغ في الأصلين .

(*) هو أبو يحيى محمد بن أبي القاسم محمد بن بن أبي زكريا يحيى .

الله أبو حمّو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن أمير المسلمين
يغمراسن بن زيان إلى الصحراء (١) :

حنّ المشوقُ إلى ديارِ أحبّتيه° فسقى الثرى شوقاً لذاك بدمعته
واهتاجه° وجداً هُبوبُ نسيمها لمّا سرى يهديه طيبَ تحيته (٢)
وشجاه تذكّر العقيقِ وبانه وعهود تأنيس بظل أثليته (٣)
لله منّا طيبٌ عيشٍ قد مضى ياليتَ لو سمحَ الزمانُ بعودته°
فلكم بلغتُ من السرور به منى° ولكم نعمتُ بطيبه° وبلدته°
معَ جيرةٍ بانوا وما تَرَ كوا سيوى

قلبٍ لفرطِ الشوقِ هامَ بسكرتيه

لم يودعوا يوم الوداع سيوى البكا
فيه وصلتُ نهاره° معَ ليلته°

أترى الزمانَ يجودُ لي بوصولِ مين°

أهوى فأحسبه له° مين° نعمته°

أو مين° سبيلِ اللورودِ بززم°

كي° ينقعَ الصّادي لواعيجَ غلّته°

أو من° سبيلِ للحلولِ بطيبته°

يقضي بها المشتاقُ أقصى مُنيته°

حيثُ النبي° الهاشمي محمد° أسنى عبادِ الله خير بريته°

اختاره الله العظيم° وخصه° في الأنبياء بعزه° وبحظوته°

(١) انظر تفاصيل هذا الخبر في تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٢ - ١٣٥ .

(٢) في الأصلين : واهتازه (بالزاي بدل الجيم) .

(٣) الأثيلة تصغير : الأثلة ، واحدة الأثل .

وحبناه بالقرآنِ أعظم آيةٍ رفعَ الشكوكَ يقينه عن ميلته
 والبدرُ شقَّ إليه لما أنْ بدأ والأينكُ جاءت في المقامِ لدعوتيه
 والجذعُ حنَّ إليه شوقاً بعد أنْ قد ناله ما ناله منْ فرقتيه
 وكذاك سكتن روع ظبي عندما وافي إليه مُفصِحاً بشكيتيه
 وأبادَ مُلكَ الفرسِ صادقٌ وعده فأذلَّ كسرى وهو فسوقُ أسيرته

[٣٥ / أ]

والنارَ أخذها الإلهُ لبعثه فأزاح من زيعِ الضلالِ وشبهتته
 هذا هو الفضلُ العظيمُ تمَنَّ يَلُذُّ
 يجنابيه نال المفازَ يجنتته
 ياربَّ عفوك عنْ عبيدٍ مُذنبٍ
 يرجوك تغفر ما قضى من زلتته
 فارحمْ لديك خضوعه وأنيله ما
 يرجوه من سر^(١) المنزار ودعوتيه
 بقمِ خيرِ الخلقِ هادهمْ إلى
 طرقِ الرِّشادِ بفرضيه وبسنتيه
 فبجاهيه نرجو المفازَ غداً إذا
 أضحى المُسيءُ هناك رهنَ خطيئته
 صلتى عليه الله ما هبت صبا
 أو ما تغنى ساجعاً في أيكته
 وأمدَّ بالنصرِ العزيزِ إمامنا
 عبدَ العزيزِ المُرتضى منْ أمته
 ملكِ حمى دينِ الهدى سلطانه
 وأذلَّ دينَ الكفرِ قاهرُ عزته

(١) كلمة (سر) أقرب ما يقرأ في الأصلين .

فهو الكريمُ الماجِدُ الشهم الذي تَعَسُّو الملوِكُ له مخافةَ سَطْوَتِهِ °
 قد حازَ أمرَ الملكِ عن آبائِهِ وهو الكفيلُ له ببرِ عَيِّ أذِمَّتِهِ °
 ماشئتَ من خُلُقٍ كأزهارِ الرُّبا إذ جادَها صوبُ الغمامِ بِيَدِيَمَتِهِ °
 تبدو عليه من أبيه شمائلُ في بذلِ نِعَمَاهُ ، وعاليِ هِمَّتِهِ °
 (١) للعطاء لِرِفْدِهِ لله منك ، مؤيِّدِ في دولتِهِ °
 حكمتُ سعودك بالثدي أمئنت من تهيد هذا القطر أو مِن هُدُنَتِهِ °
 والأعورُ الأشقى إليك يُساقُ كي يُسقى بكأسِ حَمَامِهِ وَمَنِيَّتِهِ ° (٢)

إنْ كانَ للصحراءِ وجَّهَ وجَّهَهُ °

لا بَارِكَ اللهُ لَهُ فِي وجَّهَتِهِ °

الأمرُ أمرُكَ لا يُخالفُ حِكْمَهُ °

والقطرُ قطركِ قد دَعَاكَ لِنُصْرَتِهِ °

مولاي يا عبدَ العزيزِ ومَن غَدَا

بذلِ التَّدَى بينِ الرُّوَى مِن شِيَمَتِهِ °

[٢٥ / ب] وَاوَاكُ مِيلَادُ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ

بِزِيَارَةِ أَكْسَرِيمٍ بِهِ وَبِزَوْرَتِيهِ °

فَاخْلُدْ وَدُمُ مَا أَصْبَحَتْ أَمْدَا حُهُ

يسري لها حادي الرِّكَابِ [] (٣)

مارنِئِمَتُ فُوقِ الغُصُونِ حَمَامَةٌ ° أَوْ حَنُّ مُسْتَأَقٍ .. لَذَكَرْتَهُ (٤)

(١) بياض في الأصلين .

(٢) قال ابن الأحرر في صفة أبي حمو (روضة السريرين : ٥٥) إنه كان أبيض ، وفي عينه

اليمنى نكتة بياض . ولعل هذا هو ما ينبزه به الشاعر هنا .

(٣) لم يتم البيت في الأصلين .

(٤) هكذا ورد البيت وفيه سقط كلمة .

الباب السابع

فيما بلغنا من شعر كتاب قومي بني الأحمر ملوك الأندلس

ذو الوزارتين(*) الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى (١)

علي بن محمد بن سليمان بن الجيَّاب الانصاري :

يكسَى : أبا الحسن ، وأدركته ، وهو من أهل غرناطة من صدور أعيانها

(*) أبو الحسن علي بن محمد بن الجيَّاب كاتب ، وشاعر ، من أشهر كتاب الدولة النصرية (٦٧٣ - ٧٤٩) خدم عدداً من أمراء الدولة النصرية فكتب لهم وترقى في المناصب وحاز من الثقة حتى صار رئيس كتاب الحضرة . وكان شيخ طلبة الأندلس في زمانه رواية وتحقيقاً ومشاركة في كثير من العلوم والفنون ، ووصف بأنه كان قائماً على العربية إماماً في الفرائض والحساب عارفاً بالقراءات متبحراً في الأدب والتاريخ مشاركاً في التصوف . وعليه تتلمذ لسان الدين بن الخطيب وزير الأندلس وكتبها بعده .

له ديوان شعر محفوظ في دار الكتب المصرية ، وفيه ما يدل على أنه عن أصل الديوان الذي قال لسان الدين إنه صنعه ، كقوله : « وقال (ابن الجيَّاب) يجاوبني عن قصيدة في الروي » الورقة ٦٤ منه ، وذكر لسان الدين القصيدتين في كتابه « الكتيبة الكامنة »

١٨٨-١٨٥ .

(ترجمته في : نثر فرائد الجمال : ٢٣٩ ، والكتيبة الكامنة : ١٨٣ ، والديباج المذهب : ٢٠٧ ونيل الابتهاج : ٤٠٢ ، ودرة الحجال : ٢ : ٤٣٥ ونفح الطيب : ٤٣٦) .

(١) صاحب القلم الأعلى لقب لكاتب علامة السلطان النصرى (راجع مستودع العلامة) .

وكتب في الحضرة النصرانية لستة من ملوكنا ، وقد لده الوزارة السلطان أبو الحججاج يوسف ابن عم أبينا مضافة إلى رياسة الكسّاب .

حاله - رحمه الله - : كان قد امتطى من ديوان الإنشاء جواداً تقدّم به مجلسياً ، وغدا كل منتهم لهذه الطريقة له مصلحياً . وطلع في سبأ الإحسان غيثاً ، وبرز في ميدان العلوم ليناً . وفي تصريف الأفعال يُنسيك سيبويه ، وفي علم اللشعة يعفي أثر ابن درستويه ، وفي الصنعة البديعية والبيانية يزري بابن سبأك ، وينسي مآثر ابن سبأك . وشعره وسط ، وفهمه مرتبط ، وهو عارف بأيام العرب ووقائعها ، محصل لما أثرها وبدائعها .

فمن قوله - رحمه الله - يمدح أمير المسلمين الغالب بالله ، الناصر لدين الله أبا عبد الله محمد الخلوع^(١) ابن جدنا أمير المسلمين أبي عبد الله محمد الفقيه ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله محمد صاحب الدبوس ابن جدنا الأمير أبي الحججاج يوسف الشهر بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي^(٢) :

زارت تجرّر نخوةً أذياها هيات تخلط بالنفار دلالها^(٣)
والشمس من حسدٍ لها مصفرة إذ قصرت عن أن تكون مثلها^(٤)

(١) هو الأمير الغالب بالله محمد بن محمد بن محمد ، الملقب بالخلوع ، ثالث ملوكهم . ولي الإمارة سنة ٧٠٩ ، وخلعه السلطان نصر سنة ٧٠٨ . (اللمحة البدرية : ٤٧) .

(٢) ذهب جزء من مطلع القصيدة في الديوان ، وبقيتها فيه (الورقة ٦٩ ، ٧٠) . والقصيدة في نثر فرائد الجمان ٢٤٠ ، ونفع الطيب ٥ : ٤٣٦ وفي روايات القصيدة اختلافات طفيفة . وقدم المقرئ للقصيدة بقوله « وقال يمدح ويصف مصنعا سلطانيا » .

(٣) في النفع : بنخوة .

(٤) في النفع : فالشمس .

وافتنك تجزج لينا بقساوة
 كم رمت كم مزارها لكته
 تركت على الأرجاء عند مسيرها
 ما واصلتك محبةً وتفضلاً
 لكن توقعت السلوة فجددت
 فوحبها قسماً يحق برور
 حسنت نظم الشعر في أوصافها
 يا حسن ليلة وصلها ما ضرها
 لما سكرت بريقها وجفونها
 هذا الربيع أذاك ينشر حسنه
 واخلع عذارك في البطالة جامعاً
 في جنة تجلو محاسنها كما
 شكرت أيادي للحيا شكر الوزي

شرف الملوك مهماتها مفضالها

وصيمها أصلاً وفرعاً، خيرها
 الطاهر الأعلى الأمين المرتضى
 حاز المعالي كبراً عن كبير
 ذاتاً وخلقاً، سمحاً، بذالها
 بحر المكارم غيبتها سلسالها
 وجري لغايات الكرام قنالها

[٣٦ / ب]

إن تلقه في يوم بذل هباته
 تلق الغمام (٢) أرسلت هطالها

(١) في نثر الفرائد والنفع : * إذ قبحت لك في الهوى أفعالها .

(٢) في النسختين الغمام . والصواب من النفع .

(١) أو تَلَقَّهُ في يوم حرب عداته
 ملك إذا ما صال يوماً صَوْلَةً
 فبَسِيْبِهِ وبسيفه نيلُ المنى
 الواهبُ الآلافِ قبلَ سؤاها
 إن قلتَ : بجرُّ كفه ، قصرتِ إذْ
 ملأُ البسيطة عدلُهُ وأمانُهُ
 وسقى البريةَ فيضُ كفيهِ فقد
 جمع العلومَ عنايةً بِفَنونِها (٢)
 منقولها ، معقولها ، وأصولها
 فإذا عفاتك عاينوك تهللوا
 وإذا عداتك أبصروك تيقنوا
 بددتْ شملهمُ ببيضِ صوارمِ
 واجتَ أرضهمُ فأصبحَ أهلُها
 فتحت إمارتُك السعيدةُ للورى
 وبنتْ مصانعَ رائقاتِ ذكُرت
 وأجلتها قدراً وأرفعها مدى

(١) من هنا يبدأ الموجود من القصيدة في الديوان ، فإن ورقة واحدة منه — على الأقل — سقطت من حرف اللام .

(٢) في الديوان ونثر الفرائد « بفنونها » وفي النسخ : بعيونها .

(٣) في الديوان ونثر الفرائد : جزراً ، وفي النسخ خوراً .

هو جنة فيها الأميرُ مُخَلَّدٌ
 ولأرضِ أندلسٍ مفاخِرُ أنثُمُ
 فمحييتُمُ أُرْجاءُها وكفيتُمُ
 فبآلِ نصرٍ فاخرتِ لأغبرِهمُ
 بمحمَّدٍ ومحمَّدٍ ومحمَّدٍ
 ففهمُ الألى ركبوا لكتلِ عظيمةِ
 وهم الألى فتحوا لكلِّ ملَّةِ
 (١) متقلِّدون من السيوفِ عِضاً بها

بلغتْ إمارتُه بهِ آمالها
 أربابُها أضفيَتُمُ سيربألها
 أعداءها ، وهديتُمُ ضلَّالها
 لم تعتمد من قبلهم أقبألها
 قصرت على الحِصمِ الألدِّ نِصألها
 جرُداً كُسيينَ من النجيجِ جِلالها
 باباً أزاح بفتحهِ إشكالها
 متأبطون من الرماحِ طوالها*

(١) بقي من القصيدة في الديوان - والنفح - أربعة أبيات .

(*) كان منهاج المؤلف يقتضي أن يترجم هنا للوزير الخطير أبي عبد الله محمد بن الخطيب الشهير بلسان الدين بعد ترجمة شيخه وسلفه أبي الحسن بن الجياب . وقد بقي في المخطوطتين من نثير الجمان فراغ في آخر ترجمة ابن الجياب . وتجسد بعد ذلك صفحة ونصف الصفحة لأشعار عباسية اختارها المؤلف أو غيره مقطوعة عن غرض الكتاب ثم يأتي الباب الثامن . ويحمل القول أن ترجمة لسان الدين لم ترد . ويظهر أن السبب في ذلك هو أن المؤلف صنف كتابه هذا في حدود ٧٧٥-٧٧٦ (راجع تفاصيل ذلك في نثير فرائد الجمان ١٠٥-١٠٦) وهي المدة التي كان فيها المؤلف ناقماً على لسان الدين ، الذي كان قد غادر الأندلس مزوراً عن أمير غرناطة الغني بالله منذ ٧٧٣ في خبر طويل . ويبدو أن المؤلف لم يترجم لسان الدين منتظراً انتهاء الخلاف ، فالغني بالله ابن عم للمؤلف المتعصب لأسرته الإمارية . ولقد انتهى الخلاف بعد ذلك بوفاة لسان الدين على أيدي جماعة الغني بالله ووفده إلى فاس . وما ندري أعاد المؤلف إلى كتابه فأضاف إليه ترجمة لابن الخطيب أم أرسل كتابه هذا ناقصاً ، كما هو الحال مع النسختين اللتين وصلتا إلينا منه .

ولسان الدين بن الخطيب هو من أسرة شهيرة في غرناطة ، وأصلهم من مدينة لوشة القريبة من غرناطة . ولد سنة ٧١٣ ، وانتظم - بعد أن اشتد عوده - في جملة الكتاب =
 نثير الجمان - ٩

في ديوان بني نصر بغرناطة، وأعجب به شيخه ورئيسه ابن الجياب، ومهد له. ولما توفي ابن الجياب في طاعون سنة ٧٤٩ قدم الأمير النصري يوسف، لسان الدين بن الخطيب على كتابه. وما لبث أن ترقى في المناصب وحاز الثقة. فلما تولى محمد بن يوسف (محمد الخامس، الغني بالله) أمور غرناطة استأثر بلسان الدين وقربه وقلده المهم من أموره. فالتخذ رسوم الوزارة ورئاسة الكتاب والسفارة، وما يليق به على رضى الأمير ورغبته. ولما وقع الانقلاب على الغني بالله سنة ٧٦١ لحق به لسان الدين إلى المغرب، وعاد معه ٧٦٣ بعد استرداد ملكه، وبقي معه أثيراً إلى أن أحس من مخدومه تغيراً، فلعجاً إلى المغرب ٧٧٣، وكان الملك المريني ووزراؤه من أنصار لسان الدين. ولما تبدل السلطان المريني الملقب بالسعيد وجاء أبو العباس أحمد المستنصر - وكان من صنائع الغني بالله - جاء وفد غرناطي فيه ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب وخلفه، وانتهى ابن الخطيب إلى السجن، ثم قتل فيه صبراً. رحمه الله.

انظر في ترجمته: نثر فرائد الجمان ٢٤٢، والدرر الكامنة ٣: ٦٩، والتعريف بابن خلدون ٨٥ - ٩٢ أما نفع الطيب للمقري فقد ألفه أساساً للترجمة لسان الدين ثم اتسع الكتاب (راجع مقدمة المؤلف ج ١)؛ وكتاب الأستاذ محمد عبد الله عنان عن لسان الدين (ط الحانجي). وانظر فيه ثبت مؤلفاته؛ وبروكلمان (تاريخ الأدب العربي ٢:

الباب الثامن

فيما بلغنا من شعروزيار قومي بني الأحمر
من بني نصر ملوك الأندلس

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى

أحمد بن إبراهيم بن صفوان (*) :

يكنى : أبا جعفر ، ويُدْعَرُ بابن صفوان ، وهو من أهل مالقة ؛ وأدركته ، وكتب في الحضرة السلطانية لجدنا أمير المسلمين أبي عبد الله محمد الفقيه ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله [محمد] صاحب الدبوس ، ابن

(*) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان من أهل مالقة ويعرف بابن صفوان (٦٧٥ - ٧٦٣) وصفه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة فقال إنه صدر من صدور كتاب دولة غرناطة وشيوخ طلبتها ؛ ناظم ، نائر ، ثاقب الذهن ، قوي الإدراك ، إمام الفرائض والحساب والأدب والتوثيق ، ذاكر للتاريخ واللغة ، مشارك في الفلسفة والتصوف ، كثير النظر والتقييد والتصنيف . ومن كتبه ؛ مطلع الأنوار الإلهية ، وبغية المستفيد . وقد جمع ابن الخطيب ديوان شعره سنة ٧٤٤ أيام إقامته بمالقة (بلد المترجم به) مع الركب السلطاني الذي خرج لإنقاذ الجزيرة الخضراء ، وسماه : الدرر الفاخرة واللحج الزاخرة .

(انظر الإحاطة ١ : ١٠٠ ، والكتيبة الكامنة ٢١٦ ، ونفح الطيب ٦ : ٣٩)

جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

وكتب أيضاً لعم أبنينا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا [٣٨ / ب] الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، ابن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف (الشهير) بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

وقلده علامته ، ورياسة كتابه حين بويع بمالقة ، وبعض أشهر بفرناطة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

له في التصوف قدم راسخة (١) ، وفي أحكام النجوم آية ناسخة . وبرع في الحساب وإحكامه ، وأصاب في الفقه وأحكامه . ولا مبرية في أنه أبرع ممن أصاب في التعاليم وعلمها ، وخط في ألواح الإجابة قلمها . والأدب نقطة من بجره الزاخر ، وزهرة من أزهار روضه الناضر .

فمن قوله يعارض قصيدة الإمام الصوفي أبي القاسم عمر بن الفارض (٢) الفائبة (٣) :

(١) قال ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة في ترجمته لابن صفوان « وله بالمقاصد الصوفية كلف وبالأقوال الشهيرة بها زلف » .

(٢) عمر بن علي ، الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة (٥٧٦ - ٦٣٢) أبو القاسم ، وأبو حفص من شعراء الصوفية المدودين ، قال الذهبي « كان سيد شعراء عصره » ولابن الفارض ديوان مطبوع .

(٣) ومطلعها (الديوان : ١٠٦) :

قلبي يحدثني بأنك متلفي
روحني فذاك عرفت أم لم تعرف !

بهباء عزك عند ذلّة مَوْقِفِي
أخفاهُ إخفاء الغرامِ فسَخِصَهُ
ما إن لغمضِ جفونه مِن زورةٍ
أيزورُ جفني غَمَضُهُ من بعد ما
والنومُ في حكمِ الهوى ما انفكُ مذ
يَسْفي الحبين الخيالُ إذا سَرَى
ويروهم عذالهم ويذكر مَنْ
فأعِدْ حديثك عاذلي واقترع به
سَمعي وصرحْ باسمِ حبي واهتفِ
فَسَماعِ ذِكْرِ أَحَبِّتي لي مُبْهِجٌ
وبه من الشوقِ المبرحِ أَشْتَفِي

[٣٩ / أ]

10 (معني) (١) الحبيب بسرّ ذاتي قائم
والعدل يُبدي ما يسرّي قد خفي

لو كان يَعْلَمُ عاذلي قدرِ الهوى
وبنّ كلفتُ لقال لي: اعشوقْ واكلفِ!
كلّ المحاسنِ لائحٌ في وجهِ مَنْ
أضحى بهِ شَغْفِي ، وكلّ العشقِ في !
لهَواي أربابُ الهوى قد سَلَمُوا
ولِحسَنِهِ تَعَدُّو البُدورُ وتَخْتَفِي
فاشرحْ غريباً جِمالِهِ ومَحَبَّتِي
وانشُرْ حُلِي ذاكَ الغريبِ وصنّفِ

(١) لم تظهر الكلمة في « ط » وظهر شطر الكلمة الآخر في « م » .

15 وقفَ الهوى بالعاشقين مواقفاً
أدركتُ من سرِّ الهوى ما لم يُرَمِّ
فأنا الحبَّ حقيقةً والحبُّ لي
يا مُلبِسي خلعَ الضئنا أهلاً بما
بتجردي عمتا سواك رفلتُ في
20 وبِمَحْوٍ ما خطتهُ أقلامُ المنى
وامسأ لأوقات التَّداني ، حقَّ يا عيني لِفقد رطيبها أن تَدُرني (١)
أمسيتُ من ليلِ القَطِيعَةِ في دُجى
في وحشةِ الإعراضِ حالَ تصبّري
وحنينِ نفسي للرسومِ أعلّني
فَمَقَى إلى الإقبالِ يَجْنَحُ مُعْرِضٌ
25 واحسرتَ أو لى سُدَى عمري وما
طُفِئتُ لأربابِ الهوى نارُ الهوى
وشفى التنعّمُ بالوِصالِ ضنّاهم
وعلى ضنّايَ فلا سلّبتُ شحُوبَ ما
بي من ضنّي ، لبسي حُلّاه مُسرتي

[٣٩ / ب]

30 لا أبغني بشعاره بدلاً ولا
وليتُ قلبي شطر مَنْ أَحَبَّيْتَهُ
فإليه قَصَصدي حيثُ كنتُ وقبلي
وتوجّهي ، ما عنه لي مِنْ مَصْرُفِ

(١) في النسختين : تَدُر . (٢) واقراً : واحسرتي .

كيف انصيرافي عن هوى من لو بدا
للشمس قيل لها: اضجعتي واختفي!
ملكنته نفسي وروحي والمنى

والسر والنجوى ، ولست بمسرف

35 وإذا الحب صفت موارد حبه

أ أهيل ودتي والدين بأني

أنتم أحبائي وغاية مقصدي

وعلى محبتكم فطرت وإنني

ووحشكم قسما أوكدته وما

40 لرضاكم أشهى إلي وإن ذأى

ولعطفكم من كل ما ظفرت به

ولقد أجبت الفكر فيما أرتجي

وتحرتي بلبب نار جوانحي

وتجرعي غصص الدموع الذرف

وحنوا أضلاعي على قلب شج

45 فعلت أني حال إقدامي على

مالي سوى فقري لاكم وغيناكم

يرجوك حال الخوف تقنطه فيا

فلئن عطفتم فالتعطف شيمة

ولئن طردتم من أبيتهم قرينة

[٤٠ / أ]

50 أرضى لنفسي ما رضيتكم لي به

ومن الذي استكفي الثقات فما كفي؟

إني ليجودكم عليّ لوائق^١ وجميلُ ظنّتي فيه ليسَ بِمُخْلِيفِ
ولئن سموتُ لما رجوتُ من المنيّ مُستنزلاً غيثَ الرضا بتناطفِ
فأحقّ من رُمّت استمالَةَ عطفِـه بيخضوع مضطريّ وذليّة مُعتفِ
ذو قدرةٍ مترفعٍ بكماله وجلاله عن قدركَ المُستضعفِ
ولئن غنّدا حتمًا على العُشّاق في

55

شَرع الهوى تَلَفُ العَميدِ المُدَنَفِ
فلقد تلفتُ وعِفتُ قولَ مُسَوِّفِ
« نَفسي تُحدّثني بأنّك مُتَلِفي !

وله أيضًا في التورية (١) :

كففتُ عن الوصالِ طويلاً شوقي إليكِ وانتِ للروحِ الخليلِ
و« كفتك » للطويلِ فدَتَكَ نَفسي قبيحٌ ليسَ يَرُضاهُ « الخليلُ » !

وله أيضًا في التورية بالعروض :

يا كاملاً شوقي إليه وافرٌ وبسيطُ خدّي في هواه عزيزُ
عاملتُ أسبابي لديكِ « بقطعها » والقطع في « الأسباب » ليس يجوزُ

وله أيضًا في العذار :

ولما ثنّاني عن هوى مَنْ أحبّه عِذارُ بدأ في الحَدِّ أسودُ فاحمِ
لحائي على هِجرانهِ بعمدِ وصلِـه

ومن سحرِ عينيهِ لما شدتُ هاجمِ (٢)

(١) التورية ببعض ألقاب العروض .

(٢) في الأصلين : هاجم . ولعله : هادم .

وقلت له والحق أبلج واضح
 إلى ضوءه الملتاح يعشوا المخاصم
 أيا عبد شمس من نحيآك أشرقت
 ثناني سواد من عذارك فاحم
 ومن قبل ما أخفى ظهور السواد من
 إلى عبد شمس ينتمي وهو راغم!

الفييه الخطيب القاضي الكاتب صاحب القلم الأعلى :
 عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي (*) :

يكنى : أبا محمد ، وأدركته ؛ ومسقط رأسه مدينة وادي آش . وهو
 من كبار صدور أعيان الأندلس ، وبيته بيت القضاة والعلماء والخطباء .
 وهو من ولد الإمام العالم المجتهد ابن عطية المفسر لكتاب الله عز وجل ؛
 وكفاه شرفاً هذا الجد^(١) .

وولي ببلده وادي آش (٢) الخطابة والقضاء ، ثم قدم على الحضرة

(*) ذكره لسان الدين في الإحاطة ٢ : ٥ ، وفي اللمحة البدرية : ١٠٣ و ١٠٦ .
 وترجم له في الكتيبة السامنة : ٢٦٩ . وقال في اللمحة البدرية إنه استخدم في الكتابة
 ابن عطية المترجم به فأحمد عمله « لحل الكل والصبر على الخدمة » . وقال في الكتيبة
 إنه اشتغل بعد ذلك بالقضاء . ووصف شعره وشاعريته فيها بقوله : « شعره سهل على المعاني
 مؤثر لحظوظ الألفاظ على حظوظ المعاني » .

(١) هو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (٤٨١-٤٦٦ هـ) وله التفسير
 المشهور « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » وهو يطبع في الرباط بالمغرب .

(٢) وادي آش : مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة ، ينحط نهرها من جبل شلاير
 (جبل الثلج) . وبينها وبين مدينة غرناطة أربعون ميلاً .

السلطانية النصرية الأخرية بفرناطة ، فكتب بها ورأس كتابها مع ذي
الوزارتين الفقيه الحاجب القائد الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي عبد الله محمد بن
عبد الله الخطيب السلمي ، في دولة أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد بن
أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، عم أبنينا
ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج .

فلسنا ولي الملك ابن عمنا أمير المسلمين الغالب بالله المتوكل على الله أبو عبد
الله محمد بن أخي أبنينا الرئيس أبي الوليد إسماعيل ابن جدنا أمير المسلمين القائم
بإذن الله أبي عبد الله محمد ابن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي
الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن
جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن
نصر الخزرجي ، قلده العلامة ورياسة الكتاب ؛ ونال لئديه جناها مكيناً .

حاله - سلسمه الله - :

هو في المحاسن قد ثننى عليه الخناصر ، وقرم لا تحصي مفاخره الألسن
ولا يحصرها الحاصر . وبيته زاحم النجوم بكاهله ، وورد نسبه من الشرف
أعذب مناهله . ملأ الأبصار جلاله وسمما ، وحاز هدياً لا عيوج [٤١ / أ]
فيه ولا أمتا . وبلاغة ينبوعها مسترسل ، وفصاحة فرس إجادتها مستنسل .
وخط تميز به ، وعلم تشرّف بسببه .

فمن قوله يمدح ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبا عبد الله :

يا قاطع البسيد يطوي السهل والجبلا
ومنضياً في الفيا في الخيّل والإبلا
يجوب آفاق أرض لا يؤنسه
إلا تذكر عهد للحبيب خلا

أوظيية^١ أذكرت عهد التّواصل إذ
 تحكي اللّحاظ التي عاهدت^٢ والمقلّلا
 أستغفر^٣ الله في تلك اللّحاظ فقد^٤
 أربى^(١) بها الحُسن عن ضرب المّها مثلاً!
 5 أو هادل^٥ فوق عُصن البان تحسبه^٦
 صبّاً لفقّد حبيب^٧ كان قد ثكلا
 أو لامع البرق^٨ إذ يحسكي إثارته^٩
 كفتاً خضيباً^{١٠} مُشيراً بالذي عدلا
 ماذا عسى أن تُقضّي من زمانك^{١١} في
 قَطع^{١٢} الفياقي ترجو أن تنال^{١٣} علّا
 فكّم^{١٤} معالم أرض^{١٥} أو تجاهلها
 قطعتها^{١٦} لا تملّ الرّيث^{١٧} والعجلا
 إن كنت^{١٨} تأمل^{١٩} عزّاً لا نظير لّنه^{٢٠}
 وتبتغي^{٢١} السؤل^{٢٢} فيما شئت^{٢٣} والأملّا
 10 فالعز^{٢٤} حرف بعيد لا يُنال^{٢٥} سوى
 بعزم^{٢٦} من شدّ عزم^{٢٧} البين^{٢٨} وارثحلا
 والدر^{٢٩} في صدف^{٣٠} قلست^{٣١} نفاسته^{٣٢}
 ولم^{٣٣} يبن^{٣٤} فخره^{٣٥} إلا إذا انتقلا
 فاربأ^{٣٦} بنفسك^{٣٧} عن أهل^{٣٨} وعن وطن^{٣٩}
 عهود^{٤٠} أنس^{٤١} به^{٤٢} قلب^{٤٣} الحب^{٤٤} سلا
 وعد^{٤٥} عن ذكر^{٤٦} محبوب^{٤٧} شففت^{٤٨} به^{٤٩}
 ولا تلم^{٥٠} به^{٥١} مدحاً^{٥٢} ولا غزلا

(١) كذا فيها . ولعله ربا (مسهله من) ربا به عن كذا ؛ رفعه ونزهه .

واقصد إلى الحضرة العلياً وحطّ بها
رحلاً ولا تَبْنِغِ عن أرجائها حِوَالاً

15 غرناطة (١) لا عفا رسمٌ بها أبداً
ولا سلا قلبٌ منّ يبغى بها بدلاً

فهي التي شرف الله الأنامَ بيمينه
في مقعد الملك من تحرائها (٢) نزلاً

[٤١/ب]

خليفة الله مولانا ومولئنا
وخير من أمّن الأرجاء والسبيلاً

محمد بن أبي الحجّاج أفضل منّ
قد قام فينا بحق الله إذ عدلاً

من آل نصرٍ أولي الملك الذي بهرت
علاه كالشمس لما حلت الحملاً

20 هو السدي شرف الله البلادَ ومنّ
فيها بدولته إذ فاقت الدؤلاً

أقام عدلاً ورفقاً في رعيتيه
وكان أرحم من آوى ومنّ كتفلاً

فهو المجارُ به من لا مجير له
لم يخشَ أخرى الليالي فادحاً جتلاً

(١) يقال غرناطة وأغرناطة. اتخذها بنو الأحمر عاصمة للدولة منذ آل الحكم إليهم سنة ٦٣٥هـ.

وصارت غرناطة منذ أوائل القرن الخامس مركز كورة البيرة بعد انتقال أهل مدينة

إلبيرة إليها.

(٢) قصر الحمراء، دار الملك النصرى بغرناطة.

إِنَّ المَدَائِحَ طَرّاً لا تَفِي أبدأ
ببعض ما قد تَحَلَّتِي من نَفِيسِ عَلا
فالحَزْمُ والعِزْمُ والإقْدَامُ شيمتهُ
والجُودُ مِمّا على أوصافه اشتملا
25 إن قالَ أَجْمَلُ في قولِ وأبْدَعتهُ
والفِعْلُ أَجْمَلُ منه كَلِمًا فَمَعَلَا
يُؤلي الجَمِيلَ وَيُعْطِي عِزًّا نائله
مَنْ قَد رَجاهُ ولا اسْتَجَدِي ولا سَأَلَا
مَنْ سائِلِي عن بني نَعْرِ فلا أَحَدَه
منهم بِأبْلَغَ مِنِّي كَلِمًا سئِلا
هُمُ الذَّيْنِ إِذا ما أَمْنَحُوا ابْتِهَجُوا
أَسنى العِطَاءِ وأبَدُوا إِثره الحَجَلَا
هُمُ الألى مَهْدُوا أَرْجاءَ أَنْدَلُسِ
إذ حَكَمُوا في الأَعادي (١) البِيسِضِ والأَسَلَا
30 فإن تَسَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ الرِّهانِ فلم
تَعْدَلْ بأَحْداثِهِمْ في سَنَةِ بَطَلَا
مَنْ ذَا يُجاريهِمْ في كُلِّ مَكْرَمَةٍ
أَيْشَبِيهِ البَحْرُ في تَمثيلِهِ الوَشَلَا (٢) ؟

(١) في « ط » الأعداء وفي « م » الأعداء ، ونزج ما أنبت .
(٢) الوشل : الماء القليل « يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره » .

مولاي يا خير من للنصرِ قد رُفعت
راياته ولواءُ الفخرِ قد حُمِلَا

لِلهِ عَيْنِي لَمَّا أَبْصَرْتِكَ وَقَدْ
أَعْدَدْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْحَيْلَ وَالْحَوْلَا (١)

وَأَنْتَ فِي قُبَّةٍ يَسْمُو بِهَا عَمَدُهُ
أَقَامَ مَنْ أَدَّ أَمْرَ الدِّينِ فَاغْتَدَلَا

35 الجيشُ يُعْمَشِي عَيْوْنَ الْخَلْقِ مِنْظَرُهُ
لَمَّا اكْتَسَى مِنْكَ نَوْرَ الْحَقِّ مَكْتَمِلَا

لَا غَرُّوْ أَنْ شَعَاعَ الشَّمْسِ يَشْمَلُ مَا
أَضْحَى عَلَيْهِ إِذَا مَا لَاحَ مُنْسَدِلَا

[٤٢ / أ]

وراية النصرِ والتأييدِ خافقةُ
قد أسبَل اللهُ مِنْهَا النَّصْرَ فَاغْتَدَلَا

والخيلُ قد كَسِبَتِ أَثْوَابَ (...) (٢)
(فمن برأفعا) (٣) قد ألبست حلالا؟

تَرَى الْحِمَاةَ عَلَيْهِمَا يَوْمَ عَرَضَهُمْ
يَمشون من فرطِ زهوٍ مِشْيَةَ الْخَيْلَا

40 فمن رُمَاةٍ قَسِيَّ الْعُرْبِ عَدَّتْهَا
تَحْيَى الْأَهْلَةَ مِنْهَا ، نَوْرُهَا اكْتَمَلَا

(١) الخول : الأتباع .

(٢) كلمة لم تظهر في « ط » واضطرب ناسخ « م » في رسمها .

(٣) أقرب ما يمكن أن يستخلص من رسم « م » ، وهي متأكلة في « ط » .

ومن كفاة شِدادِ البأسِ شأنهم
أنْ يعملوا البيض والحَطِيمَةَ الذَّبِلا
بِسمعِكَ انتظمتْ تلكَ الجيوشُ لأنْ
أشبهتْ في نظْمِها أسلافَكَ الأوَّلا
لا زلتَ تزدادُها نَعْمى مُضاعِفَةً
(لها .. (١)) الأرض منها السَّهْل والجَبِلا
44 وخلدَ اللهُ مُلكاً أنتَ ناصِرُهُ
ما عاقبتْ بِكُرمٍ من دَهْرنا الأصِلا



(١) فيها «لها» ، ولا يستقيم بها الوزن ، ولا يظهر المعنى .



الباب التاسع

فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا الأندلسية وقضاةها

الفقيه الكاتب القاضي الخطيب :

محمد بن أحمد الحسيني * .

يكنى أبا القاسم ، وأدركته ، ورأيت .

ونسبه : هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن القاسم بن عبد

(*) أبو القاسم محمد بن أحمد ، الشريف الحسيني ، أصله من سبتة ، ونزل غرناطة . (ولد ٦٩٧ ، وتوفي ٧٦٠ ، وقيل ٧٦١) . واشتهر بالشريف الغرناطي لطول ملازمته إياها وتوليه القضاء زماناً بها ، وتكليفه بالكتابة والخطابة . كان في رؤوس القضاة والكتاب الشعراء . شهد له تلامذته ومعاصروه بالفضل والتقدم إلى ديانة وتساون . وقد توفي في غرناطة وهو على قضائها . للشريف مؤلفات منها شرح على مقصورة حازم القرطاجني سماه : رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة (ط) . وشرح على الخزرجية في العروض (خ) .

(ترجمته وأخباره في : نثر فرائد الجمان : ٢٣١ ، والإحاطة ٢ : ١٢٩ ، والمرقبة العليا : ١٧١ ، والديباج المذهب : ٢٩٠ ، والدرر الكامنة ٣ : ٤٥٢ . ودرة الحجال : ١ : ٢٨٤ ونفح الطيب ٧ : ٣٣٩ وجذوة الاقتباس : ١٩٣ ، والتعريف بابن خلدون : ٦١ . وللأستاذ العلامة عبد الله كنون عدد في سلسلة مشاهير رجال المغرب عن الشريف ، برقم ٢١ . وهو يتشدد في تسميته بالشريف السبتي) .

الله بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن جثون بن القاسم بن الحسن بن الحسن بن إدريس بن الحسن بن محمد بن علي ابن أبي طالب ، كرم الله وجوهرهم .

وهو من أهل سبته (١) ، وارتحل عنها إلى غرناطة ، فاستكتبه في الحضرة السلطانية أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل عمّ أبينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد ، وجعله من كتّاب الإنشاء ، ثم قلّده القضاء والخطابة بغرناطة . وولي أيضاً مالقة (٢) القضاء ثم ولي أيضاً القضاء بغرناطة ثانية في دولة ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد (المخلوع) .

حاله - رحمه الله - :

احتوى على مجلٍ من الآداب رائقة ، وطرائق في الإنشاء فائقة . وشعره يشبه بالشجوم لو نظمت سلكا ، ويجري مع النفوس فيملكها ملكاً . وحصل من علم البيان مفيدة وعجيبه ، ومعرفة باللشغات الغريبة . وقوّة نفس في استخراج المعنى ، ولو أنفذ (٣) فيه المسلّغ مرّمي . وتقنن في جميع العلوم ، والمعرفة منها بالجهول والمعلوم ، وثقوب ذهن في الآداب والفهوم (٤) .

(١) سبته مدينة عظيمة على بحر الزقات ، وهي تقابل الجزيرة الخضراء بالأندلس . وهي مدينة قديمة . والبحر يحيط بها من كل جهة إلا من جهة الغرب . وكان للمدينة شأن أيام ازدهار الأندلس ، وأيام الدولتين الموحدية والمرينية .

(٢) مالقة من مدن الأندلس ، وثغر بحري هام لدولة غرناطة ، على شاطئ البحر المتوسط .

(٣) في الاصلين : أنفذ (بالبدال المهملة) ونرجح ما أثبت .

(٤) كذا وردت العبارة فيها .

فمن قوله يتغزل (١) :

- دَعَيْني من مقالِ العاذِلَيْنِ
ومَنْ يَكُ سائِلاً (٢) فلديَّ حُبٌّ
أعلقتُ ، فمقلتي للنوم حربٌ
مليحُ الدالِّ شاقَّةٌ كلُّ قَلْبٍ
5 جَنِي وحمي فلم أطلب بشأري
أهمُّ بخدِّه وببسميه
عقدتُ مع الغرامِ فبعثُ فيه
وهمتُ بناعمِ العِطْفَيْنِ فيه
تُدِيرُ عليَّ عيناهُ كؤوساً
كأنُّ سلافها من رأسِ عَيْنِ (٥)
10 فأحلف بالمُحَصَّبِ والمُصَلِّي
لأنتصِرَنَّ بالأجفانِ حمتي
وأعلام الصفا والمأزمين (٦)
تكونَ دموعها في الحبِّ عَوْنِي

(١) أورد ابن الأحمر معظم القصيدة في كتابه الآخر، نثر فرائد الجمان، وسنقابل عليه. وأوردها

الأستاذ كنون في ترجمة « الشريف السبتي » نقلاً عن الكتابين .

(٢) في نثر الفرائد : سالياً .

(٣) شاكي المقلتين ، من قولهم « شاكي السلاح » : ذو شوكة وحدة .

(٤) الحمى والأبرقان : مواضع . والأبرقان أبرقا حجر اليمامة ، وهو منزل بعد رميلة اللوى

بطريق البصرة إلى مكة .

(٥) رأس عين أو رأس العين من مدن الجزيرة وبقرية من نصيبين ، ذكرها الشعراء بجودة

الحمر ، ومنهم حسان في شعره الجاهلي .

(٦) المأزمان بين عرفة ومزدلفة .

وحين تعرفوا كسلفي وقتلي يصون السر عنهم كل صون
كففت المقلتين ليشهدا لي فجرت الدموع الشاهدين!

[٤٣ / أ]

فلو أبصرت ناظري المعنى وماء الدمع فوق الوجنتين

بصرت بوردتين يسح منها سكب القطر فوق بهارتين (١)

إذا عرضت أعرض كل صبري وأذن نوم أحداق بيمين

ولم تبأ (٢) الرياض بحسن زي ولم تزوه الربا بكال زين

كان نسيمها بما أقاسي تهب عيلة بالأبردتين (٣)

كان الزهر غب سما بكته لما أبدى حمام الشاطئين (٤)

أهيج لها الهوى وتهيجه لي فنسلفي في الهوى منتطار حين
وقد هاج الحمام الوجد قبلي لتوبة عند بطن الواديين (٥)

(١) البهار: النرجس .

(٢) في نثر الفرائد: تبد . والبأو : الفخر والتعظيم .

(٣) الأبردان : الغداة والعشي .

(٤) في نثر الفرائد ، وفي الأصليين المخطوطين لنثر الجمان : غب بها . وقرأها الأستاذ كنون (غب سما) وهي قراءة مناسبة اعتمدهاها .

(٥) توبه بن الحمير (ت ٥٨٥) شاعر من عشاق العرب المشهورين كان يهوى ليلي الأخيلية

(وهي من شاعر العرب) ، وخطبها فرده أبوها ، وزوجها غيره . فتغزل بها واشتهر

أمره . وله مع ليلي حديث طويل (الأغاني ١١ : ٢٠٨ دار الكتب) وهو القائل:

حمامة بطن الواديين ترني سقاك من الغر العوادي مطيرها

- بعيشك هل تسرى ثاني ووحيد
يرى بك ثالثاً في النسيئين؟
- وهل يدنو من الآمال صب
بعيد بين هدب الناظرين؟
- فإن يكن الجمال جباك ملكاً
وأيسد ناظرينك بحاجبين
- 25 فما أَرْضَى للملك أن كِسِرَى
وقبصرَ في مقامِ الحاجبين (١)
- وإن أقلَّ حظٍ يُبْتَغَى مِنْهُ
رضاكَ يفي بملك الحارثين (٢)
- تخبرني وفي عطفيك لين
فعالك أن قلبك غير لين! (٣)
- وأعرف في لحاظيك ما رأته في
ظبي الثقفى قاتلة الحُسين (٤)
- وألقي في الهوى بيدي ومالي
على فتمكات لحظك من يدين
- 30 علام الغيب عني؟ لا أغبت
بك الحيسرات هامية اليدنين!
- ولا جرت الرياح عليك إلا
صبا وسقى محللك كل جونا (٥)

(١) الحاجبان في البيت السابق هما المعروفان فوق العينين. والحاجبان هنا منقح حاجب، وهو

من يقوم على حجابة الملك، وتنظيم الصلة بينه وبين الناس.

(٢) قال المحبي في جنى الجنتين (٣٧-٣٨) الحارثان هما: الحارث بن ظالم بن جذيمة بن

يربوع (من فتاك العرب في الجاهلية) والحارث بن عوف بن أبي حارثة صاحب الحاملة

(من فرسان الجاهلية).

(٣) في نثر الفرائد: «فعالك عن فؤاد غير لين».

(٤) خرج المختار بن عبيد الثقفي على بني أمية فدعا باسم محمد بن الحنفية، وغلب على الكوفة

والموصل، وتتبع قتلة الحسين بن علي رضي الله عنها، فقتل كثيراً منهم.

(٥) الجون: الأسود. وإذا كان السحاب جوناً كان أكثر ملاءمة للطر الغزير.

الفقيه الخطيب علي بن أحمد الحسيني (*) :

[٤٣ / ب]

يكنى : أبا الحسن ، وأدركته بستني ، ويُعرف بالأحيمر ، وهو من أهل مالقة .

حاله - رضي الله عنه - :

هو صدر الصدور ، واسطة الشذور ، ورضيع ثدي الدين ، ومعدن الورع المتين . راح في ميدان الصلاح وغدا ، وتوشح بفضل عن الفلاح . وارتدى . وطلع في سماء الأدب شهاباً ، وبرز في ميدان الفصاحة ليثامها . وهو في العلوم مُشارك ، وآخذ في حفظها غير تارك .

فمن قوله يمدح (**):

الآن تطلبُ وُدَّها وِرْصالها

من بعد ما شغلتْ هجرِكَ بالها (١)

(*) ترجم له في نثر الفرائد ، وأنتى عليه ، وقال فيه «الشريف الفقيه الخطيب الصالح». وترجم له لسان الدين في الكتيبة الكامنة في الباب الذي خصه للخطباء والصوفية ، وقال « رجل وقار وسكون له إلى الخير ركون . . . وله شعر يجيد ويجيد » . ولم يذكر ميلاده ووفاته .

(نثر فرائد الجمان : ٢٣٥ ، والكتيبة الكامنة : ٦٢) .

(**) القصيدة - كما قرر في نثر فرائد الجمان - في مدح صاحب غرناطة السلطان إسماعيل ابن أبي سعيد فوج بن إسماعيل بن يوسف (حكم ٧١٣ - ٧٢٥) .

(١) القصيدة في نثر الفرائد (ص ٢٣٦ - ٢٣٨) عدا الأبيات : ٢٣ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، وورد منها في الكتيبة الكامنة الأبيات (١ - ٢٢) بزيادة بيت بعد البيت الأول . و (٤٢ - ٤٦ - ٤٧) ، بزيادة (٧) أبيات في قسم المديح .

وَأَتَيْتَهَا مَتَلْبَسًا بِرَوَائِعِ

نُكْرٍ بِفُودِكَ أَصْبَحَتُ (١) عُنْدَهَا

بِيضِ تَخِيلُ لِلنَّفُوسِ نُصُولَهَا

سُمْرًا تَحْوِلُ لِلشُّجُورِ نِصَالَهَا

مثل الأفاعي الرقطة تنفتُ في الحشا

وأرى بفودك جثماً (٢) أصلها

5 نار تضرّم في الفؤادِ حريقها

لكن تُشير (٣) بمفريقك ذبأها

جَزَعَتْ لِهَذَا الشَّيْبِ نَفْسِي وَهِيَ مَا

زَالَتْ تَهْوَنُ كُلَّ صَعْبٍ نَالَهَا

ولكم صدّعتُ بذافنٍ من عزّمتي

يهاء (٤) لا يُهدى العليمُ ضلّالها

صادمتُ من كُربِ الداني أشتاتها

ما خفتُ غرْبَتَهَا وَلَا إِقْلَالَهَا (٥)

ولئن تَقْلُصَ عُسْرَتِي فِيءَ الْغِنَى

عَنِّي ، فلي نفسٌ تدهُ ظِلَالَهَا

(١) في نثر الفرائد : صبحت .

(٢) في الكتيبة : كنها .

(٣) في الكتيبة : تشب .

(٤) اليهاء : المفازة لاعلم (لا أثر) بها .

(٥) في الكتيبة : إخلالها .

10 ما مزقت° ديباجتي عين° امرىء°
 عرضت° عليه النفس° قط° سؤاها!
 ألقى الليالي غير هيّيب° (١) صرفها والأسد غير مجنّب° أغيّاها
 أمشي الهوّينى والعادة تمرّ بي مرّة° (٢) يطير عن الجياد نساها
 علمت° لي الخلق الجميل محققاً وتسيء° فيّ على عمى° أقواها
 [٤٤ / أ]

تبغي اثنيّائي° هل سمعت° بنسمة°
 مرّت° على نجدٍ تهزّ جباها!
 15 ولربّما عرضت° ليعيني نظرة°
 يرضى الحكيم° غرامتها وخباها
 من غادة° سرق° الصبّاحُ بهاها
 والبدرُ في ليل التمام° كالسها
 تهوى المجرّة° أن تكون نجومها
 من حلتّيبها° وهلاها خلتّخالها
 عرضت° كما مرّت° بعينك° مطّفل°
 ترعى° بنّاظرها الكحيل° غزّالها
 ما تهنّهت° نفسي وإن ضمّنت° (٣) لها
 عبراتها يوم الوداع° وصاها

(١) في الكتيبة : غير طيب .

(٢) في الكتيبة : تمر في جري . والنسال : ماسقط من الشعر عند نسله .

(٣) كذا في نثر الفرائد أيضاً . وفي الكتيبة : طمّنت .

20 من كان يَأْمَلُ أن يقومَ بمجلسٍ .

حَطَّتْ به شهبُ السَّيْمَا أُنْقَالَهَا

يُحْيِي (١) أَحَادِيثَ السَّرَاةِ أَوْلَى النَّهْيِ

نَصَّيْتُ وَيَنْضَرِبُ فِي الْعُلَا أُمْتَالَهَا

أَلْقَى هَوَاهُ جَانِبًا وَهَوَتْ (٢) بِهِ

وَجِنَاءُ تَدْمَنُ فِي الدَّجِي إِعْمَالَهَا

منها في المدح :

أَلْبَسْتَ دِينَ اللَّهِ حُلَّةً آمِينَ

أَضْفَتْ عَلَى أُسْرَابِهِ (زلزالها) (٣)

أَتَمَّ بَنِي نَصْرٍ نَصْرَتُمْ مِلَّةَ ..

.. إِسْلَامٍ حِينَ شَكَتْ لَكُمْ خُدَّالَهَا

25 كُنْتُمْ لَنَا أَهْلًا وَرَحِمْتُمْ بَيْنَا

فِي الْعُدُوتَيْنِ (ومنهم انزالها) (٤)

نَزَلْتُ عَلَى سَعْدٍ (٥) لِيُسْعِدَ جَدَّهَا

وَأَوْتُ إِلَى نَصْرٍ لِيَنْصُرَ آلَهَا

أَحْرَزْتُمْ يَوْمَ السَّقِيفَةِ (٦) قَتَوْدَهَا

دُونَ الْأَنَامِ وَقِيدَهَا وَشِكَايَهَا (٧)

(١) في الكتيبة : يحيي .

(٢) في الكتيبة : وسرت به .

(٣) في الأصلين : زلزالها . ولم يرد البيت في المصادر الأخرى .

(٤) كذا وردت العبارة في الأصلين ، وفي نثير الفرائد . ولعلها : وصنتم .

(٥) الإشارة إلى جد الأسرة النصرية الصحابي الجليل سعد بن عبادة .

(٦) سقيفة بني ساعدة في المدينة المنورة ، والإشارة واضحة .

(٧) القود : الناقة ، والشكال : الجبل الذي تشد به قوائم الدابة .

لكن حبوتكم من أجرتكم مينة

بخلافة الله التي يعشى لها (١)

إذ تؤثرون سواكم قالت بهذا

آي الكتاب (٢) ، فمن يرد مقالها ؟

30 حتى إذا عثرت ولم ينهض بها إلاكم بادرتم إنشالها

أو يئتم خير البرية كلتها ومغيثها ونجاتها ومثالها

من ألبس الشرف الرفيع وضعها

وكسا معصفرة الحيجا جبتها لها

[٤٤ / ب]

ومنها :

قد زلزلت منها الورى زلزالها

لما تحققت النبوة أنها

أمت أمة نصرها أخوالها (٣)

وتقاعست عن متعها أعمامها

والحرب تخطف خلفها أمثالها

35 فوثبتم مثل الليث لنصرها

ترمي رؤوس الملأجدين ثفالها

فأدرتم منها زبوناً أصبحت

ومنها :

يجنادل الطاغوت تملأ جالها (٤)

« بدر » وما بدر وردم قلبها

ولكم « بأوطاس » (٥) وقد حمى الوطيس على العدى يوم أطاح محالها

فنزعم أرواحها ، وسبيتهم

أولادها ، وسلبتم أموالها

(١) عشى إلى النار : رآها من بعيد فقصدما .

(٢) يشير إلى الآية الكريمة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

(٣) الإشارة إلى خولة النبي صلى الله عليه وسلم في الخرج .

(٤) الجال : جانب البئر . والقلب : البئر . والإشارة إلى وقعة (بدر) .

(٥) أوطاس : واد بديار هوازن فيه كانت وقعة حنين .

40 وَذَهَبْتُمْ بِالْمُصْطَفَى لِدِيَارِكُمْ
وَحَبَابِ سِوَاكُمْ شَاءَهَا وَجَمَالَهَا (١)

فَزْتُمْ بِهِ فُوزَ الْمُعَلَّى مَنحَةً أَحْرَزْتُمْ دُونَ الْأَنَامِ مَنَالَهَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي مِنْ مُلْكِهِ جَدَّتِ الْمُلُوكُ جَمَالَهَا وَجَبَلَالَهَا
مَا زَالَ حَزْبُكَ فِي الْوَرَى يعلُّو عَلَى

مَرَّ الدُّهُورِ وَيَعْتَلِي أَجْبَالَهَا

حَتَّى حَمَلَتْ مِنَ الْجَمَادَةِ ذُرُوءَ

مَا حَلَّ غَيْرَكَ فِي الْجَمَادَةِ حَالَهَا

45 تَحْمِي الْهُدَى، تَهْمِي النَّدَى، تُولِي الْجَدَا

وَتَقِي الرَّدَى، وَتُرِي الْعِدَا أَوْجَالَهَا (٢)

خُنْدَمَا كَمَا دَارَتْ بِكَاسِ سُلَافِهَا

حُورَاءَ تَمْزِجُ بِاللَّسْمِ جِيرِيَالَهَا (٣)

تُثْنِي عَلَى السَّحْرِ الْحَلَالِ وَشَاحَتِهَا

وَتُشْدِرُ مِنْ تَخْمِرِ الْفُتُونِ حَلَالَهَا !

(١) الإشارات كثيرة إلى ما كان في حنين وبعدها .

(٢) في نثر الفرائد : ترمي العدا أوجالها .

(٣) الجريال : صبغ أحمر !

الفقيه القاضي الخطيب محمد بن محمد السلمي (*) :

يكنى : أبا البركات ، ويُعرَف بالبَلِّغِيّ ، وبابن الحاج . وأدركته ورأيته . وأصل سلفه [٤٥ / أ] من بَلِّغِيّ (١) ، من بيت العلماء والمحدثين والحفاظ . وكان أبوه محمد بن إبراهيم محدثاً حافظاً متفناً في العلوم .
 وإبراهيم : والد محمد كان فقيهاً إماماً عالماً محدثاً حافظاً ؛ رأيته .

ونسبه : هو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف ابن محمد بن سليمان بن سوار بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير ابن أبي عيشون عياش بن محمود بن عَنَبَسَة بن حارثة بن العباس بن مرداس السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(*) أبو البركات ابن الحاج البليغي ، (ت ٧٧٣) وقيل ٧٧١ واحد من شيوخ غرناطة وقضاها المدوودين في القرن الثامن . كان شيخ لسان الدين بن الخطيب وطبقته . وهو ينتمي إلى الصحابي الجليل العباس بن مرداس السلمي .
 نشأ بمدينة المرية وتلقى علومه فيها وفي مدن الأندلس الأخرى . ورحل إلى المغرب أكثر من رحلة قاصداً العلم والعلماء ووصل حتى بجاية . وعاد إلى الأندلس فولي القضاء في عدد من بلدانه كإبيرة ، ومالقة ورحل إلى المغرب في أغراض سلطانية . ولأبي البركات تصانيف متعددة الاغراض منها : تاريخ المرية ، والمؤتمن على أبناء أبناء الزمن . وخلف ديوان شعر كان متداولاً ممتعاً به .

أثنى عليه الذين ترجموا له بالفهم والفضل وإفادة طلبة العلم ، وكان أصحابه وتلامذته يقدمونه ويقدرونه غاية التقدير والتبجيل .

(انظر ترجمته وأخباره في : الإحاطة لابن الخطيب : ١٠٢ ، والكتيبة الكامنة له ١٢٧ والمرقبة العليا للتباهي ١٦٤ ، والديباج المذهب لابن فرحون : ١٦٤ ، والتعريف لابن خلدون : ٦١ ، ونفح الطيب ٥ : ٤٧١) .

(١) بليغ : حصن من عمل مدينة المرية .

والدّاخِل من أجداده إلى الأندلس من المشرق هو محمود بن عنبسة ؛ دخلها مع موسى بن نصير .

وولاه القضاء (١) في سنة سبع عشرة وسبع مئة بشبالش ، أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل عم أبينا بن جدّنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج . ثم لم يزالوا يوالونه (٢) القضاء والخطابة بغرناطة وغيرها من البلاد ، أبناء عمّتنا الملوك من بني الأحمر آل نصر .

فلما ولي الملك ابن عمّتنا أمير المؤمنين الغالب بالله المتوكل على الله أبو عبد الله محمد قدّمه على قضاء الجماعة بغرناطة بطول دولته . وبعثه رسولاً للملك العدو ؛ وهو أمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم . فلقبته بفاس ، وأنا إذ ذاك بها في حضرة الملك من بني مرّين حين أخرجنا بنو عمّتنا الملوك من بني الأحمر آل نصر ، فطلبت منه أن ينشدني من شعره فأنشدني ما نذكره إن شاء الله تعالى .

حاله :

هو علم أعلام القضاة ، وصاحب الخليل المرتضاة . ورجل الحديث وأسد رجاله ، وعلامة العلم وفارس مجاله . وعالم الرواية ، والمحصل للدراية . وربّ البلاغة والفصاحة ، ومبرز ميدان الذكاء والسّماحة . وباعه في القراءات مديد ، ورأيه في الأحكام سديد . وبيته بيت علم سحب من الصّون ذبلاً ، وتضوّعت من عرف عرفانه نواسم الجلال نهاراً وليلاً .

(١) عود الحديث إلى صاحب الترجمة .

(٢) كذا في النسختين : وترى أنه استعمل لفة « أكلوني البراغيث » .

أنشدني لنفسه (١) :

يَفْنِي الهَوَىٰ وَغَرَامُ عَزَّةَ بَاقٍ وَالشَّوْقُ يَنْدَهَبُ مَا عَدَا أَشْوَاقِي
حَلَفَ الهَوَىٰ أَلَا يَفَارِقَ مُهْجَتِي طَوْلَ الزَّمَانِ إِلَىٰ بُلُوغِ تَرَاقِي
فَالوَجْدُ مَا طَوَّيْتِ عَلَيْهِ جَوَانِحِي

والدَّمْعُ مَا جَادَتْ (٢) بِهِ آمَاقِي

أَنَا فَارِسُ الْمُشْتَاكِ مَا مِنْهُمْ فَتَىٰ يَهْتَرُ بَيْنَ يَدَيَّ يَوْمَ سِبَاقِي
وَإِذَا هُمْ يُعْمِدُونَ خَلْفِي مُرْعَاً لَمْ يَظْفَرُوا يَوْمَ الهَوَىٰ بِسِلْحَاقِي
فَأَنَا الَّذِي عَرَفَ الرِّجَالَ مَقَامَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي مَصْرَعِ الْمُشْتَاكِ
قَالُوا لِيَعَاذِنَا وَعَاذِرِنَا وَمَا بِي مِنْ غَرَامٍ مِنْهُمْ وَوَفَاقِي (٣)

قَدْ صُمْتُ أُذُنِي عَنْ حَدِيثِكُمْ كَمَا

عَمَيْتُ إِذَا شَاهَدْتِكُمْ أَحْدَاقِي !

إِنْ شِئْتَ تَعْلَمْ هَلْ شَعَرْتُ بِأَمْرِكُمْ

أَمْ لَا ، فَهَاكَ أَنْظِرْ إِلَى اسْتِغْفِرَاقِي

10 الْحَالُ أَغْلَبُ وَالذَّلِيلُ مُؤَخَّرُ وَالْحَكْمُ فِي ذَا الْبِسَابِ لِلْأَذْوَاقِ

دَعْنِي وَعَزَّةَ وَالغَرَامَ فَإِنَّهُ تَثْلِيثُ تَوْحِيدٍ بغيرِ نَفَاقِ !

دَاءُ الهَوَىٰ مَا إِنْ أُدِينُ بِبِئْرَتِهِ مَا لِلطَّبِيبِ وِلي ، وَمَا لِلرَّاقِي ؟ !

(١) قال النباهي في ترجمته له (١٦٥) : وكان التكلم بالشعر من أسهل شيء عليه في كثير من أفعاله وفنون مخاطباته . وله منها ديوان كبير يحوي من ضروب الأدب على جود وهزل ، وسمين وجزل سماه بـ «العذب والأجاج» .

(٢) في النسختين : ماجأت ، ولعله تحريف عما أثبت .

(٣) كذا البيت في النسختين ، ولعل مطلعته : قولوا .

هي عيلةٌ أو سكرةٌ لا ترجي
 صجواً ، وكيف وما عدمتُ الساقِي ؟
 لله ساقِي في حلاوةِ كأسِهِ للمُدنَفِ الهيمانِ مرهُ مَذاقِ
 15 وأمرهُ منِ مَحَنِ الهوى أنِ لم أُبلِّه
 بعظيمِ ما في جَنَبِ ذاكِ الأَلي
 يا قلبُ كم أَسعى وَمالي تَخَلَّصُ
 نحو التفلتِ من شديدِ وَثاقِ
 لله ما يلقاهُ أربابُ الهوى
 من كئيلٍ ما يَفري عُرَى الأَناقِ
 لا غروَ أنِ يَشقى الحُبُّ ببعدهِ
 إن لم يَدينِ محبوبُهُ بِتلاقِ
 الموتُ كلُّ الموتِ أنِّي مُبْتلى
 بِفراقِ من يَشكو أَليمَ فِراقِ !

[٤٦ / أ]

20 يا مَنْ فَوَّادِي في وصالِ جِمالِهِم
 ما زالَ في طَمَعِ وفي إِشفاقِ
 إن كان دهرٌ قَد قَضَى بِفِراقِنا
 فَمَساکِمُ لا تَنقُضوا (١) ميثاقِي !

(١) لا هنا : النافية . وأظن الوزن أجهأ إلى الضرورة .

وأنشدني أيضاً لنفسه ، يخاطب بعض الطلبة معتذراً له وقد
[غفل عنه] في بعض حلق العلم (١) :

إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُكَ لَا أَبْصَرْتُ
بَصِيرَتِي فِي الْحَقِّ بُرْهَانَهَا
لَا غَرُّ أَنْتِي لَسَمِّ أَشَاهِدِكُمْ
فَالْعَيْنُ لَا تُبْصِرُ إِنْسَانَهَا !
وأنشدني أيضاً لنفسه في البعاد (٢) :

قَالُوا تَقَرَّبْتَ عَنِ أَهْلِ وَعَنْ وَطَنِ
فَقُلْتُ لَمْ يَتَّبِقْ لِي أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ
مَضَى الْأَحِبَّةُ وَالْأَهْلُونَ كَلَّمْتَهُمْ
وَلَيْسَ لِي بَعْدَهُمْ سَكْنَى وَلَا سَكْنُ
أَفْرَعْتُ دَمْعِي وَحُزْنِي بَعْدَهُمْ فَإِذَا (٣)
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَا دَمْعٌ وَلَا حَزَنُ !

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَدْوَةً فِي سَادَةِ
عَدَاوَا بَغِيرِ رِضَايَ مِنْ أَكْفَائِي
فَاجْتَا حُهُمْ رَبُّ الْمُنُونِ فَاصْبَحُوا
رَهْنَ الثَّرَى نَبَأَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
وَأَقَامَ بَعْدَهُمُ الزَّمَانُ صِغَارَهُمْ
رَغْمًا أَمَامِي ، وَالْكَبَارِ وَرَائِي !

(١) البيتان في الإحاطة ٢ : ١١٢ وفيه : إنه قالها بسببته . ومما في نفع الطيب ه :

٤٨١ ، وفي المرقبة العليا : ١٧٦ .

(٢) البيتان في المرقبة العليا : ١٦٦ .

(٣) في المرقبة : فأنا .

لم أرضَ بالطيرِفِ العتيقِ مُسابقاً
فَبَلَّيتُ بِالجَرَّانِ خَلْفَ الشَّاءِ !
وَأُنشدني أيضاً لنفسه في المُجَبَّنة (١) :
ومصفرةَ الخُدَّينِ مَطْوِيَةَ الحِشَا
على الجبنِ والمصفرِ يؤذُنُ بالخَوْفِ
لها هيئةٌ كالشَّمْسِ عند طُلوعِها
ولكنها في الحينِ تغربُ في الجوفِ !

الفقيه الكاتب القاضي محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي (*) :

[٤٦ / ب]

يكنى : أبا بكر . وأدر كتبه ، ورأيتُه . وكتب في الحضرة السلطانية
لأبناء عمنا الملوك من بني نصر . وصلّى بالسلطان منا بمسجد قصره في
تراويح شهر رمضان . ثم صلّى بالناس بالمسجد الأعظم من الحضرة بعد
ذلك . ثم ولي قضاء الجبل من غرناطة ، ثم عزل عن ذلك الموضع وولي
قضاء بسطة (٢) .

(١) البيتان في الإحاطة ٢ : ١١٣ ، والمرقبة العليا : ١٦٦ ، ونفح الطيب ٥ : ٧٨١ ،

(*) ترجم لسان الدين بن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ٥١) لوالد المترجم به هنا وهو
أبو علي عمر بن علي بن عتيق القرشي ، وقال إنه رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج
وأنه «له شعر قليل» . وترجم في الكتاب نفسه ص ٢٠٠ «للکاتب أبي بكر محمد
ابن محمد بن عمر بن علي القرشي» وكانت بينه وبين لسان الدين مراسلات ومطارحات
شعرية (ص ٢٠١) . ويرجح عندي أنه أبو بكر محمد بن عمر بن علي صاحب الترجمة
عند ابن الأحرر . ويكون مافي الكتيبة من أنه (محمد بن محمد) سهواً من ناسخ النسخة
المعتمدة هناك ، حين زاد (محمد) بين الأب عمر وابنه أبي بكر محمد .

(٢) بسطة : مدينة بالقرب من وادي آش ، وهي من كور جيان .

حاله - رحمه الله تعالى =

كاتب الإمارة وقاضيها ، ومنفد أحكام الشريعة وممضيها ، وخطيب
الحفل ، وإمام الفروض والنفل . وفريد البلاغة التي لا يشحُّ ينبوعها ،
ووحيد الفصاحة التي لا تقفر من البراعة ربوعها . وروضة العلم التي
تفتحت فيها للفنون أزهير ، ورافع راية الأدب التي عجز عن حملها
كل ماهر .

فمن قوله يهنيء أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي
الوليد إسماعيل عم أبينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، بإبلا
من مرّض .

عادت بيبرئك بهجة الأيتام
واستقبلتك بثغرها البسام
وغدت عليك وفود راحتك التي
نهبت جيموش السقم والآلام
فانزاح عنك الضير غير معاود
وأتيح بالآمال كل مرام
فاستأنف العمر الطويل فهذه
بشرى السعادة آذنت بدوام

ومنها :

5 فلأنت حائر خصل (١) كل فضيلة
في الدين يوم تراهن الأقوام

(١) أحرز خصله ، وأصاب خصله : غلب .

ولأنتَ أزهاهُمُ وأطولهم يَبدأ
 في الحالتين : النَقْضِ والإبرامِ -
 برزت فوقَ النجمِ في طلب العُلا
 والغَيْرُ كعُ (١) ومالَ للإحجامِ -
 أفعالُ أسرتك التدين تَسَنَّمُوا
 مَرَقَى العُلا فَعَلَدُوا على بهرامِ (٢)
 وتميزوا بين الأنامِ بِمَجْدِهِمْ
 كَتَمِيذِرِ الأعيادِ في الأيامِ -

[٤٧/أ]

10 قَتَمُوا إِذَا افْتَخَرَ الكِرَامُ فَإِنَّهُمْ
 غَوَتْ الصَّرِيخُ وَقَاتِلُوا الإِعْدَامِ -
 فَضَحُوا البِجَارَ وَكَلَّ طَوْدِ راسخِ
 بِنْدَاهُمْ وَرَجَاحَةِ الأَحْلَامِ -
 وكفى بِهِمْ شَرَفًا على من غيرهم
 حُبُّ النَبِيِّ وَنُصْرَةُ الإِسْلَامِ -
 أمَّا بنو نصرٍ فأرواحٌ ، بها
 حَيِّي الوَرَى ، والنَّاسُ كالأجسامِ -
 والقَتَمُ جِسْمٌ ، يوسفٌ هو روحه
 وَوَصِلَتْ لَهُ الأَعْوَامُ بالأَعْوَامِ -
 15 قُطِبَ إِذَا دارُوا ، وواسطةٌ إِذَا
 نَظَمُوا ، وَشَمْسٌ ضُحَى وَبَدْرٌ تَمَامِ -

(١) كع : جبن وضعف .

(٢) بهرام : كوكب المريخ .

هو واحد الدنيا الذي إن يرتجى
كالغيث أو يخشى فسكالضرغام.

طلق الجبين محبوبه فكأنه
جذب القلوب لنفسه بزمَامِ.

يا أيها الملك الذي إنعامه
أبدأ يسح ، ولا انسيكاب غمام !

عقل الأنام فأهلوا شكر الذي
وهبوه منك ، فأنت خير إمام.

20 وتنبهوا لما اعتراك تألثم
بالحال أذك غايته الإنعام.

فلقد تشكى من شكاتك من نأت
أسبابه فضلاً على الخدام.

والآن صح لك الشفاء وكلثم
قاموا بقرض الشكر أي قيسام.

وتكلفت لهم السعود بما ابتغوا
فالخير أجمع في البسيطة نام.

فاستشهدوا البشري لذلك بينهم
وأصاخ سمعاً معترق وشامي

25 نسأ (١) الإله لنا حياتك إنهما
ذخير الأنام وبهجة الأيام.

(١) نسأ الله في أجل فلان ، من : نسأ الأمر إذا أخره.

الفتية الكاتب القاضي الخطيب أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد
ابن عبد الله بن جزّي الكلبّي (*) :

يكنى : أبا بكر ، وأدركته ؛ وهو من أهل غرناطة من أعلامها ، من
بيت العلماء والقضاة والخطباء (١) .

وأبوه ، أبو القاسم محمد كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة (**)

(*) أبو بكر أحمد بن محمد بن جزّي ، خطيب ، فقيه ، قاض ، كاتب ، من وجوه
غرناطة ، وهو واحد من أسرة بني جزّي ، ويرجع أصل أسرة بني جزّي إلى حصن
البراجلة من ولبة . واستقر أسلافه بغرناطة منذ أن صارت هي الحاضرة وكان أبو بكر
في جملة كتاب الدولة النصرية وقضاها . وله - إلى ذلك - مشاركة في شيء من التصنيف
والتأليف ، قال ابن الخطيب « له تقييد في الفقه على كتاب والده السمي بالقوانين
الفقهية ، ورجز في الفرائض » ومن جملة أعماله القضاء بحضرة غرناطة والخطبة
بمسجد السلطان ، وكان موصوفاً بالنزاهة والمضاء . ولد سنة ٧١٥ وتوفي سنة ٧٨٥
وكنيته في الإحاطة واللمحة البدرية أيضاً أبو بكر ، وكناه في الكتيبة الكامنة وبعض
نسخ اللوحة البدرية (حاشية ص ١١٦) بأبي جعفر .

(الإحاطة ١ : ٥٢ ، واللمحة البدرية : ١١٦ ، ١١٩ ، والكتيبة الكامنة : ١٣٨ ،
وبغية الوعاة ١ : ٣٧٥ والدرر الكامنة ١ : ٢٥٣ ، والدياج المذهب : ٤١)

(١) بنو جزّي أسرة مشهورة من الأمر التي كان لها ظهور في دولة غرناطة في القرن الثامن
على الخصوص . وتعود شهرتهم في غرناطة إلى نبوغ عدد من رجالهم في علوم الشريعة ،
وفنون الأدب المختلفة ، ولاصطناع السلاطين النصرين لهم في خطط الكتابة ،
والقضاء ، والخطابة ، وغير ذلك . وأشهرهم أبو القاسم محمد بن أحمد (المفسر)
وأبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد الذي ولي القضاء ، والخطابة بالجامع الأعظم بغرناطة
ومحمد بن محمد بن أحمد الكاتب لدى النصرين والمرينيين ، ومدون رحلة ابن
بطوطة بقلمه .

(***) الفقيه الخطيب المفسر ؛ علامة عصره ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزّي ،
صاحب التصانيف في فنون الشريعة والعربية ، الشهيد في معركة طريف مجاهداً محتسباً =

وكان [٤٧ / ب] فقيهاً إماماً عالماً بجميع العلوم ، محصلاً ، قارب درجة الاجتهاد ، ودون وصف في كل فن . وكان أحد أهل الفتيا بقرنطة ، وقتل شهيداً بطريف في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ولجده السلطان الأمير أبي بكر بن جزي الظهور بمدينة جيان^(١) . بُويع بها في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمس مئة .

== قال تلميذه لسان الدين في ترجمته « من أهل قرنطة وذوي الأصالة والنباهة فيها . كان رحمه الله على طريقة مثلى من المكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقيد والتدوين فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس ، مشاركاً في فنون من عربية وأصول وقراءات وحديث وأدب . حافظاً للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جماعة للكتب ، ملوكي الخزانة ، حسن المجلس تمتع المحاضرة ، صحيح الباطن . تقدم خطيباً على حدائث سنة ، فاتفق على فضله ، وجرى على سنن أصالته . » .

وله مؤلفات كثيرة ، منها : وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم ، وكتاب الأقوال السنية في الكلمات السنية ، وكتاب الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار . وكتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنبلية والحنفية ، وكتاب تقريب الوصول إلى علم الأصول . وكتاب النور المبين في قواعد عقائد الدين ، وكتاب المختصر البارع في قراءة نافع ، وكتاب أصول القراء الستة غير نافع ، وكتاب الفوائد العامة في لحن العامة . وله فهرسة كبيرة . وأبو القاسم بن جزي هو مؤلف التفسير الشهير - التسهيل إلى علوم التنزيل - (انظره محققاً بعناية الدكتور عدنان زرزور والدكتور محمد رضوان الداية) .

كانت ولادة ابن جزي سنة ٦٩٣ وتوفي شهيداً في معركة طريف التي جرت سنة ٧٤١ بين دولة بني نصر المتحالفين مع بني مرين من جهة وتحالف الدول الإسبانية البرتغالية والمطوعة معهم من جهة أخرى ، ومحص الله فيها المسلمين . قالوا في ترجمته إنه فقد وهو يجرض الناس - على الجهاد - ويقاوم مجاهداً . تقبل الله شهادته .

(١) جيان مدينة كبيرة ، كانت حاضرة كورة باسمها .

والقاضي أبو بكر (١) هذا استكتبه بالحضرة السلطانية ابن عم أبينا أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف، ثم بعد ذلك ولي القضاء ببيسرجة، ثم بأندرش، ثم بوادي آش (٢). وولي أيضاً قضاء الجماعة بقرنطة بمسجدها الأعظم في دولة ابن عمنا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل.

حاله - أكرمه الله -

قدم للقضاء فعدل، وما عن النهج القويم عدل. ولا وُجد له جور ولا ذوى للحق بعدله تور. فطابت يميل ذكره الخواطر، وتضوع من حسن سيرته المسك العاطر. وقلند الكتابة فأجال قداحها، وأبان بالإجادة مساءها وصباحها. وسلك من الفضل الجسم، الواضح الوسيم؛ على السنين المأثور، وركض في ميدان الآداب جواد المنظوم والمنثور. إلى ما شئت من سكينه وعفاف، وتخلق بالمحامد وإنصاف. ونسب قصر عن وصفه الحافظ المجيد، وشرف تحلى به للفخر التجر والجيد.

فمن قوله يهتئ بها ابن عم أبينا، أمير المسلمين أبا الحجاج (٣) ببعض المغازي (٤) :

(١) عود إلى المترجم به .

(٢) برجة من أعمال المرية، وهي على واد يعرف بوادي عذراء. وأندرش : مدينة من أعمال المرية . ووادي آش : مدينة بالأندلس قريبة من قرنطة .

(٣) هو الأمير النصري أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج . حكم قرنطة (٧٣٤ - ٧٥٥) .

(٤) في مدة الأمير المذكور كانت وقعة طريف (٧٤١) وأدت إلى استيلاء صاحب قشتالة ألفونسو على الجزيرة الخضراء وحاصر المسلمين وجاس خلال ديارهم . ونازل جبل القتح سنة ٧٥١ ولكنه هلك حتف أنفه دون ذلك فانقض جيشه وطورد فله .

سعودٌ بها الإسلامُ نال أمانِيه°
 هَنِيئًا لهذا الملكِ نصرٌ مؤزَّر°
 أضحتُ يبشِّراهُ وشادتُ مبانِيه°
 وحقٌ علينا أن نُدِيمَ تَهَانِيه°
 أضمانٌ على الأيامِ أنكَ غالبٌ
 وأنتك لا تُبقي من الشرِّكِ باقيه°
 لقد نصرَ الإسلامَ منك مؤيدٌ
 معالِمتهُ أحْيَى، وأعلى مَراقِيه°

[٤٨ / أ]

فيا غزوةً ما كان أسعدَ يومَها
 ويا نعمةً للدينِ والمُلكِ ضافيه°
 ويا بطشةً ما كان أعظمَ صَوْلها
 ويا عزيمةً كانت على الرُّومِ قاضيه°

ومنها :

لقد عزَّ دينٌ كنتَ أنتَ حُسامه°
 وناصره° إن نابَ خطبُ وحامِيه°
 هو المُلكُ زانتُه مكارمُ جمَّة°
 لسديك وصانتهُ عزائمُ ماخِيه°
 فأوليتُه الإعزازَ لما وليتُه
 وأخصبتَ مرعاهُ وأعشبتَ واديه°
 وسدَّدتَ مرماهُ وأعليتَ أمره°
 وشيئتَ مَبَاهُ وشرفتَ نادية°
 وحلَّيتَ بالإسلامِ والجودِ جيده°
 وجلَّيتَ بالتَّوفيقِ والرُّشدِ داجِيه°
 ألا في سبيلِ اللهِ ما أنتَ صانعٌ
 واللهِ والإسلامِ ما كنتَ آتِيه°
 قضي لك بالتَّفضيلِ كلُّ مُجربٍ
 عليمٌ بأخبارِ الأوائلِ راويه°

وله أيضاً في العذار ، وهو أحسن ما قيل فيه . وسبب ذلك أن كُتِّبَ
الْحَضْرَةَ السُّلْطَانِيَةَ الْيُوسُفِيَّةَ تَذَاكَرُوا مَعْنَى مَخْتَرَعاً فِي الْعِذَارِ لَمْ تَسْبِقْ إِلَيْهِ
الشعراء فأتى كلُّ بما في قدرته فقال هو - على البديهة :

أتى أولو الكُتِّبِ والحَرْبِ الألى عَزَمُوا
من بَعْدِ سِلْمِي عَلَى حَرْبِي وَإِسْلَامِي

وَأَسْتَظْزِرُ دُونِي لِتَشْبِيهِ الْعِذَارِ لَسْتُمْ
وَجَادَلُونِي فِيهِ دُونَ أَحْلَامِي

فقال ذو الكُتِّبِ لا أَرْضَى الْكُتَائِبَ فِي
تَشْبِيهِهِ لَا وَأَنْقَاسِي (١) وَأَقْلَامِي

وقال ذو الحَرْبِ مَا الْحَرْابُ مُشْتَبِهاً
عِنْدِي بِهِ لَا وَأَسْيَافِي وَأَعْلَامِي
فَقَلْتُ أَجْمَعُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ إِذَا
بِاللَّامِ ، فَاسْتَحْسِنُوا التَّشْبِيهِ بِاللَّامِ !

وقال أيضاً مورياً بالكُتِّبِ :

(أُمَالِي) الشُّوقُ تَمَلُّ لِي الدَّفَاتِيرُ
أَقُولُ هِيَ (الصَّحَّاحُ) هِيَ (النَّوَادِرُ)
وَمِنْ حُبِّي (خِلَاصَةٌ) كُلُّ حُبٍّ
وَمِنْ صَبْرِي (مَعُونَةٌ) كُلُّ صَابِرٍ

[٤٨ / ب]

وَمِنْ قَلْبِي (المُخْلِصُ) (٢) وَ (المُؤَطَّنَا)
وَمِنْ دَمْعِي (المُفْصَلُ) وَ (الجَوَاهِرُ)

(١) فيها : أنقاسي (بالفاء) . وأنقاس جمع نقس (بكسر النون) : المداد يكتب به .

(٢) في النسختين : المخلص .

الفقيه الكاتب القاضي الخطيب علي بن عبد الله بن الحسن
الجندامي (*) :

يكنى أبا الحسن ، وأدر كتبه ، ورأيت ، ويعرف بابن الحسن ، وبالنبني .
وهو من أهل مالقة ، من بيت رفيع المجادة ؛ من أولي علم وقضاء
وخطابه .

وقدمه قاضياً بقرنطة ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد
المخولوع واختط به ، واستكتبه ، ثم قدمه على قضاء الجماعة ثانية .

ولجده الفقيه القاضي ابن الحسن المالقي أخبار شهيرة مع الحاجب المنصور
بالله ، أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري ، حاجب هشام المؤيد بالله أمير

(*) أبو الحسن علي بن عبد الله ، الشهير بالقاضي النباهي . من رجال الدولة النصرية في
النصف الثاني من القرن الثامن . ولد بمدينة مالقة سنة ٣٠٧ ، واستكمل علومه في مدينة
قرنطة . وولي القضاء في بعض مدن دولة قرنطة ثم التحق كاتباً بالديوان . وقد حظي
عند الغني بالله محمد الخامس بمكانة مرموقة فصار قاضي الجماعة على إمامه . ولا يذكر القاضي
النباهي دون أن يذكر معه لسان الدين بن الخطيب . فقد بدأ صديقين ، يتقارضان الثناء .
وذكره ابن الخطيب في الإحاطة في ترجمة مدحية لم يضمن فيها بالإطراء ، ولكنه نقض
كلامه في (أعمال الأعلام) وفي (الكتيبة الكامنة) وهجاه هجواً مرأ . ولما اشتد
بينها الخلاف ألفت فيه « خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن » . وكان النباهي من
أهم المحرضين على ابن الخطيب ، لا يبدله في ذلك غير ابن زمرك الوزير الذي جاء بعد
ابن الخطيب . واشتدت الحملة بينهما بعد أن غادر لسان الدين إلى المغرب تاركاً وزارته
بقرنطة ومقاطعاً السلطان النصرى . للنباهي « المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا »
ط - القاهرة - وشرح المقامة النخلية - خ - . قال في « نيل الابتهاج » إنه كان حياً
سنة ٧٩٣ .

(انظر نيل الابتهاج ٢٠٥ والكتيبة الكامنة ١٤٦ ، وأزهار الرياض ١ : ٢١٢ ،
ونفح الطيب ٥ : ١٢٢ . وفيه كتاب النباهي إلى لسان الدين بلومه ويفند مواقف) .

المؤمنين الأموي ، خليفة الأندلس ، أثبت هنا منها حكاية طريفة . ولم أثبتها إلا ليعلم منها أصلتها^(١) ، وعلو منصبه . وهي ما قال^(٢) محمد به موسى بن عزرون عن أبيه موسى . قال : اجتمعنا يوماً في منزله لنا يجهة النساءورة بقُرطبة مع المنصور بن أبي عامر^(٣) في حدائث سنه ، وأوان طلبه ، وهو مُرجيء^(٤) مؤتمل . ومعنا ابن عمه عمرو بن عبد الله بن عسقلانجه^(٥) ، والكاكب ابن المرعزي ، والفقيه ابن الحسن المالقي^(٦) وكانت معنا سفرة فيها طعام . فقال ابن أبي عامر من ذلك الكلام الذي يتكلم به : لا بد أن أملك الأندلس ! وأملك الرجال ! وأقود الجيوش ! وينفذ حُكمي في جميع الأندلس ! ونحن نضحكُ من قوله^(٧) وتتعجب من حديثه . فقال^(٨) :
 يتمنى كل واحدٍ منكم ما شاء ، فتمنى كل واحدٍ منهم ، فقال عمرو بن عبد الله ، تمنى^(٩) أن توليني المدينة لضرب الظهور والجُنَاة^(١٠) ، ونفتحها مثل هذه الشاردة^(١١) . وقال ابن المرعزي : أنا أشتهي هذه الإسفنج ، توليني أحكام السوق حتى نشتفي منها ! وقال ابن الحسن ، أحبُّ هذا التين تمنى

(١) في النسختين : أصلتها . ولعله : أصلته .

(٢) الخبر في المرقبة العليا للنباهي (المترجم به) : « ٨١ » .

(٣) في المرقبة العليا « وهو في حدائث سنه » .

(٤) في النسختين : (مرجيء ، مهموزة) وفي المرقبة : مرجي . قلت كأنه يريد : راج .

(٥) في نسخة ط : عسقلانجه . والمثبت من م ، ومثله في المرقبة .

(٦) في المرقبة العليا : الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي .

(٧) في المرقبة العليا : ونضحك معه .

(٨) في المرقبة العليا : تمنوا علي .

(٩) في المرقبة العليا : أتمنى .

(١٠) اختصر النباهي : في « المرقبة » من القصة الحديث عن المآكل الواردة بعد .

(١١) في « ط » : الساردة .

توليتني القضاء برؤية (١) حتى أتشفى من ذلك .

[٤٩ / أ] قال موسى بن عزرون : فقال لي تمن أنت ! قال فشقت لحيتي ، وضربت به وقلت قولاً قبيحاً من أقوال السفال . قال فلما صار المنصور إلى ما صار من ملك الأندلس ولي ابن عمه المدينة ، وولتني ابن المرعزي أحكام الشوق ، وولى ابن الحسن المالقي قضاء رؤية ، وبلغ كل واحد منهم ما تمنى ، وأغرمني أنا ما أعظيماً أجحف بي وأفقرني لقبح ما جئت به ! (٢) .

حاله :

ملك من الطريقة الأدبية الصدور والأعجاز ، وضرب القيداح في منشورها ومنظومها بعلماهما وفاز . واهتز قضيب براعته في المسائل الفقهية أي اهتزاز . ذو إصابة في الأحكام الشرعية ، ووقوف عند حدودها السنية . إلى سمع ووقار ، وكلام ألد من كسات العقار .

فمن قوله ما كتب به للشريف الفقيه القاضي أبي القاسم محمد بن الفقيه القاضي أبي علي حسن الحسيني السبتي المعروف بالتمساني :

يا عمادي الذي له القدر العالي ، والفضل المستوالي ؛ والمكارم التي صححت منها الأسانيد وحسنت الأمالي . خصمك الله بدوام السعادة ، وحباًكم من عوارفه بالحسنى والزيادة . وصلت العقيلة الجليلة التي قادت الجنادل ، وسحرت بجمالها المثل . وهبت أسرار معانيها هبوب الرياح ، وسرت ألفتها الشريفة مسرى الحياة في الأرواح . أكرم بها من زهرة سعيدة ، وزهرة لشرخ الشباب مُعيدة . لم تكدر صفو شهدها (٣) إر النعل . ولا شكت دوحه مجدها

(١) رية : كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة . قال في المغرب : وتعرف الآن بمالقة ، والتين

فيها مفضل على سائر تين الاندلس (المغرب ١ : ٤٢٣) .

(٢) اختصر في «المرقبة» هذه الفقرة .

(٣) في (م) ثمدا .

ألم الحلق . مينا لقد أنست صباحتها محاسن أدباء بغداد ، وأزرت فصاحتها
 بخطباء إباد . فمن سطور تحاكما الشذور ، وتغص بمرآها البذور ، ومن
 طرف أغراض تذهب بعلل القلوب المراض ، ويقصر عن طيب شذاهها
 أنفاس [٤٩ / ب] الریاض . ومن معان تطلق من ربة الجهل كل عان .
 فنزعت فيها الناظر والخاطر ، ونافحت بها الروض الماطر ، والمسك
 العاطر . وناديت بأعلى صوتي : بمثل هذه الحريرة ، الغدة الفريدة ؛ يكاث من
 يكاث ؛ ويثاخر من يفاخر . ثم إنني أقبلت أناجيبها بالضمير ، وأقول في مراجعتها
 بلسان التقصير :

يا تحفة القلم الذي زان الزمن
 من ذا يقوم بشكر من أهداك من ؟
 إن خط مفرقه فقد سحر النهي
 وأراك فيه وشي صنعاء اليمين
 وكلامه نظماً ونشراً لؤلؤ
 لكنه يربي على غالي الثمن
 أبدى وأظهر من صفاء كماله
 ما كان لي في القلب منه قد كمن
 لا زال يبلغ في الزمان مراده
 ويبيت من طرق الليالي في أمن

وعذراً يا سيدي في الاختصار والاقتصار من الكلام على هذا المقدار .
 فلا خفاء عليكم بما لدي من القصور في المنظوم والمنثور . على أي لو كنت
 أشعر من حبيب ، وأخطب من شيب ، وأحكم من أكنم ، أو عمرو بن
 الأهم ؛ وأطرف وأطبع من الملقب في عدوان بندي الإصبع ، وأصبحت

بعلوم البيان أعلم من الشيخ أبي عبد الرحمن ، أو (...) (١) عمرو بن أبي عثمان (٢) أو الأخفش علي بن سليمان لاستقصرت كل لسان ، ولو أيت الواجب لكم فوق ذلكم الإحسان .

بيد أن المَعْظَمَ يُعَاتَبُ مِثَابَةَ الْجَمَالِ وَالْإِجْمَالِ مِعَاتِبَةَ الْإِدْلالِ ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْمُفَاكِهِةِ وَالْإِجْلَالِ ، وَالْإِحْمَاضِ وَالْإِخْلَالِ . فَنَقُولُ : الْعَقِيلَةُ الْمَعْبَرُ عَنْهَا أَصَابَ كَمَا لَهَا سَهْمُ النِّقْصِ ، إِذْ دُفِعَتْ إِلَى الشَّخْصِ الَّذِي هُوَ دُونَ قَدْرِهَا بِالْقِيَاسِ وَالنَّصِّ ! فَلَيْسَ لِمِثْلِي عَلَى الْقِيَامِ بِحَقِّهَا مِنْ يَدَيْنِ ، وَلَوْ أُنِي عَلَوْتُ الْفَرْقَدَيْنِ ، وَاسْتَنْزَلْتُ السَّنِيرَيْنِ الْأَكْبَرَيْنِ ، وَسَقَيْتُ لَهَا النَّسْعَانِمَ وَالشُّعْرَ يَتَيْنِ ، وَالزُّبَانِي مَعَ الْبُطَيْنِ . وَأَمَّا قُرْطَا مَارِيَّةَ فَمَا إِنْ رَضِيَتْ بِهِنَّ لَهَا مِنْ قُرْطَيْنِ ، وَلَوْ كَلَّسَلَا بِالْغَفْرِ وَالشَّرْطَيْنِ [٥٠ / أ] وَلَمْ لَا وَهِيَ بِنْتُ فِكْرٍ إِمَامِ الْمُتَقَرِّبَيْنِ ، وَجَمَالِ الْمَشْرِقَيْنِ ، وَقَدَوهُ الْعُدُوتَيْنِ . فَكَيْفَ جَرَى هَذَا الْوَاقِعُ ، وَمَقَى حَلَّ السَّبَبِ الْقَاطِعِ ، حَتَّى ظَهَرَ عَلَى الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ النَّسْرُ الْوَاقِعُ . هُنَا يَجْمَلُ تَعْصَبُ الْفَتْمِيَّةِ ، وَيَحْمَدُ تَكَلَّمَهُ بِمَلَأَ فِيهِ ، وَإِظْهَارَ مَا يَرُويهِ وَيَدْعِيهِ ؛ مِنْ سَنَدٍ وَثِيقٍ ، وَفَكَتَ تَحْقِيقٍ ، وَنُصُوصِ تَوْثِيقٍ . فَهُوَ مَحَلُّ الْقَبُولِ وَالرَّدِّ ، وَالْحُلِّ وَالْعَقْدِ ، وَالْإِسْتِدْرَاكِ وَالنَّقْدِ .

إِيه ، أَيُّهَا الْمَنْعَمُ بِالتَّخْفَةِ الْمِعْطَارَةِ ، قَدْ أَنْ الْمَعْظَمُ أَنْ يَكْفَ مِنْ هَذِهِ الْغِزَارَةِ (٣) . وَيَرَا جَمْعَ نَفْسِهِ ، فَبِنَسْتِ الْجَارَةِ ، وَالْعَصِيَّةِ الْأَمَارَةِ ، وَالْمَكْرَهَةِ الْمُخْتَارَةِ . فَأَقُولُ - وَبِالْحَقِّ أَصُولُ - صَنْيَعَةَ الْعِمَادِ إِنَّمَا هِيَ دَرَرٌ وَشُدُورٌ . ثَبَتَ عَدَمَ قَارُونَ عِنْدَهَا وَإِنْ الْعَدِيمُ لِمَعْدُورٌ . وَغَيْرُ نَكِيرٍ عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ

(١) فِي ط : كَرِيمَةٌ ، وَفِي م : لَرِيعةٌ . وَلَمْ تَتَوَجَّهْ لِي فِي قِرَاءَتِهَا .

(٢) فِيهَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ ، قُلْتُ لَعَلَّهُ عَمْرُو أَبِي عُثْمَانَ (الْجَاهِظُ) .

(٣) فِي النِّسْخَتَيْنِ : الْغِزَارَةُ ، « بَغِيْنٌ وَزَايٌ » .

أن يجود على فقير أو حقيير بئذ خور. فسَيَدني أولى من تَطَوَّل بالهية السَّمحة
والنعمة السَّحة ، من غير من ولا أذى ، ولا تَعْليل بفتح باب « حتى »
و « إذا ». فهو ربُّ الأيادي ، ومَلَاذ الحاضر والبادي . أبقاء الله شرفاً
للأيام ، وفخر الدولة السامية المقام . وهذا ما حضر من الكلام ، والسَّلَام .

الفقيه الكاتب أحمد بن علي بن محمد بن علي

ابن محمد بن محمد بن خاتمة الأنصاري (*)

يكنى أبا جعفر ، وأدركته .

(*) أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة ، الشاعر ، الفقيه ، الكاتب (٧٠٠-٧٧٠) كان
مشاركاً في ضروب من العلوم والمعارف ، مشهوراً بالبراعة والإتقان ، سالكاً خطة حميدة
من الزهد والتقوى ، بارعاً في الأغراض الشعرية . أثنى عليه معاصروه ، وخصه لسان
الدين بن الخطيب بعد من التراجم في كتبه التي ألفها ، وكانت بينهما مراسلات تدل على صداقة
وطيدة . وقد شارك ابن خاتمة في التأليف وكان من وجوه العصر وأدبائه المعدودين .
فمن كتبه « تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد » مخطوط ، ومزينة المرية على
غيرها من البلاد الأندلسية ، منه نقول عند المقرئ وغيره ، و « إيراد اللال من إنشاد
الضوال » في لحن العامة ، مطبوع ، ورسائل متفرقة . كما جمع تلميذه ابن زرقالة طائفة
حسنة من شعر أستاذه ابن خاتمة في غرض التورية في كراس سماه « رائق التحلية وفائق
التورية » مخطوط ، وقد حققت ديوان ابن خاتمة معتمداً على نسختين إحداهما عن مخطوطة
بخط المؤلف نفسه ، (طبع بوزارة الثقافة والإرشاد القومي - بدمشق - ١٩٧٢) .
(انظر ترجمة ابن خاتمة في الإحاطة للسان الدين ١ : ١١٤ ، والكتيبة السكمنة له :
٢٣٩ ، ودرة المجال لابن القاضي ١ : ٤٠ ، ونيل الابتهاج ٧٢ . وانظر أخباراً
وافية عن حياته وأدبه وديوانه في مقدمة الديوان) .

وهو من المريّة^(١) ، وكان يكتب على أهلها إلى السلطان ويقرىء
العربية وسائر العلوم بها .

حاله - سلمه الله -

أسد ميدان الطلب ، وربّ الفصاحة والأدب . وفارس البيان والبراعة ،
ورب الكتابة والبراعة . إلى خطب يستوقف من حسنه الأَبصار ، وقريض
يقرض شعراء الأعصار . وإنشاء نشأت منه الإجادة في الأمصار . وشعراء
الأندلس يقدمونه على أنفسهم ، ومع ذلك يلتزم التواضع لأدنانهم
وأنفسهم .

[٥٠ / ب]

فمن قوله يتغزل^(٢) :

أكل شاكٍ بداءِ الحُبِّ مُضْنَاكِ
ماذا جَنَّتَهُ على العُشْتَاكِ عَيْنَاكِ
قد كان لي عن سبيلِ الحُبِّ مُنْصَرَفٌ
حتى دعوتِ له قَلْبِي فلبَّأكِ

(١) المريّة مدينة على الشاطئ الجنوبي الشرقي من الأندلس، كانت فرضة رئيسة في دولة
غرناطة تقصدها المراكب من الإسكندرية والشام وغيرها . والمريّة مدينة عربية
أسسها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ .

(٢) انظر في التعريف بها الروض المغطر للحميري : ٥٣٧ ، ومعجم ياقوت : ٥ : ١١٨
والمغرب لابن سعيد : ٢ : ١٩٣ ، ومشاهدات لسان الدين : ٤٣ - ٤٤ ومقدمة ديوان
ابن خاتمة .

(٢) أوردت القصيدة في ديوان ابن خاتمة (نقلا عن نثر الجمان) ، انظر ٢٠٣ .

أيقظته لأساة^(١) ثم نمت وما
بالسبت ، إياك شكوى الصب إياك !
أحبي ذمائي وما أتلفت من رمق
إن قلت عطفك قالا بل دلالك
5 كأنني لست أدري من أراق دمي
والله ما بفؤادي غير مرمك
أستغفر الله لا أبغيك مظلمة
فأنت مني في حل ومن ذاك
كل علي له جند مجندة
يكفيك يا هند أني بعض قتلاك !
كيف الخلاص لمثلي من هواك وقد
رمتي بي الوجد في أشراك أسراك
أعدت جفونك قلبي حيرة وضى
فهل دليل لقلب حائر شك ؟
10 قد كنت أطمع أن تصحو صبابته
لو قد صحت من حميتا التيه عطفك
زجرت فيك رسول الطرف عن نظري
فهل على القلب عتب إن تمناك ؟ !
يا طلعة الحسن تزهو في ملبسه
رحمك في أنفوس العشاق ! رحك !

(١) كذا في الأصلين ، ولعلها ، لأساء

تيمهي على الشمسِ واسبي البدرَ مطلقه
فإنما روضة الدنيا مُحَيَّاكِ

أقولُ والروضُ يُجلى في زخارفه
من علمتَ الرّوضَ يحكي حُسنَ مغناكِ؟

15 في فيكِ راحٌ وفي عطفكِ هزتها
فهل تتذنيكِ سُكراً من ثناياكِ؟

أليسَ من أعظمِ الأشياءِ موجدةً
أن تضحكي بي وطرّفي دائمٌ (١) باكِ

وأقطعُ العمرَ ما لي في سواكِ هوى
وليس لي منك يوماً حظٌ ميسواكِ!

أومي بفيّ لتقبيل الصبّا ولها
أقولُ شوقاً عساها قبلتُ فاكِ!

وأملأ الصدرَ من أنفاسها كلّفها
بما أشمّ بها من طيب ريتكِ

[٥١ / أ]

20 هل بالأثيلِ وبانِ الجزعِ تسليةً
وما الأثيلُ وبانِ الجزعِ لولاكِ؟

إني لأهواهُ والشاوي بجلته
ولستُ أهوى على التحقيقِ إلاكِ!

أحبهُ نجداً إلى جرّاءِ ساكنه
وما محبتهُ إلا بجرّاءكِ

يَا مَنْ نَأَتْ وَأَبْحَسَاءُ الضَّلُوعِ ثَوَتْ

تَرَكَ تَنْسِيَيْنَ صَبَبًا لَيْسَ يَنْسَاكَ ؟

أَمَّا وَسِرٌّ جَمَالٍ أَنْتَ رَوَّعْتَهُ

لَوْ صَوَّرَ الْحَسَنُ شَخْصًا مَا تَعَدَّكَ !

25 حَيَّيَّ عَلَى الْبُعْدِ تُحْيِي نَفْسَ ذِي كَمَدٍ

مَا إِنْ تَهَبُّ صَبَبًا إِلَّا وَحَيَّاكَ !

وكتب إليه صاحبنا الفقيه العالم الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي

القاسم محمد بن جزَي الكلي (١) الأندلسي قصيدة حذف منها الراء المهمة

للشخ يعقري لسانه ؛ يجعل مكان الراء غيناً معجمة وهي :

وَعَدَّ الْوَفَاءَ وَبَتَهُ مَا نَجَزَا (٢)

طَيْفٌ أَلْمٌ بِمُقَلِّي مُسْتَوْفِرَا

مَاذَا يُفِيدُ الطَّيْفُ إِذْ يَتْتَابِي

وَالنُّومُ قَدَّ أَعْيَى الْجُفُونَ وَأَعْجَزَا

يَا قَاتِلَ اللَّهِ الزَّمَانَ فَإِنَّهُ

مَا زَالَ فِي عُنْوَانِهِ مَسْجُورَا

وَإِذَا تَعَاقَلَ عَنكَ حِينًا خَطْبُهُ

فَمَكِيدَةٌ حَتَّى يَصَادَفَ مَنَهْرَا !

لِلَّهِ أَيَّامٌ خَوَالٍ لَمْ أَكُنْ

فِيهِنَّ إِلَّا لِلنَّهْوِ مَتَّحِيمَا

(١) سبق الحديث عنه ، وعن أسرة بني جزى .

(٢) في الأصلين « ما نجزا » .

- 5 أتتبعُ اللذات حيثُ وجدتها
وأميلُ نحو الأُنس حيثُ تحوزا (١)
وأظُلُّ حيثُ اللهُو يبسطُ ظلَّهُ
حتّى عَزاني للبطالةِ مَنْ عَزَا
والعَيْشُ غَضُّ والحَيْبُ مُسَاعِدُ
بالوَصْلِ عَفْوَاً قَبْلَ أَنْ يُسْتَمْتَحِرَا
إِنَّ الشَّبَابَ ، إِذَا سَمَتْ لِلنَّدَا
وجعلتهُ مفتاحهُ لِنَ تَعْجِزَا!
- 10 ومُعَدِّلِ قَلْبِي بِخُلْدِ لَفْظِهِ
وعَدَّ الجَمِيلَ ووعدُهُ لِنَ يَنْجِزَا
قد كنتُ أحملُ صَدَهُ وجَفَاءَهُ
حتّى أُعِينَا بِالْبِعَادِ وَعُزْرَا
[٥١ / ب]
ها إنني من بعده لا مَيِّتُ
أُبْكِي ، وَلَا حَيٌّ ، فَهَلَا أَجْهَزَا؟
يا عَيْشَةَ أَلْوَى بِجِدِّهَا النَّوَى
كَانَتْ كَمَا أَنْشَأَتْ لَفْظًا مُوجِزَا
ومحَا محاسِنها البعادِ فقد سَلَا
عَنها فُؤادِي بالتعلُّلِ واجْتِزَا
15 خَدَعَ الزَّمانُ بِها وَكَنتُ أَظُنُّنِي
خادَعْتُهُ فَأَبانَ عَمَّا أَلْتَفِرَا

(١) تحوز كتحيز: تنحى. يريد: أميل نحو الأُنس حيث مال.

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي ابْنَ خَاتِمَةِ الَّذِي
خُتِمَتْ بِهِ الْبُلْسَاءُ فَذَآ مُعْجِزَا

إِنَّ الْبَلَاغَةَ قَدْ مَلَكَتْ زَمَامَهَا
وَفَتَحَتْ مُقْفَلَهَا الَّذِي قَدْ أُعْوِزَا

جَلَيْتَ فِي مَيْدَانِهَا وَفَضَحْتَ مَنْ
كَانَ انْتَمَى قَدِمْآ إِلَيْهَا وَاعْتَمَزَى

وَلَدَكَ الْبَيَانَ سَجَبْتَ مِنْ أَذْيَالِهِ
فِي حَالَتِهِ مُطْنِيْبًا أَوْ مُوْجِزَا

20 قَادَ الْقَوَافِي طَائِعَاتٍ فَهَوَ لَا
يَخْشَى عَقَائِلَ نَظْمِهَا أَنْ تَنْشُرَا

خُذَهَا أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ ذِي خُلَّةٍ (١)
لَكَ قَدْ عَدَا بِيْخُلُوصِهَا مُتَمَيِّزَا

حَسَنَاءَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى خُلِصَتْ
لِمُنْخَطِّ فِي صُحُفِ الْقُلُوبِ وَتَكُنْزَا

حَاشَيْتُ أُخْتَ الزَّايِ مِنْهَا عَامِدَا
حَتَّى لَسَكْتُ إِخَالُ ذَلِكَ مُعْوِزَا

وَافْتِكَ مَبْلَغَةً سَلَامِي بَعْدَمَا
طَالَ الْبِعَادُ فَأَوْهَا حُسْنَ الْجَزَا !

فجاوبه بقصيدة هجر فيها الراء المهملة ، ورسالة مثلها زائفة ، معجمة ،
وهي (١) :

مزجَ البلاغة بالجزالة مُوجزا
وأتى به في الحُسنِ بَدْعاً مُعْجِزا
يَنسَابُ بَيْنَ حلاوةٍ وطلاوةٍ
جمعَ البديعِ به البديعِ فأوجزا
وافى يُجاذِبني الحديثَ وإتْمَا
وافى يُجشِّمُ بَدَلًا نَيْلٍ مُعْوزَا
هلا وملعبٌ خَيْلي الآدابُ إذْ
أَسْمُو لَهَا من قبلِ أَنْ تُتَنَجِّزَا
5 تَهْفُو بِعِطْفِي نَحْوَهَا خَلَقِ الصَّبَا
مَيْلًا لِحَيْزِ حُسْنِهَا وَتَحْيِزَا

[٥٢ / أ]

أَمَا وَقَدْ جَذِبْتُ عَيْنَانِ عِنَابِي
أَيْدِي الحَفَائِقِ فَانْتَبَهْتُ تَجْوِزَا
تَمَّي تَلَقَّي عِلْمِ أَوْ إِقَاوُهُ
بِمَا يُؤْمَلُ نَفْعُهُ يَوْمَ الجَزَا
وعقائلُ الآدابِ مَا لَمْ تُصْطَنِعْ
بَعْدَ التَّشْنِي أَوْشَكَتْ أَنْ تَنْشُرَا
وَعَزِيزَةُ الأَبْيَاتِ أَوْدَعَتْ نَظْمَهَا
من واضحِ الآياتِ مَا قَدْ أُعْجِزَا

(١) أوردت القصيدة في ديوان ابن خاتمة : ١٩١ نقلا عن نثر الجمان .

10 لو واصلُ بن عطاءٍ (*) أُعطي وصلها
لم يعتزلُ عن مُحسنها ، ولها اعتزى !
ولأصبحتُ فيما أَناهُ أسوةً
يَعْتادُها منُ جدِّه قولا أو هزلاً (١)

حَيِّىَ بِهَا (كلابن) (٢) بل أَحْيِيْهَا
مَاضِيِ الْبَدِيَةِ مُسْهِباً أَوْ مُوجِزاً
قَسَمًا بِمَا خَطَطْتُ عَوَالِي نِقْسِيهِ (٣)
فِي وَجْهِ صَفْحَتِهَا الَّذِي لَا يُوتَرَى (٤)

مَا جَنَّدَةُ بِالْحَزَنِ دَبَّحَ وَشَيَّهَا
وَكُتَّافُ (٥) مُزْنٍ لَمْ يَبَيْتْ مُسْتَوْفِزاً

15 قَدْ عَمَّهَا وَجْهُ الزَّمَانِ مَحْسِنًا
تَسْتَوْفِيهِ الْأَحْدَاقَ أَنْ تَتَجَوَّزَا (٦)

لِغِنَاءِ سَاجِعِهَا افْتِتَانُ مُسَاجِلِ
يُنْشِيْ عَلَيْهَا مُفْضِصِحًا أَوْ مُلْغِزَا

(*) واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣٠) من رؤوس المعتزلة . كان من أئمة البلغاء والمتكلمين ، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ؛ فتجنب الراء في خطابه ، وضرب به المثل في ذلك .

(١) يريد : من جد أو هزل . وقد ورد مثل هذا الحذف في الشعر .

(٢) فيها : كلابن . ولم تظهر .

(٣) وردت الكلمتان في الأصلين « عوالي نفسه » . ولعل ما أثبتته هو الصحيح لسياق المعنى . والعوالي جمع غالبية « ضرب من الطيب » . والنقس : الخبر .

(٤) آزى الشيء : حازه وجاراه .

(٥) في م : وكف .

(٦) يريد : محاسن تجتذب النظر اجتذاباً .

سحبَ النسيمُ بها فُضولَ ذبولهِ
 فتضوّعتُ طيباً ولانتُ مغمّزاً
 باتمّ أنفاساً وأعدبَ نعمةً
 منه، لئدى سنعٍ، وآنقَ حيمزاً
 إليه مهيبجة الجوى بيجوانحي
 شوقاً لمن يحلى عُلاهُ تميمزاً
 20 بحياةٍ ودّي في امتدادِ حياتيهِ
 ووفاءِ عهدٍ صنّتهُ أنُ يغمزاً (١)
 قولي وزيندي وابسطي لي حالتهُ
 لا تسوجزي، ما حقّقه أن يُوجزاً
 وصفي فسقي أوصافه ما يُجتسلي
 صدعاً بها فببِوحسبها لا يُجتزاً (٢)
 لمحمد بن جززي آيةُ سوددِ (٣)
 قد ظلّ في العلياً بها مُتتميزاً
 ندبٌ إذا ما المجدُّ نيلَ بمهنة (٤)
 لم يألُ أن يحظى بهِ مُتتمزراً
 25 أضحى ذكاه بني جززيّ (غدواً) (٥)
 شهبُ العلامِ بكلّ أفقٍ حيزراً

(١) يريد وفاء عهد صادق لا مطعن فيه .

(٢) اجتزأ به : اكتفى .

(٣) أضلها بالهمز ، وسهلت .

(٤) الندب : النجيب ، الخفيف في الحاجة . واستعمل الشاعر « المهنة » هنا بمعنى المهانة .

(٥) في الأصلين : غدوا ، ولم يتوجه .

[٥٢ / أ]

وعدّ الزمانُ بهِ اعتدالَ محاسينِ
والآنَ آنَ لوعده أن يُنجزا
وإليكَها مِنِّي تَعَلَّةٌ مُعَوِزِ
فلقد سموت إليه سَهلاً مُعَوِزَا
جانَبْتُ ما جانبتَ فيه تَشِيْعاً
فَمَنِ انتَبَدتَ فَتَمَبَدُّهُ عِندي الجَزَا^(١)

يا أخي ، الذي ساء وده أن يُجازي ، وسيدي ، الذي علا مجتده من أن يُوازى . وَصَل اللهُ تَعَالَى لكَ أَسْبَابَ الْعِتْلَاءِ وَالْإِعْتِزَالِ . وَ « كَف » مالك من الاختصاص بالفضائل والامتياز . أما إنه لو وسع التخلُّف عن جواب أخٍ أَعَزَّ ، ولم يَجِبِ التَّكَلُّفُ على توسد العجز ، لَسَغَطِيتُ عَجْزِي عن عَيْنِ تَعْجِيزِكَ ؛ وَلِمَا تَعَاطَيْتُ الْمُشُولَ فِي زِيِّ مُنَاهِزِكَ أَوْ مُجِيزِكَ . لَكِنَّهُ فِي حُكْمِ الْوُدِّ الْمَكْنُونِ الْمَكْنُونُزِ ؛ تَمَّالِ يَحِلُّ وَلَا يَجُوزُ . فَلكم الفضلُ في الإغضاءِ عن عاجِزٍ ، دَعَاهُ حُكْمُ التَّكَلُّفِ إِلَى الْقِيَامِ مَقَامِ مُنَاجِيزِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْإِنْصَافِ ، وَحَمِيدِ الْأَوْصَافِ مِنَ الطَّائِعِ الْجَائِزِ . فَعِنِّ جَهْدٍ مَا بَلَغَ وَلَيْسَ لِكَ إِلَى هَذِهِ الْأَجْوَازِ ، وَلَمْ يَحْصُلْ مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَّا عَلَى الْمَجَازِ . أَمَا مَا ذَهَبْتُمْ^(٢) إِلَيْهِ مِنْ تَخْمِيسِي الْقَصِيدَةَ الَّتِي

(١) تجنب حرف الراء .

(٢) لم يثبت ابن الأحمر غير قصيدة لابن جزي ولم يصلها برسالة كما صنع في إيراد قصيدة ابن خاتمة ورسائله . ويبدو من الكلام أن ابن جزي كان قد أتى على قصيدة مخمسة لابن خاتمة كما ترى . قلت ، وفي ديوان ابن خاتمة تخميس (تسميط) لطيف لقصيدة ابن الخيمية مطلعها :

أعجزت ، وبلغت من البلاغة الغاية التي عزت منهاضتها ، وأعوزت ، فلم
أكن لأستهدف ثانياً لمضاضة الإعجاز ، وأسجل على نفسي بالإفلاس
والإعواز !

شيخنا الفقيه الخطيب فرج بن قاسم
ابن أحمد بن أسب التغليبي (*) .

يكنى أبا سعيد ، وأدركته ، وبعث لي بالإجازة العامة من غرناطة إلى
فاس ، وأنا قاطنٌ فيها في حضرة الملوك من مرين ، حين أخرجنا عن الأندلس
بنوعنا الملوك من بني نصر . وهو من أهل غرناطة . وولاه الخطابة
بجامعها الأعظم أمير المسلمين يوسف ابن عم أبينا . وهو الآن يخطب به على
حاله - أعانه الله تعالى - .

== منك التجلي ومنا الستر والحجب وكل نعمى فمن عليك ترتقب
وأنت أنت الذي أبقغي وأطلب « يا مطلباً ليس لي في غيره أرب
إليك آل التقصي وانتهى الطلب »

انظر ديوان ابن خاتمة : ٣ وما بعدها .

(*) قال في نفع الطيب في التعريف به : شيخ الشيوخ العلامة أبو سعيد فرج بن لب ، وذكره
لسان الدين في الإحاطة بالمدح والثناء وقال إن عليه مدار الشورى وإليه مرجع الفتوى
لقيامه على الفقه وغزارة علمه وحفظه ، إلى المعرفة بالعربية واللغة ، ومعرفة التوثيق ،
والقيام على القراءات والتبريز في التفسير ، والمشاركة في الأصليين والفرائض والأدب .
وقد ولي الخطابة بالجامع (بغرناطة) وقعد للتدريس ، وأقرأ بالمدرسة النصرية . ووصفه
مترجموه بالذكاء وحسن الخلق وإصابة التعليم ، وسعة المعلومات .

(ترجمته في نفع الطيب ٥ : ٥٠٩ وأكثر نقله عن الإحاطة لسان الدين . وفي نبيل الابتهاج
٢١٩ ، وبغية الوعاة . وترجم له في الكتيبة السكامة ولكنه انقلب عليه وتلبه : ٦٧) .

حاله - نسأ الله في أجله -

هو معيد البلاغة ومبديها ، وعالم الأندلس ومفتيها ، ومظهر مشكلات العلوم وجليها . وشيخها وفتاها ، وحامل لواها ، وفارس البراعة والمتلفع برداها . قد تحلى بالسكينة والتقوى ، والتزم الطاعة في السر والنجوى . إن حضر مع الفقهاء مجلساً ، واحتل للأدباء مكانساً ؛ فله يتبعون ، وعلى قوله يعولون . وهو المصيب في كلامه ونظمه ، بثقوب ذهنه واتساع علمه . مع باع مديد في النحو واللغة الغربية ، وحفظ للأدب والتواريخ العجيبة ، ومعرفة شديدة ، بالأصول والفروع والحديث ، مصيبة . ونبل فائق في العروض والمنطق والبيان ، وعلم الكلام والقراءات وتفسير القرآن . وهو (يرى) ؟ (١) في كل هذه (٢) العلوم قارياً ، ولتدريسها ملازماً ، وعلى نهج تبيانها جارياً . وينظم القصائد النفائس ، فتأتي كالقلائد في أجياد العرائس . ولعمري ما تكلم مع أحد من الناس ، في توجيهه مسألة فقهية أو قياس ؛ إلا كان له عليه الظهور ، شهد له بذلك الخاصة والجمهور .

أنشدني لنفسه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إذا البتقُ نَارَ أثارَ ادّكارا	لقلبي فأذكى عليه أوارا (٣)
ترومُ جفوني لِنارِ الهوى	مخوداً فتسهمي دموعي غزارا
فماءُ جفوني يسحُّ انهماً لآ	ونارُ فؤادي تهيجُ استيعاراً

(١) كلمة لم تتضح لي ، وهذه أقرب قراءة تبينتها .

(٢) في النسختين : لهذا ، ولعله كما أثبت .

(٣) نقل المقرئ في نفع الطيب (٥ : ٥١٠ - ٥٢١) القصيدة عدا البيت ١١ .

أطيل العويل صباح^(١) مساء
 5 رقيت مراقبي للحب شتى
 كئيباً ولست أطيع اصطبارا
 وأبدي هياماً ليرقى أنا را
 [٥٣ / ب]

حنيناً وشوقاً إلى معلمهم
 به أسكن الله اسمي الوري
 حوى شرفاً خالداً لا يجارى
 نبيماً كريماً ، وصحباً خيارا
 هو المصطفى المنتقى المجتبي

أرى معجزات وآيا كبارا
 10 يحق علينا ركوب البحار
 وجوب القفار إليه ابتدأرا
 وأم ذراه فممن يعطه
 كفاه اعتلاء ، وأجل ، وافتيخارا
 بيلشهم المغاني جداراً جدارا
 وألحق خدماً على ثمرها
 وأكمل حجاً بها واعتبارا
 على حين وافي عليه فزارا
 15 وأهدى السلام لخير الأنام
 ليوم يرى الناس فيه سكارى
 دهنهم دواه فهموا حيارا
 ترى المرء للهول من أمه
 وكل يخاف على نفسه

فيكسوه خوف الإله انكيسارا
 فصلى الإله - رسول الهدى -
 عليك ، وأبقى هداك منارا

20 وَقَدَسْ رَيْي تَرَى رَوْضَةَ
يَعْمُ الْجِهَاتِ سَنَاها انْتِشَارا
أَعِيرَ شَدَى الْمَسْكِ مِنْهَا الشَّرَى
بَلِ الْمَسْكِ مِنْهَا شَدَاهُ اسْتَعَارا
هَنْيئًا لِمَنْ بِهِدَاكَ اهْتَدَى
وَمَغْنَاكَ وَاوَى وَإِيَّاكَ زَارا

قال إسماعيل بن الأحمر ، مؤلف هذا الكتاب : أخبرني شيخنا أبو سعيد هذا ، أنه عارض بقصيدته (١) هذه قصيدة الفقيه الإمام القاضي الرئيس شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي (*) صاحب «ديوان الإنشاء بالشام» التي هي :

وَصَلَّيْنَا الشَّرَى وَمَجَرَّنا الدِّيَارا
وَجِئْنَاكَ نَطْوِي إِلَيْكَ الْغِفَارا
وهذه القصيدة فظمها الرئيس أبو الثناء بالحجاز الشريفي في طريق

(١) في م : قصيده ، وفي ط قصيدة ، ولعله كما أثبت .

(*) شهاب الدين محمود بن سليمان (وقيل سلمان) بن فهد الحلبي ثم الدمشقي ، من كتاب ديوان الإنشاء المشهورين . ولد بجلب سنة ٦٦٤ ، وولي كتابة الإنشاء في دمشق وانتقل فعمل في مصر مدة ثم عاد إلى دمشق ، واستمر فيها إلى وفاته سنة ٧٢٥ . وولي كتابة السر ثماني سنوات قبل وفاته . قال في الأعلام « وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره . وعرف الشهاب محمود كاتباً بليغاً - لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله - وشاعراً مشهوراً » . له كتب ومصنفات في الترسل والأدب والتراجم ، وشعر غزير . وقال ابن حجر إن شعره يقع في ثلاثين مجلدة .
(ترجمته في الدرر الكامنة ٤ : ٣٢٤ وفوات الوفيات ٢ : ٦٤ والبداية والنهاية ١٤ : ١٢٠ وشذرات الذهب ٦ : ٦٩ والأعلام ٨ : ٤٩) .

المدينة شرفها الله - وعلى ساكنها السلام . وقد شرحتها ، وشرحي لها
أذكره هنا معها .

وحدثني بالقصيدة شيخاي الفقيهان الإمامان العالمان المحصلان المفتيان
القاضيان الخطيبان : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي قاضي
الجماعة بفاس (١) ، والشريف أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الحسني
المعروف بالمومنانني الفاسي عن الفقيه الإمام المحدث الرواية المُسند الحافظ
الحاج الرحال محبّ الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن
محمد بن رشيد الفهري السبّتي (٢) ، نزيل فاس . قال أنشدني لنفسه
الفقيه الإمام العام العلامة الرئيس القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود
ابن سليمان بن فهد الحلبي في سنة تسع وثمانين وست مئة بطريق
المدينة :

وَصَلَّنا السُّرى وَهَجَرنا الدِّيارا
وَجِئناكَ نَطْوي إِلَيْكَ القِفارا
أَتِيناكَ نَحْدُو البُكا والرَّكابَ
وَنَبْعثُ إِثْرَ القِطارِ القِطارا

- (١) ترجم له لسان الدين في الإحاطة (٢ : ١٣٣) وأحمد بابا في نيل الابتهاج (٢٦٥)
وغيرهما . ووصفه ابن الخطيب بأنه مديد الباع في فن الأدب ، شاعر مجيد وكاتب بليغ
وقال إن أبا عنان المريني قدمه قاضياً بحضرته . وهو توفي سنة ٧٧٩ كما في نيل الابتهاج .
- (٢) من أهل سبتة ولد بها سنة ٦٥٧ ، وتوفي بفاس سنة ٧٢١ ، يعرف بابن رشيد . أنفى
عليه ابن فرحون في الديباج المذهب (٣١٠) وقال إنه برع في علوم كثيرة رواية
ودراية . وهو صاحب الرحلة المشهورة باسمه ، وعنوانها:
«ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكرمتين إلى مكة وطيبة» .
قال في درة الحجال (٢ : ٩٦) إنه بدأ رحلته من المرية سنة ٦٨٣ .

إذا أخذت هذه في الرُّبَا
 مُصْعوداً أبى ذاك إلا الخِداراً
 وإن فاض ماءً لِفِرَطِ الحَنِينِ
 ورجع حادي السرى عادَ ناراً
 كأنني به وهو يجري دماً
 وقوفاً على الخَيْفِ تَرْمِي الجِياراً

قال إسماعيل بن الأحمر مؤلف هذا الكتاب - لطف الله به - :
 قوله « أتيناك نحدو » إلى آخره . الحادي هو السائق من خلف العيس
 مُنشدأ لتقوى على السير . والهادي : السائق من أمام . والبكا يد ويقصر
 بمعنى . وقيل البكاء (ممدود) ، [٥٤ / ب] هو العويل والصياح .
 [والبُكا] (مقصور) البكاء بالدمع من غير عويل . والركاب : الإبل تحمل القوم ،
 ويقال لراكبيها وراكبي سائر الدواب : الرُّكَب ، على وزن الضرب ،
 والأركوب ، بضم الهمزة ، والركبان . ويقال في جمع راكب السفينة رُكَّاب
 بضم الراء ، وإضعاف الكاف . والقطار الأول جمع قطر (مفتوح القاف ،
 ساكن الطاء المهملة) : الاسم لما يقطر من الماء . يُقال قطر الماء (بالفتح) قطراً
 - بسكون الطاء - وقطرانا . والاسم القطر ، والجمع القطار . والقطار الثاني تقطير
 الإبل على نسق حتى تكون كالسطر .

وقوله : « إذا أخذت هذه في الرُّبَا » إلى آخره . جمع ربوة ، بضم الراء
 وهي الأكمة . والأجمة التل . ويقال : الرابية ، والربوة ، بكسر الراء .
 والرباوة على وزن الهراوة . و « الصَّعُود » بضم الصاد والعين المهملتين الارتقاء
 يقال : صعِد ، بكسر العين صعوداً . أو أصعد - أيضاً - على وزن أكرم ،
 إذا ارتقى مشرفاً ، أي موضعاً يُشرفُ عليه . والصَّعُود - بفتح الصاد -

الطريق إليه . والجمع أصعدة . وقيل ، يقال : صعد في الجبل ، وأصعد في الأرض لا غير . والانحدار : الهبوط من علو إلى سفلى .

يقول : إذا طلعت بهذه الإبل ربوة بعد ربوة زادت الدموع جريانا وهبوطا . يصف بذلك وبالبيتين بعده : الدمع .

أَتَيْنَاكَ سَعِيًّا نُنَادِي الْبِيدَارَا إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ الْبِيدَارَا
إِلَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي مَحْتَدِيهِ وَحَامِ (١) جَوَارَا ، وَأَعْلَى نَجَارَا
إِلَى مَنْ بِهِ اللَّهُ أُسْرَى إِلَيْهِ وَمَا زَاغَ نَظِيرُهُ حِينَ زَارَا
وَلَمَّا تَزَعْنَا شَعَارَ (٢) الرَّقَادِ لَبَسْنَا الدَّجِي وَادْرَعْنَا النَّهَارَا
نَمِيلُ مِنَ الشُّوقِ فَوْقَ الرَّحَالِ كَأَنَا سَكَرَى وَلَسْنَا سَكَرَى !
نُجَافِي عَنِ الطَّيْفِ أَجْفَانَنَا فَلَا نَطْمَعُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا (٣)

وَنَسْتُرِي مَعَ الشُّوقِ أَنْتَى سَمْرَى

وَتَتَّبِعُ حَادِي السَّمْرَى حَيْثُ سَارَا
وَنَسْأَلُ وَالِدَارُ تَدْنُو بِنَا عَنِ الْقُرْبِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَزَارَا
وَمَا ذَاكَ أَأَنَا سَمْنَا السَّمْرَى وَلَكِنْ دَنَوْنَا فَتَزِدُنَا انْتِظَارَا
إِذَا الْبَرِّقُ عَارَضَنَا مَوْهِنَا حَسَبْنَا سَنَى طَيِّبَةَ قَدِ أَنْارَا
فَنَفْرِي بِأَدْرَعِ تِلْكَ النَّيِّاقِ أَدِيمِ الْفَلَا غُدْوَةَ وَابْتِكَارَا
وَنَرْمِي يَهْنُ صُدُورَ الْفِجَاجِ كَأَنَا نَشْنُ عَلَيْهَا مَغَارَا

قوله « موهنا » يريد ساعة مضت من الليل . يقال لذلك الوقت وهن ؛

(١) في الأصلين : حامى (بالياء) .

(٢) في م : شفار (بالفاء) .

(٣) الغرار : القليل من النوم .

بسكون الهاء ، وموهن ؛ و « نفري » : نقطع . و « أذرع » جمع ذراع .
 و « النِّيَاق » جمع ناقة . و « أديم الفِلا » : وجهها ، أراد ظاهرها .
 و « الغُدوة » : بضم الغين المعجمة ، معروفة . وبفتحها المرة الواحدة من
 الفعل في ذلك الوقت . و « الابتكار » المضي بكرة ، وكذلك البُكور .
 و « الإبكار » على وزن الإكرام اسم للبكرة . والفِجَاج : الطُّرُق الواسعة
 في أقبال^(١) الجبال واحدها فِج ، بفتح الفاء وإضعاف الجيم . والأقبال : جمع
 قبل ، وقبلك ، على ما لم يسم فاعله ، أي استقبل وجهك . « نشن » أي نبث
 تخيلاً . يقال شن وأشن . والمنغارُ : اسم المصدر من أغار ؛ هذا بفتح الميم ،
 والاسم الغارة ؛ وهو إتيان القوم للقتال .

إذا رقصت في الفلاة المسطبي^١ جعلنا الدُموعَ عليها نثاراً^(٢)
 تساندُ أرجلها في السرى لديها وتشكو اليمين اليسارا
 ونجمع بين السرى والمسير
 ونخفقو الكسرى ونعاف القرارا
 وكيف القرارُ إلى أن نراك
 وتُدني المسطي^١ إليك المتزارا
 ومن كان يأمل منك الدنو^١
 أملك^١ دون اللقاء اصطبارا ؟
 ترى تنظر العين هذا البشير^١
 يريني على البعد تملك الديارا

(١) الأقبال جمع قبل (بضم وضم) وهو من الجبل سفحه .

(٢) النثار والنبارة ماتناثر من الشيء .

[٥٥ / ب]

لأعطيه رُوحِي سُوراً بِهَا
وأوطيه طَرْفِي وَخَدَيَّ اعْتِذَاراً

وَأَمْسَحَ عَن أَرْجُلِ الْبَهْمَلَاتِ
بِأَجْفَانِ عَيْنِي ذَاكَ الْغُبَارَا

وَأَهْدِي - عَلَى الْقُرْب - مِنِّي السَّلَامَ
حَسْبِي بِهَا رُتْبَةً وَافْتِخَارَا

وَأَكْتُبُ شَوْقِي بِمَاءِ الدَّمِوعِ
بَسِيطاً إِذَا اللَّفْظُ كَانَ اخْتِصَارَا

وَأَفْدِي بِمَا طَالَ مِن مُدَّتِي
بَطِيئَةً تَلْكَ السَّيَالِي الْقِصَارَا

تَمُرِي هَلْ أَنَا جِي هُنَاكَ الرَّسُولَ
جِيهَاراً كَمَا أَرْتَجِي أَوْ سِرَارَا؟

وَأَعْلَمُ أَنِّي عَلَى بَابِهِ
وَقَفْتُ وَقَبْلْتُ ذَاكَ الْجِدَارَا

وَمَاذَا أَقُولُ وَكُلُّهُ الْوَارَى
تَشَاوَى هُنَاكَ مِثْلِي تَحْيَارَى

وَأُنْشِدُ يَا شَافِعَ الْمُتَذَنِّبِينَ
أَجِيرُ مَنْ بَابِ حِمَاكَ اسْتَجَارَا

أَجِيرُنِي فَقَدْ جِئْتُ أَشْكُو الذَّنُوبَ
إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَنْقِيلُ الْعِشَارَا

فَكُنْ شَافِعِي يَوْمَ لَا شَافِعَ
سِوَاكَ يَنْقُلُ الْعُنَاةَ الْأَسَارَى

فما لي سوى حق هذا الجوارِ لديك ومثلك يرعى الجوارا
وإني قطعتُ إليك القِفارَ فقيراً أقلُّ (١) ذنوباً كيارا
وفي قَطْعِهَا لَكَ فَضْلٌ عَلَيَّ
ولو مُخِضْتُ دُونَ اللَّقَاءِ البِحَارا
ولتو أستطيعُ قَطَعْتُ الزَّمَانَ
- وأنتَ المُنَى - حِجَّةٌ واعتبارا
وما كنتُ أظنُّ إلا إِلَيْكَ
إذا ما مَلَكْتُ لِرُوحِي اختيارا

قوله : « اليعملات » هي الإبل التي تعمل حملاً وركوباً وغير ذلك.
و « العنابة » جمع عان ، وهو الأسير . و « الظاعن » : الشاخص . يقال
ظعنُ يظعنُ ظعنًا ، بفتح العين فيها ، وظعنواً على وزن خروج ، إذا
شخص . وشخص هنا صار من مكان إلى مكان ، شخصاً .

حَيْمٌ حَلَّ فِيهِ نَبِيُّ الهُدَى
فأضحى بِهِ أشرفَ الأَرْضِ دارا

[٥٦ / أ]

فيا فوزَ مَنْ كُلَّ عَامٍ أَنَاهُ
ويا قُوَّتَ مَنْ غَابَ عَنْهُ خَسَارا
شَمِمْنَا الشُّنْدَى مِنْ مَبَادِي الحِجَازِ
فَحَلِينَا العَبِيرَ أَعَارَ العَرَارِ (٢)

(١) أقل الشيء : حملة ورفعته .

(٢) العرار : بهار طيب الرائحة الواحدة عرارة .

فواهماً (١) لها نفحة أذكرت
 هوايَ وأذكتَ بِقَلبي الشُّرارا
 إذا خطرتَ في الرُّبا سِحرةً
 وجرتَ ذُبولاً على الغار غارا

« الغار » هنا نبت طيب الريح . وغار : الماضي من «الغيرة» . تقول
 غار الرجلُ يَغَارُ غيرةً وغاراً فهو غيران . وامرأة غيور وغيرى ، والجمع
 الغيُور على مثال الشرر ، والغيارى على مثال الحيارى .

يَمانية زانها أَنهَما بِطِيبَةِ مَرَّتْ وَجَرَّتْ إِزارا
 على مَنْ سَرَّتْ من حمَاهُ السَّلَام
 وَحَيَّ الحَيَا ذلِكَ الرَّبْعَ دارا

الفقيه الحاج محمد بن محمد بن الشُّدَيْد (*) :

يكنى : أبا عبد الله . وأدركته ، وهو من أهل مالقة ؛ وارتحل عنها
 ويعرف بالشُّدَيْد .

حاله - رحمه الله تعالى - :

شاعر طلقُ اللسان ، وأديبٌ أحسنَ في القريض كلَّ الإحسان . وسابقٌ
 ركضَ في ميدان الفصاحة فجلسى ، وأريبٌ طلع في سماء البراعة فتجلى .

(١) فيها : فهو أ . وأرجح أنها معرفة عما أثبت .

(*) ترجم له لسان الدين في « الإكليل الزاهر » ، ونقل عنه صاحب النفع (٦ : ٢٣٧)
 وفيه : شاعر مجيد حول الكلام ، ولا يقصر فيه عن درجة الأعلام . رحل إلى الحجاز
 لأول مرة فطال في البلاد المشرقية ثواؤه ، وعميت أنباؤه . ونقل قصيدته هذه التي
 رواها ابن الأحمر .

فإن مدح أصاب ، وإن تغزل أهل المصاب (١) . ولم تزل روضات إجادته
ذات أزهار ، وبدائع قصائده في سمو واشتهار . فمن شعره الذي يجبر
بإجادته ، ويدل على براعة أدبه ومجادته ، قوله يمدح ابن عم أبينا أمير
المسلمين أبا الحجاج :

لننا في كل مكرمة مقام
ومن فوق الشجوم لنا مقام
روينا من مياه المجند لنا
وردناه (٢) وقد كثر الرحام
فنتحنهم وقول لي من سوانا
لنا التقديم قدام والكلام

[٥٦ / ب]

لنا الأيدي الطوال بكل ضرب (٣)
هز به لدى الروع الحسام
5 ونحن اللايسون لكل درع
يُصيبُ السمر منهنّ انشلام
بأندلس لنا أيام حرب
مواقبهنّ في الدنيا عظام
توى منها قلوب (٤) الروم خوف
يخوف منه في المهدي الغلام
حمينا جانب الدين احتساباً
فها هو لا يهان ولا يضام

(١) كذا فيها .

(٢) في النسخ : وردناها .

(٣) في النسخ : بكل صوب .

(٤) كذا في النسختين ، وفي النسخ أيضاً .

- وتَحَتَّ الرايةَ الحمراءَ مِنِّنا
 10 بَنَوْ نَهْرِيَّ وما أَدْرَاكُ ما هُمُ
 كَتَّابُ لا تَطْأُقُ ولا تُرامُ
 لَهمُ في حَرَبِهمُ فَتَسْكَاتُ عَمْرُو
 أُسودُ الحَربِ والقومُ الكَرامُ
 يقولُ عَدَاتِهمُ مَها أَلَمُوا :
 فَلأَعْمَارِ عِندَهُمُ انْتِصِرَامُ
 أَتَوْنَا! ما مِنِ المَوتِ اعْتِصَامُ
 إِذا شَرَعُوا الأَسِنَّةَ يَومَ حَربِ
 فَحَقِّقُ "أَنَّ" ذاكَ هُوَ الحِمامُ !
 كانَ رِماحِنا فيها نُجومُ
 15 أَناسُ تُخَلِّفُ الأَيامُ مِيتِنا
 إِذا ما أَشَبَّهَ اللَيلَ القَتامُ
 رَأينا مِن أَبِي الحِجاجِ شَخصاً
 بِحَسيِّ مَنهمُ ، فَلسَهمُ دَوامُ
 مُوقَتي العِرضِ ، مَحمودُ السَجايا
 عَلى تلكَ الصِّفاتِ لَهُ قِيامُ
 كَريمُ الكَفِّ ، مَقدامُ هَمامُ
 بِجولُ بَذهنِهِ في كُلِّ شِئِ
 فيدركُهُ وَإِنَّ عِزَّ المَرامُ
 قَويمُ الرَأيِ في نَوبِ اللَيبالي
 إِذا ما الرَأيُ فارَقَهُ القَوامُ
 20 لَهِ في كُلِّ مُعضَلِ مَضاءُ
 مِضاءُ الكَفِّ ساعِدَها الحُسامُ
 رَؤوفُ قادِرُ يَغْضِي وَيَعْفُو
 وَإِنَّ عَظَمَ اجْتِناهُ واجْتِرامُ
 تَظوفُ بِبَيتِ سَوددِ القَوافي
 كَما قدَّ طافَ بِالبَيتِ الأَنامُ !
 وتَسجدُ في مَقامِ عِلاه شُكراً
 وَنِعمَ الرُكنُ ذَلكَ (١) والمَقامُ (٢)

[٥٧ / أ]

أفارسها إذا ما الحربُ أخضت على أبطالها ودنا الحِمامُ

(١) في النسختين : ذلك المقام . والمثبت من النسخ .

(٢) تجاوز الشاعر في الثلاثة الأبيات إلى مبالغات شديدة !

25 ومُنْطَرِهَا إِذَا مَا الشَّعْبُ كَفَّتْ °
- وكفُّ أخِي النَّدَى أَبْدَأَ غَمًا! -

لَكَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ بِكُلِّ قَطْرِ
لَكَ الشَّرْفُ الْأَصِيلُ الْمُسْتَدَامُ

لقد جُبُنَمَا (١) البلادَ فحيثُ سيرنا
رَأَيْنَا أَنَّ مُلْكَكَ لَا يُرَامُ

فَضَلْتَ مَلُوكَهَا شَرْقًا وَغَرْبًا وَبَيْتَ لِمُلْكِهَا يَقِظًا، وَنَامُوا!
فَأَنْتَ لِكِبْلٍ مَعْلُومَةٍ مَدَارُهُ وَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ إِمَامُ

30 جَعَلْتَ بِلَادَ أَنْدَلُسٍ إِذَا مَا
مَكَانٌ أَنْتَ فِيهِ مَكَانُ عَزَى وَأَوْطَانٌ حَلَّتْ بِهَا كِرَامُ

وَهَبْتُكَ مِنْ بِنَاتِ الْفِكْرِ بِكِرًا
لَهَا مِنْ مُحْسِنٍ لِقِيَاكَ ابْتِسَامُ

فَتَنَزَّهُ طَرْفَ مَجْدِكَ فِي مُحْلَاهَا
فَلِلْمَجْدِ الْأَصِيلِ بِهَا اهْتِمَامُ



الفقيه الضير :

محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري (*) :

يكنى : أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر ، وهو من أهل المرية . وارتحل عن الأندلس إلى المشرق ، فحج ، واستوطن مدينة حاب من الشام ؛ ودرس بها العلوم ، وكان^(١) أهل الفتيا فيها .

حاله - رحمه الله - :

تَحَلَّى بِعِلْمٍ بَارِعَةٍ ، وَمَحَاسِنِ الْأَشْتَاتِ الْفَوَائِدِ جَامِعَةٍ ، وَهُوَ سِرَاجُ الْأَدَبِ الْمَتَوَقَّدُ الضِّيَاءِ ، وَالْمَسْتَوِيُّ عَلَى أَمَدِ الْمَكَارِمِ وَالْحَيَاءِ . وَشَعْرُهُ مَهْمَا فَرِيَ يَسْتَلِمُ ، أَرْقُ وَأَجْزَلُ مِنْ شَعْرِ الرَّهْمِيِّ بِنْدِي سَلْمٍ^(١) . مَعَ النَّثْرِ الْبَدِيعِ ، الَّذِي فَاقَ بِهِ الْبَدِيعَ ، الَّذِي نَجَّمَ فِي الْأَنْدَلُسِ فَمَا بَأَدْبِهِ ، وَطَلَبَ الْعُلُومَ فَجَازَهَا بِطَلْبِهِ . وَارْتَحَلَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ لِلطَّلَبِ ، فَاحْتَلَّ مِنَ الشَّامِ بِجَلْبِ . فَدَرَسَ الْعُلُومَ بِهَا ، [٥٧ / ب] وَنَجَّحَ مَطْلُوبَهُ بِسَبَبِهَا .

فمن قوله يمدح ابن عم أبنينا أمير المسلمين أبا الحجاج :

عَلِيٌّ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ ذِمَامٌ وَلي بِمَدَارِكِ الْمَجْدِ اهْتِمَامٌ
وَأَحْسَنُ مَا لَدَيْهِ لِقَاءُ حُرِّ وَصُحْبَةُ مَعْشَرِ الْمَجْدِ هَامَامُوا

(*) من ارتحلوا إلى المشرق أبو عبد الله بن جابر الضير (ت ٧٨٠) وعرف في المشرق بلقب شمس الدين . صاحب بديعية العميان ، ارتحل مع صاحبه الرعيني . قال في النفع (٢ : ٦٦٤) له أمداح نبوية كثيرة وتوايف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك ، وله ديوان شعر . وأمداحه النبوية في غاية الإجابة .

(ترجمته في نفع الطيب ٢ : ٦٦٤ ، والدرر الكامنة ٣ : ٣٢٩ ، ونكت الهميان

٢٤٤ ، والوافي للصفدي ٢ : ١٥٧ ، وبغية الوعاة ١ : ٣٤ ودرة الجمال ٢ : ٢٤٢)

(١) كذا فيها .

وإني حين أنسب من أناسٍ
 على قسطن النجوم لهم مقامٌ
 يميل ٣٣ إلى المجد ارتياحٌ
 كما مالتْ بِشارِهَا المِدَامُ
 5 هُمُ لَبَسُوا أَدِيمَ اللَّيْلِ بُرْدًا
 لِيُسْفَرَ عَن مُرَادِهِمُ الظَّلَامُ
 هُمُ جَعَلُوا مَتونَ العَيْسِ أَرْضًا
 فَهَذَا عَزَمُوا الرَّحِيلَ فَقَدَ أَقَامُوا
 فَمِنْ كُلِّ البِلَادِ لَنَا ارتِحَالٌ
 وَحَوْلَ مَوَارِدِ العَلْيَاءِ مِنْهَا
 تُصِيبُ سِهَامُنَا غَرَضَ المَعَالِي
 10 وَليسَ لَنَا مِنَ المَجْدِ اقْتِنَاعٌ
 أَنْزَهَ (١) عَرَضْنَا عَن كُلِّ لَوْمٍ
 وَنَبْذَلُ، لِأَنقُولَ : العَامَ مَاذَا (٢)
 وَإِن حَضَرَ الكَلَامُ ففِي يَدَيْنَا
 مِيَالِكُ أُمُورِهِمْ وَلَنَا الكَلَامُ
 وَفِينَا المِستِشَارُ بِكُلِّ عِلْمٍ
 15 فَمِيدَانُ الكَلَامِ لَنَا مَدَاهُ (٣)
 كَلَا الأَمْرَيْنِ لَيْسَ لَهُ بِقَوْمٍ
 سِيَوَانَا [عند] (٤) نَازِلَةٌ تَمَامُ
 تُرْبِقُ دَمَ المِيدَادِ بِكُلِّ طِرْسٍ
 وَليسَ سِيَوَى المِيرَاعِ لَنَا سِهَامُ

(١) في الأصلين أنزه ، والأشبه « نزه » .

(٢) فيها «ماذا» ، ولعلها محرفة عن مثل « محل » .

(٣) فيها : مدامه . ونرجح ما أثبت .

(٤) أسقط النسخ كلمة من الشطر الثاني . وما بين معقوفتين مقترح .

ونكتبُ في المثقفةِ العوالي

بجيثُ الطرسُ لبيباتُ وهامُ!

[٥٨ / أ]

إذا عبستَ وجوهَ الدهرِ منّا^(١)

إليها فانتنتَ ولها ابتسامُ

20 ومها اعوججت الأيتامُ كنا لها في كلِّ مَعْضَلَةٍ قِوَامُ

وجرتَ لباسها لأمات حربٍ

لهنَّ بِحِكمِ السَّرْدِ انْتِسامُ

ونجردُها وُحدَ السَّيفِ كاسٍ

وننهبُ إذا عري الحُسامُ

ونبسمُ والوجوهُ لها انقباضُ

ولولا صَبْرُنَا في كلِّ حربٍ

25 نَحَارِبُ دونَه الأعداءَ حَتْمِي

لقد علمتُ مملوكُ الرومِ أَنَا

أَناسُ ليسَ يُعوزنا مَرَامُ

وليس يضرُّنا أَنَا قَلِيلُ

لَعَمْرُؤِ أَبِيكَ مَا كَثُرَ الكِرَامُ!

إذا ما الرأيةُ الحمرَاءُ هزّتْ

فتمَّ هناكَ للحربِ ازدحامُ

وما احمرّتْ سُدِّي بل من دمَاءِ

لهنَّ على جِوانِبِها انْتِجامُ

30 نَظَلُّلُ من بني نَصْرٍ مملوكًا

حلالُ النومِ عندهمُ حَرَامُ

فكم قَطَعُوا الدُّجَا في وصالِ مجْدِ

وكم سَهَرُوا إذا ما النَّاسُ ناموا

(١) كذا فيها . والأشبه أن تكون مثل « قننا » .

إِذَا بَانَ الْعَجَاجُ بِبَيْتِومِ حَرْبِ

فَمَا يَنْدَرِي الْوَرَاءُ وَلَا الْأَمَامُ

لَهَا مِنْ رَائِقِ الْبَيْشْرِ ابْتِسَامُ

وَلَيْسَ يَعِيبُ مَقْدَمَهَا انْهَزَامُ

عِدَاتِهِمْ : عَلَى الْعُمْرِ السَّلَامُ !

فَمَا لَهُمْ بِغَيْرِهِمَا اهْتِمَامُ

وَمِنْ أَعْمَادِهِنَّ لَهَا كِيَامُ !

وَلَا غَيْرُ الرَّمَاكِ لَهُمْ مَرَامُ

هَدَتْهُمْ نَحْوَ قَصِيدِهِمْ وَجُوهُ

كِتَابُ لَا يُفْلُ لَهَا اعْتِرَامُ

35 إِذَا رَكِبُوا مَتُونَ الْخَيْلِ قَالَتْ

رَأَوْا أَنْ الْعِلَّاءَ سَيْفٌ وَسَيْبُ

يَعْمَدُونَ السَّيُوفَ فَنُونَ زَهْرِ

فَمَا غَيْرُ الدَّمَاءِ لَهُمْ مُدَامُ

[٥٨ / ب]

وَلَيْسَ سَمَاؤُهُمْ إِلَّا الْقَتَامُ

وَمِنْهُمْ تُعْرِفُ التَّعَمُّ الْجِسَامُ

وَلَا بَسَاوَهُ عِنْدَهُمْ اخْتِيَامُ

وَلَا الْجَزِيلُ جُودُهُمْ انْصِرَامُ

وَلَيْسَ نُجُومُهُمْ إِلَّا الْعَوَالِي

40 وَأَكْدَمَا عَلَيْهِمْ بَدَلُ نَعْمَى

وَمَا افْتَتَحُوا بِغَيْرِ النَّصْلِ أَمْرًا

فَمَا لِلْجَمِيلِ شُكْرُهُمْ انْتِهَاءُ

بَنَوْنَا فِي الْمَجْدِ مَا لَمْ يُبَيِّنْ قِدَمًا

فَمَا لِمَسْئِدِ تَجْدُمِ انْهِيَامُ

لَهُ بِحَيَاةِ مَجْدِهِمْ اهْتِمَامُ

كَأَنَّهُمْ مِنْ الْأَجْدَاتِ قَامُوا

فَفِيهِ لِنَسَا نِظَامُ وَالتَّثَامُ

وَوَافِقَ خَلْقِهِ خَلْقُ كِرَامُ

جَمَالُ الرُّؤُوسِ بِأَكْرَهُ الْغَمَامُ

يُعَوِّضُ مِنْهُمْ مَاضٍ بَاتِ

45 أَقَامَ لَهُمْ أَبُو الْحَجَّاجِ ذِكْرًا

تَأْمَلُ كُلَّ مَكْرَمَةٍ لَدَيْهِ

فَتَنَى فَضَلَ الْمُلُوكِ بِكُلِّ وَجْهِ

فَبَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَخْلَاقِ مِنْهُ

تراه - مع الشباب - أعف شخص

على كشحيه قد عقد الحزام

50 نقي^(١) عرضهُ عن كلِّ شَيْئِنِ

سليمٌ فِعْلُهُ عَمَّا يُنْذَمُ
لقد نهضتْ جِيادُ علاه حتَّى
غدا ولها على الأفق الزحامُ
فمورِدُها المجرَّةُ لا بِيَصْدَى (٣)

ومرعاها الكواكبُ لا الإكلامُ (٤)
ومن بين البروجِ لها مجالُ
وفي أيدي الرياحِ لها زمامُ
بحقِّكَ هل تُقصِّرُ من مرادٍ
جِيادُ قَادَها ذاكَ اللِّجَامُ؟

55 وما تركتْ مَدَى في المَسْجِدِ إلا
عليه لَهَا اسْتِباقٌ واقْتِحَامُ

فمن نَسَسِجِ الذُّجَيْعِ لها جِلالُ (٥)
ومن حُبِّكَ السَّمَاءُ لها حِيْزَامُ (٦)
هو البَحْرُ الذي لولا نَسْداهُ
لكان لكل ذي أَمَلٍ أَوامُ (٧)

فما لي ليسَ أَنْفِقَ فِيهِ شعري
ولولاهُ لَمَّا نَقَقَ الكَلَامُ!

(١) في الأصلين : نقي . ونرجح ما أثبت .

(٢) فيها : يرَامُ ، ونرجح ما أثبت .

(٣) صدى : ركية «بشر» ليس عند العرب - قالوا - أعدب منها .

(٤) الإكلام ج أكمة (التل) .

(٥) الجلال جمع جل (بالفتح) ما تغطى به الدابة لتصان .

(٦) الحُبك جمع حبيكة وهي مسير النجم .

(٧) الأوام : العطش .

تحوم على محاسنه المعاني
 نتم وعلى محاسنه بحام
 60 وتزدحم القوافي في حماه
 وحول العذب قد كثر الزحام
 فمن^(١) لا يعد المال إلا
 لحمد يقتنى وعلا يسام
 جملنا الحمد مبدأ كل متجد
 لعلمك أن ذاك له تمام

الفقيه الحاج

إبراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي (*)

يكنى : أبا إسحاق ويعرف بالساحلي وبالطشويجن^٢ ؛ بضم الطاء المهملة ، وفتح الواو ، وسكون الياء باثنتين من أسفلها وفتح الجيم . وأدركته وهو من أهل بلدنا غرناطة من بيت ثروة (٢) وصلاح وأمانة .

(١) في الأصلين « فمن » . ولا يستقيم .

(*) كاتب ، شاعر ، فقيه ، متقن ، عالم بالفرائض . عمل في حدائته موثقاً بسماط شهود غرناطة ، وقصد إلى المشرق فأدى فريضة الحج ، وفي عودته استقر بمالي مكرماً عند ملكها . وأقام هناك إقامة مستقر ، ففي الإحاطة (١ : ١٨٣) ما يدل على أنه رزق بأرلاد من أمهات سمراوات . وقال صاحب النفح ٢ : ١٩٤ إنه نقل عن يوثق به أن وفاة الساحلي كانت سنة ٧٤٧ هـ بمدينة تمبكتو بمالي . بينما قال ابن الخطيب في الإحاطة إنه توفي سنة ١٣٩ هـ .

(ترجمته في نشير الفرائد الجمان ٣٠٨ ، ونفح الطيب ٢ : ١٩٤ ، والاستقصا ٣ : ١٥٢)

(٢) في الأصلين ثورة . وهو تحريف .

كان أبوه أمين العطارين بغرناطة . وكان مع أمانته من أهل العلم ،
فقيهاً متفنناً . وله الباع المديد في الفرائض .
وأبو إسحاق هذا كان في صغره موثقاً بسماط شهود غرناطة .
وارتحل عن الأندلس إلى المشرق . فحج ثم سار إلى بلاد السودان (١)
فاستوطنها ، ونال جاهاً مكيناً من سلطانها . وبها توفي ، رحمه
الله تعالى .

حاله - رحمه الله - :

طلع في سماء الأدب كوكباً وقاداً . وقام في روض البراعة غصناً
ميداً . وزها في النَّجْوَى على سيبويه ، وفي اللغة على نَفْطَوَيْه . وفي
الإنشاء على ابن العميد ، كما أربى في البلاغة على عبد الحميد . وله
مشاركة في المسائل الفقهية ، وأبرع ما كان في الطريقة الأدبية .
وكان صاحب همة سنية . ومن علو هيمته ، وجلالة رتبته أن أمير
المسلمين أبا الحسن ملك المغرب الحسن ، طلب منه أن يكتب في
حضرتي ، ويكون من جملة خدام دولته ، [٥٩ / ب] فتأبى منه
وانحرف عنه ، وأنف من ذلك ، ولم يرض أن يكون أحد له مالِك !
وقال له : أيد الله مولانا الخليفة ، وأدام أيامه المنيفة ! أقبلني من
هذا ، وكن منه مَلَاذا . فقال الملك ولم ، وقد عمك النعمى ؟
قال : لا أرضى أن يرأسني عبد المهيم (٢) الحضرمي ! فتعجب منه
السلطان ، وأجزل عليه بذلك الإحسان ! فانظر همة هذا الفقيه
ما أعلاها ، ونفسه النفيسة ما أركاها !

(١) هي بلاد « مالي » كما سبق .

(٢) سترجم له ابن الأحمر في أول الباب العاشر .

فمن قوله - رحمه الله - ما كتب به من أرض الحبشة للأندلس ،
 إلى صديقه الفقيه الكاتب القاضي أبي القاسم بن أبي العافية .
 لِمَنْ الرَّكَّابُ خُضْنَ رَمَلَ زُرُودِ (١)
 وَسَرَيَيْنَ بَيْنَ تَهَائِمِهِ وَنُجُودِ
 وَجَرَيْنَ فِي بَحْرِ السَّرَابِ سَفَائِمًا
 أَلْبَسْنَ قَارَأَ لِلْيَمَالِيِّ السُّودِ
 وَرَأَيْنَ وَطَاءَ الْأَرْضِ مَنَقَصَةَ الْهَوَى
 فَوَطْنَنَ فَوْقَ تَحَاجِرِهِ وَخُدُودِ !
 هُنَّ الْمَطَايَا عَوَّضَتْهُ مِنْ طَائِعِهَا
 يَوْمَ النَّوَى نُونًا لِكُلِّ عَمِيدِ
 5 وَهَفَّتْ بَهَيْفٍ عَاقَرُوا تَحْتَ الدُّجَا
 خَمْرَيْنِ مِنْ أَيْنِ (٢) وَمَنْ تَسْمِينِدِ
 تَرْكُوكَ تَسْتَقْرِي الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ
 وَسَرَوْا بِشِلْوِ فَوَادِكِ الْمَفُودِ (٣)
 فَبِكَلِّ وَايَ أَنْتَ رَائِدُ مَرْبَعِ
 وَبِكَلِّ نَادٍ أَنْتَ نَاشِدُ غَيْدِ
 سِيرًا فَدُونَ مَنَّاكَ قَطَعُ مَهَامِهِ
 قَطَعَ النَّيَاطُ بِهَا نِيَاطَ الْقُودِ (٤)

(١) زرود : جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع .

(٢) الأين : التعب والإعياء .

(٣) الشلو : البقية من كل شيء .

(٤) يقال مفازة بعيدة النياط : بعيدة الحد ، والقود -ج- أهود : الدلول المنقاد من الخيل .

والنياط الفؤاد ، وعرق غليظ علق به القلب إلى الرئتين .

طَرَبِي إِذَا جَنَّ الظَّلامَ لِأَنَّهُ
 فِي ظَهَرِ عَوْدٍ (١) لَا لِسِرَّةٍ عَوْدٍ !
 10 كَمَ مِنْ طِيْلَاحٍ (٢) فَوْقَهَا أَمْثَالُهَا
 لَمْ تَكْتَحِيلْ أَجْفَانَهُمْ بِمِجُودٍ
 كَالشَّمْرِ هَزَّتْ فِي أَكْفٍ فَوَارِسٍ
 وَالْبَيْضِ سَلَّتْ مِنْ بَطُونِ غُمُودٍ
 أَنْضَاهُمْ طُولُ الشَّرَى فَتَخَالَهُمْ
 أَوْهَامَ فِكْرٍ فِي صُدُورِ الْبَيْدِ !

[٦٠ / أ]

سَاجَلْتَهُمْ تَحْتَ الدَّجَى بِشِمْلَةٍ (٣)
 فَطَرْتُ عَلَى التَّأْوِيبِ وَالتَّسْهِيدِ (٤)
 أَهَدْتُ إِلَى سَلْعٍ تَحِيَّةَ حَاجِرٍ (٥)
 وَحَشَّتْ عَلَى نَجْدٍ تُرَابَ زَرْوُدٍ
 15 وَكَأَنَّمَا آفَارُهَا فَوْقَ الشَّرَى
 وَطَأَتْ مُنْشَعِبٍ (٦) الْجِرَاحِ طَسْرِيْدٍ

(١) العود : المسن من الإبل .

(٢) طلح : تعب من السير ، وطلح الرجل البعير جعله يعمي ويهزل .

(٣) الشملة : السريعة الخفيفة . و« التسهيد » هي القراءة الظاهرة للكلمة .

(٤) التأويب سير النهار كله إلى الليل .

(٥) سلع : جبل متصل بالمدينة . وحاجر : منزل للحاج بالبادية (موضع) .

(٦) انتشع الماء والدم ونحوهما : انفجر .

ولكم قصي الحوض منهدّ الجببا (١)
لا يهتدي فيه القطا لورود
إنّ ضلّ وارده هده صوته
رمم الضراغم دونه والسيد (٢)
5 وكانتما ريش النواهض (٣) حوله
مسنونة (٤) برت قصار العود (٥)
وافيته والذيب يوجس خيفة
فيه، ويرعد رعدة المرؤود (٦)
فرويت منه - ولم أكد - حتى ارتوى
مسرائي من نبي (٧)، وني قعودي
ولكم رحيب الصدر مالموم (٨) القرى (٩)
كلح النواجد مشرب الجيئد
مها أحسن بيناة (١٠) أصغى لها
أذنتي سميع والتفات رصيئد

(١) الجببا : الماء المجموع في الحوض .

(٢) السيد : الذئب .

(٣) النواهض ج ناهض : فرخ الطائر الذي وفر جناحه ، وتهياً للطيران .

(٤) المسنونة : الأرض التي أكل نباتها .

(٥) في م : برئت . وفي ط برت .

(٦) ترأد «الشيء» : اهتز واضطرب .

(٧) نوى ينوي نية ونوى : تحول من مكان إلى مكان .

(٨) الملموم : المجتمع المدور .

(٩) القرى : الظهر . وكلح : عبس .

(١٠) البناة : الصوت الخفي .

- 10 كَفَاهُ كِفَيْتُهُ^(١) لِيَوْمِ قَنَيْصِهِ
 وَذِرَاعُهُ حَبْلٌ لِكَيْلِ مَصِيدِ
 مَا بَاتَ مِنْهُ قَضَائِقُ^(٢) إِلَّا تَعْلَى
 أَسْلَاءِ لِحْمٍ أَوْ دَمٍ مَتَعْقُودِ
 آوِي إِلَى أَجْمَاتِهِ مُسْتَسْلِمًا
 وَأَهَابُ مَاوَى تَشَامَتِ وَحَسُودِ !
 أَخْشَى الْمَقِيلَ بِبِظْلِهِ مُسْتَوْفِرًا^(٣)
 وَأَظْلَ بَيْنَ أَسَاوِدِ^(٤) وَأَسْوَدِ
 يَارَاكِبًا إِمَّا أَنْخَتَ مُقْبِلًا
 فِي ظِلِّ ضَالٍ^(٥) بِالْعَمِيقِ^(٦) نَضِيدِ
 15 وَرَقَعْتَ مِنْ رَوْضِ الْجَلَالِ بِبَاسِقِ
 غَضِّ الْأَزَاهِرِ يَانَعِ الْأَمْلُودِ^(٧)
 قَلْبُ اللَّيْثِيِّ عَاطِيَتُهُ مَمْحُوضَةٌ
 مِنْ خَالِصِي وَدُتِي وَحُسْنِ عَهْدِي
 أَعْلَى الْغِنَى أَوْجَعْتُ لَا كَانَ الْغِنَى
 سَبَقَ الْقَضَاءُ بَرزِقِي الْمَدْوَعُودِ

(١) الكفة : حباله الصائد .

(٢) القضايق : الأسد .

(٣) استوفز : جلس على هيئة كأنه يريد القيام .

(٤) أسود ج أسود : العظيم من الحيات وفيه سواد ، وهو أخبثها وأنكأها .

(٥) الضال : السدر البري « شجر » .

(٦) عميق المدينة على ميلين منها ، وفيه نخل .

(٧) الأملود : الناعم اللين .

بل طيرتُ ملءَ قَـوَادِمِي نَسْحُو العُـلَا
طِيرَ القَطَاةِ تَسْخَافُ فَنَوْتُ وَرُودِ !
فَطَلَعْتُ من أَثْنَاءِ كُلِّ تَسْبِيحَةٍ
وَتَرَكْتُ مَطْلَعِ أَفْقِي المَعْمُودِ

[٦٠ / ب]

20 هذا ، وما نجدية قد عارضت

(١) ضال العقيق وطلحه الخضود

ولهاءُ تعترضُ الصبا كلسفاً بما
جرت عليه من مِلا وُبرودِ
إنْ مسَّها وخزُّ الهَجِيرِ تذكَّرتُ
ماءَ الحِجَازِ وظِلِّهِ المَمْدُودِ
أو عارضتُ شوقي ودمعي ساءلتُ
عن برقه وسحابه المورودِ

بأشدُّ من شوقي لينبع ركيّة (٢)
علتُ سراً بِنِي أَبِي وَجْدُودِي

25 قوم تنابوت النوايب شملهم
فشرن سلك نظامه المعقودِ

صدعت لقدم الخُطوب زجاجتي
ولاحت (٣) لبعدهم الليلي عودي

(١) الطلح : شجر عظام « الخضود » في النسختين ، ومن معانيها التشي .

(٢) الركيّة : البئر .

(٣) لحا الشجرة : قشرها .

وأضلَّ صَبْرِي طَرْقَه ، وَهَدَى الأَسَى
دَمَعِي لِمَسْلِكِ خَدْيِ المَخْدُودِ
قَدْ كُنْتُ أَرْتَعُ مِنْ نَدَاهُمْ فِي حِمَى
رَوْضٍ وَأَكْرَعُ فِي حِيَاضِ بَرُودِ
فَإِذَا وَرَدْتُ وَرَدْتُ غَيْرَ مُزَاحِمِ
وَإِذَا صَدَرْتُ صَدَرْتُ غَيْرَ مَذُودِ
30 ولربُّ سَافِرَةَ النِّقَابِ تَبَسَّمَتْ
عَنْ لَوْلُؤٍ مِنْ نَشْرِهَا مَنضُودِ
نَظَمَتْ مِنْ السَّحْرِ الحَلَالِ مُكَلَّلًا
فَضَحَ القَلَائِدَ فِي نَحُورِ الغَيْدِ
وَتَبَسَّمَتْ عَنِ رَوْضَةٍ قَدْ أَقْطَفَتْ
بَيْضَ الأَمَانِي مِنْ سَطُورِ سُودِ !
وَأَرْتُكَ مِنْ أَنْقَاسِهَا وَحُرُوفِهَا
شُهْبًا تَجَلَّتْ فِي بُرُوجِ سَعُودِ
وَأَتَتْ مُحَاسِنَهَا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ
أَغْنَيْتْ مُقْلَدَهَا عَنِ التَّقْلِيدِ
35 وَقَفَ ابْنُ حُجْرٍ دُونَهَا وَتَخَبَّطَ
فِي نَسْجِ حَلَّتِهَا أَكْفَ لَبِيدِ (١)
يَابَنْتَ مَنْ حَلَمْتَ سَوَابِقُ فَضْلِهِ
وَشَأَتْ هِمَمُ العُلا وَالجُودِ

(١) ابن حجر « امرؤ القيس » ولبيد ، شاعران مشهوران .

أَمَا حَدِيثُكَ فَمَوْ دُرُّكَ كَلُّهُ الـ
..... أَسْمَاعَ حَلَسِيَّ جَوَاهِرٍ وَعُقُودِ

أَنْشَدِي عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ وَقَعِ النَّدَى
وَأَلَذُّ مِنْ نَغَمَاتِ صَوْتِ الْعُودِ !

أَذْكَرْتَنِي - وَأَبِيكَ - عَصْرَ شَيْبَةٍ
ذَهَبَ الزَّمَانُ بِعَيْشِهِ الْمَحْمُودِ

[٦١ / أ]

40 وقصصت غير مطيئة أنباءه

عُودِي لِبَدءِ حَدِيثِهِ ، أَوْ عَيْدِي (١)

كَانَ الشَّبَابُ دُجِيًّا فَمُزَّقَ لَيْلُهُ

عَنْ ضَوْءِ لَا حَسَنٍ وَلَا مَحْمُودِ

وَإِذَا الْجَدِيدَانِ (٢) اسْتَجَدَّ (٣) صُحْبَةً

ذَهَبًا بِثُوبِ اللَّبْيَانِ مَدِيدِ

جَلَسْتُ بِدَيْهَتِكَ الَّتِي قَدْ أُعْجِلَسْتُ

عَنْ مَوْقِفِ التَّهْذِيبِ وَالتَّجْوِيدِ

وَرَمْتُ مُسَاجِلَكَ الْجَهَالَةَ فِي مَدَى

شَاوٍ (٤) قِصِيَّ الْجَائِزِينَ بَعِيدِ

(١) في النسختين : أنباؤه ، عيد . ورجح ما أثبت .

(٢) الجديدان : الليل والنهار .

(٣) في النسختين : استجد . ورجح ما أثبت .

(٤) في النسختين : شأوي .

45 فَمَتَى دَعَوْتُ لَهَا الْقَتَوَانِي أَجْنَفَلتْ
فَعَلَ الظُّلْمِ (١) وَأَذنْتُ بِشُرودِ

فَلَوْ اسْتَطَعْتُ لَسَفِضْتُ دَرًّا بِكَيْتِي (٢)
وَسَتَرْتُ بِهَرَجِ قَوْلِي الْمَنَعُودِ

وَلَوَيْتُ ثَنِيًّا مِنْ عِنَانِي نَاكِصًا
عَنْ مَرَقِبٍ أَعْبَى إِلَيْهِ صُعودِي

لَكُنْهَا نَسْفَتَاتُ مُلْتَهَبِ الْجَوِي
وَكَلَامُ مَكْلُومِ الْحَشَا مَنْجُودِ! (٣)

50 عَطَى هَوَاهُ عَقْلَهُ فَاقْتَادَهُ
لِمَوَاقِفِ التَّهْدِيدِ وَالتَّجْرِيدِ

فجأوبه صديقه القاضي أبو القاسم بن أبي العافية ، المذكور ،

بقوله :

أَمَلِي عَلَى كَيْتِي وَطُولِ عُهُودِي
رَجَعُ الشَّبِيبةِ وَالهُوَى الْمَعْهُودِ

(١) الظلم : ذكر التعمام .

(٢) بكأت البئر : قل مأوها . وبكأ الحيوان الخلوب . قل لبنه .

(٣) نجد « بضم النون » أصابه الكرب والغم فهو منجود .

ودُنُوهُ مُنْتَزِحِ الدِّيَارِ رَمَتْ بِهِ
كَالسَّهْمِ مَبْرِيئًا قِيسِي الْقُدُودِ (١)

فَسَرَى كَبْدِرِ الْأَفْقِ يَعْتَرِضُ الدَّجَا
وَيُمِيطُ سِجْنَفَ (٢) رَوَاقِهَا الْمَمْدُودِ

تَرْدُ الْقَطَا مِنْ سُورِهِ (٣) حَيْثُ انْتَمَتْ
أَسْرَابُهَا بِسِحْفَيْهِمَا الْمَجْهُودِ

وَتُظْلِمُهُ كَالسَّحْبِ رَيْشُ قَسْوَادِمِ
مِنْ كُلِّ فَتْحَاءِ الْجَنَاحِ صَيْوُدِ (٤)

وَالْوَحْشُ تَأْكُلُ فَضْلَ مَا يَعْتَالُ مِنْ
صَيْدِ بَسْدَيْتُمُومِ (٥) الْفَلَاةِ وَسَيْدِ

فَقِيرِي سِبَاعِ الطَّيْرِ شِلْوُ غَرِيضَةٍ
وَقِيرِي سِبَاعِ الْوَحْشِ شِلْوُ قَدِيدِ (٦)

وَلَهُ مِنْ الْجِنْدَسِيِّينَ (٧) تَحْتَ وَفَوْقَ مَا
يُغْنِيهِ عَنِ جَيْشِ وَخَفْتِ بَشُودِ

(١) قود ج أقود : الفرس طال ظهره وعنقه .

(٢) السجف : الستر .

(٣) السور : بقية الشيء .

(٤) الفتحاء من العقبان : اللينة الجناح . والصيد : الصياد « مبالغة » . وصيد ج أصيد : الأسد . والسيد الأسد ، وهو الذئب أيضاً .

(٥) الديموم والديومة : الفلاة الواسعة .

(٦) الغريضة : الطري ، والقديد عكسها .

(٧) كلمة لم تظهر في كلتا النسختين . وهذه أقرب قراءة .

[٦١ / ب]

خاضَ البحارَ وجازَها ثمَّ ارتَمَى
يَفْطِي الفِلا بِسِنِّجِيَّةٍ صِيهُودٍ (١)
10 تَفْرِي (٢) الفَرِيَّ ولا تَخافُ خِفافُها
من وَحْلِ مَيْثاءِ (٣) ، ولا جُلُودِ
الشمسِ فوقَ قَمُودِها حَلَّتْ فِئما
عَرَبٌ وشرقٌ عِندَها بِسِيَّعِيدِ
باليَتِّها حَنَّتْ إلى أَعْطانِها (٤)
من جَوِّ كاظِمةٍ ودَوِّ زَرُودِ (٥)
ولها عَلينا أن نَعْمَوصَها إذا
رَجَعَتْ مواطىءَ أَعينِ وخُدُودِ!
تِلْكَ النَّوَى أَجَنَّتْ عَلِيَّ وكَدَّرَتْ
شِري وَذُغْبَةَ عَيْشِي المِثْمُودِ (٦)

(١) النجية : الناقة السريعة . الصيهود - كما في اللسان - الجسم . وفي القاموس الصيهود :

الفلاة لاينال ماؤها ، والصهود : الجسم .

(٢) في الأصلين المعتمدين : يفري . والحديث عن الناقة ، فلعل الصواب ما أثبت . وفري

الأرض : سارها وقطعها .

(٣) ميثاء : هي الأرض اللينة السهلة .

(٤) أعطان ج عطن : وطن الإبل ومبركها .

(٥) كاظمة : اسم ماء ، وجو اسم اليمامة في الجاهلية . والدو بلد لبني تميم وهو ما بين

البصرة إلى اليمامة . وزرود : جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع .

(راجع مواد دو - وزرود - وكاظمة وجو في معجم ما استعجم للبكري) .

(٦) الثغبة - في الأصل - الجرعة . والمثمود : ماء نقد من الزحام عليه .

15 هَبَّنِي مُقِيمًا بَعْدَ أَنْ رَحَلَ الْهَوَى

فَالْمَيْتُ يَوْجَدُ وَهُوَ كَالْفَقُودِ !

قَسَمًا بِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَطَيِّبِيهَا

وَبِنِظْمِهِمْ شَمَلِ أَحِبَّتِي وَعُهودِي

وَبِمَا حَدَا الْحَادِي بِهِمْ يَوْمَ النَّوَى

مِنْ مُسْتَقَى رَجَزِهِ وَحُرِّ قَصِيدِ

وَبِمُسْتَمِرِّ جَمَاهُمْ بِجَمَاهُمْ

مَا بَيْنَ شُهْبِ قَنَا وَغَلِيبِ أُسُودِ

لَأَشَدَّ مَا يَلْتَقَى امْرُوءٌ مِنْ دَهْرِهِ

شَيْئًا وَشَيْكُ نَوَى وَطُولِ صُدُودِ

20 إِلَّا مَشِيْبِ الْعَارِضِينَ فَإِنَّهُ

يُبْدِي الْفَتَى مِنْ يَوْمِهِ الْمَوْعُودِ

يَا طَائِرًا فِي الْجَوِّ مِثْلَهُ جَنَاحِهِ

لَا سَائِرًا فِي الدَّوِّ فَيَوْقِ قَعُودِ (١)

أَسْرَعُ لِعَلَّتْكَ بَعْدَ دَهْرٍ بِالْبَيْخِ

مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مَطَى بُوخَيْدِ (٢)

وَأَنْشُدْهُ فُوَادِي فِي الْمَسْهَامِيهِ إِنَّهُ

رَهْنُ الْمَطَايَا وَالسُّرَى وَالْبَيْسِدِ

(١) القعود : البعير من الإبل ، وهو البكر « بفتح الياء » حين يركب أي يمكن ظهره من الركوب . والدو : المفازة .

(٢) : الوخيد البير : الإسراع . والمطي : الناقة تطو « تسرع » في مشيها . المطا : الظهر وفي نسخة « م » مطي « بياء مشددة » ولا يستقيم بها الوزن .

وإذا اعترفت القلب ببلغ سمع من
هو في يديه ألوكة المفؤود^(١)

25 يا نازحاً لعب المطي بكوره^(٢)
لعب الرياح الهوج بالأملود

ورمت به للطية القصى التي
ما ورد لها لسواه بالمورود

هلا حنت إلى معاهدنا التي
كنت الحلي لنحبرها والجيد!

ورياض أنس بالمشايح طارحت
فيها الحمام سجع صوت العود

ومبيتنا فيها ؛ وصقو مدامنا
صرف المودة ، لا ابنة العنقود

[٦٣ / أ]

30 والعيش أخضر والهوى يدني جنى
زهرات ثغر أو ثمار نهود

والقضب رافلة يعانق بعضها
بعضاً ، إذا اعتنقت غصون قنود

لهفي على ذلك الزمان وطيبه
وعلى مناه وعيشه المتحمود

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) الكور : الرحل .

تِلْكَ الأَيَّامِ لا لِيَالِي بَعْدَهَا
عُظْمَانِ إِلا مِنْ جَوِي وَسُجُودِ
كَانَتْ قِصَاراً ثُمَّ طُلْنَ فَمَا أَنَا
أَسَى عَلَى النِّقْصُورِ وَالْمُدُودِ !

35 وتحوّلت حلل التمام الوصل في
سِيْلِكَ انْتِظَامِ الشَّمْلِ لِلتَّبْدِيدِ

وَمَضَى الشَّبَابُ كَدِيمَةً قَدْ أَقْلَعَتْ
مَنْ بَعْدَ سَقْيِ تَهَامٍ وَنَجُودِ
وَأَتَى المَشِيبُ بِمِجْلِهِ فَأَعَادَ مَا
أَحْبَبِي الشَّبَابُ النُّزْرُ عَصْفَ حَصِيدِ
لَوْ يُفْتَدِي عَهْدُ الصَّبَا لَفَدَيْتُهُ
بِتَحْلَمِي وَبَطَارِي وَتَلِيدِي !

لَكِنَّهَا الأَيَّامُ أَبْجَلُ شِيمَةٍ
مَنْ أَنْ تُعْمِدَ شَبِيهَةً لِمُعِيدِ (١)

40 آهًا أبا إسحاقَ مِنْ بَعْدِ المَسْدِي
آهًا يَزِيدُ أَسَى عَلَى التَّرْدِيدِ

طَارَحَتْ فِي تَرْدَادِهَا مِنْ شَاقِبَتِهَا
دَعْوَى نَزِيعٍ كَالهَدِيلِ فَتَقِيدِ (٢)

صِنُو الحِمَامَةَ فِي الخِضَابِ وَطَوْقِهَا
وَعَيْنَائِهَا المُنْتَرِسِمِ الغَرِيدِ

(١) فيها : لمعيد ، كأنه يريد (المستعيد)

(٢) النزيع : الغريب . والهديل : الذكر من الحمام ، وهو صوته أيضاً .

تأبى الصيانية أنْ أُصرِّحَ باسمِها
واللَّحْنُ يُفهمُ مُعْتَمِرِي المَقْصُودِ (١)
وَجَبَّتْ مَبْرُتْهَا عَلَيْكَ وَكَيْفَ لَا
وَالشَّرْعُ لَيْسَ بِشَاهِدٍ مَرْدُودِ
45 هَذَا الجَنَاحُ وَطِيرٌ إِلَيْهَا قَبْلَ آفُو...
... تِ الأَمْرِ ، مَاذِي الدَّارُ دَارُ خُلُودِ
لَوْ كُنْتَ مُطَّلِعاً ، وَقَدْ طَالَعْتَهَا
بِخِطَابِكَ المُسْتَعْتَبِ المَوْزُودِ
لَأَسَيْتَ ضَيْفَ أَسَاكَ عِنْدَ فِرَاقِهَا
وَحَلَلْتَ حُبُوبَةَ حِلْمِكَ المَعْقُودِ
هَذَا العِتَابُ وَبَعْدَهُ العُتْبَى التِّي
تَأْسِيسُهَا يُغْنِي عَنِ التَّوَكِيدِ (*)
لِللَّهِ دَرَكٌ مِنْ رَتَيْسِ بِلَاغَةِ
حَسَنِ المَاخِذِ بَارِعِ التَّوَلِيدِ

[٦٢ / ب]

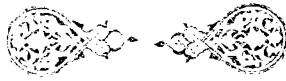
50 حلّ العبارة في حلّالة زفنة (٢)
كَلخَمَرٍ مَجْتَمِهَا مَرَاشِفٌ غَيْدِ !
كَلرُمَحٍ لَانَ وَبَأْسُهُ فِي شِدَّةِ
وَالسَّيْفِ يَدْعُو (٣) فِي يَدِ الصَّنْدِيدِ

(١) اللحن - هنا - أن تقول قولاً يفهمه المخاطب المقصود ويخفى على غيره . واعتراه : غشبه . يريد أنه اكتفى بالتلميح عن التصريح .
(*) سقطت ابتداء من هنا ورقة من نسخة (ط) .
(٢) في النسختين : زفة . ولا « زف » معان متعددة .
(٣) فيها : يدعوا . وترسم الألف أحياناً بعد الفعل المضارع في الخط .

أَوْ كَالغَمَامَةِ أَرَعَدَتْ وَتَبَسَّمَتْ
 فَأَرَتْ نَخَائِلَ مَوْعِدٍ وَوَعِيدٍ !
 أَوْ كَالْتِّي زَارَتْ وَغَسَّتْ وَرُقَهَا
 فَارْتَعَتْ ، ثُمَّ أَنْسَتْ بِالْتَفْرِيدِ
 رَوْضٌ مِنَ الْأَدَابِ أَيْنَعُ قَبْلَ أَنْ
 تَتَفَرَّ زَهْرَتُهُ لِطَيْبِ الْعُودِ
 55 يَكْزُرُ أَتَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَائِهَا
 تَزْهِي بِحَلِيَّةٍ مَبْسُومٍ وَعُقُودِ
 حوراءٍ مُقَلَّتْهَا سَوَادُ مِدَادِهَا
 وَالسَّحْرُ فِي مُقَلِّ الْعَيُونِ السَّوَدِ !
 سَحَبْتِ عَلَى سَحْبَانٍ (١) فَتَضَلَّ رِدَائِهَا
 وَعَبِيدٌ (٢) اسْتَغَشَى ثِيَابَ عَبِيدِ
 وَلِبِيدٌ (٣) انْقَلَبَتْ عَلَيْهِ حُرُوفُهُ
 فَغَدَا بَلِيداً ! - وَهُوَ غَيْرُ بَلِيدِ -
 نَظَمْتُ مِنَ السَّحْرِ الْحَالِ قَتَوَافِيَا
 أَغْنَتْ مُقَلَّدَهَا عَنِ التَّقْلِيدِ
 60 لَكِنِّي عَثَرْتُ بِضَالَّةٍ طَلَحِيهَا
 فَلَسَعَا (٤) لِيَمْتَرَةَ طَلَحِيهَا الْمُخْضُودِ (٥)

- (١) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي (٥٤٠-٥٠٠هـ) خطيب شهر ، أدرك الجاهلية الإسلام
 قيل فيه «إنه خطيب العرب غير مدافع» .
 (٢) عبید بن الأبرص شاعر جاهلي عده ابن سلام في الطبقة الرابعة .
 (٣) لبید بن ربيعة العامري (٤١٠-٥٠٠هـ) شاعر مخضرم معمر .
 (٤) لعاً افلان : دعاء للعائر أن يرتفع من عثرته .
 (٥) خضد النبت : ضعف ووهن .

وهمزة الوهاء مدّت° باعها
 فدعجت° من مقصورها (١) المتمدود!
 لكنّها رقت° وراقت° وانتمت°
 للعيلم راغيبه° عن التقليد
 فجعلت° يوم قدومها عيداً ، ومن°
 (يحلى) (٢) مسرته ليوم العيد



(١) يقال في صفة المؤنثة : ولهى ووالهة وواله وميلاه .

(٢) هذا ما استوضحته من الأصلين؛ ولم يستقم الطرف الثاني من البيت .

الباب العاشر

فيما بلغنا من شعر كتاب نبي مريم

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى

عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي (*)

يكنى أبا محمد . وأدر كتبه ، ورأيته .

(*) الفقيه الكاتب النحوي اللغوي المحدث أبو محمد عبد المهيم الحضرمي السبقي (٦٧٦ -

٧٤٩) يرتفع نسبه إلى الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي ، وأصل سلفه من اليمن . كانت لآل الحضرمي صلة قرابة ببني العزفي أصحاب سبته ، وعينوا الفقيه محمد بن عبد المهيم الحضرمي (والد المترجم به) قاضياً بها ٦٨٣ واستمر مشكور الحال حتى أخذ النصريون سبته ٥٧٠ فارتحل مع ابنه وأسرته إلى غرناطة وأقام بها مدة ، ثم أذن لهم صاحب غرناطة بالعودة إلى سبته والقاضي طاعن في السن ، ضعيف ، فتوفي سنة ٧١٢ . وقد وصفه الذين ترجموا له بالفضل والعلم والاستقامة والصرامة .

واتصل أبو محمد عبد المهيم بالدولة المرينية حين استقدمه من سبته الأمير عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق ، فكتب له العلامة ، ثم استكتبه ابنه أبو الحسن علي ، واصطحبه في أسفاره وتنقلاته ، وتوفي بتونس سنة ٧٤٩ عام الطاعون الجارف .

ترجم له لسان الدين في الإحاطة وعده في شيوخه ، وأثنى عليه . ونقل المقرئ في النفع جملة من أخباره وأشعاره وقال « كان عالي الهمة . سرياً ، أعطى المنصب حقه . وكان لا يتعمل الضيم واحتقار العلم . . . سريع الجواب . . . » وقد نبغ من بعده ابنه أبو سعيد وحفيده عبد المهيم الذي كتب العلامة لأبي العباس أحمد المستنصر المريني .

(ترجمته وأخباره في : فتح الطيب ٥ : ٤٦٤ - وانظر ٥ : ٢٤٠ - ومستودع العلامة :

٥٠ ، وجذوة الاقتباس : ٢٧٩ ، والتعريف بابن خلدون : ٢٠) .

وهو من أهل سبته ، وأصل سلفه من الأندلس ، من بيت القضاة ،
والعلماء ، [٦٣ / أ] والإمارة . وجدّه الأمير كريب بالأندلس ثورة .
وكان أبوه قاضي الجماعة بسبته . (١) قدّمه الأمير أبو طالب عبد الله بن
الأمير أبي القاسم العزفي اللخمي .

وكتب عبد المهيمن هذا للأمير يحيى بن الأمير أبي طالب العزفي بسبته .
وكتب قبل ذلك بالأندلس لخال جدّنا أمير المسلمين الغالب بالله الناصر لدين
الله أبي عبد الله محمد الخلوع بن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله
محمد صاحب الدبوس ، ابن جدّنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ،
ابن جدّنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن خميس بن نصر
الخرجي .

وكتب بالهدوء أيضاً لأمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان
ابن أمير المسلمين المنصور بالله أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، العلامة . ثم
كتبها لابنه أمير المسلمين المنصور بالله أبي الحسن علي - رحمه الله - ولم يزل
عليها إلى أن ارتحل السلطان أبو الحسن إلى تونس ؛ فلما استقر بها أخّره
عن العلامة ، فمات بتونس سنة خمسين وسبعمئة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو فخرُ الكتاب والعلماء ، وصدر الصدور الكرماء . ذوهمة سميت

(١) « وانظر ترجمة محمد بن عبد المهيمن الحضرمي في نفع الطيب ٥ : ٢٤٠ ، والمرقبة

العليا للنباهي ٣٢-١٢٣ . ودرة الرجال ٢ : ١٠٦ . »

فوق الكواكب ، وذو بلاغة وذهن ثاقب . وقدره في العلماء معروف ،
 وبيته بالنسب الصريح موصوف . صاحب رواية وحديث ، وذاكر رجال
 في قديم من الزمان وحديث إلى تحصيل العلوم ، ومعرفة بالجهول منها
 والمعلوم . وأما كتاب سيبويه فكان بمسائله عارفاً ، وعلى قراءته بطول
 عمره مداوماً وعاكفاً . لم يكن له بالمعرفة به قرين ، ولقد تصدر لإقراءه
 وهو ابن عشرين . وقد دون الكثير من العلوم وصنف ، وقرط مسامع
 القهوم وشف .

[٦٣ / ب] فمن قوله رحمه الله تعالى :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِعَهْدِي كُنْتُ أُعْهِدُهُ
 وَطَيْبِ عَيْشٍ تَقْضِي كَلْبَهُ كَرَمُ
 وَجِيْرَةٍ كَانَ لِي أَنْسُ بُوَصْلِيهِمْ
 وَالْأَنْسُ أَفْضَلُ مَا فِي الْوَصْلِ يُفْتَنَسَمُ
 كَانُوا نَعِيمَ فُؤَادِي وَالْحَيَاةَ لَهُ
 فَالآنَ كُلُّ وَجُودِي بَعْدَهُمْ عَدَمُ
 بَانُوا فَعَادَ نَهَارِي كَلْبَهُ ظَلَمًا
 وَكَانَ قُرْبِهِمْ يُمْحَى بِهِ الظُّلْمُ
 5 وَالْعَيْنُ مِثِّي لَا تَرَقَا حَاجِرُهَا (١)
 كَانَتْهَا سُحْبٌ تَهْمِي وَتَسْجَمُ
 تَبْكِي عُهُودَ وَصَالٍ مِنْهُمْ سَلَفَتْ
 كَانَتْهَا هِيَ فِي إِنْسَانِيهَا حُلْمُ

(١) رقا الدمع والدم - ونحوهما - سكن وجف وانقطع .

لئن ضحكنتُ سروراً بالوصالِ لقد
 بكيتُ للبعدِ حُزناً والدموعُ دمٌ
 « هم علموني البسكا ما كنتُ أعرفهُ
 يا ليتهم علموني كيف أبتسيم ! »

الفتية الرئيس الحاجب الكاتب صاحب القلم الأعلى

محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي (*) :

يكنى أبا عبد الله وأدركته ورأيتهُ .

وهو من أهل تلمسان . وأصلُ سلفه من الأندلس . من بيت أصالة
 تعين^(١) . ومحمد والده كان من أهل العلم التام . درس العلوم بتلمسان وأفتى بها

(*) الفقيه الحاجب ، الرئيس الكاتب ، محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي
 (ت ٧٥٦) من أسرة اشتهرت بالعلم والأدب ، وانخرط كثير من رجالها في خدمة
 عدد من الدول كالمرينيين والحفصيين . حجب أبو عبد الله محمد (المترجم به هنا)
 لأبي عنان المريني ونال حظوة لديه ، وثقة واسعة ، فقلده عدداً المناصب منها « خطة
 السيف » كما قال ابن الأحمر في مستودع العلامة ، وأسند إليه ولاية بجاية ، فاستمر
 عليها الى وفاته : ٧٥٦ . قال في البستان « وسيقت جنازته إلى تلمسان فدفن فيها » .
 ترجم له ابن مريم في كتابه « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » : ٢٢٨ ، وقال
 فيه : « له همة عظيمة وعلم وشأن كبير » . وابن الأحمر في مستودع العلامة : ٣٦ وقال
 إن أبا عنان قدمه على الإمارة ببجاية بينما قال هنا في نثر الجمان إنه ولاء بجاية وقسنطينة ،
 ولعل قسنطينة كانت تابعة آنذاك لبجاية ، فلا تعارض .

وذكره ابن القاضي في درة الحجال ٢ : ٢٦٥ وفيه ٠٠٠ ابن أبي عمر التميمي ، وهو خطأ من
 الناسخ والمحقق ، وذكره ابن الأحمر في روضة النسرین . وأورد ابن الأحمر في مستودع
 العلامة نسقاً من أولاده وأحفاده خدموا في الدولة المرينية في مناصب كتابية رفيعة
 انظر (٣٧-٤١) .

(١) فيها . وسترده « تعين » بياء مشددة في الترجمة التالية .

وكان من عباد الله الصالحين ، ومن الأولياء المخلصين . وحسبه من ورعه أنه ولي القضاء بتلمسان سنين طائلة ، فلما توفي لم يوجد له غير قطيفة ، ووسادة صوف ، نفع الله به .

ومن سعة علمه أنه رتب التبصرة للإمام أبي الحسن اللخمي وأتى بها نسقاً على أبواب التهذيب؛ ومسائله اعتنى بها فقهاء الأمصار وعرفوا بها قدره في العلوم .

وقدمه على قضاء الجماعة بتلمسان أمير المسلمين المنصور بالله أبو الحسن علي المريني ، فأظهر من التصميم في الحق وإقامة منار الشريعة ما يكفل اللسان عن وصفه . وأحمد والد محمد كان أيضاً [٦٤ / أ] من أهل العلم البارع ، ودرّس العلوم ، وأفتى ، وولي قضاء الجماعة في بعض بلاد إفريقية . وكان علي والد أحمد إماماً عالماً مدرساً مفتياً محدثاً حافظاً ، وولي قضاء الجماعة بتونس لأمر المؤمنين المستنصر بالله ، المنصور بفضل الله أبي عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الموحّد؛ وقدمه المستنصر بالله هذا على حجابته ، وقلده خبطة علامته .

ونسبه في تميم ، ويقال إنه من بني الأغلب التميميين، ملوك إفريقية .

والحاجب أبو عبد الله هذا كان ملازماً لأمر المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان المريني في الصحبة بتلمسان (١) ، في إمارته حين قدمه

(١) تلمسان : مدينه شهيرة في المغرب الأوسط . كان لها دور بارز في تاريخ المنطقة منذ استقلال بني زيان واتخاذهم تلمسان عاصمة لهم . وهي مركز ثقافي وحضاري هام على مدى الأعصر الإسلامية . وتقع اليوم في القطر الجزائري . وهي تزخر بأثار إسلامية موحدة ومرينية هامة .

أبوه أمير المسلمين المنصور بالله أبو الحسن عاملاً عليها ، فلما بويع بها المتوكل على الله أبو عنان ، وسار منها إلى فاس مقعد الملك المريني ، قدمه حاجباً له وصاحب علامته ، وبلغ لديه جاهاً عظيماً لم يبلغه غيره . وكان أحد الأجواد لا يقاس إلا بمن تقدم من البرامكة وأمثالهم . وكان قد أعطاه مخدمته السلطان أبو عنان بعد أن حجبه عشرة من الطبول وعشرة من البُنُود ، وقدمه أميراً ببجاية (١) وقسطنطينة (٢) فظهر له هنالك من الآثار الجميلة ما أنسى بها من تقدمه من الحجاب والأمراء . وببجاية توفي في سنة ست وخمسين وسبعمائة ، وسبق منها فدفن بتلمسان . فوجد لفقده السلطان أبو عنان حزناً عظيماً أداه ذلك لأن بعث أعز بنيه عنده - وهو الأمير أبو زيان محمد - ليحضر جنازته بتلمسان ، وأخرجه حزنه أيضاً عليه لأن رثاه بقوله :

ألمنا بأحداثِ العلى والمناصبِ
تُحيي ثراها واكيفاتُ السَّحائبِ
وعُوجا بأكنافِ الضريحِ الذي حوى
من الجُود والإفضالِ أسنى المراتبِ
ألا بكيا غيثَ المَواهبِ والجندا
وليثَ الشرى نسجِلِ السَّراةِ الأطابِ

(١) بجاية: مدينة ساحلية بين إفريقية (تونس) ومدينة الجزائر. وهي الآن في القطر الجزائري

(٢) قسطنطينة: مدينة كبيرة تقع اليوم في القطر الجزائري (في الشرق منه) ، وكانت لها قلعة كبيرة عالية حصينة .

[٦٤ / ب]

وجودا بيوبلِ الدّامعِ تهمي شؤونه
كما هتنتتْ مُسزَنُ الغيوثِ السّواكبِ

5 وبوحا بأنّ الجحدَ أقوتْ ربوعه
وزلزلَ منهُ مُشدخيره الأهاضبِ

فيا رجلَ الدّنيا وواحدَها الذي
تُحَثُّ لِمِغناهُ مطيُّ الرّكائبِ

لقد كنتَ لي أنسا وخيلا وصاحبيا
فببِنتْ ولم تشنّ العِنانَ لصاحبِ

وقد أنشبتْ فيك المنيّةُ ظفرَها
وما غادرتْ يوماً منيعَ الجوانبِ

سقتك صرُوفُ الدّهرِ كاساتِ حَتفِها
وجرّعتْ منها مُنْظعاتِ المِشاربِ

10 ولاقيتْ مكرّوهَ الحِمامِ وقد سرى
عبيرُ ثنّاكَ في الرّبا والسّباسبِ

رُزئتْ أبا عبدِ الإلهِ بفقدكم
فها أنا ذا أشكو بربِ النَّوائبِ

مُسعّرة نارِ الجوى في جِوانِحِي
تُذكّرني عهدَ النَّصيحِ المراقبِ

لقد رُزئتْ فيك السّباحةُ والنّدى
وضُضِعَ منها جانبُ أيّ جانبِ

وما كنتَ إلا الطَّودَ والبحرَ والسَّنى
تَضِيءُ ضِيَاءَ الزَّاهِرَاتِ الثَّوَابِرِ
15 وما كنتَ إلا حائِزاً كلَّ شَيْمَةٍ
من الفضلِ سَبَاقاً لِبَسْطِ الرِّغَائِبِ
فَمَا اخْتَصَّتِ الْأَمْلاكُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
وَلَا خُصَّتِ الْأَمْلاكُ مِنْهُ بِحَاجِبِ
وَلَا نَالَتِ الْأَشْرَافُ مَا نِيلَتْ مِنْ عَلَا
وَمَا هِيَ نَدَى فِي النَّهْيِ وَالْمَنَاصِبِ
وإنْ خُصَّ مِنْهُمْ مَا جِئْتُ بِمِزِيَةٍ
فَقَدْ حُزَّتْ فِي الْعُلَمَاءِ جَمِيعَ الْمَنَاقِبِ
نَمَكَ إِلَى الْمَجْدِ الْأَيْمِلِ خِصَائِصُ
يَقْصُرُ عَنْهَا نَجْمُ زَيْدٍ وَحَاجِبِ (١)
20 ظَمَعْتَ مِنَ الدُّنْيَا حَمِيداً مُقَرَّباً
وَمِثْرَ بَرِيئاً مِنْ ذَمِيمِ الْمَثَالِبِ
وَتَاللَّهِ مَا دَمَعُ بَرَاقِ (٢) وَإِنَّمَا
أَكْفَكْفُ مِنْهُ كَالْعِهَادِ الصَّوَابِ (٣)
تَسْغَمُكَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ
وَبِلَغْفِكَ الزَّلْفَى وَأَقْصَى الْمَأْرَبِ

(١) المشهورون من تسمى يزيد كثيرون ، وفيهم زيد الخيل (٩٠٠٠) من أبطال العرب ،
وحاجب بن زرارة (٣٠٠٠؟) من سادات العرب في الجاهلية .

(٢) رقاً الدمع : جف وسكن .

(٣) العهد جمع العهد : أول مطر الوسمي .

وبوأك من أعلى الجنان قُصُورُهُ
تُحْيِيكَ فِيهَا مُسْبَلَاتُ الذَّوَابِ

[٦٥ / أ]

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا لَاحَ بَارِقُ
وَمَا سَجَعَتِ وُرُقُ الْحَمَامِ النَّوَابِ

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو القرمُ الذي حاز الجلالة ، والجواد الذي لم تنزل مواهبه منثال
قُدِّمَ للحجاجة ففخرت به الدولة ، وقُتِلَ الرئاسة فكانت له الصولة .
عَظِيمِ أَيَادِيهِ وَسَمَوِّ نَادِيهِ ، وَكَرِيمِ أَوَاخِرِ فَضْلِهِ وَمَبَادِيهِ . وَلَا مَرِيَّةَ
أَنَّهُ سَادَ بِبِجُودِهِ ، كَمَا فُخِرَ الزَّمَانُ بِوُجُودِهِ . وَزَهَاهَا بِنَسْبِهِ الطَّاهِرِ
الْأَكْدَارِ ، وَسَمَا بِأَفْعَالِهِ الخَالِصَةِ مِنَ الْأَغْيَارِ . وَنَجْمَ فِي الدَّوْلَةِ الْفَارَسِيَّةِ
نُجُومَ الْبَدْرِ فِي السَّمَاءِ ، وَتَلَاعَبَ بِسِيَاسَتِهَا تَلَاعَبَ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ
وَحِينَ غِيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ ، وَعُذِمَ جَدَاهُ الْفَائِحُ ؛ رِثَاهُ الْعَافُونَ ، وَتَوَجَّعَ لِفَقِّ
الْمُسْتَبَلُونَ وَالْمَعَافُونَ !

فَمَنْ رِثَاهُ الْفَقِيهَ الْكَاتِبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَزْزُ
الكلبي (*) بقوله :

لِعَمْرٍ الْمَعَالِي مَا وَفَى بِحَقْوَقِهَا
مِنْ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرِثِ لِابْنِ أَبِي عَمْرٍو

(١) يعني بذلك دولة أبي عنان فارس المريني .

(*) من أسرة بني جزري المشهورة في غرناطة ، وله ترجمة في هذا الكتاب .

فتى جمعت فيه المحاسين كملها
ولا بدء من نقص فكان من العمر !

وفي رثائه أنشدني صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن
محمد بن محمد بن عبد المنان الأنصاري الخزرجي لنفسه (*)
من كان يبكي ما جيداً فليجد
بالمسمع السكيب على الحاجب
يتم وجه المجد فاعتاله
صيرف الردى لم يتخش من حاجب
عين أصابته وياقربها
في الوجه بين العين والحاجب !

وإذ قد فرغنا مما رثي به فلنذكر شعره ، وهو ما كتب به لخدمته
أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان :

أنا حاجب لفظاً ، ومعنى ليس لي منها نصيب
فمتمى دُعيت بحاجب فالحقُّ أَلَا أَسْتَجِيبُ
بالعجز عن ضرر العدو وعن مؤالاة الحبيب
فأنا البعيد حقيقةً وعلى المجاز أنا القريب

(*) هكذا ورد اسمه في نثر الجمان . وقد ترجم ابن الأحرر في نثر الفرائد لابن عبد المنان
باسم أبي العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان (ص ٣٤٨) . وترجم له في درة الحجال
(١ : ٥٣) أيضاً باسم أحمد بن يحيى ، كما ترجم لابنه يحيى بن أحمد . فلعل اسم أبيه في
كتابنا هذا مصحف عن يحيى . وتكون التراجم كلها لواحد .
قال في نثر الفرائد : إنه أندلسي الأصل ، مكناسي الدار ، وتوفي سنة ٧٩٢ .

فجاوبه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان بقوله :
لئن استقممت كما أمر . . . وترعوي فللك النصيب
ومتى دُعيت بحاجبٍ فعليك حقاً أن تُجيب
فلقد جمعت خصالها بفعائل الفطين اللبيب
ونصحت مالكك الذي ما مثله لك من طيب
فاشكره لباً أو لآكاه شكراً به أبداً تُصيب
الفقيه القاضي الخطيب الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الله
ابن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان
ابن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي (*) :

(*) أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري ، المالقي الأندلسي ، ثم الفاسي ، ذكره تلميذه أبو زكريا السراج وقال إنه كان متفناً في علوم شتى آخذاً بحظ وافر من الرواية ، مجيداً ، كاتباً بليغاً ، حسن الخط ، محباً لأهل الدين معظماً لهم ولمن ينتسب للصوفية . بدأ أبو القاسم حياته العملية في بلدة مالقة فارتسم في العدول ، ثم انتقل إلى المغرب فقدم بالحضرة المرينية كاتباً وخطيباً . وقال ابن خلدون فيه إنه كان يكتب عن السلطان ويلزم خدمة رئيس الكتاب ابن عبد المهيمن . « وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب في براعة خطه ، وكثرة علمه ، وحسن سمته ، وإجادته في فقه الوثائق والبلاغة في الترسيل عن السلطان ، وحوك الشعر ، والخطبة على المنابر ، لانه كان كثيراً ما يصلي بالسلطان . . » وكتب ابن رضوان العلامة لأبي عنان المريني ولجماعة من ملوك المغرب كما قال ابن الأحمر في مستودع العلامة . وترجم ابن خلدون لابن رضوان هذا ترجمة مفصلة في (التعريف : ٤١) وذكر خدمته لأبي الحسن المريني مدة ، ثم لحاقه بالأندلس ، وعودته إلى خدمة أبي عنان المريني وغيره من سلاطين بني مرين إلى أن توفي في بعض حركات السلطان أحمد بأزمور (بالمغرب) .
انظر ترجمته وأخباره وأشعاره في : مستودع العلامة ٥١ ، والكتيبة السكمانية ٢٥٤ ، والتعريف لابن خلدون ٤١ ومواضع أخرى ، ونيل الابتهاج : ١٤٥ ، ونفح الطيب « مواضع متفرقة منه » -) .

يكنى أبا القاسم . وأدر كته ، ورأيته .

وهو من أهل مالقة ، وأصل سلفه من قرطبة ، من بيت أصالةٍ وتعيين ، وعم جدّه القريب رضوان ، وهو أبو عبد الله محمد بن رضوان ، كان لجدي الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي ، وزيراً ورئيس كتابه وذلك حين كان جدنا الرئيس الأمير أبو سعيد فرج (١) المذكور أمير مالقة (٢) والجزيرة الخضراء (٣) وسبته من بر العدوة .

(١) هو الأمير أبو سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر؛ ومحمد أخو يوسف «جد فرج» هو أول ملوك بني نصر . كان والياً على مالقة ، وهو الذي أوقع بسبته فاحتلها وأجلى بني العزفي «راجع الباب الخاص بتراجم بني العزفي من هذا الكتاب» . وانصرف ملك غرناطة إلى ولده أبي الوليد إسماعيل (خامس ملوك النصريين) بعد نصر . وكان الأمير فرج شخصية قوية ، وذا نفوذ كبير .

(٢) مالقة : مدينة قديمة على شاطئ البحر المتوسط بين الجزيرة الخضراء والريّة وصفت المدينة بالجمال وطيب الهواء ووفرة الخيرات وازدادت أهميتها في عهد بني نصر ، ونشطت فيها التجارة وازدهر العمران . وكان لصاحب مالقة أيام بني الأحمر مركز مرموق ومشاركة في كثير من الأمور لمكانة المدينة من البحر وقربها من المغرب وكانت آنذاك - حاضرة علم وثقافة خرجت عدداً كبيراً من الأدباء والكتاب والعلماء واشتهرت المدينة بصناعة الأواني الفخارية والخزفية التي انتشرت على يد التجار منها إلى بلاد المسلمين وغيرها .

(٣) الجزيرة الخضراء : مدينة بحرية في أقصى الجنوب من الأندلس . وتقابلها مدينة سبته في بر العدوة من المغرب . وكان مرساها من أجود المراسي للجواز وأقربها من البحر المحيط ، وهو مشق مأمون . وأرض الجزيرة الخضراء أرض زرع وضرع وبخارجها المياه الجارية والبساتين النضيرة ، وبها كانت دار صناعة الأمير عبد الرحمن الناصر . وقد تعرضت المدينة للخطر في القرن اثنامن مع اشتداد غزوات الإسبان عليها وعلى مملكة غرناطة ، واحتلت في عهد الأمير يوسف مع عدد القرى والقلاع ثم عادت إلى المسلمين سنة ٧١٠ .

والفقيه أبو القاسم هذا [٦٦ / آ] . كان قد استنابه في القضاء الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى التسولي قاضي حضرة السلطان أبي الحسن المريني .

وبابن رضوان يعرف ، ونشأ ببلده مألقة على أحسن حال ، كان شاهداً عدلاً بساط شهودها ، وارتحل عنها إلى بر العدة فاستنابه القاضي إبراهيم ابن أبي يحيى المذكور . ثم استكتبه بالحضرة المرينية أمير المسلمين أبو الحسن ، ثم اختط به بتونس حين ماكها من يدي الموحدين آل أبي حفص ، ثم استكتبه ابنه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان في حضرته . ثم قلده خطة العلامة ولم يزل عليها حتى الآن في حضرة الملوك من بني مرين .

حاله - نسأ الله في أجله - :

هو شديد الرأي شديد الفهم ، بارع الإنشاء رقيق النظم . متلفع ثوب الفصاحة ، ورافع راية البهاء والصباحة . قد امتطى صهوة طرف النسي ، وتقلد نجاد سيف حسن الرواء . وباعه في المشاركة في العلوم مديد ، وله معرفة بطارفيها والتلديد . وهو الآن في الدولة المستنصرية (١) ، والإمارة المرينية ، كاتب سرها ورئيس كتابها ، والمُعظم في وزرائها وحجائها . تحت برّ وإكرام ، وسيب إنعام .

وما ذلك إلا للذي حاز من عُلّا

ومين مكرمات ما لها في الورى مُحصّ

(١) تلقب أبو فارس عبد العزيز المريني بـ « المستنصر بالله » .

فمن قوله يمدح ملك المغرب أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المريني (١) :

وهي مولدية (٢) ورفعها له في عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة :
 قِفْ بالدَّيَارِ فهذه أعلامُها
 يُهْدَى إليك مع النَّسِيمِ سلامُها
 وإذا وقفتَ بها فَحَيَّ رُبوعَها
 وذَرِ المَدَامِيعَ يستهلُّ غمامُها
 لِنَسْجُودِ هَاتِيكَ النُّجُودِ وَنَسْتَحْيِ
 تِلْكَ التَّهَائِمَ بالدُّمُوعِ سِجَامِها (٣)

(١) السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني بن أبي الحسن علي : أصلح الدولة بعد استبداد وزراء الدولة وقتلهم بعض السلاطين ، وتخلص من الوزير عمر بن عبد الله الياباني . ووصف أبو فارس بعلو الهمة وحسن السيرة وهو ساعد أمير غرناطة محمد الخامس على استرجاع الجزيرة الخضراء ، واستولى على مدينة تلمسان . وإليه لجأ لسان الدين الخطيب بعد خروجه عن غرناطة تاركاً الفتي بالله « محمد الخامس » النصري . وتوفي أبو فارس عبد العزيز سنة ٧٧٤ .

(٢) بدأت عادت تعظيم يوم المولد النبوي في المشرق ، وانتقلت إلى المغرب « والأندلس » على يد أبي العباس العزفي بسببة فكان يعقوب المريني أول من احتفل به في المغرب ، ثم انتقل هذا الرسم إلى الأندلس . قال ابن خلدون في وصف احتفال الأندلس بالعيد « وكان يحتفل - بالأندلس - في الصنيع بليلة العيد ، والدعوة ، وإنشاد الشعراء ، اقتداء بملوك المغرب » . وانظر دراسة عن عصر ابن الأحمر « القرن الثامن » في كتابي دراسة عن نثر فرائد الجمان لابن الأحمر - طبع دار الثقافة بيروت - العدد ١٨ من سلسلة المكتبة الأندلسية .

(٣) في م شجامها ، وهو تصحيف . وسجم الدمع : سال . وجاد المطر القوم : عم أرضهم ، وجادت العين : كثر دمعها . كذا البيت في النسختين .

[٦٦ / ب]

فتعود روضاً دبّجته يدُ الحيا
 ويميل ريتاً أثلسها وبشامها (١)
 5 يا نظرةً أرسلتها في عبّرة
 بين الطلول فشاقتني آرامها
 وأطلتُ بسين كيناسها وعربنها
 لَهفي فطالَ بأينقي إرزامها (٢)
 ذِكري حبيب ما ذكرتُ عهدَهُ
 إلا وصالَ على الضلوع هيامها
 عهدي بها الحيّ الجميعُ ودونهُ
 أسدُ الشرى ومن القنسا آجامها
 لم ترنُ عينُ الشمسِ هالّةً بدرها
 إلا وظلّلتُ بالقتام خيامها
 10 فمن المزاور والأسنّة والطبّا
 متوقّدتُ حولَ القبابِ ضرامها
 ومَن المؤمّل غـيرُ طيفِ خيالها
 لو كان يحظى بالجفون منامها !
 فاليوم بعد نـوى الأنيـسِ مقوضاً
 أقوت معالمها وصخّ وسامها (٣)؟

(١) البشام واحده : البشامة ؛ وهي شجرة طيبة الريح والطعم ، يستاك بها .

(٢) أرزمت الناقة : حنت على ولدها ، أو صوتت حينئذ على ولدها .

(٣) صخ الحجر : صوت عند القرع و « وسامها » كذا فيها .

واستوحشت أرجاؤها ، وتجاوبت
أصداؤها ، ودعا الهديل حمامها

أقنوى (١) ملاعبها التي جدء الهوى
لما تَضَوَّعَ رَنَدُهَا وَخَزَامُهَا

15 وَجَدِي عَلَى تَلْكَ الْعُطْبَاءِ وَقَدْ نَأَى
مِنْهَا الْمَتَزَارُ فَمَا اسْتَعِيدَ لِمَامِهَا (٢)

إِنِّي لِيُحْرِقَنِي أَوَارُ صَبَابِي
وَيَهِيحُنِي لِلآيَاتِ غَرَامُهَا (٣)

فَلِكَلِّ لِحَجَةٍ شَارِقٍ أَوْ بَارِقٍ
أَهْفُو فَتَغْلِبُ مَهْجَتِي آلامُهَا

يَا صَاحِبِيَّ عَنْ الرِّكَائِبِ حَدَّثَا
فَنَزَامُهَا مَا تَعْلَمَانِ ذَمَامُهَا

وَدَعَا حَدِيثَ اللَّتْمِ عَنِّي إِنَّهُ
يُذَكِّرُنِي لِهَيْبِ الْعَاشِقِينَ مَلَامُهَا

20 لَمَّا بَصُرْتُ بِطَالِعَاتِ الشَّيْبِ فِي
شَعْرَاتِ رَأْسِي وَاسْتَنَارَ ظِلَامُهَا

وَذَكَرْتُ مَا أَسْلَفْتُهُ فِيمَا مَضَى
مِنْ مَوْبِقَاتِ رَاعِي إِجْرَامِهَا

(١) غير ظاهرة في «ط». وأقرب رسم لها في «م» أقرأ أو أفراء وأرجح ما أثبت .

(٢) اللام : اللقاء اليسير .

(٣) في القاموس : الأبيج : حر وعطش .

أقبلت أطلبُ المتابَ وإنَّه
 صعبٌ على هذي النفوسِ فِطامُها !
 أينَ الرجالُ وصدقُها في زعمِها
 هيهاتَ يضمنُ صدقها تزعمُها
 لولا النبيُّ الهاشميُّ مُحمَّدُ
 خيرُ الأنامِ شفيعُها وإمامُها

[٦٧ / ٢]

25 لَقَضَى عَلَى النَّفْسِ الظُّلُومَ لِإِسْمِهَا
 وَلَسَحُمٌ مِنْ خَوْفِ الْجَحِيمِ حِمَامُهَا
 لولا النبيُّ الأبطحيُّ مُحَمَّدُ (١)
 لم تعرف الكُفَّار ما إسلامُها !
 كم أمةٍ محوَّةٍ آثارُها
 كم شرعةٍ منسوخةٍ أحكامُها
 كم عُصبةٍ مغلوبيةٍ أنصارُها
 كم ملَّةٍ مكسورةٍ أصنامُها
 أيقظتَها بيهداك يا صبيحَ الهدى
 من رقدةٍ لعبتَ بها أحلامُها
 30 في فترةٍ أخفى الشرائعَ ليلُها
 وسَطًا على إشراقِها إظلامُها

(١) قريش البطاح الذين ينزلون بين أخشي مكة . وذكر «الأبطح» في خبر العقبة الثانية

(الروض المعطار : ٤١٨) .

والجاهلية تتعتدي كي تتعلي
 سفهاً ويخضع للصليب طعامها
 عميت بها الأبصار عن إدراكها
 سبيل الرشاد وظلمت أحلامها
 وأتيت يا علم النبوة صادعاً
 بالحق قأبي أن يزيغ قوامها
 35 وأتيت يا نور الإله مبصراً
 أهل العمياء فاهتدت أفهامها
 وحملت في ذات الإله شدايداً
 راعت سواك وما زهمتك جسامها
 ناجزتهم بالمعجزات شواهداً
 يفري حجاج المبطلين حسامها
 أعجب بناطقة الجمادات التي
 ما كان يفصح ناطقاً إعجامها
 40 أعجب بتكثير القليل براحة
 يكفي الألوف شراؤها وطعامها
 أعظم بإزال الكتاب كرامة
 أربي على الرتب العلى إكرامها
 فالعرب خاضعة الزمام لعزه
 إذ عزها بثاله إمامها

والبدر شقّ وعادَتِ الشمس التي
 غَابَتْ فَأَشْرَقَ نُورُهَا وَقَسَامُهَا (١)
 وبليلة الإسراءِ أكبرُ آيةٍ
 جَلَّتْ مَكَانَتُهَا وَعَزَّ مَرَامُهَا
 شاهدتُ والتقريب يشهدُ أنه
 بملوءِ قدرِكَ مؤذِنٌ لإعلامها
 بك شرفِ اللهِ النبوةَ فاعتَلَّتْ

وَسَمَا عَلَى سَمَكِ السَّمَاءِ مَقَامُهَا
 45 فالأفتقُ ملتَمِعُ الضياءِ بنورها
 والأرضُ طابَ وهداها وإكامها

[٦٧ / ب]

إن تسر في الأنصار سارية لها
 حذراً ليوم تروعها آثامها
 فإليكَ أكرم شافعٍ إنجادها
 وإليكَ أكبر مرسلٍ إتهامها
 لم تقض حقَّ المجدِ إلا عصبتهُ
 أمتٌ معاهدك الكرامَ كرامها
 يا مُصطفى الرحمنِ كم مِن آيةٍ

بهرتُ بصدقك واستبانَ تيامها
 50 أوصافُ مجدك لا يُحيط بِمَدحِها
 ذِكرُ ولا حصرُ بهِ إتمامها

(١) القسام والقسامة : الحسن .

ماذا يقول المادحون ودورها
 في الوحي أنزل فتدأها وتؤامها (١)
 لله مولدك الكريم وفادة
 وإفادة يروي الظماء جامها (٢)
 هو أكبر الأعياد بشرى آذنت
 أن [لا يودع ؟] شهرها أو عامها (٣)
 وافى ربيع الخبير منه بليلة
 عن وجه ذلك البدر حط لثامها
 55 طفت بها نيران فارس بعدما
 لم [تطفن] (٤) ألفا عدت أعوامها
 والنهر غاض وكان بحرأ زاخراً
 وتداعت الشرفات يسجد هامها
 هي ليلة فات الليالي فضلها
 وتشرفت بزمانها أيامها
 أبدى الكريم إمامنا تعظيمها
 وله يحق بواجب إعظامها (٥)
 فهو المليك الصالح العلم الرضا
 معيبي الشريعة ؛ عزها ونظامها

(١) الفذ : الفرد ، وتؤام جمع تؤام .

(٢) جم الماء : معظمه ج جمام .

(٣) لم يظهر من الكلمة غير « لا يو » أو « لا ير » ، وما أثبت مقترح .

(٤) ما بين معقوفتين ساقط من الأصلين ، وهو مقترح .

(٥) بدأ الحديث عن تعظيم المدوح للمولد .

60 وهو الخليفة وارثُ المُلْكِ الَّذِي
 منعَ الخلافَةَ أن يُنالَ مضامِها (١)
 حامِي الحَقِيقَةِ فاعِلاً أو قائِلاً
 فخرُ الملوِكِ إمامِها وهما مِها
 هو للقُواةِ شتاتُها ، هو للعِفا ...
 ... قِ حِياتِها ، هو للعداةِ سِهامِها

عزَّ انتصاراً للَّذينَ بعزِّه
 لاذُوا وألصِقَ بالقُواةِ رِغامِها
 في اللِيتِ من وِتابتهِ وِتابتهِ

شبههُ يقرُّ بفضليهِ ضِرامِها
 65 في الغيثِ من جدوى يديه مِشابهةً
 لو لم يشقُ سِحابَ الحِيا إنجامِها

[٢ / ٦٨]

تندى غِضارةُ يِشره فكَانتما
 حامتْ على وِردِ النعيمِ حيامِها
 وتريكَ أفوافَ الرِياضِ يمينهُ

مَها جَرتْ في رِقها أَقلامِها
 لم يَثنه المِلكُ العَظيمُ عن التي
 ضَمَنَ الثَوابَ بَخطِها إَحكامِها
 هذا وللخطِبي منها هولةً

في الحَربِ تَهزأُ بالدُروعِ سِطامِها (٢)

(١) في ط : مضامها ، وفي م : مصامها .

(٢) السطام : حد السيف .

70 يا ابنَ المأوكِ وإنتهم لملائك^ة
 في الصالحاتِ علتُ بها أقدامُها
 لله فيك سرائرُ شهدتُ بها
 آثارُ عدلكَ صادقاً إفهامها
 تلك الحلافةُ من مَرينِ أصبحتُ
 والدِّينُ والدُّنيا لديكَ قوامها
 فلعلَّ نصرَكَ دائماً إسراجها
 وعلو أمرِكَ دائماً إجمامها
 إن الليالي أنتم قوامها
 إن الهواجير أنتم صوتها
 75 إن المعارفَ منكم استهداؤها
 إن العوارفَ منكم استتتها
 فرغتُ ثنانيا المأثرات حسانها
 فرعتُ مراعي المكرماتِ سوامها
 لكَ صدقٌ وعدِ الله في إظهاره
 للدِّين أنت لها، وأنت عصامها! (١)
 لكَ في الجهادِ سريرةٌ أخلصتها
 لله فليُنشر عليكَ علامها
 لكَ راحةٌ في الجودِ راحتها وكم
 كفِ بمنعِ نوالها إفعامها!

(١) من المثل المشهور - وينسب للناطقة - * نفس عصام سودت عصاما * .

80 ولكَ المَوَاضِي الفَاتِكَاتُ صِفَاحُهَا

ولكَ الأيَادِي المَالِكَاتِ جِسَامُهَا

ولكَ الإيَالَةُ شَاهِدَاتُ إِقْبَالِهَا

إِن السُّعُودَ بِهَا يَكُونُ دَوَامُهَا

هَامَتْ بِهَا مِصْرُ فُلُو وَاصَلَتْهَا

لَرَأَتْ شَبِيهَةَ عُمَرَا أَهْرَامُهَا |

وَلَوْ أَنَّ بَغْدَادًا أُرِدْتَ وَجِلْدُهَا

لَهَوَى إِلَيْكَ عِرَاقُهَا وَشَامُهَا

إِن الفَتْوحَ عَلَيْكَ يَخْفِقُ بَنْدُهَا

وَلَسَدَيْكَ فِيهَا تَرْتَضِيهِ قِيَامُهَا

85 وَعِيدَاكَ عَوْدُكَ الإِلَهُ بِأَنْبَا

إِن لَمْ تَطْمَعْ تَسْحِطُ بِهَا آثَامُهَا

[٦٨ / ب]

تَلَكَّ العَطَايَةَ عُبَيْدِ الوَادِ لَمْ

يُرْفَعُ لَهَا عِلْمٌ وَلَا أَقْوَامُهَا (١)

نَامَتْ لَهُمْ عَيْنُ الحَوَادِثِ بُرْهَةً

فَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ نِيَامُهَا

لَا تَحْسِبَنَّ لَهَا غَنَاءً فِي الوَغَى

فَوَرَاؤُهَا عِنْدَ الهِيَاجِ أَمَامُهَا !

إِن الإِلَهَ قَضَى لَهَا مَهَا بَدَتْ

تَخْفَى ، وَعِنْدَ وُجُودِهَا إِعْدَامُهَا (٢)

(١) يشير إلى انتصار الممدوح المريني على أبي حو العبد الوادي صاحب تلمسان سنة ٧٧٢ هـ

(٢) يريد : وجودها كعدمها ، واستعمل إعدام بمعنى عدم .

- 90 أنتَ التذي ترثُ البلادَ وأهلَها
 منها سوى ما حازَهُ أَرَجَامُها ! (١)
- لكَ من سُعودِ « المشتري » ما شئتَهُ
 ولها نُحوسٌ ذلتها بهرامها (٢)
- إن الشَّقِيَّ وإن تَوَلَّى مُجْتَفِلاً
 في النَّازحاتِ كما يُراعِ نَعامها
 لتَسوقهُ الأعرابُ خادِمَةً بِهِ
 ويقودُ ناقِستَهُ إليك زمامها !
- ويحلُّ حيثُ مَضَى الذَّيْنِ، تَقَدَّمُوا
 طوع السَّيْفِ هوى بهرامها إلحامها
- 95 مولايَ يا عبدَ العزيرِ وَمَنْ لَهُ
 تُحدى الرِّكائبُ والرَّجاءُ خِطامها
- يا ابنَ الإمامِ عليِّ المُلِكِ الَّذِي
 دانستَ إليه من المُلوكِ ضِخامها
- نجل الإمامِ أبي سعيدِ ذي النُّهي
 والكفِّ تَطمَعُ بالعطاءِ رهامها (٣)
- نجل الرِّضا يَعقوبِ ذي المُلِكِ التَّذِي (٤)
 ملكَ البَسِيطَةِ فاستقامَ أَنامها

(١) أَرَجَامُ ج رجم : القبر .

(٢) بهرام : المربخ . وللمشتري والمربخ عند المشتغلين بالنجوم دلالات ولهم فيها ادعاءات .

(٣) الرهام جمع رمة وهي المطر الخفيف الدائم .

(٤) أبو سعيد عثمان ويعقوب المربخي المنصور، من سلاطين المرينيين المشهورين .

خُذْهَا إِلَيْكَ مَدَائِحًا أَهْدَيْتَهَا
 كَالزَّهْرِ يُطْلَعُ زَهْرَهَا أَكَامُهَا
 100 حَمَلْتُ سَذَا أَوْصَافِكَ الْغُرَّ الَّتِي
 أَرَجْتُ^(١) بِمَعْرِفِ ثَنَائِهَا أَيَّامُهَا
 وَاهْنَا بِيَلَادِ الرَّسُولِ مَسْرُورَةً
 خَفَقْتُ عَلَى دِينَ الْهُدَى أَعْلَامُهَا
 وَاخْلَسْتُ دُمًّا مَا خَلَّدَتْ أَمْدَانُهَا
 كَالْمِسْكِ يَنْفَحُ بَدْوُهَا وَخَيْتَامُهَا

الفقيه الكاتب القاسم بن يوسف بن رضوان رحمه الله (*):

يكنى أبا الفضل . وأدركته ، ورأيتَه . ومولده بمالقة ، بلده ، وكتب
 لأمير المؤمنين [٦٩ / أ] المتوكل على الله أبي عثمان فارس .

حاله - رحمه الله - :

كان بالحديث عارفاً ، وعلى درسه عاكفاً ، ولرجاله واصفاً . مع معرفة
 بالأصول والفروع ، ومشاركة في النحو واللغة ترويع . إلى بهاء وصباحة ،
 وحسن رُوءاء وسماحة .

(١) لم تظهر الكلمة في « م » والمثبت من « ط » .

(*) ذكره المقرئ في نفح الطيب ٧ : ١١٨ ، ونقل مساجلات شعرية بينه وبين أبي إسحاق
 ابن الحاج النميري الغرناطي .

فمن إنشائه البارع ، ما كتب به لخدمته أمير المؤمنين المتوكل على الله
أبي عنان ، والتزم في كل منها بالسين . تقدست أسماء السَّمِيع . سعود
سيد السلاطين مُتساعِدَه ، وسريرته لِسُننِ السَّنَةِ السَّمْحَةِ مُساعِده ،
وسنا سنائه (١) استنارَ الإسلامَ بحسن سيرته السَّنِيَّةِ ، وسرى بالبَسِيطةِ
سيبُ سحابِ إحسانه وسماحته السخية ، وسما بسنام سَفحِ السُّودِ
بحسامه الناسخ سبيل البأس والبؤس ، وسبق بنفسه النفيسة سَطُورَ
العساكر ، وعساكر الطُّروس ، فحسبك استنباطُ السفن بالمراسي المحروسة ،
وإسعافُ الرِّسلِ بِسَوابغِ الحَسَناتِ الجَسِيمةِ المَقْرُوسةِ . فيستفتح
بأسنة سُمره ، وسُمرِ أُمته رسوم الأندلس الدارسة ، وبه يسلك سبيل
سلفه (...) (٢) ، المستنيرة بِسَناهِمِ السَّدفِ الدَامِيسَةِ . فشمس السرور
بسما مسرته مُستنيرة ، وسعد السعود بِتَسَنِّيِ سُوله ساطعة مستديرة .
ومجالس أنسه منفسحة الآسِ والمَسالكِ ، وسلسيل السول بساحة سماحته
يَسْتَحْلِها الناسك والسالك . وسائِلُ إِسعافه السابغ ، القاسم سليل
يوسف (٣) مسترق سلطانه ومستمنح إحسانه . ساعد سلطته السامية الإِسعادِ
وساعَفَها السُرورِ المُستفادِ . والسلام المتسق السلك ، المنتقم المسك يسري
للمجلس السعيد الأسمى [٦٩ / ب] .

(١) أقرب ما يمكن أن يقرأ فيها .

(٢) كلمة طمست في «م» ومكانها بياض في «ط» .

(٣) يشير إلى اسمه : القاسم بن يوسف .

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى وكاتب الأشغال السلطانية

علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود الخزاعي (*) .

يكنى أبا الحسن ، وأدركته ورأيتُه . ومسقط رأسه تلمسان ، وأصل سلفه من الأندلس من بني سعود . والقادم من الأندلس على تلمسان أبوه محمد . ووالد جده الفقيه موسى بن سعود ولي قضاء أدله^(١) بالأندلس في دولة أسلافنا الملوك بني نصر . ثم ولي بها القضاء بعده ابنه الفقيه أحمد ؛ ثم ارتحل أحمد إلى غرناطة فاستوطنها ، واستخدمه جدنا أمير المسلمين أبو عبد الله محمد الفقيه ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله محمد صاحب الديوس ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي ، في الأشغال السلطانية ، ثم ارتحل عن الأندلس إلى بر العدو ، واستقر بتلمسان هو وولده محمد ، فاستوطنها إلى أن توفي بها .

واستكتب الملوك من بني زيان بحضرتهم من تلمسان لولده محمد وقلده

(*) ترجم له ابن الأحرر في مستودع العلامة « ٦٢-٦٤ » ، واسم جده فيه « مسعود » ، وقال إن نقرأ من آباءه تولوا القضاء بالأندلس ، وإن والده انتقل من الأندلس ، واستقر بتلمسان . وذكر ابن الأحرر أن المترجم به كتب في حضرة بني عبد الوادي أولاً ، ثم استقر كاتب أشغال في حضرة بني مرين . وتحدث عنه ابن خلدون في « التعريف ٤٣ » وفسر عبارة كاتب الأشغال السلطانية حين وصفه بأنه « صاحب ديوان العساكر » . وقد أسندت إليه كتابه العلامة بالإضافة إلى منصبه السابق في دولة السلطان أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني .

وانظر في ترجمته درة الحجال وجذوة الاقتباس لابن القاضي .

(١) أدله: فيها .

وزارته السلطان أبو زيان محمد بن السلطان عثمان ابن السلطان
يعمراسن بن زيان . ثم قلده منهم كتابة الأشغال السلطانية أمير المؤمنين العادل
بالله أبو تاشفين عبد الرحمن ، ثم استكتب بنو زيان بحضرتهم ابنه الفقيه أبو
الحسن (١) علي هذا وقلده منهم خطة الأشغال السلطانية أمير المسلمين المتوكل
على الله أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن أمير المسلمين
يعمراسن بن زيان .

واستكتبه أيضاً في الأشغال السلطانية بالخرصة المرينية أمير المؤمنين المتوكل
على الله أبو عثمان فارس بن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن أمير المسلمين أبي
سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، وابنه
أمير المؤمنين السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر ، وعمه أمير المسلمين المستعين بالله
أبو سالم إبراهيم ، وهو الذي قلده خطة القلم الأعلى مضافة إلى الأشغال
[السلطانية] (٢) [٧٠ / أ] بطول دولته .

وقلده أيضاً منهم الأشغال أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو زيان محمد ،
وعمه أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز ، وابنه أمير المسلمين السعيد بالله
أبو زيان محمد .

حاله - أكرمه الله - :

هو فارس ميدان الحساب ، وحامل راية الآداب والأنساب ، درئيسُ
النحويين وعلممُ اللغويين . ولديه من الأصول حظ وافر ، كما وجه الفروع له
سافر . وخطه ينسب ابن منقلة في تنميقه ، وشعره يسكت المرقد في تزويقه .
وقدمه في الكرماء أرسخ من أبي قبيس وفضله ينسب فضل الأمير دببس !

(١) في النسختين « أبو الحسن علي » .

(٢) لم ترد في الأصلين .

أنشدني لنفسه يمدح ملك المغرب أمير المؤمنين
المتوكل على الله أبو عنان (١) :

هو الدينُ عزَّ اليومَ بالنُّصْرِ جانبُهُ
وذلكَ مُناويهِ وهانَ مُناصبُهُ
وكنّا من الإشفاقِ في مُدْهَمَةٍ
تجلستَ بمرآكِ السَّني غياهِبُهُ
ورُبَّ غويّ كان يُخفي نفاقَهُ
وفي ساعةِ (الإحياف) (٢) دبتَ عقاربُهُ
أذقتهم وبالَ البغي إن قتلهم
جهادٌ ولا عهدٌ لديهم تراقبُهُ
5 وأرسلَ عليهم من جيوشِك عارضاً
بصائبيةِ النشابِ يُمطر حاصبُهُ
هو اللّسيلُ والزُّرق الطّوالُ نجومُهُ
هو السَّيلُ (٣) والبييضُ القِصارُ مذائِبُهُ
إذا أمَّ أرضاً دوختها سلاهِبُهُ
وإن رامَ أمراً وصلته قواضِبُهُ
وقد وثقت طيرُ الفلّاةِ بغارةِ
لحومِ الأعادي فهي يمينُ تِصاحِبُهُ

(١) فيها « أبو عنان » .

(٢) في النسختين : الآجاف . وما بين قوسين مقترح ، على أن مصدر « رجف » بمعنى اضطرب لا يكون على إحياف ، كما في القاموس .

(٣) فيها : والسيل ، وظاهر أن المقصود مثل ما أثبت .

وكم لك من يومٍ أبدتَ بهِ العِدا
بالسنةِ الأغمادِ تُتلى مناقبُهُ°

10 إذا خطَّ رُمحَ الخطِّ في معركِ الوغى
أذاكَ ظهيرُ الفتحِ والنَّصرِ كاتبُهُ°

أقامَ بكَ اللهُ الخِلافةَ بعدَما
وَهتَ° وعمادُ الدِّينِ إذْ هُدَّ جانبُهُ°

وانضلتَ عن دينِ الهدى غيرَ مقصرٍ
فِعزَّ°، ولولا أنتَ عِزُّ مغالبُهُ°

[٧٠ / ب]

فتتجيعُ الأملاكُ غيثَ يمينكمُ
فيرجعُ كلُّ مُثنياتٍ حقائقُهُ°

وكم تملكُ سوغتَهُ الملكُ مُنعماً
فلما بَغى قامتَ عليه نوادبُهُ !

15 تُسالمُ من قد أوجبَ الشرعُ سلِمَهُ°
وتتقطعُ في نَصْرِ الهدى من يناصرُهُ°

فيا سعدَ من سالتُموه فقد نجَّنا
ويا ويلَ من كانتَ مَرِينُ تحاربُهُ°

فهل من قبيلٍ لم يسُدْهُ أميرُهُمُ°
وهل من بلادٍ لم تسُدْها كتابتُهُ°

أجلتكَ أملاكُ الزمانِ لِعَلمِهِمُ°
بأنَّكَ شمسُ والملوكِ كواكبُهُ !

وأفدَ كلُّ رسلتهِ لمقامكمُ
ونيلُ رضاكمُ سُؤلُهُ ومآربُهُ°

20 فَدَمٌ لِرَجَا رَاجٍ وَتَأْمِينِ خَائِفٍ
وَنُصْرَةٍ مَظْلُومٍ تَضِيقُ مَذَاهِبُهُ
وَأَيْدِكَ الرَّحْمَنِ فِيمَا تَرَوُّمُهُ
وَيَسَّرَ مِنْ قَهْرِ الْعِدَا مَا تَطَالِبُهُ

الفقيه الكاتب محمد بن عبد الحكيم بن تادراوت (*) .

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته ، ومسقط رأسه مالقة ، وأصل نسبه من تونس . وعبر البحر من الأندلس إلى المدونة يكتب في الحضرة المرينية في دولة أمير المسلمين أبو الحسن .

حاله - رحمه الله - :

كان ممن برز في الكتابة ، وأصاب في التصحیح كل الإصابة . وارتقى من المفاخر مرقى لا يطرق . وحاز من الكمال ما ليس يُلحق ، مع البهاء البهي ، والجللاء الجلي ، وحسن الصحبة ، وكرم الخييم ، وطهارة النسبة .

فمن قوله ، وكتب به من إطرابلس إلى صاحبه الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي القاسم بن رضوان النجاري (١) :

(*) ترجم لسان له في الكتبية الكامنة « ٢١٣ » ، وترجم لأخيه أبي علي حسين بن عبد الحكيم ، وقال في أثناء التعريف به « ٢٠٧ » : « التينملي ، المحسوب من الاندلس لولادته بها ، كان أبوه من قسنطينة . ووصف المترجم به بأنه فاضل من الفضلاء ، اشتغل بالكتابة والقضاء . ونقل له قطعة شعرية في غرض الرثاء قال فيها إنه لم يسمع له غيرها . وعلى هذا فإن المترجم به مقل في غرض الشعر يشارك فيه مشاركة عارضة .

(١) سبق التعريف به والترجمة له .

سَلِّ قَلْبَكَ المصدوعَ من بعدي
ماذا لقيتَ لحِادي البُعد

[٧١ / آ]

فلدَّيه من ذاكَ الحَدِيثِ - مَق
تَسْأَلُهُ - ما أُخفي وما أُبدي
وإذا شَرقتَ ببلحِ دمعكَ مِن
أَسْفِ عَلَيَّ علمتَ ما عِندي !

الفقيه الكاتب أحمد بن شعيب الجزناني (*) .

يكنى أبا العباس ، وأدر كتبه . وكتب في حضرة أمير المسلمين أبي الحسن علي ملك المغرب .

(*) هو أبو العباس أحمد بن شعيب الجزناني ، التازي الدار ، نزيل فاس . كما في نثر فرائد الجمان ، غير أن ابن خلدون عده في أهل فاس ، وقال في التعريف : ٤٨ « برع في اللسان والأدب والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها » . وكان كاتباً لدى السلطان المريني أبي سعيد وطيبياً ، واستمر على ذلك عند أبي الحسن المريني . وكان المترجم به - الى ذلك - شاعراً متقدماً ، وناقداً بارعاً ، وعبارة ابن خلدون في ذلك تدل على مكانة عالية له في كلا الفنين ، قال « وله شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين وكانت له إمامة في نقد الشعر وبصر به » ؛ ووصفه ابن القاضي في درة الحجال بالنحوي .

وكانت وفاة المترجم به في تونس ، في أثناء الطاعون الجارف الذي اجتاح الاندلس والمغرب ومناطق أخرى في سنة ٧٤٩ هـ . ولم يحدد ابن خلدون سنة وفاته ، وأرخها ابن الأحمر في نثر الفرائد بسنة ٧٥٠ هـ ، وقال ابن القاضي إنه توفي سنة ٧٤٩ هـ . (انظر في ترجمته نثر الفرائد : ٣٣٥ ، ونيل الابتهاج : ٦٨ ، والتعريف لابن خلدون : ٤٨ ، وجذوة الاقتباس ٤٧ ، ودرة الحجال ١ : ٤٥) .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان عالماً بالحساب ، حافظاً بالأنساب ، عارفاً بالطبّ والنجوم ، كما كان له في الشعر النجوم !

فمن قوله :

يا غائباً في الضميرِ ما برحاً	إني محل (١) الهوى وإن تزحاً
لم تُضمّرِ الصبرَ عنك جارحةٌ	ولا فؤادي لسلوةٍ جنحاً
مستمبرِ المزنِ فيك أدمعهُ	يظلُّ يبيكيك كلما سنحاً
ولا أرى البرقَ عادَ مُبتسماً	بعدك بل زند شوقه قدحاً
وما تقني الحمامُ من طربٍ	بل يُعلن التوحّ كلّمنا صدحاً

الفقيه الكاتب محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني (*) :

يكنى أبا الحسن ، وأدركته ، ورأيت ، وكتب للملوك من بني مرين

بحضرتهم .

وكان أبوه عبد الله (**) هو الذي نجم في بني أبي مدين في خدمة الملوك من بني مرين . قلدوه الحجابة ورياسة الكتاب ، وكان أحد الموصوفين

(١) كذا فيهما .

(*) تحدث ابن خلدون في « التعريف » وابن الأحرر في « مستودع العلامة » عن أسرة بني أبي مدين ، فقد كانت أسرة علم واشتهار بالخدمة السلطانية . ونص ابن خلدون « ص ٤٠ » أنه كتابة العلامة كانت مقصورة على هذا البيت . وقد ألم ابن الأحرر في هذا الكتاب ونثير الجمان بذكر نفر من مشهوري هذه الأسرة ، وتعد أخباره عنه وإشاراته مصدراً أساسياً عنهم لاستفاضته في بعض تراجمه ، وتقصيه ، ومعاصرتة ، ومعرفته ببعضهم معرفة شخصية .

(**) انظر ترجمة لعبد الله بن أبي مدين في مستودع العلامة : ٤١ ، والتعريف : ٤٠ .

بالكرم الفائق ، كانت عطاياه هُنَيْدَات (١) .

أخبرني بفاس غير واحد من رآه أن عطاياه كانت من خمسين ديناراً ذهباً ، إلى مائة دينار مثلها ، إلى أكثر من ذلك .

ومولده بقصر كتامة (٢) ، ونشأ بمكناسة الزيتون (٣) ، وبها قرأ القرآن وتفقّه ؛ فتعلّق بخطّة [٧١ / ب] ، التوثيق ، وسكنها مدة . ثم ارتحل عنها إلى فاس فأقام بها موثقاً بسماط شهودها ، وكان أصل قربه من دار السلطان أن الوزير أبا علي عمر بن الوزير السعود بن خرباش الحشمي (٤) طلب من قاضي مكناسة في حينه كاتباً لنفسه يكون حسن الحظ ، فعرفه بعبد الله هذا ؛ فاستكتبه . وانتقل بعد وفاة الوزير عمر بن السعود لقراءة الحزب بدار أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . ثم تعلق بخدمة السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق علي يد (٥) . . . من كتاب الحضرة السلطانية اليعقوبية علي يد صاحب قلمها الأعلى أبي عبد الله محمد الكناني . فلما توفى الكناني قدمه السلطان أبو يوسف للعلامة فكان يُعلم ، وأبو الطيب الكناني أخو المتوفى يعلم ، وأبو عبد الله محمد بن الربيب الكتامي يُعلم ، وأبو عبد الله

(١) المنيدة المثة من الإبل .

(٢) قصر كتامة أو مدينة قصر عبد الكريم ، غربي مكناسة بانحراف إلى الشمال ،

(انظر تقويم البلدان لأبي الفدا : ١٣٣ ، والاستبصار : ١٩٠) .

(٣) مكناسة الزيتون : مدينة بالمغرب « في المملكة المغربية » ، من نظر فاس إلى جهة المغرب ، وهي مدينة جليّة ، وكانت في معظم الأوقات مركز نشاط حضاري وعمراني .

قال في الاستبصار : وزيتها أكثر زيت في المغرب .

(انظر الروض المعطار ٥٤٤ ، وتقويم أبي الفداء ١٢٣ ، والاستبصار ١٨٧) .

(٤) تحدث السلاوي عن بعض خبره في الاستقصا ٣ : ٧٥ .

(٥) بياض بمقدار كلمة في الأصلين .

محمد العمراني يُعلم ؛ من حضر منهم علم . فمات السلطان أبو يوسف ، وولي بعده السلطان أبو يعقوب يوسف فبقي كاتباً كما كان ، إلى أن استبد بأمور أبي يعقوب كلها ، وقلده الحجابة ورياسة الكتاب ، ولم يزل كذلك إلى أن توفي أبو يعقوب ، وولي بعده حفيده ابن ابنه ، أبو ثابت عامر . فبقي على ذلك إلى أن مات أبو ثابت وولي أخوه لأبيه أبو الربيع سليمان ، فبقي على ذلك إلى أن قتله أبو الربيع في عام عشرة وسبع مئة .

وأبو مدين شعيب والد عبد الله كان منخرطاً في سلك المتصلحين ، فصيح اللسان ، وكان يصلي في بعض الأوقات بالسلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . وليس هو أبو مدين شعيب بن الحسين^(١) الأنصاري الأشبيلي الأندلسي

(١) سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي ، اشتهر بشيخ المشايخ ، قال فيه أبو الصبر شيخ مشايخ وقته : كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى . وقال التادلي : كان مبسوطاً بالعلم مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم بذلك . وكان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصاً جامع الترمذي وكان يقوم عليه . وكان يلازم كتاب الإحياء ويعكف عليه ، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الحال . وكان شيخه أبو يعزى يثني عليه جيلاً ، ويخصه بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل .

قضى في الأندلس مدة من حياة الصبا ، ثم ارتحل إلى المغرب ، واستقر بفاس يتلقى هالومه ويتعبد ويلتقي بالعباد الزهاد ، فأخذ عن ابن حرزيم وابن غالب وغيرهما . ولزم الشيخ أبا يعزى الفقيه الزاهد ، واستأذنه في الحج فأدى الفريضة ولقي سيدي عبد القادر الجيلاني ولبس منه الخرقة وقرأ عليه كثيراً من الحديث في الحرم . وعاد فاستوطن بجاية فاشتهر أمره وقصده الناس وطار صيته حتى وشى به بعضهم إلى أبي يوسف يعقوب المنصور الموحد فاستقدمه الأمير ووصى صاحب بجاية أن يرفق به ، فقال أبو مدين لأصحابه وتلاميذه - وقد تغيروا لطلب الأمير - أنا لأرى السلطان ولا يراني ! «

وليّ الله تعالى ، الذي دُفِنَ بالعُبَاد (١) من مدينة تلمسان ؛ وإنما اتفق
الاسمان .

وهو من بني عثمان ، قبيلة ، يسكنون بقصر كُتّامه . وأبو الحسن هذا
كتب في حَضْرَةِ أمير المسلمين أبي الحسن ملك المغرب المريني . وكتب أيضاً
في حضرة أمير المؤمنين [٧٢ / أ] المتوكل على الله أبي عِينان .

حاله - رحمه الله - :

كان قد تَابَعَ والده في هديه ، ولم يتخطه (٢) في أمره ونهيه . وحاكاه في
بذل العطايا ، ولم يجد عن تلك السَّجَايا . وكان للقرآن حافظاً ، وعلى أوقات

==فارتحلوا به على أحسن حال حتى وصلوا حوز تلمسان فبذت لهم رابطة العباد فقال
لأصحابه: ما أصلحه للرقاد ! . فرض فلما وصل وادي يسر اشتد مرضه ونزلوا به هناك
فكان آخر كلامه : الله الحق . وتوفي سنة ٥٩٤ هـ ، ودفن بالعباد في مشهد عظيم .
من كلامه : من اشتغل بطلب الدنيا ابتلي فيها بالذل، ومن لم يجد من قلبه زاجراً فهو خراب .
وقوله : بفساد العامة تظهر ولاة الجور ، وبفساد الخاصة تظهر دجاجة الدين الفتان .
وقوله : من عرف نفسه لم يفتّر بثناء الناس عليه . وفي تراجمه الكثيرة أحاديث مطولة
عن فضائله وما ينسب إليه من كرامات . ولم يظهر من أخباره ما يدل على ادعائه وتطوله ،
والله تعالى أعلم .

(انظر تراجمه وأخباره في . التشوف لرجال التصوف للتادلي ٣١٦ ، ونفح الطيب
لمقري ٧ : ١٤٢ ونيل الابتهاج لأحمد بابا : ١٢٧) .

وألف فيه ابن قنفذ القسنطيني كتاباً مستقلاً بعنوان : أنس الفقير وعز الحقيظ الرباط .
ولسيدي أبي مدين ديوان شعر لطيف الحجم ، طبع في دمشق ، وهو في حاجة إلى تحقيق
وإلى تخليص شعره وموشحاته من أشعار غيره .

(١) عباد تلمسان عند وادي يسر قرب تلمسان ، موضع معروف ، مشهور بالحسن وجمال
الطبيعة، واشتهر بعد ذلك بضريح سيدي بومدين ، ثم أقيم إلى جانبه مسجد مشهور .

(٢) في الأصلين : يتخطاه .

قراءته محافظا . لاتراه إلا تاليا ، كما كان للفواحيش قالبا . وأبوه عبد الله هو الذي أشاد المعالي في قومه ، وأيقظ لهم جفن الفخار من نومه . وساد بما أشاد من المفاخر ، ونشر بعبائنه رداء السيادة الفاخر . أعطى وما أبطأ ، وأصاب في ذلك وما أخطأ* . وسطا في حجابته بالظلام ، ورفع في رياسته من وضعته الأيام . وكان مكرما بالشرفاء^(١) ، رفيقا بالضعفاء . عظيم الصدقات ، حلما في السكون والحركات . كثير التواضع ، قليل التصانع .

أنشدني أبو الحسين المذكور لنفسه - رحمه الله تعالى - يتشوق :

يا سقى الله دهرنا المستقضي
 من شأيب دمعِي^(٢) المرفض
 لو بيملك العيراق أسعف دهرِي
 ما رضيت المقام في غير أرضِي!
 يا رسول الهوى^(٣) تحمّل سلامي
 للذي حال بين جفني وتمضي
 وإذا ما أتيته فتأدّب
 فعلى الحسن حاجب غير مغض!
 بديار الحبيب قلبي مقيم
 وبدار النوى القصية بعضي
 شيمة الدهر فرقة وتلاق
 كل ما فيه مؤذن بتقض

(*) وقرأ « أبطا » و « أخطا » بالتسهيل .

(١) كذا عبارة المؤلف ، والأشبه : للشرفاء .

(٢) في الأصلين « دمع » ، ونرجح ما أثبت .

(٣) في الأصلين « الهدى » بالذال ، ونرجح ما أثبت .

إن مَضَى عهدُ قُرْبِنَا وتَوَلَّى
فَزَمانُ البِعادِ لا شكَّ يَمِضي !

وأنشدني أبياتاً كتب بها لأبيه الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبو محمد
صالح بن حجاج (*) وهي :

يا سَيدَيِّ لم أنمِ البارِحَةَ ° من فيكرةٍ سانحةٍ بارِحَةَ °
إذْ باتتِ النَّفْسُ لأوطانِها ° شَيْقةً ° ونحوها جانحةً °
وكان في صُحبةٍ مَنْ قد مضى ° لي أملٌ وممةٌ طامحةً °
حتَّى إذا وَلَّيُوا وَأَضَحَّتْ °

ركابُهُم ° غاديةً ° رائحةً °
قنطُتُ حتَّى لم أجدُ سَلوَةَ °
إلا بتلكَ العُرةِ الواضِحَةَ °

كذاكَ حالي إنْ نأتُ سَلوَتي °
بِكمِ أردُّ سَلوَتي الذَّارِحَةَ °

وإنما المَقصودُ ° يا سَيدَيِّ °
جوابُكمِ فكنُّنُ ° إذنُ مانِحَةَ °

بالنظْمِ أو بالنثْرِ إن شئتُمُ °
تلكَ فَعالٌ كَلَّها صالِحَتَهُ !

(*) كاتب العلامة الفقيه أبو محمد صالح بن حجاج اللخمي السبتي ، كاتب علامة السلطان

عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ملك المغرب. وقد وصله ابن الأحرر في مستودع العلامة
بأسرة بني حجاج الذين كان لهم نفوذ بإشبيلية أيام الدولة المروانية .

(انظر مستودع العلامة : ٤٦ ، وروضة النسرین ٢٤) .

فأخبرني أن أباه جاوبه بقوله :

تَشَمَّتْ مِنْ رِيحَانِهَا رَائِحَةَ
لِمَسْكِ دَارِينِ غَدَتْ فاضِحَةَ
أبياتُ شعريّ أشعرت أنّها
لِذِي وِدادٍ خالِصٍ مادِحَةَ
قد نفثتُ سِحْرًا ولكنّها
صادِحَةٌ بالثِّبِ بلْ بائِحَةَ !
وراعني خطّ يراعٍ غدا
مُقلِّمًا زنادَ الأسيّ قادِحَةَ
لا أهْلَ بالبينِ ولا مرِحبا
جِراحُهُ ما غادرتُ جارِحَةَ
يا فارقًا من فرقةٍ غريبةٍ
أُمتتُ لها سلوتهِ نازِحَةَ
هوّنْ عَلى نَفْسِكَ ما هالها
فإنّ عَتَبِي صَبِرَها ناجِحَةَ
سَتَّحَمِدُ الحالَةَ يا صالِح
عمّا قَريبٍ وتُرى صالِحَةَ
بِيفَضَّلِ رَبِّ قَادِرٍ لِمَ تَزَلْ
ألطافُهُ غادِيَةَ رَائِحَةَ

ابن عمه الفقيه الكاتب صاحب القام الأعلى محمد بن محمد ابن
أبي مدين (*) :

يُكنى أبا المجد ، وأدركته ، ورأيتَه . وكتب في الحضرة المرينية . ثم
كتب العلامة [٧٣ / أ] لأمير المسلمين أبي الحسن علي المريني في حين
كان يجبل عامر بن محمد الهنتائي .

حاله : - رحمه الله تعالى - :

كان شاعراً أريباً، وطالباً لبيباً . ذا سميت جسميم ، وظرف شكل وسميم .

أنشدني لنفسه :

عزّ صَبْرِي ولم أَكُنْ بِالْجَهُولِ
عندما آذَنُوا لِشِدَّةِ الْحُمُولِ

ها أنا في الطَّلُولِ أُرْسِلُ دَمْعاً
ليسَ إِلا بِهِ شِفَاءُ الْعَلِيلِ

لم تكن أدْمُعِي بأولِ دَمْعٍ
طَلَّةُ الْعَاشِقُونَ بَيْنَ الطَّلُولِ

فدموعي الغيزارُ طوفانُ نُوحٍ
وضُّوعِي الحيرارُ نارُ الخليلِ !

(*) وصفه في مستودع العلامة بأنه كان غزير الأدب ، جم الحياء ، وقال إنه كتب في
حضرة السلطان أبي الحسن المريني ثم كتب له العلامة يجبل هنتائه «مستودع العلامة: ٤٦»

5 لهبوب الشّمال ملتُ ارتياحاً
فكأنّي شربتُ كأسَ شمولِ

والتزامُ الربّوعِ صيّرَ جسمي
مُشبهها منهمُ إكلّ ذّحيلِ

أهٍ ممّا أضرتُ بي من غرامي
واشتيياقي ولوعي وغليلي

سادتي هل إلى الوصالِ سبيلٌ؟
إنّني لم أجد له من سبيلِ!

إن أمتٌ في الهوى فغير ذكيري
كم لها في ذوي الهوى من قتيلِ!

10 فارحموا من سكا لغيرِ رحيمِ
بهدمكم واستنالَ غيرَ مُنيلِ

نالَ عِزّاً بكمُ ودلّ لديكمُ
فاعجبوا منه للعزيرِ الذليلِ!

وبشوقي بعثتُ قلبي رسؤلاً
فارفقوا؛ لاجلِ قتلِ الرسولِ

أنا عبد لعم على كلّ حالِ
كنتمُ؛ ليس لي بكم من بديلِ!

أخوه الفقيه الكاتب شعيب بن محمد
ابن أبي مدين شعيب بن مخلوف العثماني (*) :
يكنى أبا مدين ، وأدر كتبه .

وهو ابن أخي الفقيه الوزير الحاجب الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد
الله بن أبي مدين المذكور أولاً . وكان أبوه محمد قد كتب [٧٣ / ب]
العلامة لأمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين يعقوب بن
عبد الحق .

وشعيب هذا كتب في الحضرة المرينية ، وامتحنه أمير المسلمين أبو
الحسن - رحمه الله - وأسكنه دار السجن سنين طائلة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان من أصفق الإجماع على براعة نظمه ، وتوقع في الأسماع إجادة فهمه .
كثير الارتياح إلى الآداب ، شديد الكلف بمعرفة لأنساب . عظيم الثروة ،
عميق الحظوة . وكان في الدار السلطانية رفيح الجاه ، ثم إن الدهر أضاعه
وألجأه . والدَّهر لا يبقني على حال ، وتصرفاته كم لها من قببح أفعال . وقلب
له المجنّ ، وأورثه يجوره المبحن ! وسكن السجن من قبل السلطان ، لأمر
أبغضه الله ، وأحبه الشيطان !

(*) نعرف من أسماء أبناء أبي مدين شعيب العثماني - بحسب ما في مستودع العلامة
والتعريف بابن خلدون - كلا من عبد الله ، وأبي القاسم ، ومحمد الحاج ، ومحمد القصري .
وفي أولاد هؤلاء عدد سماه ب « محمد » . ووالد شعيب . المترجم به هنا هو محمد الحاج بن
أبي مدين كاتب علامة السلطان عثمان بن يعقوب . ولم أقف على ترجمة لشعيب هذا . وفي
نيل الابتهاج لأحمد بابا ترجمة لشعيب بن محمد بن جعفر بن شعيب (٧٢٧-٧٧٥) وقال
إنه غادر إلى المشرق ، واستقر بجماعة . ويكون لأبي مدين - على ما نقل أحمد بابا - ولد آخر
هو جعفر .

(نيل الابتهاج ١٢٩ ، وروضة النسرین ٢٤ ، ومستودع العلامة ٤٤)

فمن قوله - رحمه الله تعالى - :

كَمْ بَاتَ طَيْفُكَ بِالزَّرْدَامِ يُغْرِي
وَأَسْهُمُ الْوَجْدِ لَا تُخْطِي وَتُصْمِي

لِيَالِيَا سَلَفْتُمْ نَادَمْتُ سُدْفَتَهَا
يَغِيبُ فِي اللَّيْلِ أَحْيَانًا وَيَبْرِي

كَمْ وَقَفْتُمْ لِي فِي أَطْلَالِهِمْ سَحَرًا
حَيْثُ فِيهَا نَسِيمًا كَانَ يُحْيِي

وَنَشَقَةٍ مِنْ نَسِيمِ الرَّئِدِ نَمَّ بِهَا
عَرَفْتُ الصَّبَا نَسَفَتْ بِالخُرْدِ الْعَيْنِ

5 رصَدْتَهُمْ فِي النَّقَا وَالْجِزْعِ مِنْ إِضْمٍ
رَصَدَ الْعَبِيدِ لِأَبْوَابِ السُّلَاطِينِ !

أَهَا لَهَا نَظْرَةٌ مَا إِنْ شَعَرْتُ بِهَا
حَتَّى عَرَانِي حَبْلٌ غَيْرُ مَأْمُونِ

يَا سَاكِنَ الْجَزْعِ أَعْيَانِي النَّدَا فَمَتَى
أَرَاكَ يَوْمًا مِنَ الدُّنْيَا تَلَمَّسْتَنِي ؟

مَنْ لِي بِنَظْرَةٍ خَلَسَ فِي مَحَاسِنِهِ
أَجْنِي بِهَا الْوَرْدُ بَلْ كُلُّ الرِّيَاحِينِ

طَبِي تَنَفَّلْتَ مِنْ نَعْمَانَ ثُمَّ غَدَا
يَزُرِّي بِأَهْلِ النَّهْيِ وَالْعَقْلِ وَالدِّينِ

10 لَوْ أَنْتَنِي بَعْتُ دُنْيَايَ وَزُخْرُفَهَا
بِنَظْرَةٍ مِنْهُ مَا بَيْعِي (١) بِمَتَّعُونَ !

(١) يقال باعه إذا باعه وإذا اشتراه (ضد) .

ولو بذلتُ لهُ نَفْسِي وما مَلَكَتُ
لِلْمَحَةِ عَرَّضْتُ ما كانَ بالدوْنِ

[٧٤ / أ]

فَقَيْسُ لَسِيْلِي وَعَيْلانَ وشِعْمَتُهُ
وكلَّ ما رَسَمُوا من وَجْهِهِمْ دُونِي^(١) !

ابنه الفقيه الكاتب حمزة بن شعيب

ابن محمد بن أبي مدين شعيب (*) :

يكنى أبا يعلى ، وأدركته ، ورأيتُه ، وكتب في حضرة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان فارس ملك المغرب ، ونال لديه جاهاً مكيناً . ثم امتحنه بسبب الحاجب الرئيس الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي عبد الله محمد بن أبي عمرو التميمي الحنفة العظيمة التي أدخلته رسمه ، واعتقله بالسجن ، وبه مات مقتولاً في عام اثنين وخمسين وسبع مئة .

حاله - رحمه الله - :

كان من أهل البراعة في الكتاب ، ومن أولي^(٢) النظم البديع اللطباب . صفت موارد شعره ، ورتق نسيم نثره . وتدفت جداول بلاغته ، واعتنقت نواسم فصاحته . ولا مرية في أن بهاءه يختلب العقول اختلاباً ،

(١) في الأصلين : دون ونرجح ما أثبت .

(٢) في « م » من أول

(*) ترجم له ابن الاحرر في نثر الفرائد « ص ٣٤٧ » ، ولم يكذ يزيد في المعلومات عما

ذكره هنا . واختار له قصيدة أخرى ، ونبه إلى أنه كان يجيد قرض الشعر .

وسناه يجتلبُ النفوس اجتلاباً . ومع ذلك فكان مجازباً للشعور ، وفي براعة الخط بعيد الشأو .

أنشدني لنفسه :

ألي في سِدْرَة^(١) الوادي مَقِيلٌ
 غداة شكتٌ لِبَيْتِهِمُ الطَّلُولُ
 مُحْدَاةُ العَيْسِ رِفْقاً بِالْمَطَايَا
 فقد أودى بها السَّيْرُ الذَّمِيلُ^(٢)
 وعُوجي بي على العَلَمَيْنِ حتَّى
 بروي تُرْبَهَا الدَّمْعُ الهَمُولُ
 لقد رُمْتُ التَّصْبِرُ يَوْمَ سَطُّوا
 وإثرهمُ نأى الصَّبْرُ الجَمِيلُ
 5 وقد بانوا فلم يُقْنَضَ اجْتِمَاعُ
 ولم يُشْفَ بِقَرَبِهِمُ الغَلِيلُ
 وإن ذقتُ الهوى مُرّاً فقلبي
 تجرَّع منه علقمه « جميل » !
 فلستُ بأوَّلِ الباكين فققداً
 على الأحبابِ مُذ قَرَّبَ الرَّحِيلُ

(١) السدر : شجر النبق .

(٢) الذميل : السير اللين أو مافوق العنق (بفتح النون) .

[٧٤ / ب]

أَحْسِبُهُمْ وَأَعْجَبُ مَا تَرَاهُ
 فَتَوَلُّوا ظِلَّ يَهْوَاهُ الْقَتِيلِ
 فلا تَسَلَّنِي (١) كَيْفَ الْحَالُ صَحِي
 فَشَرَحُ الْحَالِ بَعْدَهُمْ يَطْوُلُ
 أَحْبَبْنَا أَحْفَظُوا قَلْبًا لَدَيْكُمْ 10
 غدا ما بَيْنَ أَرْجُلِكُمْ يَجُولُ !
 أَقَمْتُ عَنِ الرَّحِيلِ بِلَا اخْتِيَارِ
 وَقَصَّرَ عَنْكُمْ الطَّرْفُ الْكَلِيلُ
 أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ يَوْمٍ
 مُرِيَ لِلظَّاعِنِينَ بِهِ قُفُولُ
 فَبَعْدَكُمْ تُشْكِي الصَّبَّ وَجَدًّا
 وَقَلَّ لَهُ الْمُسَاعِدُ وَالْكَفِيلُ

الفقيه القاضي الكاتب علي بن محمد
 ابن عبد الحق بن الصباغ العقيلي (*)
 يكنى أبا الحسن ، وأدركته ، ورأيتة .

(١) في « م » تسألني وفي ط تسلني .

(*) أبو الحسن علي بن محمد بن الصباغ العقيلي . ترجم له لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة والتاج ، ونقل تراجمه هذه عنه صاحب النفع . كما ترجم له ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة « ٢٢٨ » وقال في ترجمته في الإحاطة « إنه من أهل الفضل والسرارة والجزالة . اشتمل على خلال من خط بارع وكتابة حسنة وشعر جيد ، ومشاركة في فقه وأدب ووثيقة ومحاضرة متمعة ... » .

(نفع الطيب ٦ : ٢٥٨ ، والكتيبة الكامنة : ٢٢٨)

وهو من أهل غرناطة ؛ من بيت أصالة وخدمةٍ لأسلافنا الملوك من بنى نصر في محلّ الوزارة .

وكان أبوه محمد قائد المناهل بمرج غرناطة في دولة أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عمّ أبنينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهرير بالأحمر بن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس ابن نصر الخزرجي .

وابنه الفقيه أبو الحسن علي هذا أبرز عدلاً في سماط الشهود من غرناطة واستنابه بعض قضاة الأندلس فأبدى هنالك جزالة وصلابة في الحق ، شهدت له بالجلالة .

أخبرني مخبر صدق أنه لم يقبل شهادة بعض عدول ذلك الموضع ، فعظم ذلك عند الناس ، وأكبروا هذا الموقع ، فقيل له في ذلك ، فقال : كل يعمل على ما يتقرر عنده ! ثم انتقل إلى العدو - لأشياء حذفناها لطولها - فتلقى هنالك من ملكها أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان رتبة التبجيل والقبول ، واستعمله في أعمال ظهرت فيها نجاته ، وشكرت خدمته ، وارتسم [٧٥ / أ] في ديوان كتابه ، حتى إن أمير المؤمنين ، المتوكل على الله أبا عنان حين طلع إلى بلاد إفريقية في عام ثمانية وخمسين وسبع مئة تركه بالمدينة البيضاء - دار الإمارة - مع ولده الأمير أبي زيد عبد الرحمن ناظراً له في أموره . وكانت كتب أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ترد عليه من فلان إلى فلان . أطلعني على ذلك ابنه ^(١) الفقيه العدل أبو عبد الله محمد صاحبنا .

(١) ابنه من « ط » وأحال على كلمة في الهامش في « م » لم تظهر في الصورة .

حالاه - رحمه الله تعالى - :

واحد الدنيا رُجلة ووفاء ، ومعول الأصحاب عزماً ومضاء ، وأطيبهم
ذكرأ وأضوعهم ثناء ، وأصدقهم لهجة وصحبة وولاء .

كاتب ناظم ، وبجر علوم موجه متلاطم . (ماشئت) (١) من إيضاح
معقول ، وتوقل (٢) طودله إشكال ، واشتباه حقق نقطه والأشكال .
وتأييد في إلهام ، لتنوير الأفهام . واسترقاق لألباب بحلال السحر اللباب .
ولرقاب بأباد لا تعفيها تعاقب الأحقاب . شاهدت من تكلمه في تأليفه المترجم
بـ « جليس الأديب ، وأنيس الغريب » ما يُنبئ عن رسوخ قدمه ،
وتقدمه .

وأخبرني والدي - رحمه الله - من أصلته ما شهد به الاختبار على
قدمه فإنه من بيت نباهة ووزارة ، وخدمة من القيادة لأسلافنا بادية الإنارة .
وأبو الحسن هذا هو الذي (٣) . . . وبرز مع حذاق مُديري قرقفه (٤) . عكف
ببلده على كتب الشروط إبان الشيبية ، وبرز عدلاً مع أعلام تلك الكتبية .
واستنابه بعض قضاة وطنه ، فأثار العدل من مكمنه ، وقهر المتكبر في مأمنه .
عبر البحر قاصداً حضرة السلطان أبي عنان ، بعد ذكره بذلك المكان ، في
غرض الإصابة والإحسان . فترقى لديه من اللحظة مرقة ، واستنارت ذاته
من اعتنائه بمشكاة . واستعمله [٧٥ / ب] في الرسالة تنبيهاً على ماله من

(١) في الأصلين : ماشئت ، (بالسين المهملة) ورسم الهزمة على ألف « ماسأت » ونرجح

ما أثبت . والعبارة كما ترى .

(٢) وقل في الجبل وتوقل : سعد .

(٣) فراغ في الأصلين بمقدار نصف سطر .

(٤) القرقف : الحمر .

الجلالة . وتوفي في خدمته منوهاً ، ومن لحظه مرفها . امتدحه بقصائد غر ،
وأثنى عليه ثناء يفوق الزهر والزهر .

فمن ذلك ما أنشدني له ابنه محمد ، ونقلتها أيضاً من خطه ،
يمدح أمير المؤمنين ، المتوكل على الله أبا عنان فارس عند وقبته
بسلطان بنى عبد الوادي أمير المسلمين المتوكل على الله أبي سعيد عثمان^(١) ، وأنشدها
إياه ليلة يوم الإثنين التاسع لذي حجة ثلاث وخمسين وسبع مئة :

بُشْرِى لِدَوْلَتِكَ الْغَرَّامِ فِي الدَّوَلِ

حِيْطَتْ بِهَا الْمَلِيَّةُ الْبَيْضَاءُ فِي الْمَلَلِ

أَنْتَ الَّذِي صَنَعْتَ أَيْدِي الْقَضَاءِ لَهُ

مَا لَيْسَ تَصْنَعُ أَيْدِي الْبَيْضِ وَالْأَسْلِ

يَا خَيْرَ مُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ مُعْتَصِمٍ

عَلَيْهِ ، مَعْتَمِدٍ فِي الْأَمْرِ مُشْكَلِ

لِلَّهِ مِنْكَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَا

بَدَتْ بِأَحْسَنِ^(٢) مَرَأَى الشَّمْسِ وَالْحَمَلِ

5 وَطَلَعَةِ أَطْلَعْتَ سَعْدَ الشُّعُودِ لَنَا

وَرْتَبَةُ الْمَلِكِ تَعَلُّوْا عَنْ ذُرَى زُحَلِ

مُؤَيِّدِ الْعِزْمِ وَالْآرَاءِ مُحْكَمَةِ

تَزَيَّنْتَ بِسَدَادِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

(١) انظر في تفصيل الحادثة في الاستقصا للسلاوي ٣ : ١٨٢ .

(٢) في النسختين : من مرأى . ولعله كما أثبت .

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي شَكْلِ الْوَارِي وَلَهُ
 خَلِيقَةٌ الْمَلَأَتْ الْخُصُوصَ بِالرَّسْلِ !!
 فَرَحْمَةٌ لِأُولِي التَّقْوَى تَعْمَهُمْ
 وَنَقْمَةٌ لِذَوِي الْعُدْوَانِ وَالخَطْلِ
 كَمْ فِتْنَةٍ أَخَذْتُ نِيرَانَهَا يَدُهُ
 بِمَا أَرَأَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ دَمٍ هَطَلَ
 10 وَنِعْمَةٌ سَدَلْتَهَا لَمْ تَدْعُ بَشْرًا
 حَلَّتْ فَلَمْ تُحْصِ بِالتَّفْصِيلِ لِلْجَمَلِ
 وَضِيقَةٌ فَرَجَتْهَا عَنْ صُدُورِهِمْ
 عَزَائِمٌ مِنْهُ مَا خَامَتْ (١) وَلَمْ تَحَلِ
 وَمِنْ مُسِيءٍ وَسَتْهُ الْعَفْوُ يُؤْمِنُهُ
 مِنَ الْخَافِ فَلَمْ يُدْعَرْ وَلَمْ يَسَلِ
 وَمِنْ جُبُوشٍ أُزِيلَتْ عَنْ مَوَاقِفِهَا
 حَتَّى رَأَتْهُ فَلَاذَتْ مِنْهُ بِالْجَبَلِ
 كَمْ ثَبَّتَ اللَّهُ مِنْ جَاشٍ بِمَوْقِفِهِ
 وَخَلَّصَ اللَّهُ مِنْ هَوْلٍ وَمِنْ وَهَلِ
 15 وَسَلُ بَنِي عَابِدِي الْوَادِي غَدَاةَ عَتَوْا
 وَقَدْ أَتَوْا بِعَظِيمِ الْمَكْرِ فِي الْأَصْلِ (٢)

(١) خام : نكص وجبن .

(٢) قصد أبو عنان المريبي يريد تلسان لرد طاعة أهلها وإخضاع بني عبد الوادي رؤسائها . قال السلاوي « وأجمع بنو عبد الوادي على صدمة المريبيين وقت القائلة وعند ضرب الأبنية وسقاء الركاب وافتراق أهل المعسكر في حاجاتهم فحملوا عليهم . . . » وقد انتصر أبو عنان عليهم ، وتقبض على أبي سعيد العبد الوادي ثم قتله .

[٧٦ / أ]

هم جادلوا الحق بغياً واعتدوا فتنوا
 والسيفُ يُذهبُ رسمَ البغي والجدلِ
 كانوا تصدوا للملكِ لم يكن لهم
 حقاً وكيف وهم من جملة الخوالِ
 راموا - وقد خاب مراموا - فما حليت
 آماهم يسوى قسرب من الأجلِ
 20 لا قمتهم من أكف العيز معاملة
 غيراري العضب لا تؤتى من المللِ
 فللكفاة - ولا عيب بهم - نهم
 إذ جد جدهم في الموقف الجدلِ
 ترميم بيروق من أسنتها
 رمي الملائك هذا الجن بالشملِ
 فالسمر تهتز في الأشلاء من قرم
 والبسبض تحمر في الأعناق من خجلِ
 حتى ارتدوا يجلابيب الظلام وكم
 أبقوا بمعترك الأقران من ظللِ
 25 وخلفوا من يتيم أو من أرملة
 يذرون دماً بمنهل ومنهميل
 تقطعوا أمرهم عدلاً فما انتقموا
 والسيف عند التلاقي سابق العذلِ

لله عَيْنٌ رَأَتْهُمْ فِي اللَّقَاءِ وَمَا
 أَذَلَّتِ الْحَرْبُ مِنْهُمْ بِالْقَنَا الذُّلَّ
 وَسَمَّ عَزْمِيكَ لَمْ يَتْرُكْ بِهِمْ رَمَقًا
 بِالضَّرْبِ لِلْهَامِ فِي الْقِيَعَانِ وَالْقُلُكْلِ (١)
 فَابِثٌ لِمَا أَسَارَ الْخَطِيَّ جَيْشَ وَغِيٍّ
 يَشْرِبُهُ سُورًا غَدَا أَشْهَى مِنَ الْعَسَلِ
 30 هُمْ ضَيَعُوا الْحَزْمَ إِذْ جَاؤُوا مُقَاتِلَةً
 عَمَى الْبِصَائِرِ أَدَهَى مِنْ عَمَى الْمُقْتَلِ !
 لَوْ سَاعَدْتَهُمْ سُعُودُ الْجَدِّ لَاتَّبَعُوا
 مَوَاطِيءَ الْخَيْلِ خَيْلِ اللَّهِ بِالْقَبَلِ
 كَمَا يَجْرَوْنَ مُذْيُولَ الْأَمْنِ سَابِقَةً
 بِحُسْنِ عَفْوِكَ مَا جَرُّوا مِنْ الْوَجَلِ
 لَكِنْ دَعَتْهُمْ أَمَانِيٌّ تَمِينٌ (٢) بِهِمْ
 لَيْسَ الْجَبَانُ إِذَا يُدْعَى مِنَ الْبَطَلِ
 مَنْ كَانَ تَخْدُمُهُ الْأَقْدَارُ مُسْعِدَةً
 فَهَلْ يُعَارِضُهُ مُسْتَشْعِرُ الزَّلَلِ
 35 أَوْ مَنْ يَقُومُ لِإِنصَرِ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
 يَلْقَاهُ مَنْ قَامَ بِالْإِفْسَادِ وَالْخُنْكَلِ
 وَكَيْفَ يُخْذَلُ مَنْ قَدْ جَاءَ مُتَّكِلًا
 عَلَى الْإِلَهِ وَمَا بِالْحَقِّ مِنْ حَوْلِ

(١) القيعان ج قاع : وهو أرض سهلة مطمئنة « قد انفرجت عنها الجبال » ، والققل

ج قلة : وهي الجبل .

(٢) مان بين : كذب .

[٧٦ / ب]

هذا شمائل^(١) من طابت شمائله

وأورث الملك من آباءه الأول

ملك تخلّقه ماء السحاب إذا

جاء الخلائق لم يشكوا من الغل^(٢)

بل أصبَحُوا في ذرى أمن وعافية

وستر عدل وما شاؤوه من جدل

حلم وعدل وإقدام وجرد يد

ورحمة وهدي للناس والسبيل

فهنا الله هذا الملك فارسه

فهو الذي شاده بالعدل يوم ولي

ومن إنشائه البارع ، بما رفع لأمير المؤمنين المتوكل على الله

أبي عنان فارس المذكور يطلب منه الإنعام بخط الأزواج المنعم بها

عليه بقرية آجلى من حوز فاس مما كان لعبد الله بن يوسف بن محمد

الينجاسني المريني ، والتزم في كل كلمة الستين :

« أسدّد سهم الاستعطاف لقرطاس الإسعاف باسم القُدّوس .

وأسترفع بالسلام للمستودع لِسَيْدِ باس البوس . وأستوهب السلام

— سبجانه — لسطان المسلمين ، المستخلف ، السّامي ، السّني السّني ،

المستمنح ، المستعطف ، فارس ؛ ولسلالته سلامة الجُسوم وسرور

النفوس .

أسترفِعُها لسابع المُستخلفين في الستين السّوالف ، وسامع سؤال

السّؤل للإسعاد بالسّؤل بسامعي المُساعد المُساعف .

(١) في الأصليين : هذا شمائل . (٢) الغل : العطش .

وأستودعها مستودع الأسرار ، السالم الإسرار ، مُستقبلها بالاستئثار .
ليستوصلها للمجلس المستحق للأسماء ، والبساط القدسي الحسن الأيم
والسياء ، المستحفظ بعساكر سكان السماء . المستنير كالسبع السارية
بالسنا والسنا . مسترق سبيه الواسع الساكب ، السادل سابغ إحسانه
الجسيم سدل المستكبر الساحب . المُسْتَكْتَبِ بسدة سلطنته الفارسية
السعيدة ، المستعبد المستملك الأندلسي . ووسيلته لسؤاله قسطه بسوق
[٧٧ / أ] السبت سهم سليل يوسف النجاسني ، فسيح الإحسان
المُسْتَعْدَبِ وواسع السئب المُسْتَدْنِي المُسْتَقْرِبِ . فالمنتسب سليلاً
لموسى استوفى سجالها وسرى سرها . وليس مسرحها بشامع لسوائم
فاس ، فعساه يسقى لسلسيلها بكاس . ويستفيدها لسة وتسعة سلالة
وناس . ليستعين باستفادتها مستملاكك وسُلْطَانِك ، ومسترقو إحسانك .
لسيرهم سيرة مرسل رسائل السين . وسلوكهم لسؤال سُؤْلِهِم بالسبيل
المستقيمة والمسلك المستبين . لسلطنتك السوس وفارس وامتفتحت
بِسُيُوفِك ساحات القسطنطينية وقادس !

والسلام يسري نسيه المُسْتَطَابِ ، وَيَسْتَهْزِيءُ بِأَسِّ البساتين
سقاء السحاب . يستمه تنسم المسك ، ويستحسنه تداسق السلك .
يستقر بالمجلس السعيد السلطاني الفارسي - أسعده سامك السماوات
السبع ، وباسط البسيطة لساحة السبع . ونستوهب مسرى النسيم
لسلطانك سعداً سرمداً ، وسهماً لاستئصال فساد المفسدين مسدداً !

الفقيه الكاتب يحيى بن إبراهيم ابن
 زكريا الأنصاري الأوسي (*)

يكنى أبا عمرو ، وأدركته ، ورأيته .

وهو من أهل غرناطة من بيت أصالة ورفعة وعلم وقضاء وكتابه .
 وكان أبوه إبراهيم قد كتب لجدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج
 ابن جدنا الأمير أبي إسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير
 بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد
 ابن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي ؛ في حين سار جدنا أبو سعيد من
 دار إمارته مالقة إلى بر العُدوة ومَلَسَك مدينة سبتة ودخلها عنوة
 على أميرها أبي طالب العزفي ، في دولة أمير المسلمين أبي يوسف
 يعقوب بن عبد الحق .

وأبو عمرو هذا كتب لبني عمنا الملوك من بني الأحمر ، ثم عبر
 البحر إلى الحضرة المرينية ، فكتب [٧٧ / ب] لملوكها .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان ذا وجه حسن ، وذلاقة لسن . حسن الشارة ، بارع الفهم والعبارة .
 موصوفاً بالرجولية والمروءة الفائقة ، ونزاهة النفس والهمة الرائقة . مع براعة
 في إنشاء الرسائل ، ونظم أحلى من وصل ذات الغلائل !

(*) ترجم له لسان الدين في الإكليل الزاهر ، ونقل منه أيضاً في الكتيبة الكامنة
 (٢٧٦) وكنيته ثمة « أبو عمر » . وقال في أبيه إنه « زين الزين ، وراحة القلب
 وقرّة العين » .

أنشدني لنفسه - وكتب بها لابن عمنا الرئيس أبي الوليد إسماعيل ابن
جدنا الأمير أبي سعيد فرج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أبينا بن
جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج (١) صدر من عمنا له ، وكان السفير
بينها فيه خديم لابن عمنا اسمه فارح :

خبر الرّوض طيِّءٌ وآني التّسليم
سَلَّ خَيْراً عن سِرِّهِ المَكْتُومِ

أَبكى المِزْنَ رَحمةً بَعِيونِ
من سحابِ وشقِّ جَيْبِ الغَيومِ؟

فَرِيحِيئُهُ تَحلّى بِدَرِّ
وتعلّ الشَّرَابِ من تَسْنِيمِ

وئُفُورُ الأَقاحِ ذاتُ ابْتِسَامِ
قد غَذاها التّدى بِماءِ التّسِيمِ

5 وقدود الغصونِ مالَتْ بِلَيْسِنِ
حملتْ أنْجُمًا هَوَتْ بِيرْجُومِ!

واختِلافُ الفنونِ فيها بَدِيحٌ
فقسِمُ غَدا إِزاءَ قَسِيمِ

قِطْعٌ لم تدعْ زخارِفَ زَيْنِ
ما حوى حصرَها عروضٌ نديمِ

فبَسِيطٌ أمدٌ بَحْرَ مَدِيدِ
وطويلٌ وكاملٌ ولزُومي

(١) فراغ فيها بمقدار كلمة واحدة.

أبدعتها الطشورُ تَجْنِيسَ لحنٍ
في أساليبه حُلَى الترنيمِ
10 أسمعني الطَّباقَ عن صوتِ طبعِ
يحملُ السجعَ في المساقِ السليمِ

عجزتُ عن أدائه في المثاني
« نعم » وهي غايةُ التحكيمِ
فتى غنتِ الحمامُ « برملِ »
زمَ رحلي فنُحِتَ في « المزمومِ »
شوقتي ولم أكنُ بيخليِ
من خليلِ مفارقِ وحميمِ

[٧٨ / أ]

أغرَّتِ الوجندَ فاستطالَ ملبِحاً
يطلبُ القلبَ باشتياقِ لريمِ
15 طارحتني أصيلَ يومٍ إلى أنْ
صارفَ الأفقُ شمسَهُ بالنجومِ
صَبَّها الشرقُ وهيَ في الغربِ تُحصى
عدداً في وعائِهِ المتضمومِ
ذثر الليلُ زُهرها فغدَتْ في
ه عيوناً في أحسنِ التَّقويمِ !
فقطعتُ الدُّجاءَ بنيرِ حزمِ
مُنجدٍ قد أثارَ شدَّ الحزيمِ

- أَمْسَحُ الْأَرْضَ لَا أَقْرُبُ بِحْيٍ (١)
 قَدْ كَفَّتَنِي السُّرُوجُ ذُلَّ الْمُقِيمِ
 20 إِنْ جَفَانِي أَبُو الْوَلِيدِ بَعْمِدِ
 وَقَسْدِيَا مَكْسَتْهُ مِنْ شَكِيمِي (٢)
 وَادْدَخَرْتُ الْعَتَادَ مِنْهُ حُسَامًا
 مَاضِيًا عُدَّةً لِكُلِّ جَسِيمِ
 فَعَدَمْتُ ادِّخَارَ دَهْرٍ طَوِيلِ
 يَوْمَ إِذِ صِرْتُ فِي زَمَانٍ عَدِيمِ
 يَا وَحِيدَ (٣) الْعَلَا وَقَدْ أَلْمَعَالِي
 لَمْ [أَكُنْ؟] (٤) بِالْبَعَادِ جَدِّ عَلِيمِ
 كُنْتُ أَلْقَى الْخُطُوبَ مِنْكَ بِوَأَقِ
 لَمْ أَكُنْ أَحْتَسِبُهُ بِالْمَعْدُومِ
 25 فَهْتَكْتُ أَحْتِرَامَ حَبِّي وَنَصْحِي
 وَابْتَدَلْتُ الْمِصُونَ وَجَهَ الْكَرِيمِ (٥)
 وَقَطَعْتُ الدُّنُوَّ وَهُوَ رَجَاءُ
 فَأَنَا مَذَّةُ عَدَمَتِهِ فِي جَجِيمِ !
 ثُمَّ لَمَّا أَعَدَّتْهُ يَوْمَ بَيْنِ
 نَالَ مِنِّي النَّوَى فَأَدْمَى كَلُومِي

(١) في « ط » بحْي ، وفي « م » بجو .

(٢) الشكيم ج الشكيمة ، ولها معان منها العهد ، والحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام

(٣) في « ط » وحيد ، وفي « م » واحد .

(٤) ما بين معقوفتين مقترح ، ولم تشر النسختان إلى سقط .

(٥) في « ط » حي وفي « م » حيي . وفي النسختين : « وابتدلت » بالداء المهملة ورجحت

ما أثبت . وقد يسقط الناسخان بعض النقط .

وممتى ما أُعيدَ شرهَ حَدِيثٍ
والذي نلتُ من عذابِ أليمٍ
نارَ وَجدي وأحوجتني أمورٌ
ضِقتُ منها بفادحٍ من همومٍ (١)
30 ما ليصبري على ابتلاءٍ وفاءٍ
إذ أتى فارحٌ (٢) وضاع قديمي
موقفٌ جرَّعَ العداةَ فظيماً
هو عِندي أجلُّ تَخطبِ عَظيمٍ
فأثار الأسيَّ وعزَّ التَّسائي
إذ رَماني بقعدٍ ومقيمٍ !
ثم لما تَخصصتني بِسِسلامٍ
- وهو أَسنى هديَّةِ التَّتميمِ -
برَّحَ الوجدُ بي وذُبتِ اشتياقاً
عندما عادَ عهدُكم للصَّميمِ

[٧٨ / ب]

35 قلتُ واللهُ شاهدٌ سِرِّ سِرِّي
عالمٌ حقٌّ قَوْلِي المَنحُتومِ
أزُمُ القلبَ بعدَها شَرطَ طوعِ
أن يَرى الذَّلَّ فيكَ تَغيرَ ذَميمِ !
فاحتكمُ في الأنامِ إنَّكَ مَلِكُ
ولكَ الحَمْدُ يا أَمَنُ رَحيمِ

(١) فيهما : هموم . واقراً أيضاً : همومي .

(٢) انظر مناسبة النص ، و « فارح » اسم علم .

وَبُحْيِيكَ بِالسَّلَامِ فؤادي
 ولبساني تحية التكريم
 وعلبك الشناء يَتَمَرَى جديداً
 فَجَدِيداً مُوَاصِلَ التَّشْنَعِيمِ !

ومن إنشائه - رحمه الله - هذه الرسالة الزائفة والترم في كل كلمة منها حرف الزاء المعجمة ، وبعث بها من سبتة حين شيع منها بنيه لوطنهم الأندلسي ، لمزعج دعاه لفراقهم اضطراراً لا اختياراً ، لأمير المسلمين أبي فارس عبد العزيز المريني طالباً منه أن يرده لكتابته بالخرصة حين أخره عنها لسماية بعض الحُستاد :

بِعِزَّةِ الْعَزِيزِ مَنْزِلِ الرِّزْقِ وَبِحِزْلِهِ ، وَاللَّازِمِ الزَّاكِي (١) لِلزَّمَلِ
 الْحِجَازِيِّ الزَّمَمِيِّ ، الْمَمْتَازِ مِنْ زُمْرَةِ زُهْرَةِ بَهْمِيَةِ التَّنْزِيلِ وَالْمُعْجَزَاتِ ، وَحِزْبِهِ
 الْفَائِزِينَ بِحِزْبِ الْجَزَاءِ يَزُولُ مُزْعَجٌ جَزَعِي بِهِزِ عِزْمَاتِ هِزْبِ مَأْزِقِ الزُّبُونِ .
 مُحْجَرِزِ الْمِزْيَةِ ، مُزْبِحِ الْأَزْمَاتِ ، مُزْبِلِ الزَّائِعِينَ بِحِزْبِ حُجْرَمِ ، الْفَائِزِ بِزُلْفَى
 الْغُرُو ، وَمِيزَابِ مُزْنِ الرِّزْقِ ، كَنْزِ الزَّاوِينِ ، زَهْوِ زَنَاةِ ، وَطَرَاظِهَا الزَّاهِرِ
 عَبْدِ الْعَزِيزِ . لَا زَالَ زَمَانُهُ فِي إِزْدِيَادِ زِينَةِ لِيَلْزَمَ رِزْقِي زِمَامِ مِزْمَعِيهِ الْمِزْدَحْمِيِّ .
 لِأَعْزَبِ اعْتِرَاطِي لِزِرَافَتِهِمْ (٢) زَهْوِهِ ، فِي زَهْوِ يَنْزِهِ زَائِقِي ، كَزِينِ الزَّمَانِ
 بَعْدَ الْعَزِيزِ ، وَفَزْتُ بِرِزْقِي مَزِيدِ جَزِيلِ وَحِرْزِي حَرِيرِ وَعِزْ عَزِيزِ .

زَفَفْتُهَا بِزِينَتِهَا الزُّخْرَفِيَّةِ الزُّبْرَجِدِيَّةِ . فَأَزْمَعْتُ فِي زِيِ الْخَفَازِ ، زَاهِيَّةِ
 كَالزُّهْرِ ، مُزْدَرِيَّةِ بِالزُّهْرِ ، زَعِيمَةِ بِحِزْبِ الْجَزَاءِ ، وَالْفَوْزِ بِأَنْجَازِ الْإِعْزَازِ

(١) في ط : والازم الزكي

(٢) في ط : لزرافتهم .

للمعزى لذكرايا، مزجي ملتزمها الزائبي ، أجزل من الجزئية منزعاً ، وأعز
مغزى ، وأحزم عزم جزم من منزل كالجزيرة يوازي الجزيرة في زمان النيروز
وزفير الزمهير !

الفقيه الكاتب محمد (*) بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله
ابن يحيى بن الأمير أبي بكر عبد الرحمن الثائر بجيان (١) بن يوسف
ابن سعيد بن جزّي الكلبلي الأغرناطي ، المتوفى بفاس في عام
ثمانية وخمسين وسبع مئة .

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته ، ورأيته .

وهو من أهل بلدنا غرناطة . وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها ،
علم الأندلس الصائرة فتياه منها إلى إطرابلس ؛ وقبيل شهيداً في المعترك

(*) هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن جزّي ، أحد أفراد أسرة بني جزّي
الناطقة في دولة غرناطة . بدأ حياته في الأندلس في ظل والده الفقيه المفسر أبي القاسم
واشتهر فيهم بالأدب والكتابة بالإضافة إلى مشاركته في العلوم والفنون المختلفة . وقد
تعرض لحنة أيام أبي الحجاج يوسف النصري الذي أمر بضربه بالسياط . وقال ابن
الأحمر في نثير الفرائد إنه ضرب مظلوماً . وغادر ابن جزّي بعد ذلك إلى المغرب
فكتب في دولة أبي عنان المريني . وهو الذي دون رحلة ابن بطوطة بقلمه وصاغها
بأسلوبه . وله شعر جيد . وتوفي بفاس في شوال سنة ٧٥٧ .

(انظر ترجمته في نفح الطيب ٥ : ٥٢٦ ، وأزهار الرياض للمعري ٣ : ١٩٥ ، ونثير
فرائد الجمان ٢٩٢ ، والكتيبة الكامنة : ٢٢٣) .

(١) نقل المعري في أزهار الرياض أن أصل سلفه من حصن البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح
صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلابي . وعند خلع دعوة المرابطين كان
لجدم يحيى بجيان رئاسة ، وانفرد بالتدبير . وقال لسان الدين بن الخطيب في أعمال الأعلام
عند ذكر الثوار أواخر أيام اللعوثيين إن القاضي أبا الحكم يوسف بن جزّي رأس في
الفتنة بجيان ثم عقب بأنه يشك في هذا ، وعنده أن المتأمر بجيان رجل آخر غير
يوسف المذكور .

في الوقعة التي كانت للنصارى - دمرهم الله - بطريف على المسلمين في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، بعد أن أبلى بلاءً حسنًا .

وأبو عبد الله محمد هذا كتب بالأندلس في حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبو الحجاج^(١) يوسف وله فيه أمداح عجيبة ، ولم يزل كاتباً في الحضرة الأحمريّة النصرية إلى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج ابن عم أبينا ، فقوض الرّحال عن الأندلس واستقر بالمعدوة ، فكتب بالحضرة المرينية لأمر المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان إلى أن توفي بها ؛ رحمه الله تعالى .

حاله - رحمه الله - :

طلع في سماء العلوم بدرأ مشرقاً ، وسارت براعته غرباً ومشرقاً . وسمى بشعره فوق الفرقدين كما أرى بنثره على الشعري والبطين ، له باع مديد في التاريخ والحساب ، واللغة والنحو والبيان والآداب . بصير بالأصول والفروع والحديث ، عارف بالماضي من الشعر والحديث . إن نظم أنسك أبا ذؤيب برقته ، ونصيب^(٢) بمنصبه ونخوته . وإن كتب أربى على ابن مقلة بنخه ، وإن أنشأ رسالة أنسك العباد بحسن مساقها وضبطه . وهو رب هذا الشأن ، وفارس هذا الميدان . ومع تقننه في العلوم فهو في الشعر قد نبغ ، وما بلغ أحد من شعراء عصره البحر الذي منه قد بلغ بل سلموا التقدم فيه إليه ، وألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه ، ودخلوا تحت راية الأدب الذي حمل ، إذ ظهر ساطع [٧٩ / ب] براعته ظهور الشمس بالحمل .

أنشدني لنفسه : يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أبيتنا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ابن جدنا أبي الوليد إسماعيل

(١) فيها : أبو الحجاج . (٢) فيها : نصيب .

ابن الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور
بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي، هذه القصيدة
البارعة، وحذف منها الرءاء المهمة (١) :

قسماً بوضاح السننا وهجاج
من تحت مسدول الذوائب داج
وبأبلج بالمسك خطت نونه
من فوق وسانن اللواظ ساج
وبيحسن خد دبجت صفحاته
فقدت تحاكي مذهب الديباج
وببسم كالعقد نظم سلكته
ولمى حكى الصهباء دون مزاج
5 وبنطق تصبؤ القلوب لِحسنه
أنسى المسامع نعمة الأهنج
وبئاس الأعطاف تشبه الصبا
فيميس كالخطبي يوم هياج
ومنعم مثل الكئيب يقلته (٢)
مستضعف يشكو من الإدماج
وبوعدي للوصل أنجز فجأة
من بعد طول تمشع ولجاج

(١) القصيدة في نفع الطيب ٥ : ٥٢٧ ، وفي أزهار الرياض ٣ : ١٩١ ، ونقلتها عن نثير
الجمان في كتابي: مختارات من الشعر الأندلسي صفحة ١٦٣ فما بعدها .
(٢) أقله : حمله ، والمدمج : التام الحكم .

وبأكؤسٍ أطلعن في مُجنح الدُّجى
شمسَ السّلافةِ في سماءِ زجاجِ !
10 وخذائقِ سحبِ السّحابِ ذُيولتهُ
فيها وباتَ لها النّسيمُ يُناجي
وجداولِ سَلّتْ سُوفاً عندما
فجّحتْ بِجيشِ اللَّصبا عجاجِ -
وبأقحوانٍ قد تضاحكُ إذ بكت
عينُ الغمامِ بدمعِ ثجاجِ -
وقُدودِ أغصانِ يملنَ كأنّها
تُخفي حديثاً بينها وتُناجي
وحمايمِ يهتفنَ شجواً بالضحى
فشهديلهنّ لذي الصّبابةِ شاجِ -
15 إنّ المتعالي والعسوالي والنّدى
والبأسَ طوعُ يديّ أبي الحجّاجِ -
ملكٌ تتوّجُ بالمهابةِ عندما
لم يَسْتجزُ في الدّينِ لبسَ التّاجِ -

[٨٠ / أ]

وأفاضَ حكمَ العدلِ في أيّامه
فالحقُّ أبلجٌ واضحٌ المنهاجُ (١)

(١) هذه القصيدة معارضة لقصيدة جرير بمدح الحجاج بن يوسف الثقفي ، وفيها شيء من

ترسم خطاه (انظر ديوان جرير : ٨٩) .

هو مُنقذُ العاذي ومُنغني المُعتقي
 ومُنذَلِلُ العاتي وغوثُ اللاجي
 ماضي العزيمه والسيفوف كليمه
 طلقُ المحتيا والخُطوبُ دَواجِ
 20 علمُ الهدي والناسُ في عَمياءِ قد
 ضَلُّوا لِوَقَعِ الحادِثِ المُهتاجِ
 غيثُ الندى والسحبُ تبخلُ بالحيا
 والمَحَلُّ يُبدي فاقهَ المُحتاجِ
 ليثُ الوغى والخَسيلُ مُزجى بالقنا
 والبيضُ تنهلُ في دمِ الأوداجِ
 يتقَشِّعُ الإظلامُ إذ يَبدو له
 وجهُ كمثلِ الكوكبِ الوهاجِ
 من آلِ قَيْلَةٍ من ذُؤابَةِ سَعَدِيها
 أعلى بني قحطانَ دونِ خِلاجِ (١)
 25 حيثُ المِلا تَمدودَةُ الأطنابِ لم
 تُخَلِّقُ مَعالمِها يَدِ الإنهاجِ
 والأعوجِيَّاتُ السَّوابِقُ مُتَمَطى
 فَتُظَلِّلُ الآفاقَ مُسحبَ عَجاجِ

(١) هو سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ، جد أسرة بني نصر ، الصحابي المشهور .
 والأقبال : الملوك ، وقيل الملوك من حمير . والخلاج ، من قولك : خالج قلبي أمر :
 نازعني فيه .

والبيضُ والأسلُ العَواملُ تقتضي
مُهَجَّ الكِلاءِ بأبلغِ الإزعاجِ !

مجدُّ لِيُوسِفِ جَمَعَتْ أَشْتاتُهُ
أُعْيِي سِوَاهُ بَعْدَ طَوْلِ عِلاجِ

مولايَ هَاكَ عَقِيلَةً تَزْهَوُ عَلَى
أَخواتِها كَالفِغادَةِ المِغْنِجاجِ

30 إنشاءً عبيدٍ خالصٍ لكِ حبه
- ومن العبيدِ مُداهِنٍ ومُداجِ -

أوى إلى أكنافِ نِعْمِكَ التي
ليستْ إليه صِلاتُها بِمُخِداجِ (١)

سَبَّاقِ مِيدانِ البِلاغَةِ والوَعى
لِشِبابِ كُلِّ مَنها وِلاجِ

جَازِبَتُ أُخْتِ الزَّايِ (٢) مَنها عَامِداً
فَأَتَتْ مَنِ الإحسانِ في أَفواجِ

فَافْتَحَ لها بابَ القَبُولِ وأوَّلِ مَنْ
أَهْدَاكَها ما يَبْتَغِي مَنِ حاجِ !

(١) أخذت الصيغة : قل مطرها .

(٢) يشير إلى تجريد القصيدة من حرف الراء . وكانت في الشاعر ثلثة تعتريه حين ينطق

بحرف الراء !

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارس
ملك المغرب^(١) : [٨٠ / ب]

إنّ قلبي لبعده الصبر ناكثٌ عن غزالٍ في عقدةِ السّحرِ نافِثٌ
أضرمَ النّارَ في فؤادي ووالئي قائلًا : لا تخف ، فإنّي عابِثٌ !

ورماني من مقلّتيهٍ بسهمٍ ثم قال : اصطبرْ لثانٍ وثالثٍ !

كم عندولٍ أتى يُناظرُ فيهٍ كان تعذّلهُ على الحُبِّ باعِثٌ

5 وعينِ آليتها بالتسلي فقضى حسنه بأني حانيثٌ

جبر الله صدع قلبٍ عميدٍ صدعتْ شملهُ صروفُ الحوادثِ

فهو يهفو إلى البروقِ ويروي عن نسيم الصبّا ضعيفَ الأحادثِ !

سلبته الأشجانُ إلا بقايا من أمانٍ حبالهنّ رثائثٌ

وبكاء على عهدٍ مواضٍ ملأتْ صدره هُمومًا حدائثٌ

10 لستُ وحدي أشكو بلية^(٢) وجدي

إنّ داءَ الغرامِ ليسَ بجادِثٌ

يا مُضيقَ العُهودِ - واللهُ يعفُو

عنك - أنسى ارتضيتَ خطّةَ ناكِثٍ ؟

عَرّني منك والجَمالِ غرورٌ وُظبا اللّسخطِ في القلوبِ عوابِثٌ

مقلٌّ يفتسمنَ أعشارَ قلبي بالرضى منّي اقتسامَ الموارِثِ !

(١) نقلها المقرئ عن نثير الجمان في كتابه: نفع الطيب ٥: ٥٢٩، وأزهار الرياض ٣: ١٩٢.

(٢) في النسخ: بلية .

كَيْفَ غَيَّرْتَ بَانْتِزَاحِكَ حَالِي وَتَغَيَّرْتَ لِي وَلَسْتَ بِجَارِثٍ (١)
 فَرَطٌ حُبِّي وَفَرَطٌ بِمُخْلِكَ إِلَّا أَنْ عَيْنِيكَ بِالْفُتُونِ نَوَافِثُ
 وَنَسَدِي فَارِسٍ وَحَسْبُكَ رَدَاً قَوْلُ مَنْ قَالَ سُدَّ بَابُ الْبَوَاعِثِ
 مَلِكَ الْبَاسِ وَالنَّسْدِي فَهَوَ بِالسَّيْفِ وَالسَّيْبِ عَائِثُ أَوْ غَائِثُ !
 مَحْرُزُ الْمَجْدِ وَالْمُنَاءِ فَهَذَا سَائِرُهُ فِي الْوَرَى وَذَلِكَ لِابِثُ
 أَوْطَأُ الشُّهْبِ رِجْلَتَهُ وَتَرَقَّتِي صَاعِدَاً فِي سُمُوءَ غَيْرِ مَاكَثُ
 فَدَرَارٍ تَسْرِي وَمَا لِحَقَّتَهُ وَنَجُومٌ خَلْفَ الْقُصُورِ لَوَابِثُ
 وَلَهُ الْمُقَرَّبَاتُ لَا بَلْ هِيَ الْعُقْبَانُ مِنْ فَوْقِهَا اللَّيُوثُ الدَّلَاهِثُ (٢)

[٨١ / أ]

مُطْلَعَاتٍ مِنْ كُلِّ نَعْلِ هَلَالًا فَلِهَذَا تَجَلَّوْا دُجَا كَلُّ حَادِثُ
 إِنْ تَرَاقَفْنَ فَالْجِبَالُ الرَّوَاسِي أَوْ تَسَابِقْنَ فَالغَيُوثُ الْحَثَائِثُ (٣)
 وَالْمَوَاضِي كَأَنَّهَا قَدْ أُعِيرَتْ حِدَّةَ الدَّهْنِ مِنْهُ عِنْدَ الْمَبَاحِثِ
 هِيَ نَارٌ مُحْرِقَاتُ الْأَعَادِي وَهِيَ مَاءٌ مَطْهَرَاتُ الْخَبَائِثِ
 فَيُرْدَنَ التَّوَعَى ذِكُوراً عَطَاشًا ثُمَّ يَبْصُدُ رَنْ نَاهِيَاتٍ طَوَامِثُ (٤)
 مِنْ مَعَالِيهِ (٥) قَدْ رَأَيْنَا عَيَانًا كُلَّ فَضْلٍ يَنْصُصُهُ مَنْ يُجَادِثُ

(١) يشير إلى قول إبراهيم بن العباس الصولي (وينسب لغيره) :

تغير لي فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيرته الحوادث

(٢) وانظر نفع الطيب ١ : ٢٦ ، ٥ : ٥٢٩ .

(٣) الدلايث : جمع دلايث وهو المقدم .

(٤) في الأصلين المخطوطين : فالليوث الدلايث . وقد وردت الكلمتان في البيت قبل السابق ، والمثبت من نفع الطيب والأزهار . و « ترافقن » كذا فيها .

(٥) من « طمئت » : حاضت .

(٥) في النسخ والأزهار : من معانيه .

30 خُلِقَ كَالنَّسِيمِ مَرَّ سَحِيرًا
 فِي سَبِيلِ الإِلَهِ يُقْصِي وَيُبْدِي
 شَرَفُ الْمَلِكِ مِنْهُ سَامٍ وَحَامٍ
 هَاكِنَا مِنْ بَنَاتِ فِكْرِي بِكِرًا
 ذَاتُ لَفْظٍ لَا يَعْتَرِيهِ اخْتِلَالٌ
 زُعْمَاءُ الْقَرِيضِ أَبَقُوا بِقَايَا
 مِنْ أَرَادَ انْتِقَادَهَا فِيهِ (هذي^(٢))
 بالأزاهير في البسطاح الدُمَائِثُ
 وَيُوَالِي فِي ذَاتِهِ وَيُنَاكِثُ
 فَفَدَتْهُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ !
 لَيْسَ يَسْمُو لَهَا مِنَ النَّاسِ طَامِثُ
 وَمَعَانٍ لَا يَنْتَحِيهَا الْمُبَاحِثُ (١)
 كُنْتَ دُونَ الْوَرَى لَهْنَ الْوَارِثُ
 عَرْضَةُ الْبَحْثِ فَلْيَكُنْ جَدُّ بَاحِثُ

وَأُنْشِدُنِي - أَيْضًا لِنَفْسِهِ - يَمْدَحُهُ :

لَعَلَّكَ لِي عَنْ حُسْنِ عَهْدٍ مَكَافِيءُ
 فَيُتَسَّرِعُ نَحْوِي وَذَكَ الْمُنْتَبِاطِيءُ
 يَسْرَرٌ بِهَا مِنْهَا حَسُودٌ وَشَانِيءُ
 أَمَا يَسْعُ الْغَفْرَانُ مِنْ كَانِ خَاطِيءُ (٣)
 وَتَمَّمَّ بِالْإِفْضَالِ مِنْ هُوَ بَادِيءُ
 وَإِن رَاعِنِي خَطْبٌ مِنَ الْهَجْرِ فَاجِيءُ
 لَهُ بَعْدَمَا أُعِيَّتْ عَلَيْهِ مِبَادِيءُ
 تَحَامَّتْ حِمَايَ النَّائِبَاتُ الطَّوَارِيءُ
 فَدَيْتُكَ لَا يَذْهَبُ بِكَ الْبُعْدُ لِلَّتِي
 كَا وَسِعَ الْإِحْسَانُ مِنْ كَانِ مُحْسِنًا
 وَمَا ضَرَّ لَوْ رَبُّ (٤) الصَّنِيْعَةُ مَذْمُومًا
 عَلَيَّ أَنِّي لَمْ يَعْصِرْ الْيَأْسُ سَاحَتِي
 فَكَمْ طَالِبٌ أَمْرًا تَسَنَّتْ عَوَاقِبُ
 لَنْ رِيحِ الْأَشْجَانِ رُوعِي لَطَالِمًا

(١) فِي النَّفْحِ وَالْأَزْهَارِ : لَا تَنْتَحِيهَا (بِانْتَاءِ) .

(٢) فِي النَّفْحِ وَالْأَزْهَارِ : هَذِي . وَفِي الْأَصْلَيْنِ « هَذَا » .

(٣) فِي « م » كُلِّ مُحْسِنًا . كَانِ خَاطِيءُ . وَفِي « ط » كُلِّ . . . وَنَرْجِعُ مَا أَثْبِتُ .

(٤) فِيهَا « رَب » .

وإن أمسٍ قد شابت ذوائبُ لِمَتِي
فطعنُ الهوى في حِجرِ قلبي ناشيء

[٨١ / ب]

وليلاءَ ملءُ الأفقِ روعاً وظلمةً (١) فلا تَظُرُ هادي ولا قلبَ هاديء

ظَلَلتُ يُعاطِني بها (٢) أكوسَ الشرى
حبيبٌ على ما شئتُ منه مِماليء

ولا صُبْحَ إلا وجهه متطلعٌ ولا بَرَقَ إلا ثغره مُتَلألئ
إذا غارَ منها نَجْمُها وهلالها بدتْ غررٌ من خيلنا ومواطئء

وبيداءَ لم تفسرِ الشراءُ أديتها
ولم تَخترقها اليمعملاتُ النواجيء

كان الشرابُ الجَوْنُ في جنباتِها حياضُ مِلاءٍ أو سحابُ تَواشيء
بعثتُ لها عزمي وخضتُ عبابها كما خضتُ بجرأ لا يُرى منه شاطئء

وأجريتُ ذِكرَ الجودِ من كَفِّ فارسٍ
بِها فارتوى في الركبِ من هو ظاميء

وإن امرأً يروي الصدا ذكرَ جوده
لتحسدُ جدواه الغمامُ النواشيء

هو البدرُ لكنَّ السُّمُودَ مَطالِعُ
هو البَحْرُ لكنَّ العُلُومَ لآلئء

ليعلياهُ تمَّ الفخرُ بالعلمِ والندى
إذا اقتسم العلياءَ قانٍ وقارئء

(١) ليلة ليلاء : طويلة شديدة أو هي أشد ليالي الشهر ظلمة .

(٢) في الأصلين : بنا ، ونرجح ما أثبت .

لئن كان معنى الجود منه مبيتنا
 فلفظُ الوري في شكره متواطىءُ
 لك الخيرُ كم هيجاءَ جليتَ غمها
 وقد عجزَ الداري وكم المُداريءُ (١)
 تطاول فيها المُرهفاتُ إلى العلاء
 فتسعنو لها من هيبه فتتطاطىءُ
 تركتَ بها الأبطالَ صرعى كأنهم
 ندامى عتقاري سكرهم مُتسكافيءُ
 فأطعمتَ ذؤبانَ الفسلا وهي جوعُ
 ورويتَ بيضَ الهِندي وهي ظوامىءُ
 حسامكُ مها فتظمَ الرُمحُ ناثِرُ
 ورُمحكُ مها مزقَ السيفُ رافيءُ
 رفعتَ لواءَ العدلِ والدهرُ جائِرُ
 وأغریتَهُ بالجيدِ إذ هو هازيءُ
 فنام الرعايا تحتَ ظيلِ كلاته
 وعزمكُ يقطانُ وحزمكُ كلاءُ
 وأمنَ مذعورُ وأعتبَ مذنبُ
 وأغني مُعترُ وقربُ لاجيءُ
 [٨٢ / أ]
 مساعٍ من العلياءِ وفيتَ حقها
 وربكُ عن تلكَ المساعي مُسكافيءُ

ومن إنشائه البارع مورياً بالمكتب ودفعها لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أمير المسلمين المنصور بالله أبي الحسن علي بن أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين المنصور بالله أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق يهنته بإبدال ولده وولي عهده الأمير أبي زيان محمد من مرض :

ماذا عسى أدبُ الكتاب يُوضح من
خِصالِ مجدك وهو الزاهرُ الزاهي ؟

وما الفصيحُ بكلياتٍ مُوعبها
كافٍ فسيأتي بأنباءٍ وإنباهِ

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة ولسعادة (١)... القدحُ المعلي ، ولزاهر كاله التاجُ المُحلسي . تُجلى من حُللاه نُزهة الخاطر ، وَيَسِير بعلايه المثل السائر . ويتسقُ من ثنائه العقدُ المنظّم ، ويتضح بهداه القصدُ الأمم ، ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطه ، ومعونة السعد بإشارته منوطة . وهدايته متكلفة بإحياء علوم الدين ، وإيضاح منهاج العابدين . وإرشاده يتولى تنبيه الغافلين ، ويأتي من شفاء الصدور بالنور المبين . وميقاتُ الخِدْمة ببابه مطمح الأنفس ، وملخص الجود من كفه بغية الملتمس . قد حكم أدب الدين والدنيا بأنك سراج الملوك ، لما أتت عوارفك بالمشروع السلسل ومعارفك بنظم السلوك . ووضحت معالم مجدك وضوح أنوار الفجر ، وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريدة القصر . فلك في جمهرة الشرف النسب الوسيط ، ومن جعل

(١) هكذا في الأصلين ، ولعل كلمة سقطت (انظر الفقرة التالية) .

المآثر الخلاصة والبيسط . وسبُل الخيرات لها برعايتك تيسير ، ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير . وأنت حجة العلماء الذي تقصّر عن تقصي مآثره فِطْنُ الأذكياء ، إن انبهم [٨٢ / ب] التفسير ففي يديك ملاك التأويل ، أو اعتاصَ تفريع الفقه فمندك فصلُ البيان له والتحصيل . وإن تشعب التاريخ فلديك استيعابه ، أو تطاول الأدب ففي إيجاز بيانك اقتضابه . وإن ذكر الكلام ففي انتقائك من برهانه المحصول ، أو المنطق ففي موجز أمالك لبابه المنخول . وليس أساسُ البلاغة إلا ما تأتي به من فصل المقال ، ولا جامعُ الخير إلا ما حزته من تهذيب الكمال . ولذلك صارت حرمتك غاية المطلوب ، وحبك قوت القلوب . ولا غرو أن كنتَ من العلياء ذُرَّتْها المكنونة ، فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينة . بحماستهم أُصِيبت مقاتل الفرسان ، ويجودِ جودهم تسنى ربي الظمان ، وبتسهيل عدلهم وضحت شعب الإيمان . وأنت المنتقى من سمط جنانهم ، والواسطة في قلائد عقبانهم . عنك تُؤثر سيرة الاكتفاء ، وعن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الأبناء . فهم لمملكتك العلية بهجة مجالسها ، وأنس مجالسها ؛ وقطب سرورها ، ومطالع نورها . وولي عهدك درتهم الخطيرة ، وذخيرتهم الأثيرة .

لازال كامل سعادتہ بطول مقامك مُحْكَمًا ، وحرز أمانته بالجمع بين الصحيحين : حبك ورضاك مُعْلَمًا ! وقد وجبت التهنية بما كان في حلية (١) برئه من التيسير ، وتهيباً في استقامة قانون صحته من نجح التدبير . ولم يكن إلا أن بَعُدَتْ به عنك المسالك . وأعوَزَ نور طَرْفِهِ

(١) فيها : حيلة ، ورجح ما أثبت .

تقريب المدارك . وتذكر ما عهدَهُ من الإيناس الموطأ جنبابه عند
أفضل مالك . فورى من زنده سقط الزند ، والتهب في جوانحه
قبس الوجد . فامدد له من دعائك الصالح بجملة الأولياء . فظفر لما
شارف مشارق الأنوار من حضرتك بالشفاء . وقد حاز إكمال الأجر
بذلك العارض الوجيز ، وكان له كتشبيه الإبريز . وها هو قادمٌ
بالطالع السعيد ، آيبٌ بالمقصود الأسنى [٨٣ / أ] من الفتح والتمهيد .
يطلع بين يديك طلوع الشهاب ، ويسمُّ عن مفصل الثناء في الهناء
بذلك زهر الآداب . فأعد له تحفة القادم من إحسانك الكامل .
واخصصه بالتكلمة من إيناسك الشامل . فهو الكوكبُ الدُّري المستمدُّ
من أنوارك السَّنية ، وفي تهذيب شمائله إيضاح للخلق^(١) الكريمة
الفارسية^(٢) . لا زالت تزدان بصحاح مآثرك عيون الأخبار ، وتتعطر
بنفحة الزهر من ثنائك روضة الأزهار . وتتلّى من محامدك الآياتُ
البينات ، وتتوالى عليك الألفاظ الإلهيات ؛ يمينَ الله وفضله .
والسلام الكريم يعتمد المقام العليّ ؛ ورحمة الله وبركاته



(١) فيها : للخلق .

(٢) نسبة إلى أبي عنان فارس المريني .

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الرحمن بن محمد بن
خلدون الحضرمي (*) :

صاحب علامة أمير المؤمنين المستنصر بالله بفضل الله لإبراهيم بن
أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبي يحيى أبي بكر
الحفصي الموحد ، بحكم الاستنابة ؛ وهو إذ ذاك شاب صغير . واستقر
بالمغرب فاستكتبه بالحضرة السلطانية المرينية أمير المؤمنين المتوكل على
الله أبو عنان فارس وقلده كتابة سره ؛ فحسده بعض بطانة السلطان
وأغروا به إليه ، فقبض عليه ، وامتحنه ، واعتقله بسجن دار الإمارة

(*) الأديب المؤرخ العالم الاجتماعي البجاعة الشهير أبو زيد ابن خلدون الحضرمي
الإشبيلي . مولده في تونس سنة ٧٣٢ وأصل سلفه من الأندلس من إشبيلية . وخالد
المعروف بـ « خلدون » هو جده الأعلى الداخل إلى الأندلس . تتلمذ على علماء تونس
وعلى جمهرة من علماء المغرب والأندلس لما قدم بهم أبو الحسن المريني في طلعه إلى
الجزائر وتونس . وتنقل طويلاً في بلاد المغرب والأندلس ، وتقلب في المناصب ، وتعلم
على كبار الشيوخ ، وصادق الجلالة من الوزراء والأدباء والعلماء ، وعرفوا - جميعاً - له
قدره ومكانته . وكان مشهوراً بالكتابة والشعر والمشاركة في العلوم . وخلد ذكره في
تاريخ الحضارة الإسلامية بكتابه « العبر » ويجزئه الأول - المقدمة - على الخصوص .
ولجزئه الأخير أهمية خاصة لانه ترجمة ذاتية للمؤلف ، طبعت أيضاً منفردة بعنوان
وضعه هو : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً .

وقد انتقل ابن خلدون - بعد عودته إلى تونس - إلى المشرق ، واستوطن مصر . وأعطى
قضاء المالكية ، وتعرض لخصومات بعض الفقهاء وبعض المتنفذين ، ولكنه - على الجملة -
حظي بمكانة رفيعة وعرف الناس - وأهل السلطة - له حقه وكرامته وكانت وفاته
في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

أشهر مؤلفاته تاريخه المعروف . وكتبت عنه كتب وألفت فيه دراسات وبحوث وعقدت
حواله ندوات وملتقيات .

المدينة البيضاء ، ثم سرحه من السجن السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ، واستكتبه في حضرته . ثم ارتحل إلى بلاده الإفريقية ؛ فقدمه حاجباً أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبي يحيى أبي بكر الحفصي الموحد ببجاية . وهو الآن بالأندلس في حضرة ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد الخلوع . وحين كان في سجن أمير [٨٣ / ب] المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان بعث من السجن ^(١) لأبي عنان المتوكل في العشر الأول من شعبان عام تسعة وخمسين وسبع مئة قصيدة رائعة من نظمه يستعطفه بها ، وكان له في السجن ثمانية عشر شهراً .

حاله :

هو ممن لا ينكر حقه في ارتياض العلوم الشريفة ، واستئصال رتبها العالية المنيفة . لما احتوت عليه ترجمة ذكره ، وخبيثة فكره ، من أساليب النظام الرائقة الحلاء . ومجاري أقوال النثر البارعة في الإنشاء . ولا يسع المصنف في هذا الشأن أن يتركه ، لظرفه الكامل ؛ ولا يدعه لعلمه الشامل . له باعٌ واسعٌ في المنطق وعلم النجوم ، وما يتعلق بالعلوم النظرية والفهوم ؛ وطريقة رائقة الفروع والأصول ، كاد أن يصل بها إلى درجة الاجتهاد غاية الوصول . ومعرفة بالتواريخ الحديثة والقديمة ، وإرسال ديمة من سحائب علمه يتبعها ديمه !

(١) تفصيل خبر سجنه في « التعريف » ص ٦٦ ، وقد عقد ابن خلدون فصلاً بعنوان « حدوث النكبة من السلطان أبي عنان » .

وقصيدته المذكورة هي (١) :

على أي حالٍ للتيالي أعاتبُ
 وأيُّ صُروفٍ للزمانِ أغالِبُ
 كفتى حزننا أننى على القُربِ نازِحُ
 وأنى على دعوى شهودي غائبُ
 وأنى على حُكم الحوادثِ نازلُ
 تُسألُني طُوراً وطوراً تُحاربُ (٢)
 أحينُ إلى إلفي وقد حالَ دونهمُ
 مهاميهُ فيفتحُ دونهنَّ سباسبُ
 5 وبيداءُ قفر غيرتها يد البيلي
 وأزرتُ بَمغناها الصبا والجَنائبُ

- (١) قال ابن خلدون : كان اتصالي بالسلطان أبي عنان آخر سنة ست وخمسين (وسبعمئة) وقربني وأداني واستعلمني في كتابته حتى تكدر جوي عنده.. ثم اعتل السلطان آخر سبع وخمسين . وكانت قد حصلت بيني وبين الأمير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخلة أحكمها ما كان لسلفي في دولتهم. وغفلت عن التعفظ في مثل ذلك من غيرة السلطان فما هو إلا ان شغل بوجهه ، حتى أننى إليه بعض الغواة أن صاحب بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده ، وبها يومئذ وزيره الكبير عبد الله بن علي . فانبعث السلطان لذلك ، وبادر بالقبض عليه . وكان فيما أننى إليه أنى داخلته في ذلك فقبض علي وامتحنني ، وحبسني ، وذلك في ثامن عشر صفر سنة ثمان وخمسين . ثم أطلق الأمير محمداً ، ومازلت أنا في اعتقاله إلى أن هلك . وخاطبته بين يدي مهلكه مستعظفاً بقصيدة أولها . . . « الأبيات » . وذكر من القصيدة خمسة أبيات فقط ثم قال « وهي طويلة نحو المئتين بيتاً . . » . والقصيدة عند ابن الأحمر هنا في ١٠٧ أبيات ، ونرجح أنها كاملة ، ويكون الرقم الباقي في ذاكرة ابن خلدون عن القصيدة مبالغاً فيه .
- (٢) أورد في التعريف « ٦٧ » الأبيات الثلاثة الأولى ، وأردف بالبيتين التاسع والعاشر . وقال إن بقية الأبيات « ذهب عن حفظه » .

بها لِعَزَيفِ الْجَيْنِ^(١) أَيُّ تَرَاجُعِ
 وبينَ الرِّيحِ الهُوجِ فيها تلاعبُ
 يضلُّ بها الخِرَيْتِ^(٢) في كلِّ موقفٍ
 فيصرفُهُ بجرِّهِ من الآلِ راسِبُ
 سلوتُهُم إلا ادَّكارِ معاهِدِ
 لها في اللَّيالي الغابراتِ عِرائِبُ
 وإنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ منهم يَشُوقُنِي
 إليهِمْ وتُصَبِّبُنِي البرُّوقُ اللَّسَواعِبُ

[٨٤ / أ]

10 ولم أنس ، لا أنسى الوداعَ وقد جرتُ
 دموعٌ وزُمَّتُ للوداعِ ركائبُ
 عشيةً بانوا والقلوبُ جوامدُ
 وكان عقيقٌ في التواظرِ ذائبُ
 وقتفنا ولا نَجوى سوى بينِ أعينِ
 وشتُ بالهوى منها دموعٌ سواكِبُ
 تُخاطِبُ رسمَ الدارِ شوقاً وما لنا
 على القُربِ إلا مِن صداها مُجاوِبُ
 مَضُوءاً يُزَمعون السَّيْرَ إلا تَلَفُفْتُنَا
 كما التفتتُ بين الأراكِ الرِّبابُ^(٣)

(١) قالوا : العزيف صوت الجن ، وهو صوت الرمال إذا ذهب بها الرياح .

(٢) الخريت : الدليل الحاذق بالدلالة .

(٣) في الأصلين : الرائب ، ونرجح ما أثبت . والرباب ج الربرب وهو القطيع من

الظباء ، ومن البقر الوحشي والإنسي .

15 وأتبعتمهم طرفي وقلبي وما دروا
 بأني على آثار هذين ذاهب
 وما راعني إلا المآقي تحدرت
 بين قلوب في الدموع ذوايب
 وقد طويت شمس الأصيل بأفقيها
 كما نشرت الليل مینها ذوايب
 وسرنا وترجع الحداة يحسنا
 كما رجع الإنجيل في الصبح راهب (١)
 نيميل على الأكوار شهداً كأدنا
 نشاوى مدام أنتحلتمها الحقائق (٢)
 20 أقول ليصحي - والظعائن ترتعي
 وقد أخذت منا السرى والنجائب
 وقد ظميت منا المطي وأظمت
 دجى خفيت فيها علمنا المذاهب -
 : ردوا ليس يروينا الغمام وهذه
 دموعي لا يظما بسها بعد شارب!
 وإن يك بالشهب اهتداء فهذه
 بيصدري شهب للغرام ثواقب
 رعى الله عهداً ضمّه أفق تونس
 ومعه أنس لم ترعه النوايب

(١) في الأصلين « كما رجع الإنجيل في الصبح » ورجع ما أثبت .
 (٢) جمع الشاعر حقبة - وهي من الدهر: المدة لاوقت لها - على حقائق . ولم أجد لها
 هذا الجمع .

25 وجادتْ عليه الغانياتُ بها حوتٌ
من الظلم لا ما تحتويه السحائبُ (١)
وروض منها كل قطرةٍ بأغصنِ الـ ...

مقدودِ اللواتي لم تثرها الأهاضبُ
بلادُ بها عَقْ (٢) الشبابِ تمائي
ولامس فيها التربَ منِّي الترائبُ

يدكرني عهدَ الرضا في جنابها
أمانِ تَقَفَّضَتْ لي بها ومآربُ
فأصبو ولكنْ أين مني مزارُها؟

وأبكي وإن لم تغنِ عني السحائبُ
30 ويقلقني شوقٌ تضرّم بالحشا
فتمحرقني لولا الدموعُ لوأهبُ

[٨٤ / ب]

أبيتُ ثناجيني الهمومُ كأنني
صديقُ عفا (٣) في الحب وهي تُعاتبُ

وإن قمتُ غنّستني قيانُ أداهمُ
لها بين أقدامِ الكُناهِ ملاعبُ

وقد أمتطي فيكري لدى اللبيلِ مركبا
بيذكر السذي تُحدي إليه الرّكائبُ

(١) الظلم : ماء الأسنان وبريقها .

(٢) في الأصلين : « غص » ولا معنى لها ، والصواب ما أثبت .

(٣) كذا فيها .

وأعشوا إلى مدح الخليفة فارس
 فتمتجأب عني للخطوب غياهب
 35 إمام هدى ضاءت شمس اهتدائه
 فباتت لنا من بينهن المذاهب
 تفرق ماء البشر في صفحاته
 وأينع منه المجد فالحل عاشب^(١)
 وأوسع أبناء الزمان نواله
 فليس سوى ممن ينول كاسب
 خلائق يحكيها الرياض بدائعا^(٢)
 فتمتغزى له إن حقت القول ناسب
 تجرى الجود أنهاراً - بكفیه - عذبة
 (ما تلك)^(٣) في الراحة منها مشارب
 40 وسار على الآفاق طيب ثنائيه
 فما المسك لولا عرفه المتطايب
 وأشرق الدنيا بنور جبينه
 فما المسك لولا عرفه المتطايب
 وأشرق الدنيا بنور جبينه
 فما الشمس إلا إن بدا منه حاجب !

(١) مكان عاشب : ذو عشب .

(٢) فيها : بدائعا .

(٣) فيها : ما تلك .

مناقِبُ تحكي الشهبَ ضوءاً ورفعةً
 فيسري بها في مهمه الخطب راكِبُ
 ففِكْرُهُ إذا ما أظلمَ الخطبُ نَيْرُهُ
 وفهمُهُ إذا ما أشكلَ العِلْمُ ناقِبُ
 وهِمَّةُ مَنْ لم يجعل الإرثَ وحدَهُ
 طريق العلى حتى استتمتْ مناصِبُ
 45 تَزاحمُ تيجانُ الملوكِ بيباهِ
 كما ازدحمتْ بالسدارينِ المواكِبُ
 وتَفخِرُ من مَلِكٍ أغرَّ مَهْدِبِ
 ثقيل المراقبي عندهُ والمتناصِبُ
 جَبَرَتِ عمادَ الدينِ بعدَ انصداعِهِ
 على حينَ لم يجبرْ له الصدعَ شاعِبُ (١)
 ومِلتَ عن الدنيا إلى الدينِ راعِباً
 على رغبةٍ منها فنعَمَ المرابِ
 50 وشيدتَ فخراً في ذؤابةِ معشرِ
 تَمَتَّكَ إلى العلياءِ منهم عصائبُ
 ومهدتَ ركنَ المَلِكِ منك بعزيمةِ
 تذبُّ بها عنه الحُمأةُ الضوارِبُ
 [٨٥/أ]

ودوخت أرض الغرب حتى تسابقتْ
 لأمرِك طَوْعاً عَجْمُهُ والأهاربُ

(١) شعب الشيء فرقه، واستعمل في الضد فقيل: شعب الصدع إذا لمه وأصلحه، و«شاعِب» في البيت من هذا النحو.

فأوطأتهم فوق السماكين مننزلاً
 فليس لهم إلا هناك مراتب
 ولما طغى بالشرق كلُّ مكذب
 عصي تشاجيه الأماني الكواذب
 55 ويخلو على بعد الديار بنفسه
 فتمصيه (١) من طعن العدا ما يُطالب
 بدأتهم بالقول (٢) لو أن سعيهم
 حميد (٣) لما ساءت لديهم عواقب
 ولكن أبوا إلا جماحاً وما دروا
 بأنك حيزب الله - والله غالب! -
 ولجئوا على ظن بأن حصونهم
 ممتعة لو أن غيرك طالب
 فسمتهم بالرعب قبل نزالهم
 فقللت جموع منهم ومضارب
 60 وأرسلتهم من آل أعوج غلب
 عليها من الأبطال شوس أغالب
 من القوم ما غير القنا في طريقهم
 أنيس ولا غير المهند صاحب

(١) في «م» فتصيه، وفي «ط» فتمصيه .

(٢) في «م» بالقبول .

(٣) في «م» حميداً .

إذا أظلمت مُجَنِّجَ النهار دُرُوعِهِمْ
أضاءت وجوهٌ منهمُ ومَناقِبُ

وإن ضلَّ في ليلِ الكفاحِ دليلُهُمْ
هَدَّتْهُمْ من العزمِ الصِّمِيمِ كواكِبُ

بأيديهمُ سمرُ الرِّمَاحِ كما على
عوائقِهِمْ بيضُ السيوفِ القواضبُ

65 فذاك أصمُّ يبلغُ الطَّعْنَ للعدا
وهذا سميعٌ إن تناجى الكتابُ !

غمائمُ للعافين ، تهتنُ ، صيدٌ
وفي عَرَصاتِ المارقينِ مصائبُ

فَقِي الحربُ آسادٌ وفي السلمِ سادةٌ
ويومَ النداءِ والمكْرُماتِ سَحَابُ

ندبتَهُمْ لِلَّهِ ثُمَّ بَعَثْتَهُمْ
تقامُ على الأعداءِ منهمِ نوادِبُ

وسيرتَ فلولا أنْ أمركَ وازرعُ
لسارتُ جبالٌ عندها وأهاضبُ

70 ورينوا فلولا طودُ حملكَ قد رسا
لتزُرعَ من ذلكَ الأشمِ جوانِبُ

بجيشٍ يفضُّ الأفقُ منه بمركبٍ
ويعجزُ عن حصرِ الكتيبةِ حاسبُ

يباحُ حمى الأفلاكِ عند فريقِهِمْ
وتنهبُ إن أومى إلى الشَّهْبِ ناهِبُ

[٨٥ / ب]

أثرت^{٣٣} فوق الأعادي مصائباً
من النقع جدواها السهام الصوائب^{٣٤}
وجئت^{٣٥} على رَغْمِ خِيالِ ديارِهِمْ
تُعَطَّرُ بِالْأردانِ مِنْكَ مَساحِبُ^{٣٦}
75 فلولا اعتصام^{٣٧} كان منهم بطاعة^{٣٨}
لأغرقتهم^{٣٩} طوفانك المتراكب^{٤٠}
ولمّا انتضى جبار^{٤١} تونس عزيمة^{٤٢}
ورام فراراً لو نجا منك هارب^{٤٣}
بعثت^{٤٤} بها غربان زجر^{٤٥} يحشها
للتفريق^{٤٦} شمل^{٤٧} من أعاديك ناعب^{٤٨}
وملكتها شرقاً وغرباً كأنها
لأمرك^{٤٩} من جاري المقادير صاحب^{٥٠}
ولولا خطوب^{٥١} كنت حاسم^{٥٢} دائها
لقد علموا كيف الفريم^{٥٣} المطالب^{٥٤}
80 أمولاي^{٥٥} طاب القول^{٥٦} لي فأطلت^{٥٧}
وما طيب^{٥٨} الأقوال^{٥٩} إلا الأطاييب^{٦٠}
وما كان لي نظم^{٦١} القريض^{٦٢} بيضاعة^{٦٣}
ولكن دعاني نحو^{٦٤} مدحك^{٦٥} جاذب^{٦٦}
فجئت^{٦٧} بها حسناء^{٦٨} تلتمس^{٦٩} الرضا
وإن رَغِمَ الواشون^{٧٠} منها وشاغبوا

فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ لِي
يَدَانِ بِسَخَطِ مَنْكَ وَالصَّبْرُ عَازِبٌ
أَسَاقٌ مَدَى الْأَيَّامِ فِي الْقَيْدِ مُفْتَعَمٌ
وَجِسْمٌ عَلِيلٌ بَعْدَ ذَلِكَ شَاحِبٌ
85 وَقَدْ وَضَعْتَ لِلْحَلْمِ فِي كُلِّ طَيْعٍ
وِعَاصٍ شُرُودٍ عَنكَ طُرُقٌ لَوَاحِبٌ
وَأَرْضَعْتَهُمْ ثَدِي الْأَمَانِي وَكَمْ بَغَوْا
وَأُورِدْتَهُمْ صَفْوَةَ الْأَمَانِي وَحَارَبُوا
أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْعُلَا
تُنْبِيلُ الْوَرَى عَفْوًا فَتَعْفَى الْمَعَايِبُ
وَإِنْ أَثْبَتَ الْأَعْدَاءُ أَنِّي مُذْنِبٌ
فَصَفْحُكَ يَا مَوْلَايَ لِلذَّنْبِ سَالِبٌ
وَهَبْتَهُمْ رَمَوْنِي بِالتِّي لَسْتُ أَهْلَهَا
أَلَيْسَ ائْتِسَابِي وَاضِحٌ مُتَنَاسِبٌ ؟
90 أَبْعَدَ ائْتِرَاحِي عَن بِلَادِي تَحْشُنِي
إِلَى بَابِكَ الْأَعْلَى مَطِيئٌ شَوَازِبٌ (١)
وَعَرَاءٌ مَن نَسَلِ الْجَدِيلِ وَشَدَقِ (٢)
لَهَا فِي الرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ مَنَاسِبٌ
يَجَازِبُ عَظْفِيهَا المِرَاحُ فَتَنْشِنِي
كَمَا التَّفْتَتُ فِي الرِّوَضِ حَسَنَاءُ (٣) كَاعِبٌ

(١) شواذب ج شازب : وهو الضامر .

(٢) الجديل ، وشدة فحلان مشهوران للنعمان بن المنذر .

(٣) « حسناء » سقطت من « م » .

وتكبرُ قدراً أنْ يميلَ بثليها
اغريكَ قصداً أو تحنَ مطالبُ

[١ / ٨٦]

رقتُ بها في صَفحة البَيْدِ أسطُراً
كما زانَ رقماً في الصَّيْحفةِ كاتبُ

95 و جُبتُ بها غورَ الفلاةِ ونَجَدَها
وليسَ سِوى من ذنبيها ما أصاحبُ!

كأنني لفظُ والبلادُ تجيئني
خواطيرُ منها للمعاني صوائبُ

نظنَّ بأنَّ الشَّرْقَ عن حملِ كتمه
نَضيقُ فَمَتَطَوِي سِرِّهِنَّ المغارِبُ

إلى أنْ حَطَطْتُ الرَّحْلَ في سَرَحَةِ العِلا
لَسدى بابكَ الأعلى كما حَطَّ آيبُ

وأصدَرْتَنِي عن وِردِ نَعْمَاكَ نَاهِلا
وقد أثَقَلْتَنِي ظَهري لَدَيْكَ المَوَاهِبُ

100 فكيفَ أولِّي سَطْرَ غَيْرِكَ وَجْهَةً
أؤمِّلُ مِنْهَا نُجْمَةً أو أُرَاقِبُ

وما خَلَصْتَنِي إِلا لِبابِكَ هِجْرَتِي
ولم تَصِفْ لِي بِمَنْ سِوَاكَ المَشَارِبُ

وإني على علمٍ بأنَّ لا مَمْلَكَةَ
سِوَاكَ على الدُّنيا ولا عِنْتِكَ ذاهِبُ

ولكن عوادٍ إن عدتني عن الرضا
 زماناً فإنني اليوم منهنّ نائب
 سأززعُ عما أنتَ - والله - ساخطُ
 فأمرُك محتومٌ على الخلقِ واجبُ
 105 وأسطو على الأيامِ منكُ بنوياً
 كما افترتسني بينهنّ النوائبُ !
 وتوسيعني رُحماكُ أفضلَ نعمةٍ
 تريحُ بها عظمي وتتري المكاسبُ
 فما في الليلي من ذميرٍ - ولو أتى -
 إذا حميدتُ بعدَ المبادي العواقبُ

* * *

صاحبنا الفقيه القاضي الكاتب يحيى بن أحمد بن محمد ابن
 البغلة الأموي .

يكنى : أبا زكريا ، ورأيتُه ، وصحبته ، ويعرف بابن البغلة .
 وهو من أهل طنجة واستنابه بعض قضاةها ، وكان عدلاً بسيطاً
 شهودها . وأصل سلفه من الأندلس من الجزيرة الخضراء . وكتب في
 الحضرة المرينية لموكها ، وهو الآن كاتب الإنشاء بها لأمير المسلمين
 المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أمير المسلمين المستعين بالله أبي سالم إبراهيم .
 وبينني وبينه وداد عظيم ولما [٧٦ / ب] كنت بالحضرة المرينية
 حين أخرجنا عن الأندلس بنوعنا الملوك من بني الأحمر آل نصر كان

(١) بويح المستنصر بالله أحمد بطيخة سنة ٧٧٥ وخلع سنة ٧٨٦ ، وهذه هي دولته
 الأولى . (وحكم ثانياً من ٧٨٩ إلى ٧٩٦) . انظر روضة النسرين ٣٤ ، ٣٨ .

يسنخلص لي حوائجي من ملوك بني مرين ، فعرضت لي يوماً عند
الوزير أبي يحيى أبي بكر بن الوزير أبي مجاهد غازي بن الكاس
المجدولي ، المدبر للملك أمير المسلمين السعيد بالله أبي زيان^(١) محمد حاجة ،
وكان الفقيه أبو زكريا هذا له جاءه مكين عند هذا الوزير ؛ فطلبت
منه ، وكتبت له في ذلك أبياتاً من قولي ، وهي :

أَيُّحْيَى مَيَّتْ الأَحْيَاءِ يَرْجُو كَلَامَكَ للوزيرِ بغيرِ رَيْثِ
فَأَنْتَ نَصِيرٌ من أَخْنَى عَلَيْهِ زَمَانٌ قد أَنَاخَ بِكَلِّ لَيْثِ
ومها أرسلتْ كَفَاكَ جُوداً يَكْفَى بِجُودِهِ وَكَأفَ غَيْثِ !

حاله - أكرمه الله تعالى - :

هو صدر الأعيان ، وعلم أولي البلاغة والبيان . الفصيح الذي
يقصر عن مرماه في الفصاحة سبحانه ، ويعجز عن مضاهاته في الاختراعات
والإنشاءات بديع الزمان . سليم الصدر من البأو والمباهاة ، ذو ذكاء
وفكاهات !

فمن قوله يمدح الوزير أبا علي عمر بن الوزير أبي عامر
عبد الله بن علي بن سعيد اليباني^(٢) مدبر الدولة الحمديّة المتوكلية
والعززية المرينية :

(١) تحدث السلّوي في الاستقصا عن خبر تدبير أبي بكر بن غازي بن الكاس لسدولة
السلطان أبي زيان بن محمد المريني ، وقال إنه استبد ، واستعمل على الجهات ، وجلس
بمجلس الفصل ، واشتغل بأمر المغرب إرباماً وفقصاً . (انظر الاستقصا : ٤ ، ٦٠ ،
وروضة النسرين : ٣٥) .

(٢) انظر روضة النسرين لابن الأحمر : ٣٢ - ٣٣ .

أَعَاذِلْتِي أَنْ أَبْصَرْتَ رَاحَتِي صِفْرًا
وَأَنْ لَسْتُ بِمَنْ يَقْتَنِي الْبَيْضَ وَالصُّفْرًا
ذَرِينِي فَلَيْسَ الشَّحُّ أَوْلَىٰ بِذِي نُسِيٍّ

مَنْ الْجُودِ ، إِنَّ الْجُودَ مَرْتَبَةٌ أُخْرَىٰ !
وَإِنَّ الْفَتَىٰ مَنْ صَانَ بِالْمَالِ عِرْضَهُ
وَأَبْقَىٰ بِتَخْلِيدِ الثَّنَاءِ بِهِ ذِكْرًا
وَدَانَ بِتَشْفِيعِ الصَّنِيعِ تَمْدَهُ

بِحَارُ جَدِي لَا يَتَّقِي مَدَّهَا جَزْرًا
5 لَعَمْرُ الْعُلَا وَالْجُودِ وَالْعُرْفِ وَالنَّدَىٰ
لَقَدْ أَلْفَتْ خُلُقِي السَّهَابَةَ وَالْبِيرَا

[٨٧ / أ]

وَلَا سِيَّهَا إِذْ دَاوَرْتَ عُمَرَ الرِّضَا
وَأَهْدَيْتَهُ آمَالًا فَأَصْدَرَهَا وَفَرَا
هُوَ الْبَحْرُ لَا بِلْ دُونَهُ الْبَحْرُ إِنَّهُ
لَعَذْبُ الْحَيَا جَمِّ اللَّسِي يَلْفُظُ الدَّرَا

يُرَوِّي الظَّنَّ ، يَشْفِي الضَّنَّ ، يَنْقَعُ الصَّدَىٰ
يُنِيلُ الْمُنَى ، يُوَلِّي الْغَنَى ، يَصْرِفُ الْفَقْرَا
إِذَا أَخْلَفَ الْغَيْثُ اسْتَفْتَنَّا بِجُودِهِ
فِي وَسِعِنَا رُحْمَى ، وَيَمْنَحُنَا يُسْرَا

10 رَعَى اللَّهُ عَصْرًا جَاءَنَا مِنْهُ بِالَّذِي
نُؤْمَلُ فِي الْأُولَىٰ وَنَعْمَدُ فِي الْأُخْرَىٰ

وزيرٌ تُقَى صانَ الخِلافةَ فاعْتَمَدتْ
 بتدبيره تستخدمُ الفَتْحَ والنَّصْرَ
 يرى وارداتِ الأمرِ قبلَ وقوعِها
 فيُبْدى من التَّدبيرِ ما يشرَحُ الصِّدْرَ
 وقد بَسَطَ العدلَ الذي من روائِهِ
 خلائقُ حِلْمٍ لا نُوفِيَ لها شُكْرًا
 إذ أنتَ يومَ الرِّوعِ لا قيتَهُ فقدُ
 أمِنتِ ، فَمَا تدرِي الخِئافَ ولا الزُّجْرَ
 15 وإنْ أزتَ في يومِ الهِياجِ رأيتَهُ
 وقد أعملَ البَيْيضَ البَوَاتِرَ والسُّمْرَ
 وعودِضَها هامَ العِدا من جُفونِها
 فأوردَها بييضاً وأصدَرَها حُمْرًا
 يُولِّي ويُنْقِصِي^(١) في الإلَهِ وإنَّهُ
 لَسَمِينِ طِينَةِ المِجدِ التي كَرُمْتَ نَجْرًا
 ننتَهُ إلى العِليا سِراةَ أكابِرِ
 فَلِيلِهِ مِنْهُمْ ما أَجَلٌّ وما أُسْرَى
 حَمُوا حَوْزَةَ المُلْكِ الذِّي لم يُبْحَ بِهِمْ
 حِياهُ وشَدَّوا من قِواعِدِهِ أَزْرًا
 20 وهالِكَ التِّي أهديتُها منكَ كَفْؤُها
 وأبديتُها شَمْسًا مِيمَةً بَدْرًا !
 خَريدةَ نَظْمٍ أنتَجَسَتْها قَريحةُ
 لِمَيرِكَ لم تَعمرْ مَدَى دَهرِها فِكرًا !

(١) فيها « يوالي » ورجح ما أثبت .

تجرّر من فرطِ الحَيَاءِ رداءَهَا
وتلتَمِسُ الإغضاءَ لاَ غيرهَ مَهْرًا !
على أَنَّنِي لم أدَّعِ الشُّعْرَ صَنَعَةً
ولم أنعاطَ النِّظْمَ يوماً ولا النِّثْرَا
ولكنَّنِي إذ رُمْتُ مَدْحَكَ قَدَّتْهَا
قَوَائِي فَانْقَادَتْ مُجْحَلَةً غُرًّا
25 ووافقتك تُثْنِي بالذي أنت أهله
من الشَّيْمِ اللَّاتِي سَمَّتْ واعْتَلَّتْ قَدْرًا
* * *

صاحبنا الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد
[٨٧ / ب] المثنان الانصاري الخزرجي (*) :

يكنى : أبا العباس ، ورأيت ، وصحبته ، ويعرف بابن عبد
المثان ، ومسقط رأسه مدينة مكناسة ، وأصل سلفه من الأندلس ؛
من إشبيلية . وجده أحمد والد يحيى هو القادم من الأندلس على
بر العدو ؛ وأبوه يحيى استخدمه ملوك مرين في ولاية الخراج .
وله نظر في في علم الطب مع المشاركة في الطلب ، والإجادة
في نظم الشعر . وأحمد والد يحيى القادم من الأندلس كان قد قدمه

(*) أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المثنان الخزرجي الأنصاري (٧٩٢-٠٠٠)
من كتاب الدولة المرينية . كان أثيراً لدى السلطان أبي عنان المريني ، وعند عدد من السلاطين
الذين جاؤوا بعده . وفي درة المجال لابن القاضي أخبار تدل على ثقة صلته ببني مرين وحسن
علاقاته معهم .

(انظر درة المجال ١ : ٥٣ ، ونثر فرائد الجمان : ٣٤٨ وجذوة الاقتباس : ٦٠)

جدنا الرئيس الأمير أبو سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد
اسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا
أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن
خميس بن نصر الخزرجي أمير مالقة بالجزيرة الخضراء على خراجها .
فلما عبر البحر للعدوة قدمه ملوك مرين على خراج مكناسة وولوه
قيادة قصبها ، ونال لديهم جاهاً مكيناً .

وأبو العباس هذا استكتبه أمير المؤمنين المتوكل أبو عنان فارس
في حضرته السلطانية ؛ وله فيه أمجاد عجيبة . واستكتبه أيضاً في
الحضرة السلطانية المرينية أمير المؤمنين السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر ،
وأمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم ، وأمير المسلمين أبو عمر تاشفين ،
وأمير المؤمنين المتوكل على الله أبو زيان محمد ، وأمير المسلمين أبو فارس
عبد العزيز ، وأمير المسلمين السعيد بالله أبو زيان محمد ، وأمير المسلمين
المستنصر بالله أبو العباس أحمد .

حاله - أكرمه الله - :

ظهر له في القريض باع أي باع ، وكان لمعانيه جلاء وللثنايا
اطلاع . وهو مجيد في فكرته ، يأتي بالغرابة في رويته ، وقد انقادت
له ركائب الآداب بأزمته ، وتجملت له شمس البديهة عن ظلمتها . إلى خلق
في [٨٨ / أ] الفضائل مكنة ، وأفعال حسنة بسنه .

أنشدني لنفسه ، ورفعها ليلة مولد رسول الله ﷺ من عام سبعة

وخسين وسبعائة ، لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس (١) وعارض بها قصيدة الشيخ الفقيه الإمام العالم الصوفي المحقق أبي عبد الله محمد بن خميس الحجري (٢) التي أولها :

أما المشيبُ فقد لاحتْ لوامِعُهُ

فَما لِدَمْعِكَ لا تَهْمِي هوامِعُهُ

- (١) كانت للساطن أبي عنان المريني عناية فائقة بالعلوم والآداب ، ونقل المترجمون لابن خميس أنه كانت لأبي عنان عناية خاصة بأخباره وأشعاره (نفح الطيب ٥ : ٣٦٦) .
- (٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد الحنجري الحجري - حجر ذي رعين ، وهو أبو قبيلة من اليمن - التلمساني عرف بابن خميس (. . . - ٧٠٨) من علماء تلمسان وشعرائها العدودين . وقد أفاض مترجموه في ذكر مآثره ومزايه العلمية والأدبية ، ومنهم لسان الدين بن الخطيب ، وابن خاتمة الأنصاري شاعر المرية وأديبها .
- ارتحل ابن خميس إلى سبتة ، دار إمارة بني العزفي فأقام مسده ، ثم ارتحل إلى الأندلس تحت رعاية وزيرها ابن حكيم ، وطاف في بعض بلاد الأندلس . وكانت وفاته في حادثة فكتبة الوزير ابن حكيم ، قتله بعض مهاجمي قصر الوزير دون جريرة سنة ٧٠٨ ، وله نيف وستون سنة (؟) كما نقل في نفح الطيب وأزهار الرياض .
- قال ابن خاتمة في مزية المرية في حقه « كان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء ، يصرف العويص ويركب مستصعبات القوافي » وذكر عنايته والعلوم اللغوية ، ومشاركته في العقلليات ، وقعوده للإقراء أيام مقامه بقرناطة . قال : « ومال بأخرة إلى التصوف والتجوال ، والتجلي بحسن السميت وعدم الاسترسال » . ويلتقي هذا الكلام مع ما يذكره ابن الأحمر عن تصوفه . وقد جمع أبو عبد الله الحضرمي - معاصر ابن خاتمة ولسان الدين - شعر ابن خميس في ديوان سماه الدر النفيس في شعر ابن خميس .
- (ترجمته وقصائد من شعره في : أزهار الرياض ٢ : ٣٠١ ، ونفح الطيب ٥ : ٣٥٩ والدرر الكامنة ٤ : ١١٣ والتعريف بابن خلدون ٣٩٠ . وانظر : مختارات من الشعر الأندلسي : ١٩٣) .

فقال - نسا الله في أجله - :

هل العميقُ وما ضمت أجارعُهُ
كما عهدناه أم أقوت مرابعهُ

وهل تغير بان الحَيّ بعد نوى
أهليه أم روتت خصباً أجارعه

ديارُ سلمى سقاها من ديارِ هوى
من صيب الغيث هاميهِ وهاميه

قفا بها إن عهداً للطلولِ على
دمعي السكيب بأن تجري دوافعه

5 وهل وقوفُ محبٍ بالطلولِ على
إثر الخليطِ الذي قد بان نافعهُ ؟

الله عهدك ياربِ بع الألى طعنوا
أيامَ روضك غضّ الدوح يانعه

أيامَ ظبيك لم تنقر مراتبه
منه ، وبدرك لم تظلم مطالعه

ودار سلمى يجرعاءِ الحمى كسب
وموريد الوصل لم تحظر مشارعه

لسمر سلمى لقد بانّت وما تركت
سوى جوى يسفّع الأضلاع سافعه

10 ومنيةٍ يترجأها (١) على طمعٍ (٢)
 منه ويأبى مشوق القلب جازعه
 في ذمّة الله قلبٌ كلّمها ذكرت
 سألني تغصّب به خفقاً أضالعه
 وإنّ سألني لتظي في النّفار وفي
 طُرُقِ المِلاّلة قدّ أعيت منازعه
 ماذا تجرّعت من مرّ الغرام هوى
 يا قلب فيه ، وماذا أنت جازعه
 أبيت ليلى من جراه مُكْتَحِلاً
 بالسُّهد وهو نؤوم الجفنِ هاجعه

[٨٨ / ب]

أدافع الوجد في سألني فيغلبني
 والوجد لا شك مقلوبٌ مُدافِعُه
 15 أخادع القلب عنها وهو يتخدعني
 كذلك القلب مخدوعٌ مُخادِعُه !
 ويح الحبّ لقد نمت شمائله
 بسحبته فهو خافي السرّ ذائعه
 وأيُّ واش به في الحُسب يكذبه
 سهادُه أم ضناه أم مداميعه ؟

(١) فيها : يترجها « بتشديد الجيم » ورجع ما أثبت .

(٢) في « ط » طمع ، وهو تحريف .

أم زفنة قذف الوجد الصميم بها
 طي النسيب وقد رقت وشائعه
 20 هل تعلمان له راق فيطمع في
 برء أم الحب داء عز دافعه ؟
 أو ملجأ غير أعلى الخلق منزلة
 يوم الحساب وقد راعت روائعه
 خير البرية أولها وآخرها
 وحائز الفضل دانيه وشائعه
 ياليلة أسفرت عنه ظفرت علأ
 بالفخر قد ملأ الأقطار شائعه
 ضاءت لمولده الآفاق واتضحت
 سبل الرشاد بما جلّت نواصيه
 25 وأصبحت (١) صور الأضنام من وجل
 والكل ناكس أعلى الهام خاضعه
 وأمسك النهر خوفاً عند ذلك إذ
 أحس بالجود قد فاضت ينابيه
 وأخذت نار كيسرى وهي ما علموا
 وقودها قبل وارتجت مصانعه
 وكل دليل له من قبل مبعثه
 وبعده صدع الظلمات ساطعه
 كآية الغار لما قام ناسجه
 من دونه وأوى للوكر ساجعه

(١) كذا في الأصلين .

30 وأعلمتته ذراعُ الشاةِ مُشفقةً
 بِسْمِهَا لَيْتَهُ (١) يفتض (١) ناقعهُ
 والضَّبَّ والذئبُ تصديقاً له نطقاً
 والطفلاً أفصح لم تَفْطَمُ مراضِعهُ
 والشمسُ والبدرُ هذي (٢) رُدُّ غارِبُهَا
 بعدَ الأفلِ ، وهذا شقٌّ طالعهُ
 والماءُ فاضَ مَعِيناً من أصابعهِ
 وهلْ بِجُورِ الندى إلا أصابعهُ ؟

وعادَ في الرّوعِ جدل (٣) النَّخْلِ من يَدِهِ
 باللمسِ أبيض لا تَنْبُو مَقاطِعهُ
 35 والغُصنُ لما دعاهُ جاءَ مُؤْتَمِراً
 يَخْطُ في الأرض لا شيء يُهانِعهُ

[٨٩ / أ]

والجِدْعُ أسمع تَرْدِيدَ الحَينِ له
 لو لَمْ يُفارقهُ لم يَسمعهُ سامِعهُ
 آياتُ صِدقِ جَلتْ عَلياءَ مُنتخبِ
 لم يُطلع الكونُ من خَلقِ بَضارِعهُ
 مُؤيدِ يَجنودِ اللهُ يَكنفهُ
 هادِ إلى الحَقِّ مَهدي مُتَابِعهُ

(١) هذا أقرب ما يقرأ في النسختين .

(٢) فيها « هادي » ونرجح ما أثبت ، وانظر الشعر الثاني .

(٣) فيها جدل ، وتحتمل قراءة جدل (بالذال) وجزل (بالزاي) .

نَحْصَصُ بِمَازِيَا الْقُرْبِ طَوْلِعِ مِنْ
 مَعَارِفِ الْغَيْبِ بِالْمَخْشُومِ طَابِعُهُ
 40 وَأُوتِيَ الْكَلِيمَ الْوَضَّاحَ حِكْمَتُهُ
 وَلَا مَرِيءٌ قَبْلُ لَمْ تُجْمَعِ جَوَامِعُهُ
 مَا وَصَفُ فَضْلِكَ يَا أَعْلَى الْوَرَى شَرَفًا
 يُمْكِنُ فَيُطِيلُ الْقَوْلَ وَاضِعُهُ
 وَكَيْفَ يُدْرِكُ أَوْصَافًا وَقَدْ فَتَرَعْتَ
 مَرَقَى الْعُقُولِ وَإِنْ جَلَّتْ فَوَارِعُهُ ١؟
 يَا صَفْوَةَ اللَّهِ وَالِدَاعِي بِرَحْمَتِهِ
 إِلَى النَّجَاةِ بَمَا سُدَّتْ شَرَائِعُهُ
 دُعَاءَ مُحْتَقِبٍ ذَنْبًا أَضْيِقَ بِهِ
 ذَرَعًا فَأَمَّا حِمَاكَ الرَّحْبِ مَا نِعُهُ
 45 لَوْلَا تَمَسُّكُهُ قَدَمًا بِحِمَاكَ مَا
 إِنْ كَادَ يَطْمَعُ فِي الْغُفْرَانِ طَابِعُهُ
 حُبُّ إِلَيْكَ - رَسُولَ اللَّهِ - أَخْلَصَتْهُ
 قَلْبُ تَقَلُّبُهُ شَوْقًا نَوَازِعُهُ
 كَنْ شَافِعًا لِي أَسْعَدُهُ بِالْمَقَازِ غَدَاً
 فَمَا السَّعِيدُ سِوَى مَنْ أَنْتَ شَافِعُهُ
 يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ يَا أَعْلَى الْأَنَامِ عُلَاً
 يَا خَيْرَ مُنْتَجِعٍ تُرْجَى نَوَاجِعُهُ
 أَعْلَلُّ النَّفْسَ تَعْلِيلًا بِقُرْبِكَ لَ

... كُنْتِي أَرَى الْقُرْبَ قَدْ سُدَّتْ ذَرَائِعُهُ !

50 ولي على الدهر ديتن لشم تترك ل ...

... يكن التقاضي تكويه موانيعه

ما كنت آمله لولا الخليفة لا
زاله تؤمل للحسن صنائعه

إمام عدل وإحسان سميت شرفاً
فروعته وزكته طيباً منابيعه

من عضبية أثلوا المجد التليد علأ
ودوا الكفر فاستخزت بواقعه (١)

يا آل يعقوب أعلى الله ملككم
فهو الملاذ الذي ترجى مفازيه

55 ما آل يعقوب إلا مرقى شرف
سامى النجوم ففات النجم فارعه

بنى له المجد عبد الحق متمنياً
وجاء يعقوب للغايات تابعه

[٨٩ / ب]

ويوسف ثم عثمان وتجلها
علي معلي منار المجد رافعه

وفارس البأس والإنعام من علمت
به الملوكة ، مذل الشرك قامعه

(١) الباقعة : الرجل الداهية ، والذكي العارف .

مؤيدُ الأمرِ لم تُعجمْ صواهِلهُ
يومَ النَّزالِ ولم تكهَمْ قواطِعُه (١)

60 ليثُ الحُرُوبِ إذا ماجتْ كتائبُها
غيثُ الجُندوبِ وقد راعتْ طلائِعُه
سَلَّ كلُّ قَطْرِ بما وقى نَداهُ به
إذ أخلفَ القَطْرُ واغبرتْ مواقِعُه
والبَدْوَ والحَضْرَ كم أَحْيَيْتْ مواهِبُه
والطَّيْرَ والوحشَ كم أردتْ وقائِعُه
غَمْرُ النَّوَالِ عَطُوفٌ مُحْسِنٌ جَبِيلَتُ
على المَسْكارِ والرَّحْمَى طبائِعُه
ما زاده اللهُ منْ عِزِّ لِعِزَّتِيهِ
إلا و زادَ لهُ فيهِ تَواضِعُه

65 أبا عِنانِ لكَّ الخِيراتُ من مَلِكِ
عاصِيهِ قدْ خابَ لِمَا فازَ طائِعُه
أَعْلَسَيْتِ دِينَ الهُدَى لازلَتِ مُعْتَلِيَا
فَعَزَّ أَهْلُوه (٢) واستخذي مُباصِعُه (٣)
ومُجْتَمِدِ أَنْتَ مُعْنِيهِ (٤) وجابِرُه
ومُعْتَدِ أَنْتَ مُقْصِيهِ وِرادِعُه

(١) سيف كهام : كليل .
(٢) في « م » أهله ، والمثبت من « ط » .
(٣) ماصعوا : قاتلوا وجالدوا .
(٤) عبا المتاع : هياه ، والجيش : جهزه .

وجنح ليل تجلتي عنك فاجمهُ
 وأنت قائمه برأ وراكمه
 وموسم جل قدراً باعتناك به
 راقته لياليه وازدانت سوابغه
 70 يذكر الخلد ، نال الخلد منزلة
 مقيمته يبتغي الزلفى ، ورافعه
 تمت بيسعدك فيه كل مجبة
 وانقاد كل بديع الحسنى رائعه
 وآلة للمواقيت استقل بها
 صنع تفوت النهى لطفاً صنائعه
 أبياتها عد أبراج السماء ولا
 قسطب ولا فلک تندري مواضعه !
 يجري الهلال عليها جريتها أبداً
 على المنازل صنع فاق بارعه
 75 وفي البيوت جوار كل واحد
 منهن خصت ببيقات تطالعه
 حتى إذا جدت إسراعاً لوجهته
 وحس منه فراق حان واقعه
 وأذن الطير من أعلى مراقبه
 بينه معرباً عن ذاك قارعه

[٩٠ / أ]

ثارت هائلك توديعاً له ودرت
 إلى الفناء على ذعر تشايعه

وفي اليمين كتابٌ باسم موقتها
إلى الإمام وقد أومت تبأببمه
80 وشامخ المرتقى آوى لأفرخه
بالوكر وهو أمين السرب وادعه
أتيح عمداً له مستشنع سبب
رحب القندال صقيل الطرف لامعه
أحوى الأديم يجاري دونما قدم
هوج الرياح، حديد التاب قاطعه
جم التقلب لم تؤمن غوائله
غدرأ، وتُحذر من ختل خدائعه
يسعى له الحين بعد الحين يرزوه
ثُكلاً فيصفر خوفاً أو يقارعه
85 كذلك الليل لا ينفك مختلفاً
إليه وهو عن الأفراخ دافعه
ومثله لأخيه ينتحيه ومثا
إن منبها ليله إلا مقارعه
كأتما الصل أمسى ممسكاً فإذا
ما ساعة ذهبته ثارت مطالعه
وظننها آخر الساعات قد أذنت
بفطره فسما للفرخ لاسعه

رياضُ حُسنٍ بندا لولا سُعودك لم
تُسْتَجَلْ يا مالكَ الدنيا بدائِعُهُ
90 في ليلةِ آنستُ مرأى ومُسْتَمِعاً
لا شتاً من شملها بالأنسِ جامِعُهُ
نودٌ فيها - وإن لم نعطَ ذلكَ - أن
لو عرَّسَ اللَّيْلُ أو مُدَّتْ هوازِهُه^(١)
قد حجبَ السَّجفَ عننا مُشبهُها وبدتْ
كواكبُ الشَّمعِ إذ صُفَّتْ مشامِعُهُ
ولم يكنْ يا أميرَ المؤمنينَ بيها
إلا مُحَيَّاتِكَ من بَدْرِ نُطالِعُهُ
بقيتَ للدينِ والدُّنيا تَزِينُها
والملكِ ما صَدَعِ الإِظلامَ صادِعُهُ
95 وهاكِها من خبايا الدَّهرِ قافيةً
تزهى على الدَّرِ قد^(٢) صُفَّتْ رِصائِعُهُ
أهداكِها فائقُ الإبداعِ باسمِكَ ما
رَقَّتْ مبادِيه أو رَقَّتْ مِقاطِعُهُ
وقد تَعَمَّدَ فيها وصفَ مُعجِبَةٍ
أجادَ في صُنعِها لا شكَّ صانِعُهُ
لم يَنْبَغِ البَتَمُضَ مِنْها عن مُشاهدةٍ
لكنْ بيها هو في الأَخبارِ سامِعُهُ

(١) الهزيع من الليل : الطائفة منه أو نحو ثلثه أو ربه .

(٢) « قد » ساقطة من « م » .

[٩٠ / ب]

فإن أصابَ فذاك اليُمنُ سدّدهُ

قديماً وإن لم يُصبِ فالحليمُ واسمهُ

100 يتلى بجمدك من أمداحيه كلمٌ

يبلى الزمانُ ولا تبلى وشائعهُ

لو مرَّ ابن خميسٍ وفده لدري

بأنَّ ثمَّ خميساً لا يُهاصِعهُ

قضى له الدهر تأخيراً ولا عجبٌ

تأخرُ الشمسُ عن فجرٍ تُتَابِعهُ |

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدحه ، ويصف قتل الأسد بين يديه

بقصره ، والثور المقاتل للأسد ، والأكرة (١) ، والمخاتل ، وغير ذلك مما يلعب به مع الأسد :

أسرى فهبَّحَ لاعيحَ البرحامِ

برقُ أضاءَ له مِنَ الجرِّعاءِ

أهدى - وقد نامَ الخليلُ عن الحمى -

خبراً وطارَ بطارقِ الإغفاءِ

وحكى بهِ أنَ الثغورَ بواسيمِ

وضاحةُ والبيضُ ذاتُ مضاءِ

هرقَ الوميضُ وإنَّ في كَنَفِ الحمى

لشبيبةُ بالجَوْنَةِ الغراءِ

(١) « الأكرة » ساقطة من « ط » .

- 5 تَجَلُّوْا عَنِ الْبَدْرِ اللَّثَامِ وَإِنَّمَا
تَفْتَرُهُ عَنِ بَدْرِ وَعَنْ صَهْبَاءِ
عَبَثَ الصَّبَا بِقَوَامِهَا عَبَثَ الصَّبَا
بِالْغُصْنِ [عُلٌّ] (١) بِوَاكَرَ الْأَنْشَادِ
زَارَتْ وَجُئِحَ اللَّيْلِ مُعْتَبِكْرٌ وَمِنْ
دُونِ الزِّيَارَةِ مُلْتَقَى الْأَعْدَاءِ
وَالزُّهُرُ كَالْأَزْهَارِ إِلَّا أَنَّهُا
نَشِرَتْ خِلَالَ بَنَفْسِجِ الظُّلْمَاءِ !
وَالْبَدْرُ يَسْبَحُ فِي الْغَمَامِ كَأَنَّهُ
مِرَاةٌ هِنْدِيَّةٌ وَسَطَ لِحَّةِ مَاءِ
10 ضَاعَتْ بِسَهْمِ حَلِيئِهَا شَبَّ الدُّجَا
وَأَتَتْكَ تَمْشِي مَشِيَّةَ الْخَيْلَاءِ
أَنْتَى أَمَنْتَ - هُنْدِيَّةٌ - غَائِلَةَ السُّرَى
وَالْوَأَشِيئِينَ : تَأْرُجِ وَضِيَاءِ
لَمْ تَرْهِي الْأَسَادَ غَلْبًا ، وَالظُّبَا
قُضْبًا ، وَجُبْتَ مَضْلَمَةَ الْبَيْدَاءِ !
قَالَتْ : أَمَا أَحْيَيْتُ مِنْكَ مُسْتَيْمًا؟
أَنْتَى أَضِلُّ ، وَدِنْتُ بِالْإِحْيَاءِ ؟
أَيُّرَى ضَلَالٌ وَالْخَلِيفَةُ فَارِسٌ
فِي الْأَرْضِ أَنْ يُلْفَى عَلَى الْغَبْرَاءِ ؟

(١) فِي الْأَصْلِينَ «عُلٌّ» وَنَرَجَحُ مَا أَثْبَتَ .

15 يَمُتْ عُلْيَاهُ فَمَا مِنْ مُنْدَرٍ
أَخْشَى وَلَمَّا أُرْجُ مَاءَ سَمَاءِ

[٩٩ / أ]

صَرَافٌ عَادِيَةٌ ، مُزْرِجٌ ضَلَالَةٍ
فَرَاجٌ دَاهِيَةٌ ، عَظِيمٌ عَنَاءِ
تَجَلَّوْا الْأَسِيرَةَ مِنْهُ بَدْرَ مَكَارِمِ
وَيُفِيضُ مِنْهُ الْجُودُ بَحْرَ عَطَاءِ
وَتَهَيَّجُ مِنْهُ الْحَرْبُ لَيْثَ مَلَا حِمِ
وَيُيَقِرُّ مِنْهُ الْحَيْلُ طُودَ عِلَامِ
هَلَا سَأَلْتَ بِهِ الْغَيْوُثَ فَإِنَّهُ
مَمَّا اسْتَهَلَّتْ فَاضِحُ الْأَنْوَاءِ

20 وَسَلِ اللَّيْثُوتَ تُجَبِّبُكَ صَدَقًا؛ إِنَّهَا
أَدْرَى بِفَتَكَةِ عَضْبِهِ الْمَضَاءِ !
لِلَّهِ يَوْمٌ فِي حِمَاهُ مُفَضِّضٌ الـ ...
... إِصْبَاحٍ مِنْهُ ، مَذْهَبُ الْإِمْسَاءِ

رَتَعَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ بَيْنَ عَجَائِبِ
رَقَّتْ فِرَاقَتِ كُلِّ طَرْفٍ رَاءِ
وَأَجَشَّ مُنْهَرَّتِ اللَّسَانُ نَهْدَ الطَّلَا
عَبَّلَ الْجَزَالَهَ حَكْمَ الْأَنْسَاءِ
طَاوِي الْحَشَا ، رَحْبِ الْمَقْدَمِ ، عَابِسِ
مُتَطَلِّعٍ عَنِ جُنْدَوَاتِي ظَلَمَاءِ

25 بَلِّ كُوكِبِينَ تَقَارَنَا بِجَبِينِهِ
لِحِدُوثِ مَا نَبَأَ مِنَ الْأَنْبَاءِ !

وأرى الأهلّةَ في البُدورِ وإنّا
يَعْتَدُّهَا لِلأزْمَةِ الدَّهْماءِ
يفترهُ لا لِيَتَبَسَّمُ يَعْتَادُهُ
ويُعَانِقُ الأقرانَ لا لإخاءِ
قد طالما سَهَرَتِ مخافَةٌ بأسهِ
دون الحلالِ طلائعُ الأحياءِ
قذفتُ بهِ الأقدارُ بينِ مُخاقلِ
ومُكابِدِ ومُناجِزِ ومُناهِ
30 رَفَعُوا لِمَوْقَتِ حَتْفِهِ كَرَّةً فَلَمْ
تُبْرزْ لَهُ إِلا طَوِيلَ شَقَاءِ !
جاؤُوا بِهَا شَمْسًا تَمِمْ بِبَيْتِهَا
منهُ ، وَإِنّ اللّيثُ (١) بَيْتِ ذَكَاءِ
عَجِبًا لَهَا جازتُ إِليه النُّورُ لم
تَجْنَحِ إِلى السُّرطانِ والجوزاءِ !
ومُعَدَّدُوا الشُّبُكاتِ بَعْدَ تَرْدِيدِ
حَكَمُوا عَلَيْهِ بِشَدَّةٍ ورِخاءِ
ألقوهُ في التَّابوتِ ثم تَعَمَّدُوا
إرسالتهُ ؛ أَبْقَوْهُ لا لِبَقَاءِ !
35 لَكِنْ أربابَ الصَّفائحِ صَمَّمُوا
فَقَضَوْا بِبِداهِيةِ لَهُ دَهِياءِ
هذا وقد طَلَعَتْ بوشكِ حَمامِهِ
شُهْبُ الأَسِنَّةِ ، جَمَّةِ الأضواءِ

(١) في « م » الليث . والمثبت من « ط » .

[٩١ / ب]

يا نصبةً حكمت° على ليث الشرى
 قَسْرًا بِقَضِ الْمَتَنِ وَالْأَحْشَاءِ
 لو لَاحَظْتَهُ عُنَايَةُ الْقَمَرِ الَّذِي
 فِي الْبُرْجِ (١) أَمَّنَ طَارِقَ الْأَرْزَاءِ
 ... (٢) لَمَّا قَضَى إِسْلَامَهُ
 لِلشَّمْرِ وَالْحَسْطِيَّةِ السَّمْرَاءِ
 40 وَالْحَارِثُ الْفَتَاكُ بِالْأَسَدِ الَّذِي
 لَمْ يُبْقِ إِشْفَاقًا عَلَى الْآبَاءِ
 طَلَعَتْ بِمُفْرَقِهِ الْأَهْلَةَ إِنَّهَا
 أَبْدَأَ لَهَا مِنْهُ مَعْلٌ ذَوَامِ
 يَا لَيْثَ [لَا تَأْمَنُ] (٣) خْتَلَا إِنَّهُ
 لِيَكْرَهُ بَعْدَ تَحْيِيزِ وَثْنَاءِ
 لَا يُطْمَعِ عَنَّاكَ إِنْ أَجَدَّ مُنْكَبًا
 لَمَّا دَلَفَتْ لَهُ حَنِثَ عِدَاءِ
 مَا ذَاكَ إِلَّا لَوْ عَلِمْتَ تَأْتِسْمَا
 مِنْ قَطْعِ أَرْحَامِ وَسَفْكِ دِمَائِ !
 45 وَوَسَلِ الْجَوَامِيسَ الْبَهِيمَ أَدِيمُهَا
 تُشْجِرُكَ فِيهِ لَهْ مِنْ الشَّهْدَاءِ !

(١) في الأصلين البروج ، ونرجح ما أثبت ، للوزن .

(٢) في « م » والحار قضي . وفي « ط » فالحار قضي . وأظن الناسخ الاول أخطأ بنقله عين فكتب جزءاً من كلمة الحارث في البيت التالي ، وتابع ، فاضطرب الشطر .

(٣) فيها : لآتمه ، ونرجح ما أثبت .

فلقد شهدنا أخاكَ لِمَا أُمَّهُ
 كالسهم قاسمه مدى المثناءِ
 أنحى عليه بصدمته ثورية
 تركت أسامةً واهيَ الأنحاءِ
 وبطعنةٍ نجلاءَ أنهر فتقها
 تحت الأديم عريضة جوفاءِ
 شككت فريصته [فوائتي] (١) ناجياً
 يبغي النجاة ولا حين نجاءٍ !
 50 ثم استكان يُرددُ الزفراتِ عن
 وهنٍ وتلك شكاية الضعفاءِ
 حتى أته العين عائدةً وما
 إن كنّ قبل له من السجّراءِ (٢)
 رحمته - وهي عاداته - والحادثِ
 متفامٍ ما رحمة الأعداءِ !
 فاحذرْ لمصرعِ تربكِ الماضي ولن
 يثني الحذارُ مقدراً بقتضاءِ
 يا ليثُ سامتك (٣) الهوان بنو الوغى
 فاصبرِ لِمَا سامت بنو الهيجاءِ

(١) لم يترك الناسخ فيها فراغاً . وما بين معقوفتين مقترح .

(٢) السجّراء جمع السجبر : الخليل والصفي . (٣) فيها : شامتك ونرجح ما أثبت .

55 تلك الأسنّة والقنا أتحالها

أزهار قُضِبِ السَّرْحَةِ الغَيْنَاءِ (١)

والبيضُ لامعة وما هي - فأتئدُ -

يجداول العريس (٢) ذي الأفياءِ

ومصارعُ الأسدِ ليست هذه

بمصارع الإدلاجِ والإسراءِ !

[٩٢ / أ]

دارُ الخلافةِ يمتّ ساحتها

صيدُ الملوكِ حيفةٍ ورجاءِ

راقتُ مراقي برجمها بخليفة

لم يعنُدْ هدي أئمةِ الخلفاءِ

60 متهلّلتُ غمرُ النّوالِ مظاهره

في بُردتينِ : جلالةٍ وبهاءِ

ترتاده الدنيا فيرجعُ أهلها

من غير سوءٍ باليدِ البيضاءِ !

رحبُ المجالِ مُناضيلاً ومناظيراً

ثبّتُ اللقائمِ مسدّدِ الإلقاءِ

حَمَلِ الوري رُشداً وقد ضلّوا على

نَهَجِ الهدى ومحنةِ السّمحاءِ

لا تُشكرِ الإرشادَ منه إنّه

لأبو المعالي ، جَهْبَذُ العلماءِ

(١) الغيناء : الخضراء من الشجر .

(٢) العريس : مأرى الأسد .

- 65 يا فارسَ الهَيَجاءِ دُمْتَ حِكْمَةً
ومكارمٍ وبسالةٍ وسخاءِ
دوختَ أرضَ الرُّومِ منتَقِماً على
شحطِ المزارِ ومنعةِ الأرجاءِ
وبعثتَها غربانَ رَجْرَجٍ لم تَطُرْ
لهمُ بغيرِ كَثِيبَةٍ شِنَعاءِ !
لما بدتْ وبَنُو الوغَى من فوقها
والسُّمُرُ نازعةٌ إلى الهَيَجاءِ
قالوا الرُّبَا والأسدُ في آجامِها
تختاضُ عرضَ اللاتِجةِ الخَضراءِ
70 جاسوا خلالَ ديارِهِمُ فكأنَّها
لم تَعْنِ بعدَ مَزارِهِمُ وغِناءِ
ونواقسٍ تَهدي الضُّلالَ سَمِيعَةً
وكنائسٍ وجآذِرٍ وظِياءِ !
أما بلادَ الشَّرْقِ نالتْ رُشدَها
بِوَسيلَتينِ : إنايَةٍ ووَقامِ
أَلقتْ بِمَقَلدِها إِلَيْكَ ولم تَزَلْ
من قَبْلِ ذاتِ تَمَعٍ وإِباءِ
والعربُ تَجهدُ في رِضاكَ وإِثْمًا
أخذوا بِحَظِّهِمُ مِن العَمَلِباءِ
75 أنتَ الكِرامُ ، وعصرُ مُلْكِكَ دَهْرُهُمُ
والأرضُ - أجمع - حَضرةٌ (١) البِيضاءِ !

(١) البيضاء حاضرة الملك المريني من فاس .

ولك الخطابُ الفصلُ والفضلُ الذي
لم يَخْتَلَفْ فِيهِ ذَوُو الْأَرْاءِ
ولك القضاءُ العدلُ سَدَدُهُ (١) الذي
ولاك إذْ أَوْلَاكَ كُلَّ عِلَاءِ
لازِلَتْ تَكَلَّأُ أُمَّةً جَبَّارُهَا
يَكْلُوكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ (٢)

[٩٢/ب]

وبقيت للإسلام ما جرَّ الدُّجَا
لِمَلَأَةِ الْإِصْبَاحِ فَضْلَ رِداءِ
80 واهذناً بعيدِ النَّحْرِ حَلَّتْ جِيدَهُ

سِلْكَ فَتُوحِ وَأَقْتَبَالِ سَنَاءِ
وَاليَكْتَا عَنْدَرَاءَ تُزْهِى نَخْوَةَ
بِحُلَى مَحَاسِنِهَا عَلَى الْعَنْدَرَاءِ

أَسْدِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَا يَمُنُّ وَلَمْ
تُنْسَبْ بِجَاوِرَةٍ إِلَى الْأَذْوَاءِ !
أَحْكَمْتُهَا صُنْعاً فَقَالَ رَوَاتُهَا :

عَجَباً أَهَذَا الْوَشْيُ مِنْ صَنَمَاءِ ؟ !
طَالَتْ وَأَحْشَمَهَا الْقُصُورَ فَأَقْبَلَتْ
مِنْ خَجَلَةٍ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءِ

85 إِنْ لَمْ أَقْلِدْهَا عُلَاكَ فَرَأَيْتُهَا
كَالشَّهْبِ بَعْدَ سَنَاءِ وَحُسْنِ رِوَاءِ

(١) فيها : سدد ، والمثبت مقترح . (٢) حركة همزة يكلوك مختلفة .

وأجبل في ميدانٍ شُكرَكَ عُرْبَهَا
 غُرّاً فَلَمَسْتُ بِشَاكِرِ الذَّمِّاءِ
 فضحَّتْ يمينُكَ كَلٌّ جُودٍ وَاثِلِ
 وَتَنَائِي عَرَفَ الرُّوضَةَ الغَنَاءِ

وعلى هذه القصيدة حكاية : وهي أن صاحبنا أبا العباس لما رفعها لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ، وافق المجلس أن الشريف أبا عبدالله محمد بن القاسم الحسيني العراقي رفع للمتوكل أبي عنان قصيدة مثلها في الوزن والقافية . فلما قرئت قال شيخ بني مرين وهو الحاج أبو مهدي عيسى بن الحسن بن علي بن يحيى بن مندبل بن أبي الطلاق العسكري لأبي عنان المتوكل : يا أمير المؤمنين ! إن قصيدة الشريف أحسن من قصيدة ذلك الحضري ! يعني صاحبنا أبا العباس بن عبد المنان . فقال له أبو عنان المتوكل على الله : « ليس الأمر على ما ذكرت ، اسكت ، فإنك غير عارف بالشعر ! إن قصيدة أحمد أبداع من قصيدة الشريف ! » وصاحبنا أبو العباس لهذا كلفه قائم بين يدي أبي عنان المتوكل يسمع ما قال السلطان ، وما قال الشيخ أبو مهدي ، فحقدتها للشيخ أبي مهدي . فلما قام الشيخ أبو مهدي يجبل [٩٣ / أ] الفتح من الأندلس على أبي عنان (١) ، وقبض عليه ، وسبق للمتوكل

(١) كان انتقاض أبي مهدي عيسى بن الحسين بن أبي الطلاق على أبي عنان المريني سنة ست وخمسين وسبع مئة . ووصفه السلاوي بأنه كان وزير أبي عنان وصاحب شوره ، وأنه من شيوخ بني مرين ووجودها . وكان انتقاضه يجبل طارق (وهو جبل الفتح المذكور، سماه بذلك المودون بعد إزالتهم المرابطين ودخولهم الأندلس) . قال : وهو انتقض على السلطان لأسباب يطول شرحها . وقد انتهى أمر الثائر إلى سجن أبي عنان ثم قتله مع ابنه ، ولم يقبل منه عذراً . (الاستقصا : ٣ : ٢٠٠) .

أبي عنان سُرىً صاحبنا أبو العباس بذلك ، ونظم قصيدةً ورفعها
لأبي عنان يحرضه بها على قتله ؛ فقتله بالرماح وأنا حاضر لقتله .

والقصيدة هي هذه :

مُحِبِّكَ أَهْبَى لَا الْهَلَالُ وَلَا الْبَدْرُ

وَرِيقُكَ أَشْهَى لَا الزُّهْلَالُ وَلَا الْخُمْرُ

وَلِحْظُكَ أَذْكَى لَا الْبَوَاتِرُ تُنْتَضَى

وَعَرَفُكَ أَذْكَى لَا الْأَزَاهِرُ تَفْتَرُ

أَيَا مَالِكِ الْقَلْبِ السَّيِّ جَارَ فِي الْهَوَى

عَلَيْهِ ، تَرَفَّقْ ، رَبِّمَا وَهَنَّ الصَّبْرُ

وَيَا بَاخِلًا حَتْمَى بِطَيْفِ خِيَالِهِ

نَشْدَتُكَ : هَلْ فِي الطَّيْفِ تَبَعُهُ وَزُرُّ ؟!

5 أَعْنَدَكَ أَنْتِي مِنْذُ أَضْمَرْتَ هَجْرَةَ

هَجْرَتُ الْكُرَى سُهْدَ أَسْوَى سِنَةٍ تَعْرَوُ ؟

وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي السَّقْمُ إِلَّا صَبَابَةَ

تَرَدَّدَ فِي أَثْنَائِهَا أَنَّهُ نَزَرُ

وَهَلْ لِي إِذَا لَمْ أَفْنِ فِيكَ صَبَابَةَ

بِحَكْمِ الْهَوَى الْعَذْرِيَّ عِنْدَ الْهَوَى عَذْرُ

الْفِتْ الْهَوَى حَتَّى اسْتَهْنَتْ صِعَابَةَ

وَحَقِّي تَسَاوَى عِنْدِي (١) الْحَلْوُ وَالْمُرُّ !

(١) في نسخة « ط » عند .

- وقال وشاةُ الحبِّ سِحْرُهُ أَصَابُهُ
 فهل علموا من لَحَظِ (١) من ذلك السِّحْرُ؟
- 10 لكِ الخَيْرُ هَذَا نعتِ حَالِي جَمَلَةٌ
 وَشَرْحاً فهِلْ للعَطْفِ من بَعْدِهِ ذَكَرُ؟
 بِنَفْسِي نَشْوَانُ المَعَاظِفِ عَاطِفُ
 كعَصِينِ النِّقَا ، كَالظِّي خَامِرُهُ ذَعْرُ
 تَجُولُ صَدُورُ السَّمَرِ دُونَ لِقَائِهِ
 وَيَسْحَبُ من أَذْيَالِهِ العَسْكَرُ المَتَجِرُ (٢)
- هو الطَّبِّي إِلَّا أَنَّهُ دُوْحَتُهُ القَنَا
 هو البَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ مَطْلَعُهُ الخِدرُ
 لَهُ الوُدُّ مِنبِي وَالخُلُوصُ وَعِنْدَهُ
 تَجَنَّ كَمَا تَهْوَى المَلَاحَةُ ، أَوْ هَجْرُ
- 15 أَلَا إِنَّ إِنْعَامَ الخَلِيفَةِ فَارِسِ
 لَنَا الصَّفْوُ منْ فَيَاضِهِ وَلَهُ الشُّكْرُ
 مَلِكُ مَلُوكِ الأَرْضِ أَوْحَدُهَا الَّذِي
 بِهِ عَلَتِ العَلِيَاءُ وَاقتَحَرَ الفَخْرُ !
 غَمَامُ التَّنْدِي الهَطَّالِ والجَوْهُ أَغْبِرُ
 وَلَيْثُ العِدَا والبِيضُ قَانِيَةٌ حَمْرُ
 إِذَا مَا تَرَأَى البَدْرُ يَوْمًا ووجْهَهُ
 تَحَيَّرَتِ الأَبْصَارُ أَيُّهَا البَدْرُ !

(١) في نسخة « ط » من تحظ .

(٢) المجر : الجيش العظيم .

[٩٣ / ب]

تأخر عَصراً في المُلوكِ وإنَّه
إذا عبَّه أَملاكُ الزَّمانِ هو الصِّدرُ
20 إمامَ الهدى شكراً على النِّعمِ التي
يَضيقُ إذا عدَّتْها العَدَّةُ والحِصرُ
لك الجُودِ تُردي المارقينَ جنودُه
بأفطارِهِمُ من قبل أن تمرحُ الشَّقَرُ (١)
وغاويَ رمى في هوَّةِ الملكِ قاذِفاً
يدَ البغيِ ، والرأيِ المضلِّلِ ، والغدرِ
أغارَ على الدِّينِ الحنيفِ يهدُّ مِن
قَواعِدِهِ ما شادَهُ القادةُ العُرُ
ملوكِ الهدى والقائمينَ بنصرِهِ
قديماً وسلُّ فالبرُّ يُنبئُ والبحرُّ
25 ورامَ مراماً دونهُ النِّجمُ سارياً
ولم يدرِ جَهلاً أَنَّهُ المُرْتقى الوَعْرُ
وهيئاتَ يَأبى اللهُ ذلكَ والعُلا
ودينُ الهدى والملِكُ والبيضُ والسَّمْرُ
جنى ثمرَ (٢) الإيمانِ بالبِغيِ واعتدى
يؤمِّلُ جهلاً أنْ يؤَيِّدَهُ الكُفْرُ !

(١) في نسخة « ط » تروح الشعر.

(٢) في الأصلين : ثمرة . ونرجح ما أثبت ، للوزن .

فيا عجباً بعد السعادة نالته
شقاءً وبعد الرّيحِ حُمٌّ لهُ خسِرُ
سعى راشيداً شطراً [من الدهر] (١) وافراً
فلما تنهى السعيُ واكتملَ العمرُ

30 عصى الله في الشطرِ الأقلِّ ، سفاهةً
ألا إنه ذاك الذراعُ أو الشبرُ !

ورام غنيّ بالصفيرِ (٢) أو سدّ تخلّة
وهياتَ يُغني فقرَ ذي الخلّةِ الصفيرُ !
وأمل في أعدادهم كتّم نفسه
وإضمارها منعمًا فأخرجها الجبرُ !

لعلك - عيسى - رمت باسمك بيرهمُ
وماكلَ عيسى حظّه منهم البيرو !
دعوتهم للغدرِ لما اتخذتهُ
سبيلاً فقالوا : بدعةً أمرها أمرُ (٣)

35 فكانَ النصرارى منك أوفى (٤) بذمةٍ
وأكرمَ عهداً إنّ ذا هو الوزرُ !

(١) ورد البيت ناقصاً ، وما بين معقوفتين مقترح . وسقط البيت من « ط » بنقله عين إذ ذكر ثلاث كلمات من البيت ٢٩ ، ثم ذكر تنمة البيت ٣٠ .

(٢) يريد أنه تقوى بالنصرارى الإسبان فلم ينفعوهم . وعبر عنهم بالصفير كناية . وكان شاع هذا الاستعمال في المشرق من قبل ، ولم يكن في الأندلس ولا غزاتها صفر على الحقيقة . وفي «الصفير» التالية تورية لطيفة .

(٣) أمر إمر : منكر عجب .

(٤) في نسخة « ط » أوفى منك .

لئن رُمّت دُنْيَا أَنْتَ قَارُونَهَا الَّذِي
لَهُ الْحُرْثُ وَالْأَنْعَامُ وَالْحَيْلُ وَالتَّبَرُّ

وإن كنتَ للأخرى جَنحتَ ولم يكنْ
أَعِيدُ نَظْرًا إِنْ شئتَ ، مَا هَكَذَا الأَمْرُ

أَويتَ إِلَى تِلْكَ الرُّبَا غَيْرَ صَالِحٍ
فَأَدْرِكُ الطُّشُوفَانَ وَهُوَ الظُّبَا البُتْرُ

وَجُرْدٌ كَأَمْثَالِ الرُّوَابِي سَوَانِحُ
وَعُثْبٌ كَأَسَدِ الغَابِ يَقدِمُهَا التَّصْرُ

[٩٤ / أ]

40 وسعدُ إِمَامٌ يَخْدُمُ السِّدْهُرُ سَعْدَةٌ
وَتَجْرِي بِمَا يُؤْمِي بِهِ الأَنْجُمُ الزُّهْرُ

أَلَا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ السِّدِّيَّ اهْتَدَى
بِنُورِ هُدَاهِ البَاهِرِ البِدْوُ وَالْحَضْرُ

أَطَعْتَ مَلِيكَ الأَرْضِ رَبِّكَ فَاعْتَدَى
يُطِيعُكَ فَيَا رُمْتَ مِنْ أَمْرِكَ الدَّهْرُ

وَأَنْتَ الَّذِي جَدَدْتَ بَعْدَ دُرُوسِهَا
مَكَارِمَ قِدَمًا كَانَتْ أَخْلَقَهَا العَصْرُ

مَنْتَ فَأَوْسَعْتَ البِلَادَ رَغَائِبًا
فَفِي كُلِّ حَيٍّ «حَاتِمٌ» الجُودِ أَوْ «عَمْرُو»

45 تَدَاعَتْ لَكَ الأَمَالُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
لِغَنِّمْ وَعِلْمٍ ، ذَا جَزِيلٍ وَذَا غَمْرُ

تصد عن الأملاك دونه رغبة (١)
 ولا نجمٌ يُستهدى وقد طلمع الفجرُ
 كأني بأقطار البلادِ مُنذِها (٢)
 ومن لم يذب قد قاده الطّوعُ والقسرُ
 وأنس أَرْجاءِ تُونسٍ أمرُكَ الذي
 هوَ العدلُ يُرضي مَنْ له الخلقُ والأمرُ
 وجاشتْ بِبطحها الجيوشُ وأصبحتْ
 « تقولُ بنو العباسِ قد فُتحتْ مصرُ ! »
 50 لنعمرى لقد زينت الخلافةَ فاغتدتْ
 يقصرُ عن أوصافها النظمُ والنثرُ
 وراقتْ بكَ الدنيا جَمالاً وبهجة
 فإظلامها فرعُ وإصباحها بشرُ
 وأنجمها حليٌّ وتنجوى نسيما
 ثناءً بما تُولي وإيماضها ثغرُ
 ودونكها عذراءَ أجلوا عروسها
 عليكَ ومرجوا القبولَ له مهرُ
 لها نسبٌ في السّحرِ تعريهُ النّهي
 وإنّ قالتِ الأسماعُ : والدها الشعرُ
 55 وهنّت عيدَ النجرِ والفتحِ إنّه
 لكَ العيدُ منه ، والعيدا لهمُ النجرُ
 بقيتَ لدينِ اللهِ رِدْءاً وعصمةً
 فما غيرُ عليكَ - الزمانَ - له ذُخرُ !

وأنشدي أيضاً لنفسه يمدحه ويصف قتل الأسد بين يديه .
 وكان السلطان مولعاً بقتل الأسود ، فسيق إليه يوماً أسدٌ فقتل بين
 يديه بقصره من دار الإمارة المدينة البيضاء ، والسلطان المتوكل جالسٌ
 بأعلى علويةً بالقصر ينظر للأسد . وأنا إذ ذاك جالسٌ في ذلك
 [٩٤ / ب] الموضع أتتزه في قتل الأسد ، في جملة من حضر ذلك
 الموطن مع السلطان . ووصف فيها أيضاً أكرة الأسد وهي أكرة
 مستدارة من خشبٍ معدة ، ويدخل فيها رجلٌ يجرُّها ويمشي بها ،
 فيرى الأسد الرجل فيهمّ به ويدور بها ويضرب الأكرة بيده فلا
 يكسرهما لشدتها . ووصف فيها أيضاً شبكة صيد الأسد في الفلاة ،
 نُصبت في ذلك اليوم بالقصر ، واصطادوا بها الأسد بين يديه .
 ووصف فيها أيضاً الثور الذي كان من عادته قتل الأسود في ذلك
 الموطن . ووصف فيها أيضاً بعد فراغه من قتل الأسد التاعورة
 الكبيرة ، والنهر والروض المسمى بالمصاراة ، وهو بإزاء القصر .

وهي :

ألفَ الجوى مد بان سكتان اللوى
 صبُّ بهيجُ غرامه نَفَسُ الصبَا
 وشجاهُ أن قيل الألى قد ودعوا
 شطّ المزارُ بهم^(١) وعزّ الملتقى

(*) تحدث ابن الأحرر أيضاً في كتابه نثير فرائد الجمان عن هذا الاحتفال ، وسرد القصيدة المذكورة هنا . وقال إن الشاعر أنشده هذه القصيدة . ومعلوم أن المؤلف صنف نثير الجمان (هذا الذي تحقّقه) قبل نثير الفرائد بزمان طويل . « نثير الفرائد : ٣٥٠ » .

(١) في « طها » .

حفظَ الإلهُ عهدَهُم وسَقَامُ
صوبَ العِيَادِ ولا سَقَى يومَ النوى
ماذا أفادُوا مُصْحِرِينَ بِسُجْرَةٍ
تَنظَّمُ وتَضْحَى عَيْسُهُمُ رَأَدَ الضَّحَى
5 ولَقَدْ كَفَّتَهُمْ وَاكِفَاتُ مَدَامِعِي
لَمَّا تَبَوَّأُوا مِنِّي مِنْ أَرْضِي بِالْمُنْحَى
قَسَمًا لَمَّا رَاعُوا بِوَشْكِ نَوَامِي
روعي^(١) وقد عَبَّشُوا بِشَكْوَى مَنْ شَكَأ
إِلَّا وقد نَذَرُوا دَمَاءَ حُرْمَتِ
ظُلْمًا ، أَرَأَيْتَ الظُّلْمَ مِنْهَا وَالْمِي
وَبِهَجْتِي مِنْهُمْ مَحْجَبَةٌ حَمَتِ
قَلْبِي السُّلُوبُ وَمُقَلَّتِي طَيْبَ الْكَرَى
حَسَانَةٌ نَجْلَاءُ بَاهِرَةٌ السُّنَا
خَمُصَانَةٌ جِيدَاءُ عَاطِرَةٌ الشُّنَا
10 وقوامُهَا كَالغُصْنِ إِلَّا أَنَّهُ
يَهْتَرُ بَيْنَ الْبَدْرِ حُسْنًا وَالنَّقَا
قَالَتْ وقد ودَّعَتْهَا مَتَجَمَّلًا^(٢)
إِيهِ بِعَيْشِكَ عَنْ فُوَادِكَ^(٣) هَلْ سَلَا؟

(١) في نثر الفرائد : روعي .

(٢) تجمل : تكلف التجميل يريد أنه أظهر التجلد .

(٣) في نثر الفرائد « فوادي » .

فأجبتُها وأبيكِ لا أسلو ولا
حلّ الفؤاد هوى سيوى هذا الهوى
حقّ يُرى فقرُ بساحةِ بَلْدَةٍ
وبها الخليفةُ فارسٌ مُعْغِي الوارى !

[٩٥/أ]

ملكٌ نمتُهُ إلى المسكارمِ عصبية
كرمتُ أواصرهمُ وعزّوا مُسْتَمِي
15 ورثَ المعالي عن عليّ المجدِ عن
عثمانَ عن يعقوبَ ، أَعْلَمُ الهُدَى

متَهَلَّلُ ضاهي الغمامِ مواهيباً
ورغائباً فتونى (١) الغمامُ ومساونى
قِطْعاً حبالَ رجاكَ بمنّ دونهُ
ملكاً « فكل الصيّدِ في جوفِ القرا »

ألقِ العصا بِيحماهْ وامتطِ سابقاً
(امدحه غراً) (٢) فنعم الممتطى

وأنتِ (٣) معارفه الجليلية إنشأها
بجرّ فتراتٍ لا تكسدرُهُ الدّلا

20 والشّمسُ من أنوارِهِ والفجرُ من
بتّاره والطّودُ من ذاك الحِجَا

(١) الوفى : التعب والفترة .

(٢) في نثير الفوائد : أمداحه غرا ، والمثبت كما في الأصلين .

(٣) في « ط » و « م » و « م » و « م » ، وفي نثير الفوائد وأبا . والمثبت مقترح .

والنجمُ في ظلم الوغى من رُمحه (١)
ما ضلَّ من أثنى عليه وما غوى

غمرُ جوادٍ يُستضاءُ بهديه
وافى كما تَهوى المكارمُ والتشقى

متوكلٌ ، بحرٌ ، وليسَ يحفرِ
أفضاله ، بل زاخِرٌ جَمَّ الشهى

تتضاءلُ الأملاكُ دونَ مقامه
والشهبُ تخفى إن بدتْ شمسُ الضحى !

25 يُخشى ويُرجى عابساً أو باسمأ
وكذاك ذو البأسِ المصممِ والندى

ياغيثُ أنتَ كجوده مُتبعساً
لكنَّ خصصتَ وعمَّ أقطارَ الدنيا !

يا بسدرُ أنتَ كوجهه متهللاً
لكنَّ نَقصتَ ودامَ مكتملَ السنا !

كم من جوادٍ راجياً أولى الغنى
عفواً ولا كأبي عَينانٍ مُرتجى !

ولكم يُرى يومَ الوغى من فارسِ
وك « فارسِ » يومَ الوغى ما إن يُرى !

30 ذلتْ لبطشته الأسودُ وإنها
لستَئذِلُّ لولا عزه (٢) بطشته الطلأ

(١) في الاصلين رمح والتصريب من نثير الفرائد .

(٢) كذا في النسختين ونثير الفرائد . واقترح في نثير الفرائد أن تكون « إذعاناً لبطشته »

مشكلة للمعنى في الشطر الاول .

وضُّبَّارمِ رَحْبِ اللَّسْبَانِ تَقْلُشُهُ
 صَهْبٌ مَتِينٌ تَخْلَقُهَا ، عِبْلُ الشَّوَا
 يَفْتَرُ عَنْ نَابِ كَأَطْرَافِ الْقَيْنَا
 بِيَيْضًا (١) وَيَنْضُو مِخْلِبًا حَدَّ الشَّبَا
 فَتَكْتُ بِهِ بِالْقَصْرِ سُمْرَ رِمَاحِهِ
 بِأَكْفِ أَسَدٍ دَوَّخَتْ أَسَدَ الشَّرَى
 أَمْسَى صَرِيحًا وَالدَّمَاءُ سِتْلَافَةٌ
 أَتْرَاهُ سُكْرًا مَالًا مِنْ تِلْكَ الطَّلَا ؟

[٩٥ / ب]

35 وثنى على زاراته كَشْبِحًا وقد
 كَانَتْ يَرُدُّهَا فِرَادَى أَوْ ثُنَى
 لَكِنَّ السِّنَّةَ الْقَوَاضِبِ أَظْهَرَتْ
 مَا أَضْمَرَتْ جَنْبَاهُ مِنْ سِرِّ الْحَشَا
 وَلَقَدْ رَمَاهُ قَبْلَ مَصْرَعِهِ الرَّدَى
 مِنْ مُعْضِلَاتِ (مُكَابِدِيهِ) بِمَا رَمَى (٢)
 وَمُخَاتَلٍ فِي جَوْفِ دَائِرَةِ طَوْتُ
 أَضْلَاعِهَا مِنْهُ عَلَى شَهْمٍ فَتَى
 يَحْكِي بِهَا رَأَى بِيَيْضَةً سَلْسَبِ (٣)
 لَمْ تَنْفَرَجْ عَنْهُ فَأَنْفَذَهَا كَوَى (٤)

(١) في نثير الفرائد : أيضاً .

(٢) في الأصلين : مكابذة . والمثبت من نثير الفرائد .

(٣) الرأل : ولد النعام .

(٤) في الأصلين : فانفرد بها ، والمثبت من نثير الفرائد .

40 يَمِشِي الهُوَيْنَا وَسَطَهَا فَتَقَلَّتْهُ
 عَدَوًا وَمَا إِنْ تَشْتَكِي أَلْمَ الْوَجِي
 حَسْبَ الْعَضْنَفْرِ مَرْتَقَاهَا كَعَبَةٍ
 قَدْنَا يَطِيلُ بِهَا الطَّوْفَ وَقَدْ سَمَى
 وَلرَبَّمَا أَلْقَى عَلَيْهَا لَامِسًا
 بِأَكْفِهِ وَسَمًا وَقَبَّلَ إِذْ سَمَا
 لَكِنَّهُ خَبِثَتْ سَرَائِرُهُ فَلَمْ
 يُحْمَدَ عَلَى الْإِلْمَامِ مِنْهُ بِهَا الْجَزَا
 عَجَبًا لَهُ وَجَلَّاشِ طِفْلِ لَمْ يَهَبْ
 أَسَدُ الشَّرَى ، وَقَدْ اسْتَشَاطَ وَقَرَّدَا
 45 هَذَا وَلَمْ يَبْصُرْ هُنَاكَ بِلَجَا
 وَاقٍ وَقَدْ تَرَكَوهُ مُنْفَرِدًا سُدَى
 قَدْ كَانَ طَلٌّ دَمٌ لَهُ لَمَّا رَنَا
 أَسَدُ الْعَرِينِ لَهُ غَضُوبًا وَارْتَسَى
 لَوْ لَمْ تَنْقَمْ بِالنَّارِ مِنْهُ أَسَاوِدُ
 كَانَتْ هُنَالِكَ كَامِنَاتٌ لَا تُرَى
 مِنْهُنَّ فَاغِيرَةٌ لَهُ أَفْوَاهَهَا
 بِأَكْفٍ كَرَكِبَةٍ وَمِنْهَا مَا التَّتَوَى
 وَمَدْبَرٌ (١) الرُّوقِينَ أَصْفَرُ فَاقِعٌ
 رَاقٍ التَّنَوَاطَرَ نَظْرَةً لَمَّا بَدَا

(١) كذا في الأصلين : وفي نثر الفرائد « مدرب » أي مدبب القرنين .

50 ما زال يدعو للنتزالِ أسامةً
ولقد أشارَ بظِلْفِه (١) لما دعَا
ولقد أراه مكانَ مَصْرَعِه وقد
أدمى بساحِ القَصْرِ ينكتُ في الثرى
ولقد أطالَ وقوفَه مُستقبِلاً
حذرَ الهزيرِ مُبارزاً حقَّ انبرى
وعدا لِهْ والظنُّ يَقْضِي أن يرى
وقد اعتلاه (٢) فكانَ عكساً ما قضى!

جالتْ عليه صدمةٌ من حارثِ
تُنْسِيكَ صدمةَ حارثِ يومِ الوغى
55 أعجبُ بها من صدمةٍ قد عفرتْ
لبدِّ الهيزيرِ وأوهنتْ منه القموى

[١ / ٩٦]

لا تَلْحُ رَوْقِ الثَّورِ إنْ أبصرتَه
عن جانبِ اللَّيْثِ الطَّعِينِ وقد نَبَا
ماكلٌ دونَ كلاهٍ لكنْ ساعةً
بقيتْ لهُ ولكلِّ عمرٍ مُستَهى
فدَعَتْهُ في دَعَاٍ إلى أمثالِها
ولتَعْذِرْنَ اللَّيْثَ يا ملكَ الهُدَى
أعدى فريستَه عليه قولُك « ابئ
-قَ » لذا وقولك للفضنفر « لا لعنا »

(١) في نثير الفرائد : بلفظه .

(٢) في الأصلين : وقد اعتلى ، والمثبت من نثير الفرائد .

60 عاجلت ذا هلكاً فلم يعجزه وقد
أبقيت ذا ممتاً فجاءت به المنى
إنّ الإله قضى بأن يجري القضا
طوعاً كما شاء المستطيع المرتضى
وعلاكم ما حارث بمقاوم
لأبيه لولا أن أردت به الردى
ولقد رأت منه الميون عجيبه
راقته وقد أبلى التواظر والنهي
فأبجته جنات المصاره خالداً
فيها فبالجنات يجزى ذو البلا
65 أحسن بها من روضة غناء قد
غنتي الحمام بها طروباً أو شدا
حاكت لها الأنواء مطرف سندس
أرج وشاه يد الربيع بما وشى !
ويجانب « البيضاء » منها مرتقى
جبارة الأرجاء سامية الذرا
كرحى الصياقل ما سعت لتنديرها
رجل ولا نسبت لأمهاء المدى (١)
أترى حسام النهر جلل منته
صدأ فما تنفك تجلوه جلا ؟

(١) أمهاتج مهو : السيف الرقيق . وفي نثير الفرائد : لإمهاء المدى (بكسر الهمزة) من أمهي الحديدية : أحدها وشحذها .

70 ناعورة* لا بل أبثك إنته
وغدت تكتنفه البروج* وقد رقا

فلك* مضى في الروض ما حكمت به

أدواره والقطب منه وما اقتضى

فقتضى برفع الماء إلا أنته

قد خفض الأدواح عيشاً والرهبان

حسن بديع في جمى ملك له

حسن الزمان ، وقام في أبي حلا

يا أيها الملك الذي أضحي به

دين الإله قيرير عين والعلا

75 هيمات لا يجدي عدوك جدته

يأبى وحقك ذاك جدك والقضا

وعلاك لو نواك أجدل كاسير

لتخطفت أشلاءه كسدر القطا !

[٩٦ / ب]

إن الذي لما تزل متوكلاً

قيداً عليه لكافل لك بالمنى

الله أولاك السعادة فليفض (١)

كمداً حسودكها ويأبى من أبى !

أغرق بطوفان الكتائب عصبه

عادت بمقتصم الجبال من العدا

(١) فاض فيضاً وفيوضاً : مات .

80 اشف (١) صدور السمّ واردةً دماً
 تلك الصدور وسمّ هواناً من عتا
 انهد لأرض الروم وارم غواتهم
 بالشهب من أطراف ميّاد القنا
 فكانتني ببلادهم وأبجت ما
 لم يلف للإسلام منها لليلا
 وسيت بيض ظباهم قسراً على
 حكم الظبّا وتفرقت أيدي سبا (٢)
 واستشرفتمك لمرتجى إنقادها
 أعلام ذات النهر حصّ والقرى (٣)

85 قسماً لئن نسأ المهيمن لي مسدى
 حتى تحل بأفقيها بدرأ بدا
 لتسوتعتني من مريع (٤) جنابها
 ما بزّ آبائي بها فيما مضى
 وإيكها دُرراً فإني مُنتق
 ما راق منها للنظام وما غلا
 مقصورةً بخيام فكري أعرضت
 عمّن سواك وأممتك على حيا

(١) رسمها في الأصلين ونثر الفرائد : اشفي .

(٢) كفى بالظباء عن بنات الأعداء المهزومين السبايا والظبا ج ظبة وهي حد السيف .

(٣) حصّ (الأندلس) هي مدينة إسبيلية . وكانت على أيام المرينين قاعدة مكة فشتالة
 بعد طليطلة .

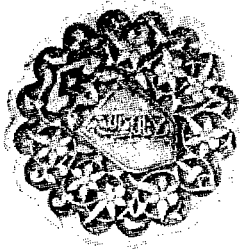
(٤) في نثر الفرائد : بديع .

حسناً هوى كل عضو لو غدا
أذناً وقد تلميت تهميح لمن تلا

90 تشني عليك علاً بأطيب نكهة
مما به أثنى الرياض على الحيا

لا زلت والأقدارُ جاريةٌ بما
تَهواه ماكرٌ الصبّاحُ على الدجى

وبلغت ما تَرَجوه من أمل على
عَجَلٍ ودام لك السعادة والبقا





الباب الحادي عشر

فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهاها

الفقيه القاضي الخطيب محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي (*)
يكنى أبا عبد الله وأدركته ، ورأيتـه ، ويعرف بابن عبد الرزاق
وبابن الحاج [٩٧ / أ] وهو من أهل فاس . وكان أبوه علي بن
عبد الرزاق فقيهاً متفناً محدثاً حافظاً صالحاً . وله رحلة إلى المشرق قضى
فيها فريضة الحج وأخذ عن علماء المشرق . وأبو عبد الله هذا ولي قضاء
الجماعة بفاس في دولة أمير المسلمين أبي الحسن ، وقدم للخطابة بجامع
القرويين في فاس - رحمه الله - .

(*) من شيوخ ابن خلدون ، ترجم له في « التعريف » ص ٦٥ ، وترجم له أحمد بابا في نيل
الابتهاج ٢٤٩ ، والمقري في نفع الطيب ٥ : ٢٤١ ، والكتاني في سلوة الانفاس ٢ : ٢٧٦
نشأ أبو عبد الله محمد الجزولي بفاس ، وتلقى فيها علومه ، ثم ارتحل إلى تونس وأخذ عن طبقة
شيوخها وروى عن علمائها . وعينه أبو الحسن المريني على قضاء فاس ، واستمر على
خدمته في القضاء حتى عزله أبو عنان المريني بالفقيه أبي عبد الله المقرئ . واكن أبا عنان
جمع مشيخة العلم في مجلسه للاستفادة منهم ، وكان فيهم الجزولي فأخذ عنه الحديث وقرأ
عليه القرآن الكريم . وتوفي الجزولي أواخر مدة أبي عنان ، سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .
ونقل في نيل الابتهاج عن أحد المؤرخين قوله في الجزولي « كان فقيهاً ، قاضياً ، معمرأ ،
راوية من الفضلاء » . وترجم له أيضاً ابن القاضي في جذوة الاقتباس ٣٩ .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان من أولى المعرفة بالحديث ، بصيراً بالقديم من القريض والحديث .
وأماً الإنشاء ، فكان يصوغ منه ما يشاء . وهو أمير حلبيته ، ورئيس
طلبيته !

فمن قوله هذه الأبيات والرسالة جاوب بها بعض أصحابه من
الفقهاء والأعلام :

أما ومعان قد نظمت مُقَصِّراً
فأطلعتها غرّاء في أفق الفكرِ
وأودعتها من حلّ سحرِكْ نَفْثَةً
أحالتْ إلى التحليل غائلة الشُّكْرِ
لقد نسمتْ من روضِ عِلْمِكَ نَفْحَةً
تناستْ بها الألبابُ عاطرة الشُّعْرِ (١)
وأهديتَ لي بِكراً تكاملَ حُسْنِهَا
فأكرمُ بها حسناءَ عاليةَ القَدْرِ
لها غزلٌ ينسي اللبيبَ وقارَهُ
لها زَجَلٌ بالحمدِ يُغني عن الشُّكْرِ
تُحْيِي فَتُحْيِي مِينَ هَوَى النَّفْسِ دائِراً
يُجِدُّ لِي عَهْداً بما ضَلَّ عن فِكْرِي

(١) ساحل البحر بين عمان وعدن . وفي الروض المعطار : والشحر مدينة كبيرة وليس بها
زرع ولا زرع ، ويكون بها العنبر .

سيدي! شرح الله له بالمعارف صدرأ ، ووضع عنده من ملاحظة الأعيان
إصرأ، ورفع له في مقامات العلماء العاملين ذكراً، وهبه على مكابدة إبراز الموجب
عليه في ذلك أجراً. مازلت أرتقب صبح وصاله أن يتنفس ولا يتعوص،
وآمل لحظة من إقباله أتميز بها مزية من اختصاصه وأتخصص. إلى أن
تنفس ذلك الإصباح وتبليج، وتعطر الأفق بأذفاسه الكريمة وتأرجح. فأطلع
سيدي من مواصلته شمساً، وأوجد بلاطفته [٩٧ / ب] المشعرة بالاختصاص
أنسا، وخلع من حلاه ما أوجب لحلاه أن قررت عيناً وطاب نفساً.
وجهز من بنات فكره عقيلة طالما تطاولت إليها الأعناق فجدت،
(١) لتليل صلاتها الآمال فصدت. ووقفت بباب محامتها أعزة الخطاب منافسة
في طلابها فتردت. أرسل بها لا عدمت أفضاله متودداً، وارتضى
لها بحسن اختياره حباً لم يزل حول حماها متردداً. أظنه أبقاه الله
توسم خلوصه لها بأنوار خلوصه، وأمضى له من حكم استحقاقه
ما ثبت لديه لزومه بأدلة نصوصه. وغير بدع من ذي بصيرة منيرة
أن يتوسم، أو محب يجد الروح من تلقاء حبيبه إذا تنسّم. فابتهجت
بورودها بشراً، وقبلت نفحة حسنها شفعاً ووتراً. وأخلقت بردها
طياً ونشراً، ونذرت أن أصوم من أيام العمر عشراً! وكيف لا؟
وقد ألفيتها قد حلّيت من الدرر النفيسة بمنثور ومنظوم، وباحت لي
من المعارف بسر عن غير أهله مكتوم. ونازعتني كأس خلوص أصبحت
بنشوته أقعد وأقوم. شكر الله لمهديها إحسانه، ولا زالت العفأة تجد
من إفضاله روحه وريحانه!

(١) هكذا فيها، باتصال الكلام.

شيخنا الفقيه الخطيب القاضي محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب بن عبد الله بن موسى بن مالك الفشتالي (*)
 يكنى أبا عبد الله وأدركته ورأيتَه . وهو من أهل فاس ، من بيت صلاح وعلم .

ووالده أحمد كان خطيباً بجامع قصبه فاس . واختطب أيضاً بجامع مدينة سجلماسة في دولة ملكها أمير المؤمنين أبي علي عمر المريني ، وكان شاعراً مجيداً . وعبد الملك والد أحمد ولي القضاء والخطابة بالمدينة البيضاء دار الإمارة في حضرة فاس ، وبمحلة أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف المريني . وشعيب والد [٩٨ / أ] عبد الملك كان فقيهاً ذا نعمة وثروة ، ذا جاه من السلطان ، من أهل الخير والدين . وعبد الله والد شعيب كان فقيهاً مفتياً مدرساً بفاس ، صالحاً ورعاً زاهداً مكاشفاً . وكان من الدين

(*) أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي ، قاضي الجماعة بفاس (ت ٧٧٩) من علماء فاس ، وقضاها المشهورين . قدمه السلطان أبو عنان المريني للخدمة قاضياً بحضرته في فاس ، واختصه ، واشتمل عليه . وترجم له لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة وذكر بعض أحواله وأخباره وصفاته ، وأدرجه في كتابه لترده على الأندلس في غرض السفارة . ونقل أحمد بابا عن أبي زكريا السراج في فهرسته شيئاً من ترجمة السراج لأستاذه وشيخه الفشتالي ، فقال « شيخنا الفقيه الخطيب البليغ المدرس العالم العلم المتفنن المصدر الأرواح قاضي الجماعة . كان عالماً بالفقه ، مشاركاً في غيره من العلوم ، مسدداً في الفتاوى ، عارفاً بأخذ الشروط ، له حظ وافر من الرواية ، شاعر مجيد وكاتب بليغ ، حسن المعاملة للطلبة . . . ووصفه ابن الخطيب القسنطيني بأنه « له عقل وسمت لم يكن لغيره من القضاة ، وله مجلس جليل في العلم » .

(انظر نيل الابتهاج : ٢٦٥ ، والإحاطة ٢ : ١٣٣ ونفح الطيب ٥ : ٣٤٢ والمرقبة العليا ١٧٠ ونسبه فيه : محمد بن أحمد بن عبد الله الفشتالي . وسورة الأنفاس ٣ : ٢٥٩) .

والصلاح في المحل [الذي] لا يخفى، ومكاشفاته وعلو منزلته أكثر من أن تحصى
وموسى والد عبد الله كان من أهل الصلاح الفائق والورع العظيم .
ومالك والد موسى كان صالحاً ملازماً للخير .

وفشتاله ، قبيلته ، هم قاطنون بجوز فاس . وذكر فيهم ابن أبي زرع^(١)
في تاريخه أنهم فرع من صنهاجة من حمير ، عرب الأصل .

وأبو عبد الله شيخنا هذا هو الآن قاضي الجماعة بفاس ، وخطيب
بالمدرسة التي بناها السلطان أبو عنان بإزاء باب المحروق^(*) . وهو أحد
المفتين بفاس ، ويدرس المدونة وغيرها بالمدرسة التي بالعطارين . وحضرت
حلقته غير مرة وأخذت عنه وأجازني إجازة عامة .

حاله - سلمه الله -

له علم بالتوثيق وصناعته ، وطريق إلى صياغته في حلال براعته .
وهو مفت في المسائل الفقهية ، ومتفمن في العلوم الأدبية ، وله مشاركة
في جميع العلوم النظرية والتعلمية . وله ذهن ثاقب ، ونظر في ميدان
البحث لا يجاربه فيه فقيه ولا طالب . واعتناء بالعلوم الشرعية ، واقتناء
بالمعالي البيانية . إلى وقار وبها ، وثقوب فطنة ونهى ، وهمة سمت
فوق السها .

فمن قوله يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان^(٢)

أيا إماماً ندَى كفيه قد وكفا

حسبي اعتصامي بحبل منكم وكتفى!

(١) الإمام الفقيه أحمد أبو العباس . وكتابه « الأنيس المطرب بروض القرطاس في
أخبار ماوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » . توفي سنة ٧١٧ .

(٢) ذكر أحمد بابا في نيل الابتهاج البيتين الأولين من هذه القصيدة ، وقال في التقديم لها إن
للفشتالي نظماً حسناً وكتابة رائعة ، وضرب بالبيتين مثلاً .

(*) هو أحد أبواب فاس ركان يسمى باب الشريعة .

وكيفَ أَصْرَفُ وَجَهَ الْقَصْدِ عَنِ مَمْلِكِ (١)

ما صدّ عني سنّا بشرٍ ولا صرّفنا

ما إن شكوتُ بما أضنى تطلّبهُ

إلا وجدتُ لديه من ضنّاي شفا

[٩٨ / ب]

ولا وقفتُ عليه مُنتهى أَملي

إلا قَضَى وطراً منه وما وقفا

في كلِّ يومٍ له تجديدُ عارفةٍ

مهما انقضتْ هذه هذه ائتنفا

وليس مِمّن يَرى أن لا يُتَمَحَّ يدأ

حتى يُتَمَّ له بالشكر ما سلفا

وكان قد بعث إليه ذو الوزارتين الحاجب القائد الرئيس الفقيه الخطيب الكاتب صاحب القلم الأعلى أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن سعيد بن الخطيب الساماني ، وزير أمير المسلمين أبي الحجّاج يوسف بن عمّ أبينا ووزير ابنه أمير المسلمين الغني بالله محمد المخلوع رسالةً ، وصدّرها بأبيات ، كلّ ذلك من قوله ، وهما (٢) :

(١) في نيل الابتهاج : عن مالك ، وهو تحريف .

(٢) يريد : الرسالة والأبيات . وقد نقل لسان الدين بن الخطيب الرسالتين في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة « ٢ : ١٣٤ - ١٣٦ » . وقال في التقديم لهما « ولما كان عام الإزعاج من الأندلس عند النكبة التي أصابت الدولة بلوت من فضله ونصحته وتأنيه ما أكد الغبطة وأوجب الثناء وخاطبته بما نصه . . . » . و (عام الإزعاج) الذي تحدث عن ابن الخطيب هو العام الذي حدث فيه الانقلاب على دولة مخدومه محمد الغني بالله النصري وآلت بعده السلطة إلى سواه ، في المدة بين ٧٦١ - ٧٦٢ .

ولا فرغ عملها ، وأوحالٌ حال بيني وبين مسوّرِ البلد القديم مهملها^(١) ولولا ذلك لاغبطَ الرائد ، واقتنيت الفوائد .

والله يطيل بقاءه حتى تتأكد القرية ، التي قدسى بها القرية .
وتعظم الوسيلة ، التي لا تُذكر معها الفضيلة . وأمّا ما أشار به من تقييد القصيدة التي نفثت سوقها استحسانه ، وأنسَ باستطرافها إحسانه ؛ فقد أعمل وما أهمل ، والقصور باد إذا تُؤمّل ، والإغضاء أولى ما أُمل .
فإنما هي فكرةٌ أّخذت نارها الأيام ، وغيرت آثارها اللثام . وكان الحق إجلالُ مطالعةٍ سيدي عن خلالها ، وتنزيهه رجله^(*) عن تقييد مُرتجلها . لكن أمره مُتمتّل ، و«أتى من المجد أمرٌ لامردّ له» مثل^(٢) !

فجاوبه بقوله :

وافت يجرّ الزهو فضلةً بُردِها
حسناء قد أضحت نسيجةً وحدِها
لله أيّ قصيدةٍ أهديت لـو
يُهدى المعارضُ نحوَ غايةٍ قصدها^(٣)
لابنِ الخطيبِ بها محاسنُ قارعتُ
عنهُ الخطوبُ ففللتُ من حدِّها^(٤)

(١) في الإحاطة : مسود البلد القديم مهملها . (*) هكذا فيها « رجله »

(٢) قال في الإحاطة في ختام الرسالة « والسلام على سيدي من معظم قدره وملتزم بره محمد ابن الخطيب ، ورحمة الله ، فكتب إلي مراجعاً ، وهو الميء بالإحسان . . . » ،

(٣) في الإحاطة « لم يهد المعارض » . وهو أقدم .

(٤) في الإحاطة :

لابن الخطيب بها محاسن جمة يلتقى الخطيب فهامة في عدها !

سرّ البلاغة منه أودع حافلاً
 قد صانته حتى فشا من عندها
 في غير ما عمّدت نفثت بسحرها (١)
 فلذا أتى سلساً منظّم عقدها
 لم أدر ما فيها رقت مهنوناً
 من طرسها أو معلماً من بردها (٢)
 حتى دفعت بها لأبعد غايّة
 باعي تقاصر في البلوغ لحدّها
 حرّان من نظم ونثر أب من
 يلقاهما منها بذلّة عبدها
 أولى يداً بيضاء مؤولها فما
 لي من يدٍ في أن أقوم بحمدها
 فبدلت شعري رافعاً من يرّها
 وهزرت عِظفي رافلاً في بردها
 ورفضت تكذيب المنى متشيعاً
 لعلّي مرآها بصادقٍ وعندها !

[٩٩ / ب]

خاندنا أعز الله جنابك ، وأذلّ للأنس على الوحشة اغترابك .
 كنعبة الطائر المتحفز ، ونهبة السائر المستوفز (٣) وميقة اللحظ ، قلقة

(١) في الإحاطة : في غير عقد نفثته . .

(٢) هذا البيت هو الأخير في الإحاطة ، وما بعده جاء قبله .

(٣) في الإحاطة : كغبة الطائر المتجدد : ونهبة السائل المسترفد .

اللفظ^(١) قد جمعت من ترامها وانقحامها^(*) بين بطمة فند ، وصولد زند ، ونوَّعت فعلي لإقدامها وإحجامها إلى قاصر ومتمعد^(٢) ، وليتني إذ جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الودق ، وانجابت المساعي عن مزنة فكرتي^(٣) بتقاضي الجواب انجياب الطرق ، أيقنت أني قد سُدَّ علي باب القول وأرتج ، وقلت هذه السالبة الكلية^(٤) لا تتج ! فنبذت طاعة الداعية من تلكم الإمرة ، ولم أفه إذ أعوزت الخلوة بالمرّة^(٥) ، لكنني قلت وجد المكثّر كجهد المقل ، والواجب قد يقع الامتثال فيه بالأقل . فبعثتُ بها على علائها ، وأبلقتهَا عذرها في أن كُنيت عن شوقها بلغاتها . وهي لم تعدم من سيدي إغضاء كريم ، وإرضاء مليم^(٦) . والله سبحانه يصل بالتأنيس الجبل ، ويرد الألفة ويجمع الشمل . والسلام^(٧) .

وكتب إليه أيضاً ذو الوزارتين محمد بن الخطيب المذكور إثر نكبة أنكبه أمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم المريني ، من غير ذنب فعله ، أغرى به السلطان حسداً له :

تعرفُتُ أمراً ساءني ثم سترني
وفي صحّة الأيام لا بد من مرضٍ
تعمّدكَ المحبوبُ بالذاتِ بعدما
جرى ضدّه والله يكفيه بالعرضِ

(*) التريم (كأمير) المتواضع . والبطمة الحبة الخضراء أو شجرها . والفند الغصن .

(١) في الإحاطة : رميكية اللحظ .

(٢) - (٣) ساقط في الإحاطة .

(٣) في الإحاطة : وانجاب العشا عن قريحة فكرتي .

(٤) - (٥) ساقطة من الإحاطة .

(٦) في الإحاطة : ورضاء سليم .

(٧) في الإحاطة : والسلام الكريم يخص تلك السيادة ورحمة الله وبركاته ، محمد بن أحمد الفشتالي

في مثلها - أبقى الله سيدي - يجمل الاختصار ، وتقرر الأنصار
وتطرق الأبصار . إذ لم يتعين ظالم ، ولم يتبين يقظ ولا حالم . وإنما
هي هدية أجر ، وحقيقة وصل عقبت مجاز هجر . وجرح
جبار ، وأمر ليس به اعتبار ، ووقية لم يكن فيها الإغبار ! وعثرة
القدم لاتنكر ، والله يحمد في كل ويشكر . وإذا كان اعتقاد الخلافة
لم يشبهه شائب ، وحسن الولاية لم يعبه عائب ، والرعي دائب ، والجاني
[١٠٠ / أ] تائب ، فما هو إلا الدهر الحسود لمن يسود ، خمس بيد
ثم سترها (؟) ، ورمى عن قوس ما أصاحبها - والحمد لله - ولا أوترها .
إنما باء بشينه ، وجنتي من مزيد النعمة سخنة عينيه . ولا اعتراض على
قدر أعقب بحظ مبتدر ، وورد نغص بكندر ، ثم أنيس بأكرم
صدر . وحسبنا أن نحمد الدفاع من الله والذنب ، ولا نقول - مع الكظم -
إلا ما يرضي الرب . وإذا تسابق أولياء سيدي في مضار ، وحماية ذمار ،
واستباق إلى برّ وابتدار ، يجهد اقتدار ، فأنا - ولا فخر - متناول القصة ،
وصاحب الدّين من بين العصابة ، لما بلوت من برّ أوجب الحسب ، والفضل
الموروث والمكتسب ، ونضح وضح منه المذهب ، وتنفيق راق منه
الرداء المنذهب . هذا مجمل^(١) وبيانه عن وقت الحاجة مؤخر ، ونبذة
سرّه (؟) لتحقيقها يرّاع^(٢) مسخر . والله أعلم بما انطوى عليه لسيدتي من
إيجاب الحق ، والسير من إجلاله على أوضح الطرق ، والسلام .

فجاوبه بقوله :

وأيم الله إبراراً لأينم^(٢) لقد جلتى كتابك كئل غم^١
وسام في الحوادث من رمته ففاز من الوفاء بخير سهم

(١) فيها «مجد» ورجح ما أثبت .

(٢) أيم الله وأيم الله « اسم وضع للقسمة » .

يا سيدي . أمدد الله في أنوار تللكم الطريقة المثلى ، وبارك .
 وجزاها جزاء من ساهم على الحقيقة في الجلستي ، وشارك . وصل
 كتابكم الصادق الصفاء ؛ الصادر عن لم يرض من الوفاء باللقاء .
 فتأى^(١) من صدع الأيام ورأب . ونأى في دفع الأوهام وقرب .
 وهو الدهر - أبقاكم الله - لا تثني فلتاتسه . ولا يئبي على عقد
 صفائه يوم لوى ولانه إلا كدره بالثقب مفتاته . هذا ولو حاسب
 الإنسان نفسه لاستحقر ما استعظم . وعلم أن « ما لا يرى بما وقى الله
 أعظم » . فآه آه ! ومن جئني عليه فليستغفر الله . فغفر الله
 غفرأ . وحمدأ على السراء والضراء ، وشكراً .

وسيدي - أعزه الله - المشكورة أياديه ، المبرورة غاياته الجميلة
 [١٠٠ / ب] ومباديه . والله - سبحانه - يعين على واجبيكم ،
 ويشكر في حُسن الإخاء جميل متواهبكم . والسلام .

شيخنا الفقيه القاضي الحسن بن عثمان بن عطية بن موسى بن
 يوسف بن عبد العالي العجاني المعروف بالوانشريسي^(*)
 يُكنى أبا علي ، وأدركته ، ورايته .
 وهو من أهل مكناسة الزيتون . ومولده بيتاويريت^(٢) من حوز

(١) الثأى الإفساد ، والرأب : الإصلاح .

(*) ترجم له أحمد بابا في نيل الابتهاج « ١٠٧ » ، ونقل عن فهرسة ابن الأحمر وقال فيه :
 شيخنا الفقيه المقري المدرس القاضي أبو علي بن الشيخ الصالح عطية . توفي سنة ٧٨١ .
 وترجم له في سلوة الانفاس ٣ : ٢٥٩ .

(٢) ذكر في الاستبصار أن مكناسة الزيتون تسع خطب ، عد منها « ثورا » ١٨٨ .

مِكناسة . وهو من قبيلة تُجَجِين . وآبأؤه كلهم فرسان أولو شجاعة .
 وجدّه عطية هو الذي ارتحل منهم عن بلاد التُّجَانِيَّة ، واستقر
 ببلاد مَرِين ملوك المغرب في دولة السلطان أبي يعقوب يوسف ، وكان
 فارساً شجاعاً . فاستخدمه ملوك مَرِين ثمَّ تخلَّى عن الخدمة السلطانية
 وأقبل على طلب الآخرة ؛ وسكن بجوز مكناسة . وكان له أولاد
 نجباء فقهاء وهم : عثمان - وهو أكبرهم - وهو والد شيخنا القاضي أبي
 عليّ هذا . وعبد الله - وهو الذي يليه - والحسن . وهؤلاء الثلاثة
 أشقاء . ويونس وإبراهيم . وكلهم فقهاء .

وأما الحسن منهم فهو فقيه متفننٌ حافظ بمسائل الفقه بصير^(١)
 بالفروع واللغة والحديث والتاريخ ؛ وهو أحد المفتين بفاس .

وأما^(٢) كتاب الإمام العالم المفتي المدرّس الصالح أبي إسحاق إبراهيم
 ابن عبد الله بن عبد الرحيم الزنّاسني وغيره من فاس يسمونه ابن
 رُشد لحفظه لمسائل الكتاب المذكور^(٣) . وهو - مع معرفته بالعلم -^(٤)
 متورّع ، متواضع ، حسن الأخلاق ، صادق اللّهجة ، شديد في
 الحقّ . وولي القضاء ببّادس^(٤) في دولة السلطان أبي الحسن المريني . وهو
 الآن في هذا الوقت الذي ألفت فيه كتابي هذا بفاس يُقرىء بجانبها
 الأعظم المسمّى بالقرويين : المدوّنة والجلاب والرسالة . وكل ذلك
 لم أغب عن حلقة لاقتباس [١٠١ / أ] علمه وبركته ، وذلك حين

(١) في « م » و « ط » بصيراً ، وترجع ما أثبت .

(٢) - (٢) هكذا فيها .

(٣) توفي الفقيه الزنّاسني ٧٧٥ وكان قاضياً صالحاً .

(٤) بادس مدينة بالمغرب . انظرها في الاستبصار ١٧٥ والروض المعطار ٧٤ .

مقامي بفاس لما أخرجنا عن بلادنا الأندلسية بنو عمنا الملوك بنو (١) الأحرار من بني نصر .

نرجع إلى ذكر شيخنا القاضي أبي علي الحسن المذكور . كان قد برز عدلاً - في صفه - في سباط شهود مكناسة . ثم ارتحل إلى فاس ، فاستنابه في القضاء شيخنا القاضي الخطيب الإمام المفتي المدرّس أبو عبد الله الفشتالي (٢) . ثم قدّمه السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني على قضاء بلده مكناسة . ثم أنقله (٣) منها ، وولاه القضاء بسلا . ثم تخلص عن القضاء . وهو الآن في سباط شهود فاس عدل . ويقرى في هذا الوقت بجامع القرويين كتاب ابن الحاجب الفرعي . وهو أحد شيوخ حضرت حلقته في كتاب ابن الحاجب . وأجازني إجازة عامة .

حاله - سلّمه الله تعالى - :

له باع في الفرائض والفروع جسيم ، وسماوة ممتدة وذكاء وسيم .
 وشعره فيه حلاوة ، وكلامه فيه عذوبة وعليه طلاوة . كان قاضي الجماعة الفشتالي بفاس قد استنابه ، فأظهر في الحق صلابته . ثم استقضاه السلطان بمكناسة وسلا ، فجدّ في إقامة الشّرع ولا الحق سلا . ولم ير له ما يُستقبح في أحكامه ، بطول أيامه .

(١) في الأصلين : بني .

(٢) راجح الترجمة السابقة للفقير القاضي الفشتالي .

(٣) في الأصلين : أنقله .

كنت قد تفكرت يوماً في ذنوبي - وأنا بفاس - حين مُقامي بها
- في حضرة الملوك من بني مرين - فرأيتها جمّة أعظم من أن أحصيها ،
فأحزني ذلك ، وساءني ، فبعثت له بقولي :

يا أوحّدَ الفقهاءِ والكُبراءِ وأخي التّقيَ والفضلِ والعلياءِ
قلّ لي وقاكَ اللهُ كلّ مساءٍ وحباكَ كلّ مسرّةٍ وبهاءٍ ! -
كيفَ الخِلاصُ من الهوى وأنا لهُ تَبَعٌ مَدَى الإصباحِ والإمساءِ؟

فجاوبني بقوله :

يا ابن الملوك الأكرمين ذوي العلى هذا قريضك قد أتاني منبئاً
أهل الوفاء وملجأ الضعفاء عن بعض ما أودعت من علياء
[١٠١ / ب]
وطلبت ما ينفي متابعة الهوى فاعلم فدتك النفس أني أشتكى
ولعل مولانا يُنيلُ جميعنا أمسكت رقعتك التي وجهتها
وعليك مني ألف ألف تحية في ضعفها تتسرى بكل ثناء



شيخنا الفقيه القاضي الخطيب الحاج عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الفقيه الامام القاضي أبي الوليد محمد الحفيد بن الفقيه القاضي أبي القاسم أحمد بن الفقيه الامام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأموي (*) .

يكنى أبا القاسم ، وأدر كتبه ورأيتسه . وأجازني في القصيدة الموسومة بالبرودة التي أولها :

* أمن تذكر جيران بني سلم *
نظم الفقيه أبي عبد الله محمد شرف الدين البوصيري .

ومولده بسجلماسة (١) ، وأصل سلفه من الأندلس . وهو من ولد الحفيد ابن رشد ، وبابن الحفيد يعرف . واستوطن مدينة فاس في بعض الأحيان . واستقضاء بأصيلا (٢) السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني . واختطب في بعض بلاد النصارى بالرجل (٣) .

(*) أكثر المترجمون وأصحاب التواريخ من الترجمة لابن رشد الجد (الفقيه) وابن رشد الحفيد (الفقيه المتفلسف) ولم أعثر - فيما بين يدي الآن من مراجع - على ترجمة للقاضي الخطيب ابن رشد الذي يترجم له ابن الأحمر .

(١) سجلماسة : مدينة في بلاد المغرب ، قال في الاستبصار : وهي على طرف الصحراء لا يعرف في قبلها ولا غربها عمران ، بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال . وهي مدينة محدثة بنيت سنة ١٤٠ هـ . قال : وهي كثيرة النخل والأعشاب وجميع الفواكه ، وتقع على نهرين ينبعان من عنصر (نبع) واحد . وقال محقق التعريف بابن خلدون « وسجلماسة الآن مقاطعة في جنوب المغرب تسمى الآن تافيلالت »

(٢) أصيلا « وتكتب أيضاً : اصيلة وازيلا » بلد بقرب طنجة . قال الجبري : وأصيلا أول مدن العدة من جانب الغرب . وهي مدينة محدثة أسهم الاندلسيون في تصيرها .

(٣) كذا العبارة في الأصلين .

حاله - أكرمه الله - :

هو أخذ من اللغة بأزكى نصيب ، وسهمه من النحو مسدد مصيب .
ينظم من الشعر الأبيات الحسنة ، ويتكلم في الفقه بمسائل في البراعة ممكنة .
وباعه في الحديث مديد ، كما هو بصير بالطارف من التاريخ والتليد .
وأما الفصاحة فهو ابن يجدها ، وأما البلاغة فهو عين نجدتها .

أنشدني لنفسه [١٠٢ / أ] :

وذي شنبٍ متى أنظرُ بيطرُ في إليه استلُّ من لحظٍ ذباباً (١)
تبسّم عن عقيقٍ فوق درٍ فخلتُ الخمرَ قد حملت حباباً
أدوبُ إذا بدا شوقاً إليه ولو زارتهُ أنفاسي لتدباباً
فإن أزرى به شيطانُ واشٍ أحتلتُ عليه من حرّقي شهاباً

وأنشدني أيضاً لنفسه مواطناً^(٢) على البيت الثالث :

تَحَامَ بلادَ الغربِ ما عشتَ إنَّها
ظلامٌ وحزنٌ دائمٌ وحُروبٌ !
وَخَيْمٌ بلادَ الشرقِ تلتقِ بها المنى
فللخير أنواعٌ بيها وضروبٌ
« ففي الشرقِ من أجلِ الشُّروقِ مَسَرَّةٌ »
وفي الغربِ من أجلِ الغُروبِ كُروبٌ !

(١) ذباب السيف : حده .

(٢) المشهور : موطناً . ووردت في الأصلين «مواطناً» .

صاحبنا الأستاذ النحوي المقرئ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (*) :

يكنى أبا زيد ، وهو من أهل فاس ، وبها رأيتُه ، وصحبته .

حاله : هو شاعر مجيد ، ومبدئ في البلاغة ومعيد . قد فاق في النحو ، وسليمَ نَظْمه من الحَشْو . مقرئ للعلوم الأدبيَّة ، بنفس مطاوعة غير أبيه .

وكنت قد سألتُه شيئاً من نظمه ، لأنشر رداء معرفته وفهمه . فأبطأ عليّ بالجواب دهرأ ، حتى جمع من شعره نزرأ . وكتب ذلك في أوراق ، وذيل بكلامه الذي راق . وذكر في أول كلامه اسمي ، وطرزه برسمي . لما توالى تكرار السؤال عليه ، ودؤب الطلب مما من النظم لديه . وبعث بذلك إلي ، وألقى زمامه في يدي . واخترت منه ما يعلمه (١) باتساع باعه ، وانطباع طباعه .

وهذا ما كتب في صدر كلامه ، وما ذيل به عند ذكر نظامه :

(*) أبو زيد عبد الرحمن المكودي (ت ٧٠٨) ، فاسي . ونسبته « المكودي » إلى بني مكود إحدى قبائل هوارة . وكان المكودي « إماماً في اللغة والنحو والعروض وسائر فنون الأدب » . ألف شرحاً على الألفية كان له ذبوع ، وشرحاً على الأجرومية ، وعلى « المقصور والمدود » لابن مالك ، وغير ذلك . واشتهرت مقصوده التي مدحها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تدل على تضلعه في اللغة وتملكه ناصية الأدب .

(نيل الابتهاج ١٦٩ ، نفع الطيب ٥ : ٢٨ ؛ في ذكر شيوخ ابن مرزوق الحفيدي ، والنبوغ

المغربي : ٢١٠) .

(١) فيها : ما يعلمه ، والأشبه : ما يعلم .

« يقول عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي - لطف الله به - سألتني صاحبنا الشهير بالنبل والذكاء ، وسرورة الهممة والبهاء . الضابط لفنون الآداب ، العالم بعيون التاريخ والأنساب . رافع راية القريض ، وناشر لوائه الطويل العريض . علم الرؤساء [١٠٢ / ب] ودرّة أبناء الأمراء أبو الوليد إسماعيل بن الرئيس أبي الحجاج يوسف بن الأحمر الخنزرجي أن أقيّد له شيئاً من شعري فلم أسعفه بطلوبه ، ولا عجلت له بمرغوبه ؛ استحقّاراً لشعري ، واستضعافاً لما صدر من نظمي ونثري . وهجرأ للأدب وطريقته ، وقيلَ لمجازه وحقيقته . طريقة كثر قائلها وقلّ نائلها ! فلو أمكن أن يجتمع في زماننا هذا أبو تمام باغترافه من بحره ، وأبو الطيّب باقتطافه من زهره ، وأبو العلاء بنحتمه من صخره ، على استخراج درهم واحد من أهل زماننا لما حظوا منهم بنائل ، ولا وقفوا في أمورهم على طائل ! دهرٌ وقى الله من حوائثه سيّان ذو الجهل فيه والعالم .

ولما كان السائل المذكور من لا يسعني خلافه ، ولا يمكنني إلا إسماعدهُ وإسعافهُ ؛ قيدت له شيئاً من شعري ، مع نبذ من نثري . وليتخير من ذلك ما يستجيده ، وينتخب ما يريده . والله يعصمنا من الزلل ، ويهدينا إلى صالح القول والعمل .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب : فما اخترتُ من كلامه الرائق ونظامه العذب الفائق ؛ قوله يمدح رسول الله ﷺ ، وهي القصيدة (١)

(١) ذكر أحمد بابا في نيل الابتاج ؛ أبيات من آخر المقصورة ينكت على مقصورتني حازم وابن دريد . ونقل العلامة الأستاذ عبد كنون في كتابه النبوغ المغربي قطعة كبيرة من القصيدة . وفي قراءته للنص خلاقات يسيرة ، وقد يعمد إلى تعديل كلمة بأخرى على جهة التنقيح ، مما لم أجد ضرورة لإثباته .

التي ضربت في البلاغة بسهم، وحازت من الفصاحة أوفر سهم :

أرقني بارق نجد إذ سرى يوميض ما بين فرادى وثنى
 أهبني إذ هب منه موهيناً ما سد ما بين الثريا والثرى
 شممت من أرجائه إذ شمته ریح صبا أطوع من ریح الكيما
 فياله من بارق ذكرني من الهوى ما كنت عنه في غني!
 5 آثار شوقاً كان ميني كامناً بين ضلوع طالما فيها ثوى

[١٠٣ / أ]

فكان قلبي المجتوى إذ هاجه كالزئد إذ أوراه مؤور فورى
 وسح سحّب مقلتي فما بقي نوع من الدمع بها إلا همى
 ما كنت أدري قبل أن أنفده أن البسكا يمنعني من البسكا
 وليلة سبحت في ظلماتها إذ سحبت فضول أذيال الدجا
 10 ألفت فيها كل ما ألفته يوهي القوى إلا التسلي والكرى
 طالت وما أطل بازي صبحها إلا بإغيا^(١) ما لئديها من جوى
 قد وقفت نجومها في أفقها وقفة حيران طویل المشتكى
 جبت بها وحدي قفراً سبسباً

ليس به إلا النعام والمها

نائب الزيازي^(٢) والفلا، داني الصفا

خالي الفيافي والذرى، خافي الصوى^(٣)

(١) أغيب السحاب : أقام . وبأغيا أي بغاية .

(٢) الزيازي جمع الزياء : ما غلظ من الأرض .

(٣) صوى جمع صوة (بواو مشددة) : وهو حجر يكون علامة في الطريق .

15 قطعتمها ببازل ذي ميرةٍ يُنوعُ السيرَ بأنواعِ المشى
فتارةٌ يعمل فيها الهيدبي وتارةٌ يعدو عليها الخيزلي
كان رجلي إذ علوت ظهره
فوق متين المتين وجري القوي

من وحشٍ مهمهٍ بعيدٍ غورهٍ
ذي أكرعٍ أصلب من صم الصفا
يقذف بي من قد قدٍ لقد قدٍ
ويتهي بي من فلا إلى فلا

20 حتى إذا انتضى الصباح نصله
وقد جلاب الدياجي فأنقري
كأنه كتاب قد نشرت رايئها على الإكام والرهي
أحست الشهب بها فأجفلت
وأمت الغرب وجدت في السرى

إذا أنا ببقة غيطانها جري بها سلسال نهرٍ وانحنى
كأنه معصم خوذ غادة على رداه قد وشاه من وشى

25 وظيل روضٍ راضه صوب الحيا
فاعتم من نور حلاه واكتسى

باكره وسميه فافتحت
كامه عن زهر طيب الشدا
وهز أيدي الريح منه قضباً
غنى بها الطير الأغن وشدا

[١٠٣ / ب]

أحسين به روضاً تيمماً عرفه
معطراً داني القطوف والجنى

قد نثرتُ شمسُ الغداةِ أَيْدِعَا (١)

فيه وقد بللتهُ قَطْرُ الندى
 30 وقفتُ طِرْفِي فِي بَازَاوِ دَوَّحِهِ
 وَأَشْتَكِي دَهْرًا دَهَانِي صَرْفُهُ
 لَمَّا قَضَى بِالْبَيْتِ فِيمَا قَدْ قَضَى
 مَنَازِلُ كَانَتْ بِنَا أَوَاهِلًا
 نَلْتَنَا بِهَا حِينَمَا أَسَالِبُ الْمُنَى
 كَمْ بَيْتٌ فِي أَفْنَائِهَا أُجْرِي إِلَى
 غَايَاتِهَا بِطِرْفِ جِدِّ مَا كَبَا
 وَكَمْ سَجَبْتُ إِذْ صَحَبْتُ غَيْبَهَا

بِيرَوْضِهَا ذَيْلَ الشَّرُورِ وَالْهِنَا
 35 وَكَمْ مَدَدْتُ مِنْ مُرَادِقِي عَلَى

ضِفَّةِ نَهْرٍ أَرْجِ رَحْبِ الذُّرَى
 وَكَمْ سَعِدْتُ إِذْ صَعَدْتُ صَهْوَةً

لِمَنْزَرِهِ مُنْزَرِهِ عَنِ الْخَنَا
 وَكَمْ هَصَرْتُ فِيهِ مِنْ غُضُنِ نَقَا

مَنْ قَدْ ظَلِيَ أَهْيَفِ طَاوِي الْحَشَا
 وَكَمْ لَثَمْتُ زَهْرَ ثَعْرِ أَشْنَبِ

مَنْ شَادَنِ عَذْبِ الثَّنَائِيَا وَاللَّمَى
 وَكَمْ رَشَفْتُ مِنْ رُضَابِ سَلْسَلِ

يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ أَعْمَالِ الطَّلَا
 40 أَيَّامَ أَزْهَارِ الْمُنَى مُوْنِقَةً

وَالدَّهْرُ ذُو وَجْهِ مُنِيرِ الْمُجْتَمَلِ
 تَرْفَتَنِي مِنَ الْأَمَانِي دَائِبًا
 عَرَائِسُ ذَوَاتُ حَلِي وَحَلِي

أنى أَرَجِي لِفُؤَادِي سَلْوَةً من بَعْدِ بَعْدِ المونِقَاتِ المَحْتَنِي ؟
يا لَيْتَ شِعْرِي والأَمَانِي خَدَعُ
هل يَرجعُ الدَّهْرُ لَنَا ما قد مَضَى ؟
وهلْ لَنَا من عَوْدَةٍ لِمَعْهَدِ
صَبوتُ فِيهِ جِلِّ أَيَّامِ الصَّبَا ؟
45 إذْ لا مَشِيبَ فَوْقَ فَوْدِي يُرَعَوِي
من شِينِهِ ، ولا رَقِيبَ يُخْتَشِي !
أَيَّامِ أُنْسٍ أَسْرَعَتْ فِي خَطْوِهَا
كذا اللَّذَازَاتُ سَرِيعَاتُ الخُطَا
يا قَلْبُ لا تَجْزَعُ فَأَنْتَ قَلْبٌ
وأَنْتَ عِنْدِي ذُو دَهَامٍ وَحِجَا
فَلَا يَهْوُلُنْكَ صَرَفُ الدَّهْرِ فِي
ما قد جَنَى عَلَيْكَ من خَطْبِ الذُّوَى

[١٠٤ / أ]

فَكُلُّهُ وَصَلِي يَنْتَهِي لِفِرْقَةٍ
تَفْرَى العُرَى مِنْهُ وَإِنْ طَالَ المَدَى
50 والدَّهْرُ فِي صُرُوفِهِ ذُو عَجَبٍ
يُتَدَنِّي بِهَا كُؤُلٌ جَدِيدِ اللَّبْلِ
يَبْكِي إِذَا أَضْحَكَ يَوْمًا أَهْلَهُ
وَيَعْقِبُ الكَرْبَ إِذَا العَيْشُ صَفَا
كَم مَلِكٍ ذِي نَجْدَةٍ فِي مُلْكِهِ
يَضِيقُ عَن جُنُودِهِ رَحْبُ الفَضَا

قد مَلِكَ الأَرْضَ وراضَ صَعْبِهَا
 وشيّد القُصورَ فيها والبُنَى
 أخنى عليه دهره وعاقبهُ عن كُلِّ ما شيدَه وما بنى
 55 أينَ الألى شادوا وساسوا مُملِكهمْ
 كمثلِ سامانٍ وعادٍ وسبا
 دارتْ على أدورهمْ^(١) دوائرُ وجرتْ عواكسُ المنايا والردي !
 وأينَ باني إرمٍ وجيشه ؟
 صاروا رَمِيمًا تَحْتِ أَطباقِ الثرى !
 ومَلِكُ كِيسرى حينَ تمَّ أيدهُ
 أو هتتهُ أحداثُ الليالي فوهى
 ولم تُقصرْ عن مَلوكِ قيصريِّ
 حتّى أبادتْهمْ وطاحوا في التوى^(٢)
 60 ولم تدعْ من مَلِكِ غسانِ فتى
 سامى المَعالي في ذراها وسما
 وكم مَلوكٍ قَهَرُوا بِمَلِكهمْ
 أَسَدَ الثرى صاروا حديثًا في الدنى
 هذي هيَ الدنيا فلا يَغترُّك ما
 تراهُ فيها من سرورٍ وهنا !
 فانفضْ يديكَ من عراها وارمها
 وابراً بها^(٣) إن كنت من أهلِ النهى !

(١) أدور ج دار .

(٢) التوى : الهلاك .

(٣) كذا في الأصلين وقرأها الأستاذ كون : وادراً بها .

وظنَّ بالإخوانِ شراً واخشسَهُمْ وصيرَ الأحبابَ منهمْ كالعدا
65 وإن أردتَ خبيرَهُمْ فاخبرْهُ فَمَا
خبيرَ قومًا أحدٌ إلا قتلا

وسركَ اكتتمهُ عن الخلقِ ولا
تطلع عليه أحدًا من الورى

واقنع - على عيز - بما يكفي ولا
تحرص فإن الحرصَ ذلٌّ للمفتى
وساير الناس على أخلاقِهِمْ
وساير الناس على أخلاقِهِمْ
فإنها لكل شخصٍ ما نوى

[١٠٤ / ب]

70 كم من صديقٍ مظهرٍ لودهِ
لكن له قلبٌ على الحقدِ انطوى
يشكرني وجهك إن لا قسيتهُ
وإن تغب يغتبتك في كلِّ ملاء
يذيع ما يراه من قُبْحٍ وإن
رأى جميلاً منك أخفى ما رأى
فاترك إخاماً من هذه سيرتهُ
واهجره في الله ودعته والعمى
ولا تهاين ذوى الجهل وإن
راقك منهم منبتدى ومنبتى

75 كم من أناسٍ كالأناسي منظرًا

فهمٌ إذا أشبهه شيءٌ بالدمى
وكم رجال في الدنى ليس لهم
من العُلا إلا الأسامي والكنسى

يرون أن المجد والعلياء في
ما يُنتقى من أهيات وكُسا
ليس العُلا والمجد إلا لامرئ
رقنا إلى أفقِ المعالي وارقتى

وصمّم العزم على ترك الهوى
وجدّد في طيّاب ما يُجدي الشّنا
80 وانتعل الشّهب الدّراري رفعة

وامتهد البدر المنير واعتلى
وما المعالي غير علم رائق
يُصيّر المرء على أعلّى السّها
طوبى لمن برز في ميّدانه
وابتدر السّبقي لديه وجرى
وجدّد فيه وحمّاه جدّه
حتّى ارتقى منه بأسنّى مرّتى
ودان بالدين القويم والعلا
وازدان بالخلق الجميل والتقى
85 لله قوم قارعوا أنفسهم

عن الهوى إذ قارعوا باب الرضا
عابوا نفيس الدرّ والعقيان إذ
باعوا نفوسهم بأنفاس عسلا
وأنت يا نفس شغلت بالهوى
حتّى هويت منه في قعر هوى!
فترطت إذ أفرطت في اكتساب ما
يُردي ولم أسلك سبيل من نجا
كم خضت في بحر المعاصي جامحاً
لا أرعوي نصحاً للحي من لعا

[١٠٥ / أ]

90 وكم تبعت إذا تبعت أملاً
قد انقضت لذّته وما انقضت
واحسرتا قد مرّ عمري ضائعاً
بين خزهبتلات هو وهوى
هلكت في الهلاك لولا أنّي
ذخرت ذخراً أرتجي به الهدى

وليسَ ذَخْرِي غَيْرُ مَدْحِ أَحْمَدِ
 سَيِّدِ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرّاً ، وَكُفَى
 مُحَمَّدُ أَسْمَى النَّبِيِّينَ عَلَا وَمَنْ كَأَحْمَدِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
 95 أَكْرَمُ مَبْعُوثٍ لِحَيْرِ أُمَّةٍ فَضَّلَهَا اللَّهُ بِهِ عَلَى الْوَرَى
 تَوْرَاةُ مُوسَى قَدْ أَتَتْ بِبِعْثِهِ وَصَدَقَ الْإِنْجِيلُ مَا فِيهَا أَتَى
 قَدْ أَكْثَرَتْ فِي كُتُبِهَا الْأَحْبَارِ مِنْ
 مَا أَخْبَرْتُ^١ مِنْ فَضْلِهِ فِيمَا مَضَى
 وَأَشْرَقَتْ بِنُورِهِ الْأَفَاقُ فِي مَوْلِدِهِ ، وَشَرِقَتْ مِنْهُ اللَّشَا
 فَاَلْمَسْلُوكُ كَسَرَى قَدْ قَدَاعَى صَرْحَهُ
 وَانْقَضَتْ الْأَرْجَاءُ مِنْهُ وَهَوَى
 100 وَفَارِسٌ قَدْ تَخَدَّتْ نِيرَانُهَا وَأَلْفَ عَامٍ سَعَرَتْ فِيهَا خَلَا
 وَغَارَ نَهْرُ سَاوَةِ^(٢) فَسَاءَ هَا مَالِقَيْتٌ مِنْ ظَلْمٍ وَمِنْ صَدَى
 وَخَرَّتِ الْأَوْثَانُ يَوْمَ بَعْثِهِ وَظَهَرَ الذُّلُّ عَلَيْهَا وَبَدَا
 وَانْبَعَثَتْ ثَوَاقِبُ الشَّهْبِ تَرَى مُجْرَقَةً لِلجَيْنِ فِي جَوْ السَّمَاءِ
 وَكَمْ لَهُ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمِعْجَزَاتٍ مِثْلَ إِشْرَاقِ الضُّحَا
 105 مِنْهُمْ نَطَقَ الذَّيْبُ فِي تَصَدِيقِهِ
 وَالْعَيْرِ أَيْضاً وَالذَّرَاعِ وَالرَّشَا

(١) فِي الْأَصْلِينَ : اخْتَرَتْ وَلَعَلَّهَا كَمَا أَثْبَتَ .

(٢) سَاوَةُ : قَرْيَةٌ فِي الطَّرِيقِ مَا بَيْنَ هَمْدَانَ وَالرِّي . وَهِيَ الَّتِي رَوَى أَنَّ الْمَوْبِدَانَ رَأَى فِي

مَنَامِهِ أَنَّ بَحِيرَتَهَا غَاضَتْ ، فِي حِينِ رَأَى كَسْرَى ارْتِجَاسَ الْإِيوَانَ وَخَمُودَ النَّيْرَانَ .

(رَاجِعِ الرُّوضِ الْمَعْطَارِ ٢٩٧) .

ومن عظيم المعجزاتِ أنَّهُ
قد سبَّحتْ في كفه صمُّ الحِصَا

والجذع إذ فارقه حنَّ كما
تحنُّ نكلى هاجها حرُّ الجوى^(١)

والسرحُ بالشَّام لها أُعجوبةٌ إذ عَفَّرتْ أَعْصانها على الثَّرى
والأبيك إذ أمرتْها فأقبلتْ

وما بقي عرقٌ يها إلا أنفري^(٢)

110 وقلتَ عودِي فكأنَّ أصلها ما زالَ عن موضعهِ ولا ذأى

[١٠٥ / ب]

والشاةُ إذ مسَّحتها عادت بهِ
بعد الهزَّالِ ذاتِ نَحْضٍ يُشْتَمَى^(٣)

فروَّت الرُّكْبَ بشكراً^(٤) ضرعها
إذ سَحَّ مِنْهَا الضرعُ ذراً وانتهى

وفي انشقاقِ البدرِ أيُّ آيةٍ
بانَتْ وما كانتْ حَدِيثاً يُفْتَمَرَى

وكم مشَّتْ من فوقِهِ غمامَةٌ
تقيمه حرُّ الشَّمْسِ حَيْثُهَا مَشَى

(١) في الأصلين : الجدا . قلت والأشبه «الجوى» . والجدا - بضم الجيم - ج جذوة : القبسة من النار والجمرة ، وفيه تكلف .

(٢) أنفري : انشق .

(٣) النحض : اللحم أو المكتنز منه .

(٤) شكرت الناقه : امتلأ ضرعها ، وأشكر الضرع : امتلأ .

115 وآية الغار مع الصديقِ إذ
توارياً في جوفه عن العدا

قال له الصديقُ كيفَ نَخْتَفِي
ونحنُ فيه عَرَضٌ لِمَن يَرى ؟
فقالَ : لا تَحْزَنُ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدُ

حَجَبْنَا عَنْ كُلِّ ضَرٍ وَأَذَى
فَحَاكَ فِيهِ الْعَنْكَبُوتُ سَادِلًا
بِبَابِهِ فِي الْحَيْنِ سِجْفًا قَدْ ضَفَا
وَسَتَرَتْ وَجْهَهُ النَّبِيُّ سَرْحَةً
جاءتُ إلى الغارِ بأغصانِ علا

120 وحامٍ في الحسينِ الحمامُ حامياً
كأنَّه مُنْذُ أَرْمَنٍ فِيهِ ثَوَى

ولسيلةُ المِعْرَاجِ أَجْلَى آيَةٍ
إِذْ سَارَ مِنْ مَكَّةَ لَيْلاً وَسَرَى
فاخترقَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ صَاعِداً
حَتَّى انْتَهَى مِنْهَا لِأَعْلَى مُنْتَهَى

وَأَتَمَّ سُكَّانُ السَّمَاوَاتِ بِهِ
مَنْ مَلَكَ وَمِنْ نَبِيِّ مُجْتَمَبِي
سَايَرَهُ جِبْرِيلُ حَتَّى أَشْرَفَا
مَعاً عَلَى بِيحَارِ نُورٍ وَسَنَا

125 فقالَ جِبْرِيلُ تَقَدَّمَ رَاشِداً
هَذَا مَقَامِي فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى

فاخترقَ الأنوارَ يَمِشي وحدهُ
 والحُجُبُ تنجابُ لهُ حيثُ انشَمَى
 وقامتِ الأملاكُ إجلالاً لهُ أمامهُ يَسعونَ حيثُما سعى
 ناداهُ في ذاكَ المقامِ رَبُّهُ
 يا صفوةَ الخَلقِ ادنُ مِني ، فدنا
 فكانَ منهُ قابَ قَوْسينِ فيما كَذَبَ إذ ذاكَ الفؤادُ ما رأى
 130 خَلا بِهِ حَتَّى حَبَاهُ آيَةٌ ما زاغَ فيها بَصْرٌ ولا تَطغى
 وكانَ هذا كُلُّهُ في لَيْلَةٍ لم يَسْتَلِبْها الصُّبْحُ أثوابَ الدُّجا
 [١٠٦ / ب]

وفي نَزولِ العَيْثِ عامَ المَحَلِّ ما
 سرَّ نَفوسَ الخَلقِ طُرّاً وجَلا
 إذ أَمْسَكَ القَطْرُ عن الأرضِ ولم
 يُنْثَلِ بِها عَيْثٌ ولا هَبَّتْ صَبا!
 حَتَّى دَعَا اللهُ لِيَسْقِي أَرْضَهُ فَسَحَّتِ السُّحْبُ بِهَطالِ الحَيا
 135 وَبَقِيَتْ سَبْعاً تُرَبِّقُ رِيْقاً راقَ بِهِ نَوْرُ البِطاحِ والرُّبا
 فأفرطَ الوَبْلُ على الخَلقِ ، فلم يُقْلِعْ ولا انجَبَ الحَياحتي دُعا
 والصَّاعُ اتَّسَعَتْ بِهِ أَلْفاً (١) كما
 أرويتَ نِصفَ الألفِ والألفِ معا

(١) كذا وقع البيت في الأصلين . قلت ويستقيم وزن الصدر ، لو كان :

★ واتسعت ألفاً به الصاع كما ★

وعاد بعدَ شَيْبَعِ القومِ كأنَّ
 لم (ينتقص) (١) منه طعامٌ بِلْ نَمَا
 وقصةُ الزُّوراءِ فيها عَجَبٌ
 إذْ رَوِيَ الجَيْشُ جميعاً مِنِّ إنا
 140 وضعَ فيه كَفَّهُ فأنهلَ مِنِّ أنملِها ماءً تَمِيرُ وَجَرى
 وكانَ جَيْشاً من ثلاثِ مِئَةِ فَنَكَلُهمُ عَرَفَ منه وارْتَوَى
 وفي نَزولِ الوَحْيِ أمرٌ هالَ إذْ
 أعجزَ أربابَ البَيانِ والحِجَا
 أنزلَ في عَصْرِ البَيانِ فَنَتَلِي على الجَمِيعِ في البَوادي والقُرَى
 طَلَبَتَهُمُ في سُوْرَةِ مِنِّ مِثْلِهِ
 فَكَلُهمُ إذْ ذاكَ للعَجَزِ انْتَمَى
 145 فقامَ منهم كاذبٌ معارضٌ (٢) هَدَى بَيْعِي غِيْبِهِ وما هَدَى
 جاءَ بقولِ كَهْلِهِ مَقْبَحٌ (٣) وفاهَ فيه بِفِرَى لا تُرْتَضَى
 تَجَهَّ الآذانُ (٤) عندَ سَمِعِهِ
 نَظْمُ رَكِيكُ النَسجِ ، إفكٌ مُفْتَسِرَى
 كأَنَّهُ مَنطِقُ وِرْها (٥) مَسْها
 خَبِلُ مِنِّ الجِنِّ ففاهتَ بالهرا

(١) في النسختين: ينقص، والمثبت مقترح.

(٢) في «م» معارضاً.

(٣) كذا قرأتها، وقرأ «متبح»؟

(٤) في «ط» الأذهان.

(٥) الورهاء: الحقاء.

وردّه عين قتادة كما كانت فعادت ذات حُسن وبها
 150 وكم أنالت كفته من نيعم. وكم أزالّت من وبالٍ وعنا
 وكم له من غزوة ذلّت له فيها رقابُ المشركين والعيدا
 قادبها من صحبه عساكراً عزّ بهم دينُ الإلهِ وسما

[١٠٦ / ب]

من كل شهيم مكتم (١) بحزميه وممتطٍ للعزم أسنى مُمتطى
 يسقي كؤوس الحنّف في يوم الوغى كلّ عدوٍ ضلّ فيها وغوى
 155 بكلّ رُمحٍ نافذٍ بادي السّما وكلّ نصّلٍ باترٍ ماضي الشّبا

أسدي لئدي الهيجام لكنّ مالتهم
 غاب سيوى ظيلّ القتام والقنا

كم زاوّلوا الأوراد في ظلمايهم
 وقاتلوا الأبطال يوم الملتقى

فهم إذا جنّ الظلام سجّد وبالشّهار مضرمو نار الوغى

ربيع بهم فؤاد كلّ مشرك
 من كلّ شاكٍ عاثّ كُفراً وعنا (٢)

160 كم صدّموا أقبال كلّ جحفيل
 وكم أداروا بينهم كاس الردى

ومـن يكنّ نصيرةً محمّـد
 خيرُ الورى تجمّ له أسدُ الشرى

(١) المتكفي في سلاحه : أي المتغطي المستتر بالدرع والغفارة .

(٢) عاث يعمث ، وعنا يعمو : أفسد

سَلَّ عَنْهُمْ بَدْرًا وَسَلَّ أَبْطَالَهَا
 مَا فَعَلُوا إِذْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّهْبِي
 جَاءَتْ جِيُوشُ الشَّرْكِ فِي عَسَاكِرِ
 بِسَبْقِ تَعَدُّ بَيْنَ الْجَمَزَى (١)
 قَادُوا نَحِيصًا غَصَّتِ الْأَرْضُ بِهِ
 مِنْ كُلِّ ضِرْغَامٍ وَلَيْثٍ قَدْ سَطَا
 165 فَجَاءَ جَبْرِيلُ بِأَمْلَاقِ لَهُمْ
 خَيْلٌ مِنَ الْكِدَنِ سَرِيعَاتُ الْخُطَا
 بَعْدِي ذِي كَثْرَةٍ وَعُدَدِي

مَا حَاكَ خَلْقُهُ نَسَجَهَا وَلَا حَكِي
 جُنْدُهُ حَمَى اللَّهُ بِهِ نَسَبِيَهُ
 وَكَانَ مِنْ آيَاتِ بَدْرِ أَنْشَهُ
 أَصَبَتْ مِنْهُمْ أَعْيُنُنَا فَعَمِيَّتْ
 170 وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ أَعْيُنُنَا
 فَكَأَنَّهُمْ عَقْلَ عَنْ حِرَاكِهِ
 مَوْضِعَ حَتْفِ حَانَ فِيهِ حِينُهُمْ
 فَكَمْ قَتِيلٍ خَرَّ مَبْتُورًا الْمِعَا
 أَكْرِمُ بِمَحْمِيٍّ بِهِ وَمَنْ حَمَى
 رَمَى جِيُوشَهُمْ بِكَفٍّ مِنْ حَصَى
 وَامْتَلَأَتْ حِينَ رَمَيْتَ بِالْقَنْدَى
 مِنْهُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ اللَّهُ رَمَى
 وَجَاشَ مِمَّا قَدَّ دَهَاهُ وَجَثَا
 وَرَوَيْتُ أَقْطَارُهُ مِنْ الدِّمَا
 وَكَمْ طَرِيدٍ فَرَّ مَدْعُورًا الْحَشَا

[١٠٧ / أ]

وَكَمْ أُسِيرٍ مُشْتَخَنٍ فِي قَيْدِهِ
 175 وَغُرُوهُ الْخُنْدَقِ فِيهَا عَجَبٌ
 إِمْسَا إِلَى الْمَنِّ وَإِمَا لِلْفِدَا
 إِذْ ابْتَلَى اللَّهُ بِهَا مَنْ ابْتَلَى

(١) الجز ضرب من السير ، والناقة تعدو (الجزى) وكذا الفرس .

أقبلَ مُشركو قُرَيْشٍ كلَّهمْ وَجَيْشُوا الْأَحْزَابَ مِنْ كُلِّ مَلَا
حَرَضَهُمْ بَنُو النَّضِيرِ إِذْ بَنَعُوا

وغيرهم من اليهود والعِدا

وصارخُوا من غَطْفَانَ عَسْكَراً (١)

عَرَمَرَمًا مِنْ [كُلِّ] جِبَارٍ عَصَى (٢)

رامُوا بجيش المسلمين نعمةً إِذْ جَيْشُوا بِرُومَةٍ؟ ، وَنِقْمًا

180 أكثر من عشرة آلاف لهم

فِي مُعْضَلَاتِ الْحَرْبِ مَكْرُودَهَا

مِنْ قَمِيسِ عَيْلَانَ وَمِنْ تَجْدٍ وَمِنْ تِهَامَةٍ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ طَغَا

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ كُلُّ مَوْمِنٍ وَزُلْزِلُوا لَمَّا دَاهَاهُمْ مَا دَاهَا

فَأرسلَ اللهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ رِيحًا أَرَّاحَتْ مِنْهُمْ كُلَّ عَنَا

وَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةً مِنْ السَّمَاءِ يَجْنُودٌ لَا تُرَى

185 لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْبَلَاءَ عَمَّهُمْ وَفَرَّقُوا ، تَفَرَّقُوا أَيَّدِي سَبَا

جَلَّاهُمْ دُونَ قَيْتَالِ رَبَّنَا إِذْ كَفَّ عَنْهُ الْمُؤْمِنِينَ وَكَفَى

وَانْقَرَضَتْ قَرْيَةٌ بِالْقَتْلِ إِذْ خَانُوا وَخَالُوا أَنَّهُمْ ذَوُو نُهَى!

مَا بَيْنَ سَبْعِمِئَةٍ وَنَيْفٍ

قَدْ ضَرَبْتَ بِالسَّيْفِ مِنْهُمْ الطُّغَى

لَمْ يَقِيمِ مِنْ الْمَنَابِ وَالرَّدى مَا شَيْدُوهُ مِنْ حُصُونٍ وَبُنَى

190 فَمَا حَيْبِي حَيْبِي بْنِ أَخْطَبِ بِمَا جَنَى عَمْدًا وَلَا كَعْبُ نَجَا!

رَاحَتْ غَدَاةَ غَوْدِرُوا رَهْنَ التَّوَى

أرواحهم من الدننى إلى لنظى!

(١) في الأصلين : عسكر .

(٢) (كل) سقطت من م . وفي ط « من جبار قد عصى »

وقد فشت أخبار أرض خيبر إذ خربت بما أتاها من توى
 حل بهم جيش النبي غدرة وعمهم من جأشه خطب ذهى
 فاستفتحوا حصونهم ، واستأصلوا
 أعيانهم بالرهفات والقنا

[١٠٧ ب]

195 وفي عليّ إذ أراد بعثه
 كان بعينه أذى من رمدي
 وسار في الحين إليهم ناشراً
 قلع باب خيبر فما عصى
 أقامه عن ترسه فلم يزل
 200 فاستفتح الحصن الحصين واعتلى
 وحين تم المصطفى افتتاحه
 حاصرهم لياليا وآب من
 وفي افتتاح مكة عز غدا
 إذ جاءها يزحف في عساكر
 205 كئائب كأنها كواكب
 ملأتها خيلاً ورجلاً منهم
 حبت بهم ظلماء نفع ما لها
 عشرة آلاف كرام ألفت

[لخيبر] معجزة لمن يرى (١)
 فتقل النبي فيها فبرا
 رأته يوجب بال جيش الفلا
 راحته كأنه فيها عصا
 بيده حتى جرى ما قد رجا
 به على الأديان دين المجتبي
 لخيبر سار إلى وادي القرى
 عزوته تلك بعلق مؤتمنى
 مدل كل كافر فيها عدا
 ضاق بها رحب الأراضي والفلا
 وهوها كأنه (٢) بدر الدجى
 بين جبال وبطاح وربى
 ثواقب إلا أسنة القنا
 قلوبهم طراً على سبل الهدى

(١) [لخيبر] مقترحة ابتداء بالبيت ٩٨ : وفي ط « لبعض مجزة » !

(٢) في الأصلين : كأنها . ونرجح ما أثبت .

قَبَائِلٌ عَلَّتْ عَلَى قَبَائِلٍ مِنْ كُلِّ شَهْمٍ فِي الْحُرُوبِ مُتَّقِي
210 وَكُلِّ ضَرِّ غَمٍّ بَصِيرٍ بِالْوَعَى
قَدْ سَلَّ نَصْلَ الْعَزْمِ فِيهَا وَانْتَضَى

أَقْبَلَتْ فِي كِتَابَةِ خَضِرَاءٍ قَدْ
حَفَّ بِهَا التَّايِيدُ مِنْ رَبِّ الْعُلَا
عَنْتَ بِهَا رَكَائِبُ كَأَنْهَا مَرَاكِبُ فِي لُجِّ قَمَقَامٍ طَمَا
وَأَنْتَ يَا خَيْرَ الْوَارِي تَقْدُمُهَا كَأَنْتَمَا أَنْتَ بِهَا شَمْسُ الضُّعَا
أَنْتِ فِي جَنْدِ الْإِلَهِ رَافِيلاً فِي ثُوبِ تَأْيِيدٍ وَنَصْرٍ قَدْ ضَفَا
215 وَالْحَيْلُ مِنْ خَلْفِكَ تَحْتَالُ بِهَا وَالْعَيْسُ تَمْتَالُ ثَنَاءً وَثُنَى

[١٠٨ / أ]

قَدْ انطويتَ من تَوَاضِعٍ عَلَى
رَحْلِكَ لَمَّا أَنْ وَصَلْتَ ذَا طَوَى (١)

خَشَعْتَ مِنْ تَحْتِ لَوَاءِ الْعَزْ إِذْ
عَلَا بِكَ الدِّينُ كَالْأَسْمَا
فَاهْتَزَّتِ الْأَرْضُ بِهِ مِنْ فَرَجٍ وَزَهْوٍ إِذْ حَلَّ بِهَا عَيْشٌ حَلَا
عِزُّ نَبِيِّ عَقْدِ اللَّهِ لَهُ لَوَاءَهُ (٢) فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
220 وَحِينَ حَطَّ رَحْلُهُ بِيَبْكَةَ
لَمْ يَبْقَ إِذْ ذَاكَ بِهَا مِنْ مُشْرِكٍ إِلَّا اخْتَفَى خَوْفًا بِهَا ، أَوْ انْجَلَى

(١) ذو طوى . واد بمكة ، لما انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وإياه ليضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله عز وجل به من الفتح ، حتى إن عشقونه ليكاد يمس واسطة الرحل .
(٢) في الأصلين « لواء » ونرجح ما أثبت .

فما أفادتِ « ابنَ حربٍ » حَرْبُهُ
حتى أتاهُ صاغِراً فيمن أتى

ولا حمى فيها « حماساً » حَزْمُهُ
حتى نجا منهزماً فيمن نجا

فكانَ من فضلِ النبيِّ المُجْتَبَى
يَوْمئِذٍ أَنْ كَفَّ عَنْهُمْ وَعَفَا

225 وطافَ بالبَيْتِ العَتِيقِ شاكِراً
وللهِ ما أعطاهُ قَضْلاً وَحَبَا
ومرَّ بالأصنامِ إِذْ طافَ بِهِ
يُشيرُ نَجَوحِها فَخَرَّتْ لِلشَّريِّ

فبَعْضُها خَرَّ عَلى الوَجْهِ لِمَا
أصابَهُ ، وَبَعْضُها عَلى القَمَاقِمِ !
فأَصْبَحَ الدِّينُ القَويمُ قِيَمًا
سَما عَلى الأديانِ طُراً وَعَلا

وعادَ بَرَقُ الشُّركِ بَرَقاً خُلِبَا
- من بعدِ ما أومضَ حيناً - وَخبا

230 وفي حُنينِ حانِ حَينِ حارثِ
وملِكَ مالِكِ بنِ عوفٍ قد عفا !

دارتْ عليهم إِذْ أَتَوْا دِوائِرُ
وَأَسامِوا « دُرَيْدَهُم » إِلى الرِّدى

لِما أَتاهم ما حَبا اللهُ بِهِ
نَبيَّهُ من الفُتوحِ والغَنيِّ
غَاطَظَهُم فَجَمَعُوا من حَينِهِم
عَساكِراً بَينَ تَوَلَّى وَغَوَى

وَجمَعَتْ « هِوازنُ » قَبائِلُ
بِمنِ زَها عَقْلاً بِها حتى هَوَى

235 جاؤوا بأطفالِ وَأموالِ لَهم
من ذِي بُكاءِ وَيَمارِ (١) ورُغا !

(١) اليعار: صوت الغنم أو المعزى . والرغاء : صوت البعير .

فخرج النبي في عساكره من كل صنيدي كريم المنتمى
[١٠٨/ب]

عساكره وتبعها عساكره كل له عزم إذا الخطب عرا
لما تراءى العسكران أقبلت

جيوش أهل الشرك تعدو الخيمزلى
ففر جيش المسلمين هارباً فاثمت عيناثة منهم فقى !
240 فأنزل الله على نبيه سكينته شام بها برق المنى
فقام في الجيش لهم منادياً أنا محمد النبي المصطفى
ثم دعا العباس جهرأ فاثمتي إليه أنصار النبي إذ دعاً
فاجتمعت عليه نحو مئة ممن به في المضلات يهتدى
وأيدوا بعسكره عرمرم أنزله الله من أملاك السما
245 فانهممت جيوش أهل الشرك إذ

حمى جيوش المسلمين من حمى
فخذلوا طعناً وضرباً إذ جثوا
بين عواميل الرماح والظببا
نصره إلهي قضي الله به

من قبل خلق الخلق فيما قد مضى

نبي صدق صادق في زهده ما فوقه لمعتمل من معتلى
عدت له شم الجبال ذهباً طوع يديه من دنا ومن قصى
250 وراودته برهة عن نفسه فما اشرباً نحوها ولا رنا
كم وقف الليل الطويل قانتاً لم يغمض بسنة ولا كرى

حتى اشتكت رجلاه ما قد نالها

وشفها من ورَمٍ ومن (مأى) (١)؟

وزال عنه ما اعتراه من شقا؟

على الحجار كشحة من الطوى

أضاء نجم من درارها العلا

ليس يضاويه نبي مجتبي

منقدا في الحشر من نار لظى

فأنزلت (طه) له تَكْرِمَةً

وكم طوى إنبابةً لربّه

255 لولاه ما كانت سماوات ولا

هو الحبيب الأمر الناهي الذي

هو الشفيع في المعاد للورى

[١٠٩ / أ]

ومن سواه للخطوب يرتجى؟

مستمسكا بجبيله فقد نجبا

في خلقه وخلقه منذ بدا

والعلم والحلم جميعاً والندى

معترف بأنه خير الورى

في حده ملتئم منه الرضا

فأصله من النبي المصطفى

واثن بما شئت عليه من ثنا

وكيف يحصي أحد عد الحصا؟

وحامداً لفعليه وما عسى؟

أثنى عليه وحباه بالهدى

هو المرّجى (٢) للخطوب كاشفاً

هو الذي من أمه مستشفعا

260 هو الذي فاق النبيين معاً

فكلّهم مسلم لفضله

وكلّهم من تجرّه مغترف

وكلّهم دون علاه واقف

وكل ما جاؤوا به من آية

265 فانسب له ما شئت من شرف

فلا تثرى تبلغ منه غاية

وما عسى تثنى عليه مادحاً

وربه في محكم القرآن قد

(١) كلمة وردت مهملة ، ورسما فيها « ماا » ويمكن قراءتها بالفاء .

(٢) في الأصلين : هو المرتجى . والمثبت مقترح .

يا أيها المبعوثُ فينا رحمةً أنقذنا اللهُ بها من الردى
 270 خدمتكمُ بمدحتي هذي وإن كنتُ من الإحسان نائي المشتأى (١)
 أقصرتُ إذ كنتُ بها مقصراً أو لم أجد فيها معنى مُستقى
 لكنني طرّزتها من مدحكُمُ بجللِ ذاتِ بهاءٍ وحُلا
 مقصورةٌ، لكنّها مقصورةٌ على امتداحِ المُصطفى خيرِ الوارى
 ما شُبِّهتُ بمدحِ خلقٍ غيره لرتبةِ أحظى بها ولا جزأ
 275 فاقتُ (٢) علاء كلِّ ذي مقصورةٍ

وإن همُّ نالوا الأيادي واللشها
 فحازم قد عدُّ غير حازم (٣)
 وابنُ دريد (٤) لم يُفدِه مسادري
 فإن أكنُ ملقى الغنى من غيره (٥)
 فلنُ يفوتُ مملقاً منه الغنى
 وإمتا قصدي أنُ أحظى بها
 يبقى من الذكّر الجميل والتقى

(١) في « م » المنتهى وفي « ط » المنتوى . والمنتأى : الموضع البعيد .

(٢) فيها : فقلت . والمثبت مقترح مرجح .

(٣) حازم بن محمد بن حسن القرطاجي (٦٠٨ - ٦٨٤) أديب ، شاعر ، ناقد أندلسي
 يابغ نسبه إلى قرطاجنة الأندلس هاجر إلى المغرب واستقر بإفريقية ، وتوفي بتونس
 وله ديوان شعر (ط) وكتاب في النقد هو منهاج البلغاء (ط) ، وكتب أخرى .
 وله مقصورة طبعت في حوليات كلية آداب عين شمس .

(٤) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أئمة اللغة والأدب (٢٢٣ - ٣٢١) مؤلفاته
 كثيرة في النحو واللغة والأدب وغيرها وأكثرها مطبوع . وله مقصورة مشهورة في مدح

آل ميكال . وله أيضاً ديوان شعر مطبوع .

(٥) فيها : ملقى ، وضبطت فيها بفتح الميم .

[١٠٩ / ب]

وأستجيرُ من ذنوبٍ أثقلتُ^{٢٨٥} ظهري وأوهى ثِقَلُها منه القوى
 280 وأقعدتني مُقعداً قد غَضَنِي كأنني منه على جَمْرٍ الغَضَا
 يا أكرمَ الخَلْقِ علاءٌ وندا يا سَيِّدَ الرُّسُلِ الكَرِيمِ المُنتَمِي
 يا صاحبَ الحَيَوضِ الذي من أمه

يظفرُ بيوردٍ لم تكدره الدُّلا
 باعَ العَالي^(١) واشتري غيَ الهوى

يا نعيمَ ما باعَ وبئسَ ما اشتري !
 فكَم أضعَ في الدُّنَا سبيلَ الهدى

وكم أطاعَ في الهوى غيَ الصِّبَا
 285 فكُنْ شَفيعي يومَ لا يُغني امرءاً

ما ضمَّ من مالِ الدُّنَا وما حوى
 يا رَبِّ بالمُختارِ من أرومةِ

قَصَّرَ عنها كلُّ أصلٍ قد زكا
 ومَن له كلُّ فَخارٍ انتمى ومَن بهِ كلُّ نبيٍّ اقتدى

خُذ بيدي وامننْ بلطفِ منك في
 ديني ودُنْيائي وجُودٍ لي بالرِّضا

واغفِرْ بعفوٍ منك ما اجترَمْتُهُ
 واصفَحْ عن الزَّلَّاتِ يا رَبِّ العِلا

290 واجلُ صَدا قلبي وهبْ لي تَوْبَةً
 أحوِّبُها آثامَ قلبٍ قد قَسَا

(١) ورد هذا البيت والذي بعده في هذا الموضع في النسختين .

فلستُ ألقى لسواك راجياً و من سواك يا إلهي يُرتجى ؟
 وارحمهم محمدًا وآل بيته وصحبه الغر الكرام المنتمى
 صل صلاة منك تترى أبدأ عليه ما هبت على الروض الصبا

صاحبنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ
 عبد الله بن محمد البكري .

يكنى : أبا محمد ، وهو من أهل فاس . وبها رأيتُه وصحبته ،
 وأصل سلفه من الأندلس . وبالأندلسي يُعرف .

حاله :

له معرفة بالعربية ، وثقوب ذهن في الطريقة الأدبية . قد أخذ
 من المنطق بأوفى سهم ، وضرب في الفصاحة بسهم . وحوى الجود
 والعفاف [١١٠ / أ] وقنع في دنياه بالكفاف !

أنشدني لنفسه :

رعيًا لبدرٍ قد قَوَى بالحشا ربّاه^(١) مستنشقه ان مشى(؟)
 قد غآلني واستلّ من لحظه نَبلاً فصاد القاب هذا الرشا
 اللاحظ منه فاترٌ باترٌ والحسن من نشأته قد ننسا

صاحبنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ

محمد بن عمر بن توقرت الموحد التينملي :

يكنى : أبا عبد الله وهو من أهل فاس . وبها رأيتُه وصحبته .

وبعرف بالمصمودي وكان والده عمر يكتب للوزير أبي زيان فارس ابن ميمون بن ودرار الحشمي ولحقته ورأيته . وأبو عبد الله هذا توفي في إبان الشبوية ، وله اثنتان وعشرون سنة .

حاله رحمه الله :

هو بحر الآداب ، ورئيس النحو والحساب ، وأما القرءات فبهز فيها أهل عصره ، كما كان في النبلاء وحيد مصره ، عفا الإزار ، جم الحيا والوقار . كنت قد أنشدته بيتين أنشدنيهما لنفسه شيخنا الفقيه القاضي الفرضي أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية الوائشريسي . وسبب نظمه للبيتين أنه بلغه عن بعض الطلبة أن أحدهم نظم أبياتا في غاية اللحن والكسر فاستمزؤوا به وسخروا منه ، فخاطبهم بالبيتين ليكفوا عن ذلك ، وهما :

كفّوا عن اللّهُمِ والمِزاجِ وامضُوا على الجِدِّ والصِّلاحِ
فالجدُّ أهلٌ لكلِّ خيرٍ يقودُ للنَّجِحِ والفلاحِ

فلما سمعها مني استحسنتها ، ونظم أبياتا وبعضها مع نثر له إلى شيخنا القاضي أبي علي المذكور ، وهي :

دعوتَ للخيرِ والفلاحِ إذ قلتَ كفّوا عن المِزاجِ
وذاكَ أقصى مدى المعالي ورُتبةُ الرُّشدِ والنَّجاحِ

[١١٠ / ب]

وبعض أهل السيراع يلهو وليس [في] ذاك من صلاح
فعيش هنيئا قرير عيّن ما اعتقب اللئيل مع صباح

ولما وقفت على البيتين ورأيتهما في البراعة توأمين ، حملتني دعاية

الأدب ، واستهواني عند سماعها الطرب ، على أن قلت ما جمعت فيه بين (الحسنيتين فلم ينتج كالشدرتين) (١) على أني لو كنت أشعر من العرجي وأحفظ من الأصمعي ، وأبلغ من عبد الحميد وأجمع للحكم من لبيد ، لقصرت عن ذلك المنهج ، ولقيل لي « ليس هذا عشك فادرُج » ! لكن الإغضاء من شيم الأصدقاء .

فلاغرو أن يُغضي الكريم إذا رأى
مساوىء خل فالكريم الذي يُغضي !

والسلام .

صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن الشيخ الصوفي الصالح

أبي عبد الله محمد الأنصاري الخزرجي الشهير بالدباغ (*)

هو من أهل فاس . ونسبه في الخزرج ؛ ينتمي لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي . ورأيتُه بفاس ، وصحبته ، وكان يكتبُ الخراج بفاس . وامتدح ابن عمنا الرئيس إسماعيل بن الأمير فرج بن أمير المسلمين إسماعيل عم أبينا بن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير إسماعيل بن جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا السلطان المنصور محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي بقصائد بديعة عارض بها قصائد أبي القاسم ابن هانئ الأندلسي ، وانقطع بها إلى ابن عمنا المذكور .

(١) العبارة مطموسة تقريباً في « ط » ، وهي هكذا في « م » على أن الإعجام غير ظاهر

واقراً أيضاً « الحستين . . الشدرتين ؟ » .

(*) ترجم له ابن الأحرر في نثر الفرائد « ٣٧٦ » ، وقال فيه « وهو شيعي الذي به

تعلمت » . وأورد له شعراً في هذا الكتاب في الباب الأخير قاله في السيف الذي بصومعة

جامع القرويين بفاس .

حَالِهِ - سَمِعَهُ اللهُ تَعَالَى - :

هو فارس هذا الميدان ، وإنسان عين الزمان . له نظم رائق جمع فيه بين الجزالة والحلاوة ، ونثرٌ فائقٌ عليه رداء الطَّلَاوة . وباعٍ عظيم في نقد الأدب ، ومشاركة [في] (١) فنون متق من الطَّلَب . وغزله ألدّ من الماء القَرَاح ، ومدحُه أمضى من السيف [١١١ / أ] في الكفاح . قد أقرّ له بالتقدّم [في] القريض ، كل مَنْ نُشِرَ لواءه العريض ، لو رآه العِيَاد ، والصَّاحِبُ بن عبَّادٍ سَامِعًا إليه في فصاحة لسانه وبلاغة بيانه ، ولشغفًا به وكنا من جملة أخدانه . وماذا عسى أن يحدث لسانِي ، أو يكتبه (٢) بناني من وصف حاله ، وكريم خِلاله . وذاك بحر ، ليس له قعر ! وأثبت هنا من نظمه ما يدلُّك على حسن فهمه .

كنت قد طلبتُ منه شيئاً من شعره الذي امتدح به ابن عمنا الرئيس إسماعيل فبعث به إليّ ، وجاوبني بقوله :

« الجلالُ الذي يقصر عنه الواصف ولو أطال ، والجمال الذي يأوي إليه المعتفي والخائف فيبلغان الآمال . جلال مولانا الرئيس أبي الوليد إسماعيل ابن مولانا الرئيس أبي الحجاج يوسف بن مولانا السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله أبي عبد الله محمد بن مولانا علم الأمراء ووالد الملوك الكبراء الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن مولانا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن مولانا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن مولانا السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي الذي ملك عنان الفضائل الماثورة ، ورفع لواء الحيايل المشكورة . واحتوى على غرر الشائيل المبرورة ، قطب الرئاسة الذي عليه

(١) لم تظهر الكلمة في النسختين . (٢) في «ط» تكتبه .

مدارُ أفلاكها ، ودرّة المجد الذي بها فخارُ أسلاكها . لا بل حدقة المعاني
 وإنسانها ، وحديقة السيادة وبستانها . من إذا ذكر رائق الآداب فنسيجُ
 وحده ، وإذارُدّد فائق الأحساب فأبيه وجدّه . المنتمي من العُصبةِ
 القحطانية إلى أكرمها نجارا ، وأعزها جوارا . وأعلاها مآثر وأغرها
 إيثارا . الآخذ من طرْفِي الرياسة من سيف وقلم ، والمستولي على كِلتا
 السجّيتين من حلم وكرم . بيد أنه من بيت الملوك الرّحّب الإفنا ، الجلي
 السّناء والسّنا . الذي شمخت ذروته ، ورسخت بنيته . وقامت على تقوى
 الله دعائه ، وعظمت في ذاته [سجاياه ^(١)] [١١١ / ب] [٠٠٠] .

ملكُ قطعت دابر الشركِ تدابيرُه الصائبة ، وذبت عن المِلّة الحنفيّة
 ذُبابته القاضية ^(٢) .

ملكُ خبّت نارُ النفاقِ مهابةٌ لجلاله لما بدتْ أعلامه

ألْبسته بنو نصر آل الأحمر حمُرُ المطارف . وأمّدتْه بسوايغِ
 الخيراتِ من نالِد وطارف . فشامتْه جِلتُه الملوكِ برّقا يخيل .
 وأعدتْه لِكافةِ شُؤونِها أسفى مِعْوَل وأوفى متكل . ومن هذا البيت
 الكريم بيت أسلافه ، فلا يتمدى بالمدح لخلافه ، ولا يعدل به عن أوصافه .
 بل يستعمل فيه الفكر ، على كل من نظم أو نثر . على أنه لو مدحه شاعر
 كنده ، وبذل نظامه جهده ؛ وعمد تلقاء ذلك ابن العميد ، وقدامة
 وعبد الحميد ؛ لما حصلوا منه على غاية ، ولا تواصلوا إلى نهاية . لكنه
 بفضله يقبل ما يسبح ، ويفضي فيستملح .

(١) كلمتان مطموستان إلا بعض الأحرف ، تبينت الأولى وغمت على الثانية .

(٢) فيها : القاضية . ونرجح ما أثبت .

وقد بلغني - أبقى الله جنبه منيع الحمى ، رفيع المنمى - أنه شرع في تأليف كتاب ترجمه بـ « أسنى الوسائل في مختار الشعر والرسائل » يحتوي على غرر ما تخير ونقد ، وأورده على ثاقب ذهنه فورده . كل ذلك مما أحدثه أهل العصر ، من بديع نظم وبلغ نثر . وأنه عند تصفحه أشعار الناس ، وعرضها على ذكائه الذي عجزت عن لحاقه فطرة إياس ؛ ووقفت دونـه وقوف الطامع بين الرجاء والياس . وكان من بعض ما اقتضته حقيقة تأويله ، وعقدت بصحته جملة تفصيله ؛ أن يجعل أشعاري من أحظى الأشعار لديه ، وأرفمها وأعزها عليه . وليس ذلك لغرابة في ألفاظها ومعانيها ، لكن لغرابة لا يمكنه إلا صلة رحمها وتدانيها . وذلك أنه لما نظر بعين فطنته ، وميز بذكائه وسالم فطرته ؛ تبين أنها من الفائت الذي لا يلحق ، والشاقق الذي لا يطرق . ولعمري إنها لذلك ، وإن قصرت عن شأو الشعراء نظاما ، وضعفت عن ذلك [١١٢ / أ] المسلك حولاً وإماماً ، فقد أحرزت بممدوحها جلالاً وإعظاماً ؛ ومالت به في دوحة البلاغة غصناً ناعماً ، وطلعت في سماء البراعة بدرأً تاماً . ولا غرو أن المنازل تشرف بسكانها ، وتغلو وترخص بجيرانها . وعلى هذا الدأب ذأب ، وإلى هذا المذهب ذهب وبه تمذهب .

والله تعالى يبقي بركته ويديم عاقبته . ويتمم ما جنحت إليه طباعه ، وسارع إلى تهذيبه من التواليف الشريفة والتصانيف المنيفة يراعـه . والسلام الأتم يعتمد كاله ، ورحمه الله وبركاته . من معظم قدره أحمد ابن محمد الدباغ .

أنشدني لنفسه - نساء الله في أجله - يمدح ابن عمنا الرئيس
 أبا الوليد إسماعيل ابن الأمير أبي سعيد فرج بن أمير المسلمين أبي
 الوليد إسماعيل عمّ أبنينا ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن
 جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله
 أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي :

عَجِبًا أَيَتَّخِذُ السَّلْوُ خَلِيلًا
 مَنْ لَيْسَ يَأْمَلُ أَنْ يَبِينَ نَحْوًا

جَهْلَ الْعَوَازِلِ مَا بِهِ فَتَجَاذَبُوا
 طَرَفَ الْحَدِيثِ عَلَيْهِ وَالتَّأْوِيلًا

هَيْهَاتَ لَوْ صَحَّتْ بِصَائِرِهِمْ لَمَّا
 قَالُوا تَسَلَّى حِينَ صَارَ عَلِيًّا !

دَعَّ مَا ادَّعَوْهُ وَخَذَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ
 وَمَنْ الدَّلِيلُ تَفْهَمِ الْمَدْلُولَا

5 لو كان يركن للسلو لما بكى
 شوقاً وحنّ صبايةً وغليلاً

وَاسْتَطَرَفَ السَّقْمَ الْمَبْرُحَ مُطَرَفًا
 وَاسْتَعَذَبَ التَّعْذِيبَ وَالتَّنْكِيلَا !

وَالسَّقْمُ أَفْضَحُ فَاضِحٌ لِذَوِي الْهَوَى
 وَكَفَى بِذَلِكَ شَاهِدًا مَقْبُولَا

يَا أَيُّهَا الْمَعْدُورُ فِي شَأْنِ الْهَوَى
 هَنْتُ ، إِنِّي لَمْ أَزَلْ مَعْتَدُولَا !

أنا من عهدت ، أخو الهوى وخديته
ما زلتُ معروفًا به مستنولًا

[١١٢ / ب]

10 لم أمنح السلوان بعضَ وفاي^(١) لا
وأبيك ما خنتُ القرامَ فتبيلًا
ولرُبِّما أصبحتُ مشغوفًا بمن
يُسمي ويصبحُ بالجفا مشغولًا
وسنانَ بيتٍ بهِ سَميرَ كواكبِ
يَطوي السَّاءَ بها الدَّجى ترحيلًا
وكأنَّه تاجٌ لفرق بدرها
وكأنَّها نظمتُ له إكليلًا

في ليلةٍ قصرت على أبراجها
أنسا ، وحللتُ عقدَ صابري طولًا

15 رِقَ السُّها فيها لِمَا لاقَيْتَهُ
وَجَدًا فأخفاهُ ضنِّي وذبولًا

[لايبعد]^(٢) الله التي تركتُ دمي
أسفًا على أطلالها مَطنولًا
وتحمّلتُ وهي العالِمةُ أن لي
قلبا فؤيِّتقَ حمولها مَحْمُولًا

(١) في « ط » وفاي . وصورة الصفحة مضطربة في « م » وتقرأ « ذمائي » أيضًا .

(٢) موضع البيت مخروم في « ط » ولم تظهر الكلمة الأولى في « م » . وقريب أن تكون مثل « حفظ » و« رعى » أو « لايبعد » المؤدية معنى الدعاء ، المقصود منه العتاب الخفيف .

أَتَبَعْتَهَا يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ عَيْسُهَا
 دَمْعاً يَسْحُ وَلَا عِجَاباً مَشْفُؤِ لَا
 فَمَتَى ظَمْتِ رَوَيْتَهَا ، أَوْ أَظَلَمْتُ
 أُجِجْتُ دُونَ مَطِيئِهَا قِنْدِيلاً !
 يَاهِدِي إِذْ كَذتِ ظَاعِنَةً فَلَا 20
 تَسْتَثْقِلِي جَسِداً غَدَا مَهْزُؤِ لَا
 أَوْ لَيْسَ أَضْحَى فِي قِيَابِكَ قَابِيهِ
 مَلْقَى ، وَأَمْسَى عَقْلُهُ مَعْقُؤِ لَا ؟
 وَلَكِنْ بَخَلْتِ فَمَا عَلَيْكَ مَلَامَةٌ
 حَقٌّ لِمِثْلِكَ أَنْ يَكُونَ بَخِيلاً !
 مَا لِي وَلِلدَّعْجِ الْمِرَاضِ تَسْتَوْشِي
 وَأَبَيْتُ وَهَاناً بِهَا تَحْبُؤِ لَا ؟
 وَأَخَافُ آرَاماً بِرَامَةٍ رُتَمًا
 وَأُخَالُ مِنْهَا كُلَّ شَعْبٍ غِيلاً !
 حَتَّى كَأَنِّي نَجَلْتُ إِسْمَاعِيلَ قَدًّا 25
 رُمِيَّتْ جَزِيرَتَهُ بِإِسْمَاعِيئِلا
 مَلِكٌ الْآنَ الدَّهْرَ بَعْدَ قَسَاوَةٍ
 وَأَعَادَهُ بَعْدَ الْجِيَا حِ ذَلُولاً (١)
 مَلِكٌ بَرَاهُ اللهُ يَكْفُلُ خَلْقَهُ
 وَكَفَى بِهِ كَهْفًا لَهُمْ وَكَفِيلاً
 مَلِكٌ إِذَا مَا حَلَّ أَرْضاً ظَنَّهُ
 - لَجَلَالِهِ - سَكَبُهَا جِبْرِئِلا !

(١) في القصيدة مبالغات مفرقة عجيبة . وسنكتفي هنا بهذه الإشارة .

حق إذا فاضت (١) أنامله ندى
قالوا أتاح الله ميكائلا !
30 وإذا امتنطى منه المطهم قال من
شهد الواعى عاينت عزرائلا !

[١١٣ / أ]

راقبه يوم الروع إذ تنبؤ الظبا
وترى الأسنة عطلت تعطيل
والجو قد ضرب الظلام عليه من
نسج القتام سردقا وسدولا
وعلى متون الجرود كل سمدع
قد عاد من بعد المنضاء كليل
لترى المهابة والجلالة والعلا
والبأس والإنعام والتفصيلا

35 هذا ابن وحي الله تأخذ هديها
معه الملائك بكرة وأصيلا
ذو النور توليه النبوة والعلی
شكراً كنائله الجزيل جزيلا
لا مثل يوم فيه يوم أدلة
يهدي إلى المتفقين عقولا
في موسم البحر الشنيع يروقني
وأغض طرفاً عن سناه كليل

(١) فيها: فاضت، ونرجح ما أثبت. (٢) كذا بالصاد المهملة. (٣) كذا!

والجوه يعمثرُ في الأسيْنَة والطُّبَا
والأَرْضُ راجِفَةٌ تَمِيلُ مِمِلا

والخافقاتُ على الوَشِيحِ كَأَنَّمَا 40
يَطْلُبُ بِنَّ عِنْدَ الْمُعْصِرَاتِ ذُحُولًا

والأسدُ فاغِرَةٌ تَمَطِّي بَيْنَهَا
والدَّهْرُ يَنْدُبُ شِلْوَهُ الْمَأْكُولًا

والشمسُ حاسِرَةٌ القِنَاعِ وودَّهَا
لو تَسْتَطِيعُ القُرْبَ والتَّنْقِيلا

وعلى أمير المؤمنينَ عَنَامَةٌ
نَشَأَتْ تَظْلَالُ قَاجَهُ تَظْلِيلًا

تَهَضَّتْ بِثَقْلِ الدَّرِّ ضَاعَفَ نَسْجَهَا
وَجَرَتْ عَلَيْهِ عَسْجِدًا تَحْمَلُولًا

ذَعَرَتْ مَوَاكِبُهُ الْجِبَالَ فَأَعْلَسَتْ 45
هَضْبَاتِهَا التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيلًا

أُمْدِيرُهَا مِنْ حَيْثُ دَارَ لَطَالِمًا
زَاحَمَتْ تَحْتَ رِكَابِهِ جِبْرِيلا !

قَدْ ضَمَّ قَطْرُهَا الْعِجَاجُ فَمَا قَرَى
بَيْنَ السَّنَانِ وَكَعْبِهِ تَحْلِيلًا

رَفَعَتْ لَهُ فِيهَا قِيَابُ لَمْ تَكُنْ
ظَعْنًا بِأَجْرَاعِ الحِمَى وَحُمُولًا

وَتَبَاشَرُ الفَلَكُ المِدَارَ كَأَنَّمَا
يَبْغِي بَيْنَهُ إِلَى السَّمَاءِ رَحِيلًا

50 يُدني إليها البُخت كلَّ عُدافرٍ
يهوي إذا سارَ المطيُّ ذَميلاً (١)
تتعرَّفُ الهضْبُ الموائِلُ حولهُ
نَسباً، وينكرُ شدْقاً* (٢) و«جدَيْلا»

[١١٣ / ب]

وتُجِنُّ منهُ كلُّ وقره لبدّةٍ
لَسِيناً، ويحمل كلَّ عضو فيلا !
وتظنُّهُ مُتَخَبِّطاً من كَبْرَةٍ
وتخاله متشمرّاً ليصُولاً
وكأَنَّمَا الجُردُ الجنائبُ خُرْدٌ
سُفرتُ قَشُوقٌ مُتَمِيماً متصُولاً
55 يَبْدُو عليها المعزُّ تتواضعُ
فيكونُ أكثرُ مَشِيهاً قعجِلاً (٢)
ويجلُّ عنها قَدْرُهُ حتّى إذا
راقتهُ كانتُ نائلاً مَبْدُؤَلاً
من كلِّ يَعبوبٍ يُجيدُ قَبلاً تَرى
إلا قَدِالاً سَامِيّاً وتكَلِّماً
وكانَ بينَ عِنايهِ ولِسانِهِ
رشاً، يربِغُ إلى الكِناسِ، حَذُؤَلاً

(١) البخت: الإبل الخراسانية. والعدافر العظيم الشديد من الإبل. (*) فيها .

(٢) كلمة غير ظاهرة في الأصلين، وهذه أقرب قراءة. وقرأ أيضاً قعجِلاً .

لو تشرَّب له عقيلة رِبْرَبٍ
ظنَّته جُوذِرَ رَمليها (١) المَكحولاً
جَدلانَ أَقبلَ ماشِياً متنصِّياً 60
عدوانَ أدبرَ خاضباً إَجفِيلاً (٢)
تَتَبِينُ اللحظاتُ فِيهِ مَواقِعاً
فَتَظُنُّ فِيهِ للغَرامِ مَحِيلاً
تَسْتَنزِلُ الأروى (٣) على صَحواته
وَبِيبَتُ فِي وَكرِ العَقابِ ذَريلاً !
يَوي بِأَمِّ الحِشْفِ (٤) بينَ فِروجه
وَيُقيِدُ الأدمانَةَ العُطْبُولاً
صَلتان (٥) يَعتقُ فِي البُروقِ لَوامعاً
وَلقد يَكُونُ لِأَمَهِنَ سَليلاً
يَسْتَقربُ الشَّوَّ البَعيدَ مُسابقاً 65
وَيَجِيءُ سابِقَ حَلبَةِ مَشكُولاً
هَذا الَّذي مَلأَ القلوبَ مَهابَةً
هَذا الَّذي دَرَكَ العَزيزَ ذَليلاً !
فَإِذا نَظرتَ نَظرتَ غَيرَ مَشبُهَةٍ
إِلا التَفاتَكَ رَايةً ورَعيلاً

(١) في « ط » وصلها .

(٢) الإَجفيل : الظلم ينفرد من كل شيء . والخاضب : الظلم إذا أكل الربيع فاحمر ظنوبه .

(٣) الأروى ج الأروية : أنثى الوعول .

(٤) الحشف : ولد الظبي أول ما يولد .

(٥) الصلتان : النشيط ، الحديد الفؤاد من الخيل .

إن تلتفت فيكرادسا ومغانيا
أو تستسمع فتغنمنا وصيلا

يوم تجلى الله في ملكوته
فراه في المرأى الجليل جليلا

70 وتخلت الدنيا بسيمطي درها
فرايتها شخصاً لديك جميلا

حليت فيه بقلية فمحتة
نظراً بيوم غيره مشغولا

ورقيت منبرك المعلسى واجفاً
من تحت عقد الرايتين مهولا

[١١٤ / أ]

مسدول ستر جلالة أنطقته
فرفعت عن حكم البيان سدولا

وقضيت حقّ العام مؤنفاً وقد
ودعت عاماً للجهاد محيلا

75 وشفت في وفد الحجيج كأنما
نقلتهم إخلاصك المقبولا

وصدرت تحبو الناكثين مواهباً
هزت قنؤولاً للسباح فتمولا

وهي الجرائم والرغائب ما التققت
إلا لتصبح قادراً ومنيلا

قد جُدت حتى أمَلتْكَ أُمِيَّةٌ
لو أنَّ وِترًا لم يُضَعْ تَأْمِيلاً!

عَجِبًا لِمَنْصَلِكَ المَقْلَدِ كَيْفَ لَمْ
تَسِيلِ النّفوسُ عَلَيْكَ مِنْهُ مَسِيلاً

80 لم يَخُلْ جَبَّارُ الملوِكِ بِذِكْرِهِ

إِلَّا تَشْحَطُ فِي الدَّماءِ قَتِيلًا
وَكأنَّ أرواحَ العِدا شاكِنَتُهُ

فإِذا دَعَا لَبِيَّ الكَبِيءِ عَجُولا!
وَإِذا اسْتِضَاءَ شِهابُهُ بَطْلُ رَأى

صوَرِ الوَقائِعِ حوْلَهُ تَخْيِيلًا
فإِذا رَأيناهُ رَأينا عِلْمَةً

لِلنَّيِّراتِ ، وَنِيْرًا مَمْلُولا
بِكَ حُسْنِهِ مُتَقَلِّداً ، وَبِهاؤُهُ

85 مُتَنَكِّبًا ، وَمِضاوَهُ مَسْئُولا
فإِذا غَضِبْتَ عِلْتَهُ دَوْنَكَ رُبْدَةً

يَعْدُو لها طَرَفُ النِّهارِ عَجِيلاً
وَإِذا انطَوَيْتِ عَلى الرِّضا أهدى إِلى

شَمْسِ الظَّهِيرةِ عارِضًا مَصْفُولا
سَماءَ جِدِّكَ ذُو الفِقاَرِ وإِمْبا

سَماءَ مَنْ عاَدَيْتَ عِزَّ رائيلاً!
كَتَبَ الفِرَندُ عَلَيْهِ بَعْضَ صِفاَتِكُمْ

فَعَرَفْتَ فِيهِ التَّاجَ وَالإِكْبِيلاً

قد كان يذمر بالوعيد لطول ما
 أصغى إليك ، ويملم التأويلا
 90 وكان به لم يبق وتراً صائلاً (١)
 في كربلاء ولا دماً مطلاً ولا
 أو ما سمعتم عن وقائعه التي
 لم تسبق إشراكاً ولا تبديلاً
 سارت به شنع (٢) القصاصيد شرراً
 فكأنما كانت صباً وقببولا
 حتى قطعن إلى العراق الشام عن
 عرض وجزء إلى الفرات النيل

[١١٤ / ب]

طلعت على الطلقاء بالسير التي
 سيرتها غرراً لكم وحججولا
 95 أجليين من فيكري إذا لم يسمعوا
 لسيوفهن المرهفات صليلا
 ولقد همت بأن أفك قبودها
 لما رأيت الحسين قتيلا
 حتى رأيت قلندي منحولة
 والقول في أم الكتاب مقولا
 ولئن سامت لأجلين لعزها
 ميدان يشفي مقصراً ومطويلا

(١) في « م » صائلاً وفي « ط » سائلاً .

(٢) كذا فيها . قال في القاموس « المشنوع : المشهور » .

حتى كإني ملهمٌ وكأنها
 100 ولقد ذعرتُ لما رأيتُ فغودرتُ
 ولقد رأيتك لا بلحظٍ عاكف^(١)
 ولقد سمعتك لا بسمعي هيبة
 أبني النبوة هل تُغادر آية
 إن الخبيرَ بكم أبان بفضلكم
 105 وأتاكم القدس الذي لم يؤتبه
 إننا استلمنا ركنكم ودنوتكم
 فوصلتم ما بينه وأمدكم
 ما عذرکم ألا تطيبَ فروعكم
 أعطتكم شمُّ الأنوفِ مقادة
 110 خلدتكم في العشبِ شميّة لعنة
 راعتهم بكم البروق كأنما
 فيمن تظنون الأئمة منهم
 من أهل بيتٍ لم ينالوا (بغية؟)
 لا تعجلوا إني رأيتُ أُناتكم
 [١١٥ / أ]
 115 أمتوج الخلفاء حاكمتهم وإن
 كان القضاء بما تشاءُ كفيلا

(١) كذا ورد الشطر قبها . قلت : وانظر البيت التالي .

(٢) كلمة لم تتبين بوضوح ، والمثبت قريب من الرسم .

(٣) الكند : مجتمع الكتفين من الإنسان .

الباب الحادي عشر - فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهاءها ٤١٣

والكتب لولا أنها لك شهيد ما فصلت آياتها تفصيلا
الله يجزيك الذي لم يجزه - فيما هديت - الجاهل الضليلا
ولقد براك فكنت موثقه الذي أخذ الكتاب وعهده المسؤولا
حتى إذا استرعاك أمر عباده أدنى إليك أباك إسماعيل

120 من بين حجب النور حيث تبوأ

آبؤه ظل الجنان ظليلا

وورثته البرهان والتبيان والقروآن والفرقان والإنجيل

وعلمت من مكنون عليهم الله ما لم يؤت جبريلا وميكائيل

لو كنت آونة (١) مبشر أمة نشرت لبعثك القرون الأولى!

أو كنت نوحاً منذراً في قوميه ما زادهم بدعائه تضليلا

125 لله فيك خفيته لو أعلنت أحميا بذكرك قاتل مقتولا!

لو كان آتى الخلق ما أوتمته لم يخلق التشبيه والتمثيلا!

لولا حجاب دون علمك حاجز

وجدوا إلى علم الغيوب سبيلا!

لو لم تكن (٢) سبب النجاة لأهلها

لم يغن إيمان العباد فتيلا

لولاك لم يكن التفكير واعظا والعقل رشداً والقياس دليلا

130 لو لم تعرفنا بذات نفوسنا كانت لدينا علما مجهولا

(١) كذا في النسختين .

(٢) فيها « يكن » وترجع ما أثبت .

لو لم يفض لك في البرية ما حل
 كاذت مفوقة الرياض مَحولا
 لو لم يكن فيك اعتبار للورى
 خلوا فلم يكن الدليل دليلا !
 نبيه لنا قدراً نغيظ به العدا
 فلقد تَجَهَّمنا الزمانُ مَحولا
 لو كنت قبل نكون جامعَ شمِلنا
 ما نيل من حرْماتنا مانيلا !

[١١٥ / ب]

شيخنا الفقيه عبد الفغار بن موسى البوخلفي (١) :

يكنى : أباحمد . وهو من أهل فاس . وبها رأيت ، وأجازني في
 التاريخ والآداب .

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو فقيه نبيه ، ومعظم عند الناس ووجيه . حافظ للتواريخ القديمة
 والحديثة ، يستعذب المجالس له نظمه وحديثه . قد انقادت له أزمة مطايا
 الإنشاء ، فيصوغ (٢) منها ما يحب وما يشاء . وميدان الفصاحة عنه غير
 منع ، إذ لا يتكلم أكثر أوقاته إلا بكلام مسجع . وكان قد رأى

(١) سيذكره ابن الأحمر مرة أخرى في الباب الثاني عشر . وقد قال فيه هناك « شيخنا
 الفقيه المتفنن » .

(٢) رسمت الكلمة في الأصلين « فيصوغ » مشددة الواو .

غزالاً ذكره أيام غزاه ، وأنهضه الى عصر التصابي بدوله ، فأنشد
مرتجلاً ، وفي ذلك الغزال متغزلاً !

وشادِنِ مثل وجه البدر غرَّتْهُ

سبى فؤادي فَمَا أَبْقَى ولا تَرَكا

جِسْمِي له دارةٌ والقلبُ مركَّزُهُ

فحيثُما دارَ كانتُ مُهْجَتِي فسلكا

لهُ لِحَاطُهُ تَصِيدُ العاشِقِينَ ولمْ

تَسْخَفُ عِقَاباً بما صادتُ ولا دَرَكا

وثغرُهُ كوميضِ البرقِ تَبْصِيرُهُ

يَلْسُوحُ من شفتيه كَلْسُما ضَحِيكا !

فاعجَبْ لِظِيْرِ غدا لِلأسدِ مُقْتَنِيصاً

مُسْتَعْمِلاً من طُبا أَلْحَاطِيهِ شَرِكا

أهوى رِضاهُ وأهوى أنْ يُعَذِّبني

فمَسْلُكِي في هَواهُ حَيْثُما سَلَكا !

وأتى يوماً لدار بعض أصحابه ليستدعيه ، إلى أدب يرويه ، أو خبر
طيب يعيه ، فخرج إليه وقد اشتد نار ولوعه ، وهو يؤججها بفض
دموعه ! فتعجب مما دهاه من الداھية الدھماء ، ومن النار المتأججة بالماء ،
فسأله عن لوعته ، فأخبره بعظيم فجعته ، لما أصيب بولده محمد الملقب
بأبي نور ؛ الذي يحسده الغصن في تمايله ويظل البدر منه غيور^(١) ،

فاسترجع ثم قال ليسليه ، من الكرب الذي انغمس فيه ، ويؤدي من
حق التعزية ما يجب للمؤمن من حق أخيه :

[١١٦ / أ]

ما المرء في هذه الدنيا بمسرور
فيا أبا الحزَمِ صبراً عن أبي نور

واعلم بأن سهام الموت صائبة
تقضي على أمر مننا وأمور

وقل كقول رسول الله مُحْتَسِباً (١)
نعم ، وما إن بقول الرسل من زور :

إن الفؤاد لمجزون وليس لنا
إلا رضى الله لا ذرى بمحذور

شيخنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ محمد بن محمد بن محمد

ابن داود الصنهاجي (*) :

يكنى : أبا عبد الله ؛ ويدعى بأبي المكارم منديل ؛ ويعرف بأبن
أجروم . وهو من فاس ، وبها رأيت ، وأخذت عنه العربية . وأجازني
إجازة عامة .

(١) يعزبه ، ويطلب إليه التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه ومقالته صلوات
الله عليه في « إبراهيم » ابنه يوم استأثر الله به .

(*) هو ابن صاحب (الأجرومية) المشهورة في النحو . وكان « حافظاً للطريقتين
التاريخية والأدبية » وفي أخباره أنه كان يقرأ مقامات الحريري في بعض محاضراته
الأدبية كما ذكر ابن الأحمر أيضاً . وكانت وفاته سنة ٧٧٢ .

وأبوه أبو عبد الله محمد كان فقيهاً متفنناً ، استاذاً ، نحويًا ،
لغويًا ، مقرئًا ، شاعرًا ، بصيرًا بالقراءات . ولم يكن في أهل
فاس في وقته أعرف منه بالنحو (*) .

ومن قوله في (مَنْ) حلق رأسه :

ماشانتهُ شينًا حلاقةُ رأسه بل زادَ أضعافًا بذاكَ جمالهُ
فالبدرُ أضوأُ ما يكونُ إذا نأتُ عنه السحابُ ويستبينُ كالهُ
والشمعُ أنورُ ما يكونُ ضياؤهُ للناظرينَ إذا يقطُهْ ذبالهُ

ومحمد^(١) والد محمد كان فقيهاً ، فريضياً ، صالحاً ، ورعاً .

وشيخنا محمد بن محمد بن محمد - المدعو بمنديل هذا - كنت أحضر
حلقته حين كان يقرئ مقامات الحريري بجامع القرويين من فاس أنا
وابن عمي الرئيس إسماعيل . وكان يحضر في جملتنا شاب وسيم من
أبناء مرين وهو عمر بن عبد المؤمن بن عمر الينجناسي . وكان شيخنا
منديل هذا يميل إليه^(٢) ويظهر أنه خلي . . . فكتبت له بقولي :

مَنْ مُبْلِغُ الْأَسْتَاذِ عَنَّا أَنَّهُ

شغل الخواطرَ ، والنواظرَ سهدا

جئنا لينقتبسَ الهدى من نورِهِ

لمَّا أضاءَ بقطرنا وتوقدنا

(*) قال فيه أحمد بابا في نيل الابتهاج « الأستاذ النحوي ، صاحب المقدمة في النحو »

ومولده سنة ٦٧٢ ووفاته ٧٤٣ بفاس . وكان عالماً بالقراءات .

(١) جد المترجم به .

(٢) هذه القطعة والتالية لها تدخل في مداعباتهم .

فإذا به - والله يُجزلُ أجره ! -

يَجَلو فُتُونَ السَّحَرِ فِي بَيْتِ الْهُدَى

[١١٦ / ب]

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ ذُو فِطْنَةٍ

وَأَرَاهُ عَنِ فَهْمِ الْفُتُونِ تَبَلُّدًا

وَبَزَعَهُ لَمْ يَهْوِ إِلَّا رَوْضَةَ

أَدْبِيَّةٍ قَدْ رَادَ مِنْهَا مَوْرِدًا

وَأَنَا أَقُولُ بَصْدًا مَا قَدْ قَالَهُ

وَالْحَقُّ لَيْسَ بِمَكْنٍ أَنْ يُجْجِدَا !

وبعث له ابن عمنا الرئيس - سمي - معرضاً بذلك الوسم بقوله :

أَبَا الْمَكَارِمِ ذَا الْأَحَاجِي وَالْحِجَا

وَابْنَ الْجَهَابِ ذِي جِلَّةِ الثَّقَاذِ

لَا أَعْتَبُ عَلَى الصَّبَابَةِ بَعْدَ أَنْ

فَتَكْتُبَ طَبَا الْأَحَاظِ فِي أَفْلَازِ (١)

وَلَقِيتُ مِنْ عَمْرٍو الَّذِي لَا قِيَّتَهُ

وَلَطَالَمَا أَكْثَرْتُ مِنْهُ عِيَاذِي !

أومى إليّ بقلبة ريمية

فرجعتُ عن دين الملام لأجلها

وعجبتُ كيفَ تصبرهُ الأستاذ !

حاله - رحمه الله - :

كان حسن المشاركة في العربية ، حافظاً للطريقتين التاريخية والأدبية .

(١) كذا فيها ، وقرأ أيضاً : أفلاذ .

حسن الخبايل ، لطيف الشهايل . مع ذكاء لا يوجد في سواه ،
 وكلام أحلى من الشهد في الأفواه . ونظم كالفلاند ، في أجياد
 الخرائد : ونثر بارع مستعذب ، أرق من مَرِّ التسميم وأطيب ، بل
 هو أحلى من الشهد وأعجب ! .

أنشدني لنفسه في الفخر والتعريض لبهض أهل العصر :
 مَنِ المَشِيبُ على فَوَدِيه يشتلُّ

فكيف باللَّهو في دُنْيَاه يشغل؟!

وكيف يحرصُ في طولِ المَقَامِ بِهَا
 مَنُ كان يعلمُ أنْ لا بُدَّ يَرْتَحِلُ

صَحَّ الَّذِي خَرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ نَبَأِ
 عَنِ النَّبِيِّ وَمَا فِي قَوْلِهِ خَطَلُ

إِنَّ الْفَتَى إِنْ يَشِبْ مُسَوِّدٌ مَفْرَقِ
 تَشَبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحَرَصُ وَالْأَمَلُ

[١١٧ / أ]

5 إِنْني لأعجبُ مَن ساءَ عُمُرُ
 وسرَّه أنْ أمرَ النفسِ مُمْتَلِ

لكنَّ أعجبَ منه مُبْتَغِي رُقَبِ
 ولا لِنَدِيه بِهَا عِلْمٌ ولا عَمَلُ !

شَتَّانَ مَا بَيْنَ مَنْ رَقَّاهُ مَحْتِدُهُ
 وخاملِ كسلِ أودى بهِ الكسلُ

قلْ لِلْمُناوِي بِإِفْسَاكِ الْمَسِينِ مِنْ حَسَدِ
 أَيْسَتَوِي الكُحْلُ فِي الْعَيْنَيْنِ وَالْكُحْلُ؟! !

نَحْنُ الألى فَرَعُوا للمجدِ ذروتَه
 وفي ظِلَالِ تِلَاعِ العِزِّ قد نَزَلُوا
 10 إنْ كانَ ذُو نَهْلٍ للعِلمِ أَوْ عِلَلٍ
 فَعَنَ أبايَ كانَ ذاكَ النَهْلُ والمِئِلسُ
 لم نَسْتَكِيلُ في ارتِفاعِ الصيِّتِ قَطُّ على
 إِشادَةِ الصَّوْتِ من زَيْدٍ - كما اتَّكَلُوا -
 ولم نَبِيعَ أَجرَ تَعليمِ القرآنِ (١) بِبِها
 يَفْقَهُ من السُّؤْمِ في الدُّنْيا - كما فَعَلُوا -
 يُقرُّ بِالْفَضْلِ إِصْفاً لِصاحِبِهِ
 وَيَسْبِقُ السَّيْفَ في أَعْدائِنَا العَدْلُ
 وليس ظَهري لِباغِي الضَّمِّ مُحْتَملاً
 كما سِوانا وإِليه - الدَّهْرَ - يَحْتَمِلُ
 15 لا نَبْتَغِي غَيرَ هذا في الدُّنْيا صِفَةً
 قَفُوا لِشِدْثَةِ دانَتْ بِبِها الأوَّلُ
 ما طابَ أَصلٌ له فَالْفَرَعُ يَتَّبِعُهُ
 وليسَ عن طَبِيعِها الأَشْياءُ تَنْتَقِلُ
 لو أُسْقِيتُ بِمِجاجِ النَّحْلِ حَنْظَلَةٌ
 لم يُعَذِّبِ الطَّعْمَ مِنْها ذاكَ العَمَلُ
 بِسِيبويهِ نَسِينا كُلَّ فائِدَةٍ
 في صَنعَةِ النِّجْوِ لا «الكِرَّاسُ» و«الجُمَّلُ»
 وفي مَسائِلِ «إِيضاحِ» لنا وَضَحَتْ
 من التَّصَرُّفِ شَمْسٌ بِبِئِها الحَمَلُ

(١) اقرأ «القران» بنقل حركة الهمزة إلى الراء.

20 وعندي « حوز الأمانى » شاهدٌ فظن

إذ أحرزتُ بيحمانا تلکمُ السبيلُ

وكم لنا في « عروض الشعر » من نكتٍ

يدري بذلكَ عنا « الزحفُ » و« العليلُ »

« بالشعر » نفعلُ إن نَشْرَعُ أسنته

ما ليس تفعله الخطيبةُ الذبيلُ

إن كنتَ تجهلُ هذا فلتسعدُ نظراً

ما العالمونَ كَمَنَ للشَّيْءِ قد جهلوا!

وطلب منه صاحبنا الفقيه أبو العلى إدريس بن أبي زيد

التونسي [١١٧ / ب] (١) أن يصنع (غداء) الكسكسو (٢)

(١) سقط من نسخة دار الكتب المصرية المرموز لها عندنا في هذا الكتاب ب: « م »
الورقتان ١١٧ و ١١٨ ونحن نستدر كها هنا من نسخة الرباط « ط » وما يؤسف أن
هاتين الورقتين في نسخة الرباط قد أصيبنا بتآكل شديد ، وثقوب كثيرة بفعل الأروضة .
وها أنذا أستدرك من الورقتين ما أمكنت قراءته ، أو استجلاؤه .

ويظهر أن سقوط الورقتين من نسخة دار الكتب المصرية حديث لأن أرقام صفحات
المخطوطة المعلمة بقلم الجرافيت (قلم الرصاص) متسلسلة إلى الورقة ١١٦ ثم تبدأ
من ١١٩ .

(٢) من الطريف أن في الورقتين حديثاً عن « الطعام » المشهور عند المغاربة والأندلسيين ،
المعروف بـ « الكسكسو » . وهو طعام يهيا من السميد المقتول « المعالج مسبقاً على
هيئة خاصة » والمطيب « المطبوخ » في قدر خاص مكون من جزأين ، يتسرب البخار
من أدناهما إلى أعلاهما - من ثقوب في القسم الأعلى - لينضج السميد . وفي القدر الأدنى
اللحم ، مع خضار الموسم ، ولكنها تحتوي أساساً على البطاطس والجزر
« الأحمر » واللفت .

واللفت المشار إليه في الأبيات التالية هو نوع خاص له شكل الجزر ويميل إلى الغلظ عنه ،

(فصنعه) له ، وأحضره بين يديه في منزله و (طلب ؟) منه أن يحضر معهم صاحبنا الفقيه أبو عبد الله الماجري المغيلي . فبعث شيخنا مندبيل إليه [ببطاقة دعوة فيها] (٢) :

فإن عِنْدِي أبا العُلى وَلَسَهُ إرادةٌ أن يَراكَ في الوَقْتِ
 قد جَعَلتُ القِرَى لِما قَدَّمَهُ الكَسكسو بِالقَدِيدِ واللِّفْتِ
 (لو جئت) مُستَجمِلاً لِتَجمَع من حُضورِنا مَطْلِبينَ في سَمْتِ
 سَمعَكَ لِلحينِ مِن قِصائِدِنا
 والأكل أكل (الحضور ؟) للسحت ا

فأتى أبو عبد الله الماجري - أكرمه الله تعالى - وقد نظم أبياتاً للجواب أسرع من طرفة العين ، والتزم فيها التجنيس بين كل قافيتين ، فقال :

يا من بآدابه البديعة قد
 أخلّ ذكرَ البديعِ والبُستي (٢)

= أبيض اللون ، له مذاق جيد إذا نضج .

وعلى الرغم من أن المواد الأولية التي تستخدم في تحضير الطعام - الكسكسو - واحدة إلا أنهم يتفننون في إعداده . ولكل منطقة عندهم طريقة في التفتن وفي الإضافات عليها من أزوار وخضار وأعشاب وبيض وعسل الخ . وأشيع هذا النوع من الأكل أخذ اسم « الطعام » في بعض المناطق ، كالذي أعرفه في « وهران » والغرب الجزائري .
 وأما « المغربية » التي تصنع في بعض البيوت الشامية فشيبة من بعيد بالكسكسو ، وليست بذلك !

(١) عبارة مقدرة لم يظهر أثرها ، لتأكل نحو ثلاثة أسطر من الصفحة ، وتكون القطعة الشعرية ناقصة بيتين أو ثلاثة أبيات .

(٢) بديع الزمان الهمداني ، وأبو الفتح البستي .

وسيداً (١) مَنْ يَشِيمُ شمائله

يقل فرى (؟) ذا الجمال والبست

لبيك يا مَنْ دعا أحبته

لـ «كسكسو» بالقديم واللائفت

قد كنت عقلي (٢) بـ «كسكسو» وأنا

ألفت من نهقي أخو لفت (٣)

وقد قلّي ذكر (٣) القديد فإن

حم لقاه فغاية البخت

وكدت لما سمعت ذا فسرّحاً

(أطير؟) (٤) ياسيدي من البخت

فليهنينا عندهم تألفنا

مؤمناً من غوائل الشت

نقطف من دوحة المشى ثمرأ

أحلى وأعلى من الحلى الست!

قوله « قد كست عقلي » أي رفعته ، من قولهم « كاس الفرس »

إذا رفع إحدى قوائمه ... (٥) . وقوله : « أخو لفت » من قولهم

لفت فلاناً ألفته إذا (لويته وصرفته) (٦) .

(١) في الأصل : سيد ، ونرجح ما أثبت .

(٢) رسمها في الأصل « عقلي » .

(٣) كذا ورد في الأصل .

(٤) في الأصل « انص » مهمله .

(٥) كلام لم يظهر وفي القاموس « كاش البعير : مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب » .

(٦) كلام لم يظهر .

وأنشدني (١) لنفسه (في ؟) منديل بن زنبق :

... فاعمل على ... فإنك ميت حين ابتليت بخطئة « العقار »

وكان العقار المذكور قدم صاحب الصلاة ، فعاجلته قبل تمام الشهر
الوفاة . وقدم ابن زمور بعده ، ثم عزل قبل أن يأخذ للأمر عدة .

ولما عزل ابن زمور ، ورجع بعده منديل بن زنبق قال فيه
صاحبنا الفقيه أبو العلي إدريس ابن أبي زيد التونمي :

إن ابن زنبقَ جارٍ في أحكامهِ وسطا (على) الفقراء والضعفاءِ

فالله ينزعُ عنه سترَ مصانهِ نزعَ الدنانيرِ من يدِ الشفهاءِ

(فرميت) سهمي في صميم فؤادهِ والحتف يصحب أسهم الشعراءِ

فعزل بعد أيام قلائل .

وطلبت من شيخنا منديل هذا أن يبعث لي بشعر أبي بحر
صفوان بن إدريس (١) في رثاء الحسين بن علي - رضي الله عنها -
وأرسلت له في ذلك أبياتاً من قولي ، وهي :

(١) سقط قبل هذه العبارة سطران . وسقط من النص بضع كلمات مع البيت من الشعر .
وما جاء في النصوص بين قوسين معقوفين فهو مقترح لإتمام سياق الكلام ، وما جاء
بين قوسين هلالين فهو قراءة متبينة تيناً جزئياً .

(٢) أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي ٥٦٠ - ٥٩٨ ، شاعر ، كاتب ، أندلسي
له شعر ونثر . وهو صاحب كتاب زاد المسافر وغرة حيا الأدب السافر . وله قصيدة
اشتهرت عندهم في رثاء الحسين بن علي . (انظر مقدمة زاد المسافر بتحقيق عبد القادر
محداد - طبع الجزائر - وأبو البقاء الرندي - من تأليفي - سلسلة الذخائر العدد ٢) .

أيها الأستاذ يا مَنْ هو قوتٌ للقلوبِ
 والسريُّ الثَّدْبُ ذو الـ... -مَجْدٍ وذو الفضلِ الرَّحِيبِ
 ابعثنْ لي بِقَرِيضِ لأبي بجرِ الأديبِ
 في رثا المولى حُسينِ ذي العلى الأزكى الحَسِيبِ
 دُمت (في كل) جَدِيدِ آمناً (ضر) الكروبِ
 فجوابني بقوله (...) (١) :

شعرَ صَفوانِ بنِ إدريـسِ أخي (الفَهْمِ ؟) العَجِيبِ
 يندبُ المولى حُسيناً بنحِيبِ و وجِيبِ
 سَلِمَ اللهُ عَلَيهِ في شروقِ وغُروبِ
 (فجزَى) الرَّحْمَنُ خيراً مَنْ رثاهُ من أديبِ !

وأنشدني لنفسه يعزي الفقيه القاضي الخطيب الرئيس الكاتب
 صاحب القلم الأعلى أبا القاسم محمد بن الفقيه الصالح أبي زكريا يحيى
 الغساني البرجي الأندلسي (٢) في بنت توفيت :
 تأسَّ أبا القاسم في السدي أصبتَ به من مَماتِ البَناتِ
 بقَوْلِ النبي عليه السَّلَامُ دَفنُ البَناتِ من المَكْرَماتِ

- (١) في الصفحة سطران لم يظهر. وأحد السطرين كما يبدو مطلع المقطوعة .
 (٢) قال ابن الخطيب في ترجمته في الإحاطة إنه فاضل جمع على فضله ، حسن الخط والشعر
 والكتابة . وذكره في شعراء الكتبية الكامنة ووصفه بالشعر والخطابة . وعده ابن
 الأحمر في مستودع العلامة في شيوخه . غادر المترجم الأندلس ، وخدم في دولة
 أبي عنان المريني كاتباً للعلامة وتولى قضاء فاس .
 (انظر في ترجمته: الإحاطة ٢ : ٢١٥ ونيل الابتهاج ٢٦٦ والكتبية الكامنة ٥٢٠)
 ومستودع العلامة ٦٠٦ والتعريف ٦٤) .

فذيل عليها صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن حنبل
الله الطائي الوادي آشي بيتاً لأجل التجنيس ، وكان كثيراً ما يهني
به ، فقال :

وقد كنتَ تَخشى بها المكرَ منْ
غَوائيلِ صِهْرٍ ، فيها المتكثُرُ مات !

وهذا المعنى نظير قول أبي القاسم السجزي من شعراء البيتمة (١) .

يا ماكرأ بي ويخلائيه
مَهلاً فما المكرُ من المكرُماتِ
عليك بالصحة فمى التي
تحيا فتحييك إذا المكرُ مات !

وأنشدي لنفسه يمدح أمير المؤمنين (المتوكل على الله) أبا عنان
المريني ملك المغرب - رحمه الله تعالى - (...) (٢) ومنها :

* ألا لله هاتيك الليالي * (٣)

كان الشمع سهمٌ من نضار يقدّ الدجن أو عصب يان
كان ذُبالها لسن الأفاعي إذا نضنضن أو قلب الجبانِ
كان القطر منها دمع ذكلى تواتر ، أو نثار من جمان ...

[١١٩ / أ]

كان الزهر زهرٌ غيبٌ قطري تبسّم ثمره بالأقحوان ...
كان الشمس مشرقةً مَحِيّاً أمير المؤمنين أبي عِنان !

(١) أبو القاسم محمد بن محمد السجزي . والبيتان في البيتمة : ٤ : ٢٣٧ (طبعة الشامي) .

(٢) هذا هو المتبين من القصيدة المذكورة ، وهي في المخطوطة في نحو عشرين بيتاً . ولم

يتضح أولها . (٣) ورد هذا البيت قبل أبيات التشبيه وسقط عجزه .

وأخبرني أنه اجتمع مع بعض أصحابه ليلة إعراس عند بعض
إخوانه ، فاستبطنهم الطعام فقال :

يا معرساً عرس الجمال بخدّه روضا بهار (رائع) وشقيق
بادِرْ - فديتُك - للذين دعوتهم بالمرجفين : الطستِ والإبريقِ !

صاحبنا الأستاذ النحوي المقرئ (اللغوي) علي بن محمد بن
عمر الصنهاجي :

يكنى : أبا الحسن ، وهو من أهل فاس . وبها رأيتُه وصحبته ،
ويعرف بالقصار .

حاله :

هو واسطة عقد النحويين ، وصدر أولي المعرفة من اللغويين .
وفصيح الأذكياء ، ووحيد النبلاء . وهو فرد في (رفع ؟) النادرة ، وصاحب
فكاهة متبادرة .

وكان قد قَلِبَ - وهو واقف في صلاة التراويح - بجامع الأندلس
من فاس . وكان قد وقع بينه وبين شيخنا الأستاذ النحوي منديل بن
آجروم (وحشة) في شعبان أربع وأربعين وسبع مئة . فلما بلغ لابن
آجروم شيخنا عنه (أنه قلب) أدركته عليه [١١٩ / ب] فرقة الصحبة
والمودة وكتب إليه متفجعاً لما اتفق عليه ، بأبيات وهي :

أبا حسنِ إني وحقك في كَرَبِ

لما قد دَهَاكَ الدهرُ من حادثِ القلبِ

وقد ساءَني - والله - منذُ سمعتهُ

فلا أذني سُرَّتْ بذاك ولا قلبي

ففي كبدي للحزن ناراً تأججت
ومن مقلتي للدمع سكب على سكب
لو أن الأسي يجدي على كل فادح
لكننا لزماناه على ذلك الخطب
ولكن أمر الله في الخلق نافذ
ولا وزر عن كل ما خُط في الكتب
وخير الأمور الصبر عند ملة
عليك به ، تُعطى الثواب من الرب
وكن حذراً^(١) مما يضرك قربه
وبعدك عنه فاجعلن عوض القرب
فكم ذي قبلي غرتك منه صداقة
يقدم أديم العرض بالهجر والعتب
ورب خليل خيلتموه أخا قبلي
ينيلكم محض الوداد بلا خب
أبا حسن هذي وصية ناصح
مُحب فخذها بالقبول وبالخب
وعند السذي قد كان قبل من الصفا
فروض وِدادي فيك ما زال ذا خصب

فجاوبه بقوله :

خليلي يا منديل من دون ما ريب
أتني قوافٍ عن وِدادي كم تُشي

(١) في «ط» حاذراً .

وهذا هو المعتادُ منكم ، جزيتمُ
على رعي ودي ما تشاؤونَ من ربي

أخو المرءِ من رعي المودة نائياً
وليسَ عجبياً أن تُرعى مع القربِ
مؤاخاتنا لا يعترها تقاطعُ
وفرضُ اعتقادٍ لا يصيرُ إلى النذبِ

و فتمبأ لمن كان انقطاعُ إخواننا
على يده لا زالَ في الويحِ والتبِ
أقولُ لصحبي ما قضى اللهُ كائنُ

رضيتُ بفعلِ اللهِ من سهلٍ أو صعبِ
قضى اللهُ لما أن تجاور نوننا

لباءِ الأعادي أن يسكننَ بالقلبِ !
فروعي من بعدِ ما كنتُ آميناً
ولولا بقاءُ العمرِ حان بها نحني !

[١٢٠ / أ]

فقلت سريماً مستغيثاً بسببه
وما نلت في ذاك المقامِ سوى السبِّ

10 إذا كان ذا بالمسجدِ الجامعِ الذي
يُصلتي به ماذا يكونُ لدى الدربِ ؟!

فياليت شعري ما دعاه ليفعله
وهل لمتوني جاء أم سلب الثوب ؟!

وباليت شعري هل فتعلت له أذى
فعاملتني من أجل ذلك بالضرب

وهل كان ذلك الفعل منه تَعَمُّداً

فأخذت حذري بالسنان وبالعضب

حمدتُ إلهَ العرش إذْ خابَ سَمِيه

وإذا لم ينصِرني ما دهاه من الخطب

15 وما أسفي إلا الذي قد جهلته

وجهلي به - والله - قد زاد في كرب

وتالله إني ما ظننتُ بخاطري

عدواً يرى من بعض ما يشتهي رُعي!

فإني لم أعرف أخا الضغن والقبلي

ولا مال طبعي بالإخاء لذي خب

وما ذلك إلا من ذنوبٍ تقدمت

وسطرها الأملاك في الصحف والكتب!

فيارب إني آيبٌ لك تائب

فحطت بها الأوزار يا قابِلَ التوب

20 عليك سلامُ الله - منديل - ما بدت

لنا مِنكَ آياتٌ تدلُّ على الحُب!

الشيخ الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي (*)

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته ، ورأيت ، وصحبته بفاس . وهو من أهل مراکش ، وأصل سلفه من الأندلس واستوطن مدينة فاس . وبها توفي - رحمه الله تعالى - .

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو الذي زهرت في روضات العرفان أزهار علومه ، وبهرت في دوحات الإحسان آثار فهمه . وهو رئيس المتصوفين ، وصدر أعلام المحققين . وبحر الجلالة الذي لا يكرع في عبابه ، وهزبر الذكاء الذي لا يقرع ببابه . لالتقاه إلا ذاكراً ، ولا تراه إلا شاكراً . سريع الدمعة ، بجانب للسمعة ، ذو بلاغة وفصاحة ، وصاحب حكم وفصاحة . مليح الشبابة ، حسن الحضور والغيبة .

أنشدني لنفسه يتغزل [١٢٠/ب] وقالها في صباه في (من) اسمه سعد :

يا سعد صيلٌ دنيفاً بوصولك مغرماً أعين الأواسي طبه بل أعجماً
ما ضره لو رُحِمَ الحبيب فرمياً أحيا العليل بوصله يا نعم ما
ياريم عزه طلابه قسماً بما لو نبتغي نفعاً له أو سلماً
قطب المحاسن فرقدته قمر السما الشمس أنت ففقت رقت الأنجماً

(*) ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة ، وأحمد بابا في نيل الابتهاج ٢٤٨ والمقري في نفع الطيب ٥ : ٢٤٨ قال وكان حياً سنة ٧٥٧ . ونقل لسان الدين عن المقري (الجد) أن ابن شاطر رزق بصحبة الصالحين حلوة القبول ، فلا تكاد تجد من يستثقله قال ، قلت له يوماً : كيف أنت ؟ فقال : محبوس في الروح ! وقال : الليل والنهار حرسيان أحدهما أسود والآخر أبيض وقد أخذنا بجامع الخلق يجرانهم إلى يوم القيامة ، وإن مردنا إلى الله تعالى .

صاحبنا الفقيه العدل محمد بن أحمد - بن إبراهيم بن موسى الكومي
يكنى أبا عبد الله . وهو من أهل تازا (١) . ورأيته بفاس ، وبها توفي .
وأخبرني أنه من ولد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحد ؛ ويعرف
بالنسيار . وبرز عدلاً بسياط شهود مدينة فاس .

حاله :

هو خازن العلم وواعيه ، الذي توفرت لديه دواعيه . ورئيس العدالة
ومبداها ، ومعدن المروءة ومُنْتَهَاهَا . الباسط جناح الود للإخوان ، ورافع
جناح العتب عن أساء إليه بما سؤل له الشيطان . ظهر له في الآداب باع
أي باع ، وكان لمحاسنه جلاءً ولثناياه طلاع . وقاد أعنته وأزمته ، وتقلد
حسامه وامتطى صوته .

أنشدني لنفسه يداعب . .

من بعد ما أخضرتُ النباتُ بِشاربِ	الآن أنتُ توبسةٌ للثائبِ
ما العذر فيهِ بِراجعِ أو آيبِ	كلا وقد خلعَ العذارُ خلائعاً
أبد الزمان القلب فيك براغبِ	يا مُعرضاً عنئاً ومالك أن ترى
ما هذه حالُ السَّيبِ الثائبِ	ومُعرضاً بمنابيه ومتابه
أخفيتُ تزويرَ المقالِ الكاذبِ	لو كان ذا قبل العذار فرُبما
كم فرغر أبدى المتساب بِحاجبِ	فمتابٌ من ظهر النباتُ بخدّه

(١) قال في الاستبصار ١٨٦ « إن آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب تازا .
وهي جبال عظيمة حصينة كثيرة التين والأعناب وجميع الفواكه . . . » وانظر
الروض المطار ١٢٨ .

[١٢١ / أ] وأخبرني - رحمه الله تعالى - أنه اجتمع ببلده نازا مع الفقيه ابن الملون وعبد الحق الزيات في بستان لزهة فتذاكروا أمر رجل من أهل نازا يتشبهه بالفقيه الأستاذ المقرئ أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي^(١) في قراءته وملبسه وعمته . فأنشد أحد الرجلين على لسان المتشبه :
 المتشبه :

<p>أنا الزواوي وهذا مكتبي لا أمنعُ التعليمَ من يرغبه عندي - فنديت - لحيه طويلاً وشاربٍ يجري لعابي تحته وحاجبانٍ أكحلانٍ اقترنا وعبئةٍ كبيرةٍ هائلةٍ يقول بعض الناس فيها أصطب^(٢) وطيلسانٍ حسنٍ خلقتَه ودرّةٍ كذنبِ السرحانِ في تلحقُ سوطي من غداً مقترباً لا غضبٌ يميلُ بي ولا رضى</p>	<p>الحيرفة التعلّمِ والتأدّبِ وأجدرُ العلم الذي لم يرغب! سوداءُ تحكي ليلَةَ المكتنبِ كلماءٍ يبدو من خلال الطحلبِ خلقتَها بعض حواشي الحُجُبِ! كهالَةٍ قد أهدقتْ بكوكبِ والله ما في عمّتي من أصطب من بعده بعض قضاة المغربِ طولٍ ، وفي عرضٍ ، وفي تقلبِ وتلحقُ الكرة من لم يقربِ إني للمزوج الرضى بالغضب!</p>
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

وزاد عليها صاحبنا أبو عبد الله هذا - وما أحسن زيادته - :

وفي الرُّقا عندي كلامٌ عجيبٌ نقلتُ ذلك من صحيح الكتبِ

(١) المقرئ الشهير في زمانه أبو العباس الزواوي . ذكره ابن خلدون في شيوخه وقال فيه « إمام المقرئين بالمغرب » انظر التعريف ٢٠ ، ونفح الطيب ٦ : ١٧٢ .
 (٢) الأصطبة : مشاققة الكتان .

كم بيضةٍ للفطيم قد كتبتهما وكم رقيت من نفاسٍ صعبٍ
فسهلت عسر النفاسِ رِقْوَاتِي وبيضتي قد فطمت كل صبي!

وكان عند شهود فاس في وقته اصطلاح ، يسمون الدرهم بالغزّي - بسكون اللام ، وضم الغين المعجمة وكسر الزاء المعجمة - على جهة المداعبة فإذا [١٢١ / ب] لقي أحدهم صاحبه يقول له : هل جاءك اليوم الغزّي ، أو : رأيتَه ؟ وأنشدني في ذلك - لنفسه - :

أعرّض الغزّيّ عني هكذا ما كان ظنّي !
ما على الغزّيّ لومٌ وكذا بلغته عني
كلُّ مَنْ تَلَقَى مُعْتَبِي فإلى الغزّيّ يعني
يقربُ الغزّيّ طَوْرًا وبه طَوْرًا يُغْنِي
مُنْشَدًا في كل وقتٍ : «ياحبيب القلبِ صلّني!»

وكان الفقيه العدل الخطيب أبو يحيى بن عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الصّبر الجاناتي يُساقُ له كل يوم غداؤه لحانوته ببساطٍ شهودٍ فاس : إمّا كثناء^(١) وإما حريرة^(٢) ، فقال له في ذلك :

اسقني شربةً لذيدة طعمٍ
ليس فيها كرويةٌ وخميرةٌ
ولتكنْ بالفئاتِ والبَيْضِ حَسَوًا إن طعمَ الفئاتِ أحسنُ سَيْرَةٍ

(١) لم يظهر إجماع الكلمة في « ط » .

(٢) الكثناء : هكذا وردت وهي كما يظهر من السياق طعام فضله الشاعر على الحريرة . أما هذه فأشبهه بالحساء ، تصنع في بلاد المغرب - وكانت كما ترى من طعام أهل الأندلس - ولا زالت تصنع عند أهل المغرب الأقصى ممالجة بالخميرة لتمطيها مذاقا خاصا طيبا .

لا حياء ولا حريرة قمح
إن طبعي يمج شرب الحريره

وقعدت أنا معه في حانوته بسماط شهود فاس لـم أقتنيه ،
فتكلمت معه بحثاً في مسألتين : فقهية وأدبية ، فوزقني الله عز وجل
حسن الفهم فيها ، واستحسن ذلك مني - رحمه الله - فقال لي جليسه
الفقيه العدل أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن بلال الأشعري بعد أن
قبّل رأسي : بارك الله في عمرك ياسيدي الرئيس على براعة فهمك .
أنا أمدحك الساعة بأبيات . فقلت له : افعل . فما كان إلا يسيراً وقد
نطق بهذا الكلام ، الذي حسبه نظام ! وهو خارج على الوزن والمعنى
في غاية اللحن والفساد ، ودفعه إلي ، وهو في ذلك في غاية العجب
به وهو :

هنيتاً لكم يا بني خزرج أتتم السادة الخيمرا
فإن منكم السلطان المؤيد الرئيس ابن الأحمررا
فإن من أوصافه له
وجه حسن وحية معتدلة للقصررا

[١١٢ / ١]

إذا شئت أن تراه وغاب عنك وجهه فانظره إلى القمررا
لكن في ليلة في الشهر خصت ليلة أربعة عشررا
فواجب علي أن أذكر من بعض أوصافه لولا ما كنت أخضرا
ولكن أقول قدر جهدي وأتمناه في بر الأندلس سلطاناً مؤمراً !!
ويستحق والله ذلك ويستأمله فهو الملك المعتبرا !

فحين قرأتها ضحكتُ من لحنها وفسادها الخارج عن الحد ، ومن استحسانه لها . ونظمت على البديهة بيتين معرضاً له بفسادها ، ولعله أن يرجع عن تعجبه بها فلم يفهمها ، لجهله بل تمادى على حاله ، وهما :

بشعركِ يا أيُّها الأشعري تفوقُ ابن أوسٍ مع البُحْثري
فحياتك ربِّ العلامِ مِن فَوْقِ من اللسّٰنِ في شِعْرِهِ قد بَرِّي !

ولما قرأ أبياته صاحبنا الفقيه أبو عبد الله هذا نسّخها وقال على البديهة يخاطبه ويصف فسادها :

فبيتٌ طولُهُ سَبْعُونَ شِبراً تخيّلُهُ - رِشَاءٌ حَوْلَ بَيْرِ
وبيتٌ لا يَجَاوِزُ رُبْعَ شِبرٍ كُتُهْدَبِ الثُّوبِ أَوْ عَرَفِ الحَمِيرِ !
وذاعت أبياتُهُ - بزعمِهِ - بسباطِ شُهُودِ فاسٍ . واستنسخها أكثرهم
فلما بلغت إلى صاحبنا الفقيه العدل القاريء أبي زيد عبد الرحمن بن
محمد الملهبي بعث إليه بيتين له وهما :

ألا قُلْ لِشاعِرنا الأشعري شعرتَ وليتكَ لم تَشعُرِ !
تخيّلْتُ نظْمَكَ إذ جاءني خِراءٌ بجانوتِكُم قد خُزِي

وزاد عليها الفقيه أبو محمد عبد الغفار البوخلفي :

أو الرِّيحُ لَمَّا سَرَتْ دَائِماً على الخلقِ من فمك الأبخُرِ !



الفقيه الصوفي محمد بن [١٢٢ / ب] أحمد المكودي رحمه الله :

يُسْكِنِي أبا عبد الله . وهو من أهل فاس ، وبها رأيتُهُ . وكان من أولي الثروة بها . وكان أبوه أحمد يستخدمه الملوك من بني مرين في شهادة الولاية الحزنية ، وأبو عبد الله هذا توفي بفاس في سنة ثلثات وخمسين وسبعمائة .

حاله - رحمه الله - :

هو رافع راية الأدب في عصره ، ومن بزّ بالثروة أعلام مصره .
وله معرفة بالطريقة الصوفية ، وسلوك في معانيها الجليلة . وكان وجيهاً
عند الملوك ، ومعظماً عند المالك والمملوك .

أنشدني لنفسه :

سرتُ والدُّجى لم يبقَ إلا يسيرُها
نسيم صبا يُحيي القلوبَ مسيرُها
ومرّت بنا من نحو رامة نفحة
أعادت مَير العيشِ حلواً مرورُها

تَنَشَّقَتها مُسْتَمِيحاً عَرَفَ عَرَفِها
فعبّر عن طيب الحبيبِ عَيرُها
أسرتُ بقلبي من سريرة حُبّه
حديثاً سرى منه لِنَفْسِي سُورُها

5 فله ما أندى على القلب سيرها
وأطيب ما أدّى إليه سفيرها

ولم ندر إذ ملنا نساوى بـروحها
أريحُ شمال أم شمولٌ نديرها !

سقى سفحَ ذيك الخيمى بسوافح
من الدمع آثار الدموع مُنيرها

عهدنا ظباءَ الإنسِ فيه سوانِحاً
وأصيدُها للهِتائدين نَقُورُها

وَحَيًّا الْحَيَا بِالْحَيِّفِ دَارًا مُنِيفَةً
 زَهَتْ بِقُصُورِ الشَّهْبِ عَنْهَا قُصُورُهَا
 10 فِكْمَ لَيْثِ غَيْلٍ غَالَهُ سِرْبُ غَيْلِهَا
 وَمَنْ ذِي غَيْرَارٍ قَدْ سَبَاهُ غَيْرُهَا !
 وَكَمْ فِي ذُرَاهَا مِنْ دَمٍ طُئِلَ ثَارُهُ
 لِذِي فَيْتَنٍ سِجْرُ الْعَيْونِ مُثِيرُهَا
 وَكَانَتْ لِأَرْبَابِ الصَّبَابَةِ وَالصَّيَا
 عِرَاصًا تُغْدَى بِالنَّفُوسِ عُصُورُهَا !
 وَكَانَتْ لِيَالِينَا بِهَا كَلَالِي
 تَرُوقُ النَّهْيَ أَصَالُهَا وَبُكُورُهَا
 فَمَسْرَحُنَا عِنْدَ الرُّوْحِ مَرَادُهَا
 وَمُورِدُنَا عِنْدَ الْغُدُودِ غَدِيرُهَا

[١٢٣ / أ]

15 وَبَيْنَ ظِلَالِ الضَّالِّ مِنْهَا مَقِيلُنَا
 إِذَا مَا حَكَى نِيرَانَ هَجْرٍ هَجِيرُهَا
 وَبَيْنَ جَنِي النَّوْرِ مِنْ سَمَرَاتِهَا
 جَنَى الْأَنْسِ مِنْ نَجْوَى نَوَارِ سَمِيرُهَا
 فَأَهَا عَلَيْهَا مِنْ مَعَاهِدَ لَمْ تَدْعُ
 سِوَى حُرْقِي ، بِالذِّكْرِ يُذَكِّي زَفِيرُهَا
 وَمَا رَاعَتِي إِلَّا دَعَاةً بِيَبِينِهِمْ
 يَشْبَهُ عِنْدِي بِالنَّمِيِّ بِشِيرُهَا
 سَرَوْا بِقُلُوبِ الْعَاشِقِينَ وَخَلَّفُوا
 جُسُومًا كَأَطْلَالِ الرَّبُوعِ صَدُورُهَا

20 كان قلوباً في حماهم حوائماً
 خوافق طير فارقتها وكورها
 كان المظايا وسط لجة آلهما
 سفائن تبدو كالشراع خدورها
 وفي الكيلة الحمراء حوراء لو بدت
 لشكلى لتولّى شكلها وثبورها
 ممتعة ليست لها من سوى القنا
 خيام ومن بين الصفاح ستورها
 فما يسوى صيدق الغرام أرومها
 ولا يسوى زور الخيال أزورها!

وانشدني - أيضاً - لنفسه :

وجدني بكم ليس يُبقي ، لا ولا يذر
 والصبر عنكم على حكم النوى صبر
 يا غائبين ومالي غيرهم وطر
 أهكذا تنقضي الأيام والعمر
 ولا - للقيام عين ولا أثر
 سقياً لعهد لبالنا التي انصرفت
 كانت لآلء في سلك المنى التامت
 حلت عراها يد الأيام فانقصمت
 كتبنا فرائد في عقد قد انتظمت
 فأصبح العقد منا وهو منتشر

أسراركم^١ في صميم القلب مودعة^٢
مصونة^٣ وعن الواشي بمنعة^٤
ومذ بعدتكم^٥ فما في العيش منفعة^٦
يا ليت شعري والآمال مطمعة^٧
هل يستعيد ليالي وصلينا القدر^٨
يا ليت شعري هل الملتقى سبب^٩
بهاشم^{١٠} ماله في غيركم أرب؟ (١)

[١٢٣ / أ]

... المنسدل الأطناب . ومعدن الندى الأصلي المنسكب السحاب . القاضي
الفقيه الأوحى ، الذي فضائله لا تُجحد ، الحافل . الكامل ، الصدر ، العدل
التزيه ، السليم الصدر . علم الأعلام ، حجة الإسلام أبي محمد الأوربي (*) خصهم
الله من المسرات بأضفاها جلبابا ، وفتح بهم إلى السعود بالصعود أبوابا :
وَمَنْ مِثْلُ قَاضِيهِمْ نَدَى وَتَكَرَّمَا
وَهَلْ هُوَ إِلَّا النَّيْلُ نَائِلُهُ غَمْرُ
فَشْتَانِ مَا بَيْنَ الْبَحَارِ وَبَيْنَهُ
فَمُورِدُهُ عَذْبٌ وَمُورِدُهَا مُرٌ !

(١) تنقطع المسطرة هنا . وتبدأ في الورقة التالية رسالة يبدأ أولها من وسط السطر .
وظاهر أن الرسالة غير تامة ، ذهب منها جزء من أولها . وهذه الحال في النسخين . غير
أن ناسخ « ط » ترك نصف صفحة ، ولعله فعل ذلك ليستدرك تمامة المسطرة وأول
الرسالة . وما ندري أكان هذا الفراغ تعييناً لحجم الكلام الناقص أم تقديراً .
(*) الفقيه العالم قاضي الجماعة أبو محمد عبد الله الأوربي ، الفاسي (٧٠١ - ٧٨٢) .
ذكره أبو زكريا السراج في فهرسته ، وابن الأحرر أيضاً في فهرسته . ونقل عنها
أحمد بابا في نيل الابتهاج .

جعل الله تعالى في عمره البركة ، وقرن له بالسعد كل سكون وحركة . فلقد أحسن إلينا وجاد ، وأنعم علينا فأجاد . فانتظم شملنا بإحسانهم الغمر واتسق . وانعطفت علينا مواهبهم الجزيلة عطفَ بيانٍ ونسق . فأصبح - بحمد الله - ما رسمه خط الفيض في صفحات نفوسنا ممحواً براحة البسط والعافية ، وأمت رسوم الاحتياج دارسة عافية . ولترجع مع أختينا في الله - عز وجل - إلى الكلام الأول الذي هو المقصود وعليه العمل والمعول . فنشهد الله لقد فاق نظم الحريري في وصفه ووصفه دركي ؛ لاشتاله من جواهر العلوم على أعظمها خطراً ، وانطوائه من رقوم الأدوات على أشرفها نظراً . فله دركٌ لقد بلغتم من الشعر الرائق اللائق بالحل ما كان له أهلاً ! فلکم من الغارات على الأشعار ومبانيها ، والفصول المستوحاة ومعانيها المحل الأعلى . فمثلکم من برز في ميدان المسابقة بالرسائل ، وهز خطية الخط لالتئام المؤاخاة وسائل . ودل سائله على كنز الندى ومعدن الجندا فنجح دالٌ وسائل . فالدال على الخير كفاعله . فلا خاب ببركة الله قصدٌ لمنيله ونائله .

لأنت أجلُّ أخ يُعتمدُ	وأذكى أديب بهذا البلد
فردٌ مورد العين فيمن ورد	ودع كل من قام أو من قعد
ولا تلتفت غير من بابهِ (؟)	به العزُّ يبلغه من قصد (١)
وكن حازماً واختلس واقتبس	فما الافتراس يخاف الأسد

ويعلم تعالى لمبادرتنا بالجواب على مكاتبتكم آكد في النفس من اجتذاب النفس الذي به حياتها وقيامها ، ومنه غذاؤها وقوامها . ولقد شرعنا فيه ساعة إراءته كراهية التكاسل عن التراسل ، والتراخي عن القيام بحق التواخي فاقترضناه في غاية الاستعجال ، واختصرناه كراهية التطوال . وانتقينا درره من اللغة الفصيحة استئصال الأجنبية . ونزهناه عن المعاني الغامضة واللغات الوحشية ، اقتفاء لآثار الفصحاء من الأوائل والأواخر . واقتداء بما أشار إليه الشاعر :

(١) هكذا فيها .

تختير لنظمك سهل الكلام وجنبه حوشيته والسلام
فخير الكلام الجلي الذي إذا قيل لم يفتقر للكلام!

فلكم الفضل في الإغضاء لعجالة هذه المكاتبة ، فهي على وجه المباشرة والمداعبة . فمداعبتكم عندنا أحلى من مجاج النحل ، وأشهى من بواكر النخل وكيف لا؟ وقد جمعنا الله سبحانه على مرأضيه (١) وأسعدنا بما قضاه . ونرجو أن يسعدنا بما هو قاضيه ، فتمتلج صدور لانتظام سلكتنا وانتظام إخواننا الصريح ، وتلج قلوب خلوص ودادنا الذي حديثه من الحسن الصحيح . وبنعمة يبلى الجديدان ولها جدة . وتنضب الموارد ، وهي من فيض فضل الله تعالى مستمدة . وهذا آخر الكلام ، وعليكم معاداً منّا السلام .

صاحبنا الفقيه محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف (*) :

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالشبوكي ، ورأيته ، وصحبته :

ونسبه - حسبنا نقلته من خطه على متن كتاب ، وأخبرني به هو ، وسمعته أيضاً بفاس من بعض الناس - هو : محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف ابن عمران بن عبد الرحيم بن نوح بن شعيب بن تمي بن أبي محمد بن حيان بن فضل بن طاهر بن مطهر بن حمود بن زياد بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ويعرف بالشبوكي . « وشبوكة » قرية بينها وبين مدينة فاس

(١) حقها أن تكون « مرتضاه » أو مايشبهه .

(*) نقل المقرئ في أزهار الرياض ١ : ٢٩١ - ٢٩٤ ترجمة الشبوكي ، وأورد قصيدته المذكورة هنا . ونص على أنه نقل عن كتاب ابن الأحمر . وهم حين قال إنه نقل ترجمة الشبوكي وشعره عن « نثر فرائد الجمان » فإنه لم يترجم له في ذلك الكتاب ولم يورد ذكره . وقد فصلت في هذه المسألة في دراستي عن الكتابين .

ثلاثة أيام^(١) . وأخبرني أن جده عبد الرحيم أتى من المشرق إلى المغرب واستوطن بشبوكة ، وهو شريف ، ويوسف أبوه كان - رحمه الله - جيسل الوجه جداً ، شاعراً مجيداً ، فقيهاً ، وبرز عدلابساط شهود فاس . واستخدمه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان المريني شاهداً في دار صناعته . وأحمد والد يوسف كان فقيهاً صوفياً . ومحمد والد أحمد كان فقيهاً صالحاً . ويوسف والد محمد كان فقيهاً عالماً صالحاً مكاشفاً ، مجاب الدعوة من أهل الطبقة العليا في الصلاح .

وأبو عبد الله - هنا - كتب الوثيقة بشهود فاس .

حاله - أكرمه الله - :

هو فارس القريض، وحامل لوائه الطويل العريض . وله وجه وسيم ، وحياة جسيم وسموه لا يبلغها إنسان ، ولا سمع يثلها في سالف الأزمان ! ويؤثر مغالبة نفسه على هواه . ويختار مهيب السمو على ما سواه .

أنشدني لنفسه^(*) يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المريني بعد قتله لوزيره المتقلب على أمره عمر بن عبد الله علي الياباني^(٢)، ويحرضه على قتل الشيخ أبي

(١) في إحدى نسخ أزهار الرياض ثلاثة أميال .

(*) وردت القصيدة في أزهار الرياض للقري ١ : ٢٩٢ - ٢٩٣ ، وسنقابل النصين إتماماً للفائدة .

(٢) كان عمر بن عبد الله وزيراً قوياً متنفذاً ، أدار شؤون البلاد مدة وتسلسل على سلاطين بني مرين ، حتى تخلص منه السلطان عبد العزيز (انظر العبر لابن خلدون ٧ : ٣١٩ وروضة النسر لابن الأحمر : ٣٣) .

ثابت عامر بن محمد بن علي الهنتائي (١) صاحب جبل هنتانة من حوز مراکش؛ حين خرج عليه به السلطان المعتمد على الله أبو الفضل محمد بن أخي السلطان عبد العزيز هذا :

أبانَ في حُبِّهِ ما قالَ عاذلُهُ
دمعٌ جرى فوقَ صَفحِ الخَدِّ هامِلُهُ
فباتَ من وطأةِ التفریقِ ذا وِجِلِ
يستنجدُ الصَّيْبَ عوناً وهو خاذِلُهُ
صَبُّ إِذا ما بدأ بالرفقتينِ لهُ
وميضُ برقِ الحِياها جتُ بِلابِلُهُ

[١٢٥ / أ]

يبكي لمنزلِ أنسٍ بانَ أهْلُهُ
وظاعن عنه قد شطّبتُ منازلُهُ
ياحْسَنَ عَصْرٍ بهم قضيتِه زَمَنًا
رقت حواشيه إذ رقت (٢) أصائلُهُ
كان صوبَ دموعي بعدَ بَعْدِكم (٣)
سبب المليك إذا وافاه سائلُهُ
عبد العزيز الذي عزت بدولته
صنائع الحق والتأحت دلائلُهُ
وأصبح المملك في أمن وفي دَعْتِهِ
من بعد ما كان غائلته غوائلُهُ
عادت بعيدَ عَنَّا (٤) منه نضارتُهُ
فعاد يافعه واشتد كاهلُهُ
كالروضِ باكره طَلُّ على ظمأ
جادت عليه يجداولها أناملُهُ
هو الإمامُ الذي من أمِّ ساحتِهِ
سارت إليه على علم صواهيلُهُ
وَمَن تَخَلَّفَ جَهلاً عن إجابَتِهِ
وعقلتهُ عن العلييا معاقبلُهُ
قُلْ لِلَّذِي عَنهُ أَقْصَتُهُ جِرائِمُهُ

10

(١) من رجال الدولة المرينية، وشيخ هنتانة من قبائل المصامدة وانظر الاستقصا للسلاوي

الناصرى ٤ : ٥٢ - ٥٤ في تفصيل خبر خروج عامر الهنتائي ونهايته .

(٢) في الأزهار : رقت .

(٣) في الأزهار : بعدكم .

(٤) في الأزهار : بعيد لنا .

زُرُّ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْمِعْمُونِ طَالَعَهُ تَحْتَظَّ بِمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ آمَلُهُ
فَطَبَعَهُ الصَّفْحُ وَالْمَعْرُوفُ شِيمَتُهُ وَالْحِلْمُ وَالصُّونُ وَالْتِقْوَى شِمَائِلُهُ
وَابْلَغَ جَمِيعَ الْعُدَى أَنْ سَوْفَ يَشْمَلُهُمْ

مِنَ الظُّبَا كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ قَاصِلُهُ
هَذَا الْمَلِيكَ أَنَاهُمْ فِي كِتَابِيهِ
لِنَسْخِ آجَاهُمْ تَنْضَى رَوَاحِلُهُ
بِكَلِّ خَرَقٍ طَوِيلِ الْبَاعِ مَتَشُدِّ
مَقْصُرِ عُمُرٍ مَنْ تَلْقَى مَنَاصِلُهُ
وَجَحْفَلٍ فِيهِ سُمْرُ الْخَطِّ مَشْرَعُهُ
قَدْ حَجَّجْتُ أَنْجَمَ الشُّعْرَى قَسَاطِلُهُ
سَيَعْلَمُ الْعُمَرُ عَقْبِي مَا جَنَاهُ إِذَا
كَأَنَّ مَوَاضِيَهُ وَأَنْفَضَتْ كَلَالِكُهُ
وَحَاطَ بِالْجَبَلِ الْبَحْرَ الْهَيْطُ وَلَا ..
حَتَّ فَوْقَ أَرْوُسِهِمْ مِنْهُ جَدَاوِلُهُ
فَانْهَضْ إِلَيْهِمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَقَدَّ

أَعْطَيْتَ كُلَّ الْمُنَى فِيمَا تُجَاوِلُهُ
مَنْ ذَا يُنَازِلُ جَيْشًا أَنْتَ قَائِدُهُ
يَوْمَ الْكَرْيَةِ أَوْ مَنْ ذَا يُنَاصِلُهُ
أَلَا تَرَى الْمَائِقَ الرَّعْدِيدَ حِينَ عَتَا
وَأَضْرَ الْمَكْرَ صَادَتْهُ حَبَائِلُهُ

[١٢٥ / ب]

ظَنَّ الظَّنِّينَ بِأَنْ يَسْمُو وَيَعْلُو فِي
دُنْيَا سَمَتْ وَعَلَتْ فِيهَا بِوَاطِلِيهِ
فَعَادَرْتَهُ الصَّمَادَ الزَّرْقَ مَنْجَدَلًا
فَوْقَ الصُّعَيْدِ تَنَاجِيَهُ جِنَادِلُهُ
دُنْيَاهُ تَضْحَكُ مِنْ أَحْوَالِهِ عَجَبًا
بِهِ وَفِي الْحَيِّ تَبْكِيهِ أَرَامِلُهُ
فَلَيْسَ دِينَ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَدَّتِهِ
أَنْ صَرَتْ يَا ذَا الْحَيْمَاتِ الطَّلُقَ كَافِلُهُ (١)
لَمْ يَنْتَصِبْ قَطَّ فِي الدُّنْيَا لَوَاءَ عَلَا
إِلَّا وَمِنْ آلِ «عَبْدِ الْحَقِّ» حَامِلُهُ

مَوْلَايَ ! مَوْلَايَ ! دَمَ مَا عَشْتُ مَصْطَحِبًا
عَلَا
وَفَخْرًا وَعِزًّا لَا تُزَابِلُهُ
إِنْ سَارَ جَيْشِكَ فَالْتَأَيِدْ يَدَيْهِ
وَالنَّصْرَ عَاجِلُهُ يَعْفُوهُ آجِلُهُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِينَ وَفِيهِ إِقْوَاءٌ .

صاحبنا الفقيه العدل إبراهيم بن علي العباسي :

يكنى أبا إسحاق . وأدركته ، ورأيته بفاس ، وصحبته .
ومسقط رأسه مدينة فاس ، ووالده وسلفه من الأندلس .

ونسبه هو إبراهيم بن علي بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن علي بن العباس
ابن محمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن علي بن القاسم بن علي بن
سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

وأبوه علي هو القادم من غرناطة على فاس . وكان يكتب في الحضرة
السلطانية الأحرية النصرية بالأندلس لأمير المسلمين أبي عبد الله محمد بن أمير
المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أئينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن
جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن
جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن
نصر الخزرجي . وكان فقيهاً ، متفهماً ، فاضلاً ، من أهل الخير والدين . وعبد
الله والده كان فقيهاً . وسعيد والد عبد الله كان فقيهاً خطيباً .
وصاحبنا إبراهيم - هذا - هو الآن عدل بسباط شهود فاس .

حاله - سلمه الله - :

له منظر وسيم ، وذكاء جسيم . وهب نسيم براعته فرق وراق . وتفتقت
أزاهر نبله ساطعة الإشراق . مع مألديه من المعرفة بالأدب ، وإصابته في فنون
شقى من الطلب .

كتبت له - نودادي بيني وبينه - بقولي :

يا ابن عم النبي أحمد إني فيك ذو لوعة وحق علي !
وودادي إليك من أجل ما قد حزنه من قرابة للنبي

فجاوبني بقوله :

يا سليل الملوك من آل نصر وبني كل سؤدد خزرجي
إن تكن رقت ناظري وسمعي بقريص مبرز أحمر
فلقد رعت يا أبا الصديق مني ميقولاً فاعترته خجلة عي
فلئن عاقني قصور فمعدري - إن تأملت - أي عذر جلي

وأنشدني - لنفسه - على لسان محبرة :

نزلت من الإنسان منزل عقله ومنزل عقل المرء منه جنانه
أترجم عنه بالبراعة مثلاً يترجم عما في الضمير لسانه
ويبقى على مر الزمان محبباً بياني عنه وهو يفنى بيانته

وأنشدني - أيضاً ، لنفسه - في إنجاز الوعد :

طولت مطلي يا أسنى الكرام وفي إنجاز وعدك لي سؤل ومرغوب
وأعلم بان كثير المطل يصحبه بغض وأن وفاء العهد محبوب !

وأنشدني - أيضاً ، لنفسه - مداعباً بعض أصحابه ، كان يكثر في شعره من اسم « الدست » :

أيا ماجداً لولاه ما عرف التدى
ولا الجود والجدوى ولا أشرف الدست

فقد طالما جرّبت دهري وأهله
 وخالطت أخلاط الأنام. ومارست
 فما ظفرت كفتاي منهم بطائل
 خلا أنني استيأمنت منهم وأياست

[١٢٦ / ب]

ويتمت عليك التي هي ملجأ
 وغاليت في الأمداح فيك وناقست
 فقلدت أجياد القصائد من حلا
 ثنائك تقليداً جميلاً وألبست

صاحبنا سعيد بن إبراهيم السدراي رحمه الله تعالى :

يكنى أبا عثمان ، وأدركته ، وصحبته ، وامتدحني ، وأفدته في الطريقة
 الأدبية. وهو من فاس ، ويعرف بـ « شهبون الأديب » ، وكان شعره وسطاً
 وأبرع ما كان نظمه في الزجل ؛ ظهر له فيه -- بفاس -- باع مديد . وقد
 وافقني على قولي هذا الفقيهان الأديبان المحدثان : شيخنا الأستاذ النحوي
 منديل بن محمد بن آجروم ، وصاحبنا أحمد بن محمد الدباغ ، وشهدا له بالإجادة
 في الزجل . ومن شهد له هؤلاء : ^(١) البليغان العالمان فهو مقدم !

حاله - رحمه الله - :

هر رئيس الأدباء ، ونخبة الألباء ، إلى إجادة في نظم الزجل أذهبت عنه
 في الشعر الخجل ! وأورثت مضاهيه فيه الوجل . ونجم في التوشيح ، ولم تكن
 قريحته في نظمها بشحيحه ! ونظمه في القريض وسط ، وفهمه فيه مرتبط .

(١) كذا فيها .

أنشدني - لنفسه - في الجد :

أُنَادِيكَ جَهْرًا كِي (.....) (١) عِنْدِي :

وَلَيْسَ مُرَادِي عِنكَ يَخْفَى وَلَا قَصْدِي

وإنَّ أُمُورِي لَمْ تَغِبْ عِنكَ سَاعَةً :

عَلِمْتَ الَّذِي أَخْفَى ، فَكَيْفَ الَّذِي أَبْدَى ؟ !

• • •
وكان صاحبنا الأخلص الحسيب أبو محمد عبد الله بن محمد بن خنوست قد مرض ، فسرت إلى منزله أعوده صبيحة يوم الأحد العاشر لشهر رمضان سنة ست وستين وسبع مئة ؛ فأتى سعيد هذا إلى منزلي بفاس ، فسأل عني ، فقيل له قد مشى يعود صاحبه عبد الله . فقصد إلى باب صاحبنا أبي محمد عبد الله ، المريض ، وجلس بإزائه ينتظرني ، فلما خرجت سلم علي ، ودفع إلي بيتين ارتجلهما من حينه في مدحي ، وقال لي : يا مولاي ! (تصفحها) (٢) ولك الفضل في قبولهما والصفح عن نقدهما :

يا ابنَ أَسْمَى المُلُوكِ صَيِّتًا وَقَدْرًا

وَأَخَا الفَضْلِ والرَّقِيعِ المَقَامِ

إِنَّ أَتَيْتَ العَلِيلَ يَوْمًا تَرَاهُ

عَادَ فِي صِحَّةٍ مِنَ الأَسْقَامِ !

وامتدحني - أيضاً - بقوله :

نَشَرْتُ فَيْكُمْ - بَنِي نَصْرِ - لأبي الصّدق رايةُ النّصرِ

أَيُّ شَهْمٍ وَأَيُّ صَنْدِيدِ

حَازَ إرْثَ السَّمَّاحِ والجُودِ

شَيْدَ المَجْدِ أَيُّ تَشْيِيدِ

(١) فراغ في الأصلين . (٢) الكلمة غير واضحة ، وأرجح ما أثبت .

لم تحدهُ عنهُ ألسنُ الشكرِ فهو في الدهر طيبُ الذكرِ
 ثاقبُ الذهنِ " وافرُ العقْلِ والنقلِ
 عالمُ بالعلومِ والنقلِ
 جعلُ النضرُ منهُ في النصلِ
 ضيقُ الحزمِ واسعُ الصدرِ بارعُ الحُسنِ باسمِ الشعرِ
 أيُ بدرِ بطالعِ السعدِ
 صعدت منه رتبةُ الهدى
 لم تحديهُ راحتهُ عن رِفْدِ
 صادقُ الوعدِ سابقُ الفجرِ جالبُ النفعِ دافعُ الضرِ !
 رافعُ الحقِّ باسطُ العدلِ
 قاهرُ الظلمِ قاتلُ المحلِ
 مانعُ البغي ماسِجُ البذلِ
 مُذهِبُ الضيمِ عاجِلُ البرِ ناجحُ الفعلِ ذاهبُ العُسرِ
 يا أبا الصدقِ أنتَ مولانا
 كم نوالِ بذلتَ أغنانا
 رُقّتَ حُسنًا وفُقّتَ إحسانا
 لك جودٌ كوابلِ القطرِ ومقامِ أرنبِ على النسرِ

الباب الثاني عشر

فيما قيل من الشعر في السيف

الذي بصومعة جامع القرويين من مدينة فاس

وها أنا أثبت - هنا - جملة من مقطعات لشعراء مدينة فاس في السيف الذي بمنار جامع القرويين ، مع جملة من كلامي في تاريخ السيف المذكور ؛ فنقول :

اجتمع في شهر ربيع الآخر من عام أربعة وستين وسبع مئة بجامع القرويين من مدينة فاس جماعة من طلبتها الأذكيا ، وأدباؤها الثبلاء وكنت في جملتهم ؛ أسمع كلامهم . فتكلموا في السيف الذي بأعلى الصومعة ، ولم [١٢٧ / ب] جعل هنالك . فقال قائل : جعل طليئسماً على البلد ، لما كان عليه الناس حينئذ من الافتئات على الأمراء ، وقلة الانقياد . ولأجل ذلك لا يبيت إنسانٌ بها إلا مغموماً ! وقال الآخرون غير ذلك (١) . وأنا أذكر إن شاء الله حقيقة الأمر فيه . ثم آتني بعد ذلك بجملة ما قالوه في ذلك من الشعر مرتباً حسب ما وقع لا على مراتب القوم ومنازلهم .

اعلم - وفقك الله - أن أصحاب التاريخ قالوا إنه لما تم العمل في بناء الصومعة على

(١) هكذا وردت العبارة فيها .

يد الأمير أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن أبي سعيد الزناتي - وكان عاملاً^(١) للأمير المؤمنين الناصر لدين الله، القائم بأمر الله عبدالرحمن بن محمد الأموي المرواني الخليفة الأندلسي - على مدينة فاس، وكان من أهل الفضل والدين، وذلك في شهر ربيع الأول من خمس وأربعين وثلاث مئة؛ جعل في أعلى الصومعة قبة صغيرة، ووضع في ذروتها تقافيج موهبة بالذهب في رُج من حديد. وركب في الرُج سيف أمير المؤمنين إدريس بن أمير المؤمنين إدريس بن عبد الله بن حسن بن أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجوهرهم - الذي أسس المدينة.

وسبب جعله هنالك أن الأمير أحمد بن أبي بكر لما فرغ من بناء الصومعة اختصم إليه بعض حفدة أمير المؤمنين إدريس في السيف، وطلب كل واحد أن يمتاز به ويجوزه لنفسه، وطال النزاع فيه. فقال لهم الأمير أحمد: هل لكم أن تساموه لي وتتركوا النزاع فيه؟ فقالوا له: ما تصنع به؟ قال لهم: أجعله في أعلى هذه الصومعة تبركاً به، وليكون لكم ذكر بسببه. فقالوا له: قد وهبناه لك طيبة به نفوسنا؛ فجعله في ذروتها.

ولنرجع الآن لسرد أقوالهم المنظومة فيه. فكان أول من فتح فيه باب القول للشعراء شاعر هذا الأوان، وحائز خصل السبق بهذا الميدان صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي

(١) ثار أحمد بن أبي بكر الزناتي ضد حامد بن حمدان الهمداني، وأرسل في طاعة عبد الرحمن الناصر خليفة قرطبة (٣٠٠ - ٣٥٠) وأشهر خلفاء بني أمية في الأندلس. وزاد هذا الوالي في جامع القرويين بفاس بمساعدة قرطبة. ونصب منبر أموي رائع في المسجد أيام هشام المؤيد وبسمعي من الحاجب المنصور بن أبي عامر. (راجع في ذلك روض القرطاس ٣٤، وتأسيس فاس ٥٧ والعهود: ١٤٠ - وكتاب جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي ج ١: ٥٦ - ٦١).

[١٢٨ / أ] وكان نظمه قد تقدم التاريخ بمدة ، فقال :

أَنْكَرَ السَّيْفَ بِالنَّارِ بِفَاسٍ قَائِلٌ إِنَّ ذَاكَ دَاعِيِ اغْتَامِ
لَا يَرُوعُكَ الْحُسَامُ مُسَلِّ عَلَيْهَا جَنَّةُ الْحُلْدِ تَحْتَ ظِلِّ الْحُسَامِ

ثم تلاه صاحبنا الفقيه المتفنن النحوي أبو عبد الله محمد بن موسى بن إبراهيم الماجري فقال :

يَقُولُونَ زَجْرًا إِنَّ فَاَسًا قَضَى لَهَا
بَدَلَتْهَا سَيْفُ الْمَنَارِ الْمَشِيدِ
لَقَدْ أَخْطَأُوا فِي زَجْرِهِمْ ضَلَّ سَمِيهِمْ !
هَلِ الْعَزْءُ إِلَّا تَحْتَ ظِلِّ الْمَهْنَدِ !

ثم تلاه شيخنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ المصنف أبو المكارم مندیل بن محمد بن محمد بن داود بن أجروم الصنهاجي ، فقال :

شَامُوا بِفَاسٍ سَيْفَ إِدْرِيسِيٍّ فَوْقَ مَنَارٍ لَا لِأَمْرِ مَخُوفٍ
بَلْ أَشْعَرُوا بِقَوْلِ خَيْرِ الْوَرَى : جَنَّتُمْ تَحْتَ ظِلَالِ السَّيُوفِ

عيّن شيخنا مندیل في هذين البيتين صاحب السيف ، ونفى قول من قال إنه طلسم . وأتى بالحديث على ما هو عليه لم يغير فيه إلا يسيراً ، وهو « جنتكم » . وإنما لفظ الحديث « الجنة تحت ظلال السيوف » (٢) . وذكر فيه خير الورى : عليه السلام . ولم يسقه غير سياق أنه حديث ، ومع ذلك فغير كثير ، وهو أول من ذكر اسم (إدريسا) (١) .

(١) هو إدريس الثاني ، بن إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة الشريفة بالمغرب الأقصى . وبدأ بناء جامع القرويين بفاس سنة ٢٤٥ هـ .

(٢) أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه ٢ : ٢٠٨ وفيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

وقال صاحبنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن
المعروف بالربيب :

وَسَيْفٍ مَنَارٍ بِفَاسٍ غَدَتْهُ مَحَاسِنُهُمْ دَانِيَاتِ الْقُطُوفِ
فِيَا زَاجِرَ الْغَمِّ : عَفْوُ الْإِلَهِ وَجَنَّتُهُ تَحْتَ ظِلِّ السُّيُوفِ

وقال أيضاً فيه :

وَمَا خَصَّ إِدْرِيسُ الْمَنَارَ بِسَيْفِهِ لَغَمٍ وَلَكِنْ كِي يَعُمُّ نَدَاؤُهُ
مُشِيرًا : أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ تَأْمَنُوا وَمَنْ لِيَجِبَ دَاعِيَهُ : هَذَا جَزَاؤُهُ

وقال أيضاً فيه :

سِرُّ فَاسٍ لِفَارِسٍ (١) قَدْ بَدَأَ فِي وَضَعِ إِدْرِيسِ بِالْمَنَارِ حُسَامَهُ
فَهَمَّ الْعِزَّةَ لِلنَّدَاءِ فَأُورَى نَارَهُ مُعَلِّمًا وَشَالَ عِلَامَهُ

هذه الزيادة التي زاد في هذه المقطوعة الثالثة - وهي ذكر العلام والفنار -
الذين أمر بها أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس المريني سنة تسع
وخمسين وسبع مئة هو أول من نبه عليها من أصحابنا ؛ إلا ما رأيته بخط
شيخنا الفقيه الكاتب التاريخي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي
المعروف بالتاوري من بيتين في ذلك المعنى غير منسوبين :

نورٌ به علمُ الإيمان مرتفعٌ للمهتدين به للحقِّ إرشادُ
يأتون من كل أوب نحوهُ فلمهم لديه للرشد إصدارٌ وإيرادُ

وأنشدني فيه صاحبنا الفقيه العدل القاريء أبو زيد عبد الرحمن بن محمد
الصنهاجي المليبي لنفسه :

(١) هو فارس أبو عنان المريني سلطان المغرب .

أَلِمُّ بِفَاسٍ وَلَا تَسْمَعُ لِقَائِهِمْ
 « سيف المنار كساها ثوب مكتئب »
 أما ترى الشمس راقته تحت كاتبها
 و « السيف أصدقُ أنباء من الكتب »؟

يقول : كما أن الشمس لا يضرها كونها تحت الكاتب ، كذلك فاس لا يضرها كونها تحت السيف بل هي أحق بذلك لكون السيف أشرف من قلم الكاتب بدليل قول حبيب :

« السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ »

وأنشدني فيه صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن محمد الأنصاري الخزرجي المعروف بالدباغ لنفسه - شاعر ابن عمنا الرئيس أبي الوليد إسماعيل - رحمه الله تعالى - :

سيفُ إدريس بالمنارِ بفاسٍ ليسَ للغمِّ لا ولا للخِفافه
 إنما كان وضعهُ السيفَ فيها معلماً أنها مقرُّ الخِلافه ا

[١٢٩ / أ]

وهذا معنى حسن ، إلا أن نسبة وضع السيف لإدريس ليس كذلك ، (إنما وضعه) (١) الأمير أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي سعيد الزناتي المذكور (٢) .

وأنشدني فيه ابن عمنا الرئيس أبو الوليد إسماعيل بن الأمير أبي سعيد فرج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الامير أبي الحجاج يوسف

(١) لم تظهر في « م » .

(٢) زاد في صفحة ٥٢٤ « أبا بكر » بين أحمد وأبي سعيد .

الشهير بالأحمر بن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد
ابن خميس بن نصر الخزرجي ، لنفسه :

وما السيفُ في رأس المنارِ لِدَلَّةٍ بفاس ولكنَّ أمره أَيْما أمرِ !
رأها ابنُ إدريسٍ مقرَّ خلافةٍ فجرَّدهُ عَزْماً لأَملاكها الغُرَّ

وهذا المعنى الذي ذكر ابن عمنا (١) أبو الوليد الرئيس هو نفس ما قاله
شاعره أبو العباس الدباغ المذكور . ولقد أحسن ابن عمنا في مخالفته له في
الوزن والقافية ، وذلك بما يحسن الأخذ !

وأنشدني أيضاً فيه صاحبنا أبو الفضل محمد بن باقر التسولي لنفسه
- رحمه الله تعالى - :

قَلْ لِمَنْ أَنْكَرَ الحُسَامَ بفاس وادَّعى الغمَّ قولَ ذي تَجْرِيحِ
سيفُ إدريسَ في المنارِ شَهِيرٌ شهرةَ الدينِ بالأذانِ الفَصيحِ

وقول أبي الفضل « قل لمن أنكر الحسام .. البيت » اهتدمه من قول
شيخنا لأستاذ النحوي مندبل بن آجروم ، في قصيدته الفتوحية :

قل إهيار (٢) إن شمت شذاها قول مستخبر أخي تجريحِ
أين هذا الشدى من القيِّصو ... م والرُّند والغضا والشَّيحِ

وقصيدة [١٢٩ / ب] شيخنا (هذه في ذكر) (٣) متمزهات باب
الفتوح من مدينة فاس ، وهي :

أيها العارفونَ قدَر الصَّبوحِ جدُّوا أنسنَّا ببابِ الفتوحِ
جدُّوا ثمَّ أنسنَّا ثمَّ جدُّوا نسرِح الطَّرْفَ في مجالِ فسَّيحِ

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب (الورقة ٢٠) .

(٢) مهيار الديلمي الشاعر العباسي (٤٢٨ - ٥٠٠) .

(٣) لم تظهر العبارة بوضوح في الأصلين لوقوعها في أعلى الصفحة فيها .

حيثُ شابتُ مفارقُ اللوز نوراً
وتساقطنَ كالأجِينِ الصُّريحِ
وبدأ منه كلُّ ما احمرَّ يحكي
شَفَقاً مزقتهُ أيدي الرِّيحِ
وكانُ الذي تساقط منه
نُقْطُهُ لِسْحَنَ من دمٍ مَسْفُوحِ
وإذا ما وَصَلْتُمُ المِصْلَى
فلتُجْلِسُوا مواضعَ التَّسْبِيحِ
ويطَيِّفُورها فَطُوفُوا لِي ما
تُبصروا من ذرأه كلُّ السطوحِ
ولتتقبموا هناكَ لمحجةَ طرفِ
لِتَرُدُّوا بِهَا ذَمَاءَ الرُّوحِ
ثم حطوا رحالكُمُ فوق نهرِ
كَلِّ في وصفهِ لِسَانُ المديحِ
فوقَ حافاتِهِ حدائقُ خضرةٍ
ليسَ عَنها لعاشقٍ من نِزوحِ
وكانَ الطيورَ فيها قِيانُ
هتفتُ بين أعجمٍ وفَصيحِ
وهي تدعوكم إلى قُبَّةِ الجِوِّ . . .
زَهَلُمُوا إلى مَكَانٍ مليحِ!
فيه ما تشتهون من كلِّ نورِ
مُغلقٍ في الكِيَامِ أو مفتوحِ
وغُصُونِ تهبج رقصاً متى ما
سمعتُ صوتَ كل طيرٍ صدوحِ
فأجيبوا دُعَاءَها أيُّها الشُّرُ . . .
بُ وَاخْلِسُوا مَقَالَ كلِّ نَصيحِ
واجنَحُوا للمُجُونِ فهوَ جديرُ
وخلِيقُ من مِثْلِكُمُ بالجنوحِ
واخلِمْعُوا ثَمَّ للتَّصَابِي عِذاراً
إن خلعَ العِذارِ غيرُ قبيحِ !!
وإذا شتمُّ مكاناً سواهُ
هوَ أَجْلِي من ذلكُمُ في الوضوحِ
أَجْمِعُوا أمرَكُمُ لنحوِ خَلِيجِ
جاءَ كالصِّلِّ من قِفَارِ فيحِ!
عطرتُ جانبيه كَفُّ الغوادي
يشدا عَرَفَ زهراً المَنوحِ

[١٣٠ / أ]

قل لمييار إن شمتت شذاها - قول مستخبر أخي تجريح - :
أين هذا الشدا الذكي من القبي . . . صوم والرند والغضا والشيخ ؟!

حيثما ذلك المهاد مهاداً بين دانٍ من الرُّبَا وتزُّوح
 ثمَّ من ذلك المهاد أفيضوا نحو هضب من الهُموم مُريح
 فيه للحسنِ دوحهٌ وزوايا وانشراحٌ لذي فؤادٍ قريح
 وحجارهٌ تُدعى حجارَ طبول غير أن التَّطليل غير صحيح !
 تَنَشُرُ الشمسُ ثمَّ كلُّ غُدوٍ زعفراناً مبلتلاً بنضوح
 و « سبو » (١) من هناك يسبي عقولاً

ويجلتي لحاظ طرف طموح
 وعيونُها تقرأ عيونٌ وكلاها يأسو كلوم الجريح
 فُرشت فوقها ظنْفِسُ زهرٍ ليس كالعِيْنِ نسجها والمُسوح
 كلما مرَّ فوقهنَّ طليحٌ عاد من حُسْنهن غيرَ طليح
 فنهَضُوا أيها المَجْبُونُ مثلي لئري ذاتَ حُسْنها المموج
 هكذا يربحُ الزَّمانُ وإلا كلُّ عيشٍ سِوَاهُ غيرُ ريبح !

وأنشدني أيضاً ابن باشر ، فيه ، لنفسه :

قل ليلذي أنكسر السيف الذي اشتراها
 على المنار فما أبدعت تنكيتا

من خالف الصلوات الخمس يُعمل به

« إن الصلاة كتابٌ كان موقوتاً »

وقوله في هذه القطعة « إن الصلاة كتابٌ كان موقوتاً » هذا المصراع كله

لأبي العلاء المعري ، وهو قوله :

(١) نهر سبو أو وادي سبو ينبع من جبال الأطلس الأوسط ، ويصب في المحيط الأطلسي
 ويمر بالقرب من فاس فيسقي أراضيها ، ويصب قرب مدينة القنيطرة .

أعدت من صلواتي حفظ عهدكم إن الصلاة كتاب كان موقوتنا

وهذا - عند أهل البلاغة - يسمى التضمين . وهو عندهم نوعان : نوع ينبه فيه على البيت المضمن أو المصراع أنه للغير ، ونوع يؤتي به من غير تنبيه [١٣٠ / ب] هكذا وهو أحسن النوعين (١) . و فرق بين أن يكون البيت شهيراً (فلا يحتاج) إلى تنبيه ، أو غير شهير فيحتاج إلى التنبيه .

وأنشدني أيضاً لنفسه على لسان السيف :

وليس ارتفاعي في المنار ليكربية
ولكنه كي يعلم الحق جاهله
أحض على الخمس التي فاز أهلها

ومن حاد عن أوقاتنا أنا قاتله !

وقوله (٢) : « ومن حاد عن أوقاتنا أنا قاتله » ليس كذلك ، لأن مؤخر الصلاة عن أوقاتنا لا يقتل ، وإنما يقتل جاحدها .

وأنشدني فيه شيخنا الفقيه الكاتب مسعود بن أبي القاسم بن أبي طلاق لنفسه ، مخالفاً لما أصنوه ، ومثبتاً لما أنكروه :

قالوا يجامع فاس سيف إدريسا وكلثهم قائل زوراً وتكلميسا
ما جعله غير طلمس لساكنها لكي ينال بها الأحران والبوسا !

وأنشدني فيه صاحبنا الأستاذ النحوي أبو زيد عبد الرحمن بن علي ابن صالح المكودي ، لنفسه ردأ على شيخنا ابن أبي طلاق ، وموافقاً للجمهور في المساق :

(١) هنا كلمة لم تظهر في الأصلين .

(٢) لم يظهر قبل (قوله) في « م » كلام . وفي « ط » إما ان .

قال قومٌ سيفُ المنارِ بفاسٍ هو طيلدَسَسُمُ ذِلَّةٍ وَهَوَانِ
أخْطَوْا وَلَيْسَ ذَاكَ إِلَّا لِعَزَمِ مُبْهَرَتٌ مِنْهُ سَائِرُ الْبِلْدَانِ !
وَأُنْشَدَنِي^(١) فِيهِ صَاحِبُنَا الْفَقِيهَ الْعَدْلَ أَبُو الْعَلَى إِدْرِيسَ بْنَ يَحْيَى

ابن محمد بن عمر بن رشيد الفهري لنفسه :

سَلَّ إِدْرِيسُ بِالْمَنَارِ حُسَامًا مِنْبَأًا ، ذَاكَ ، عَنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ
دَاعِيًا لِلصَّلَاةِ إِنْ لَمْ تُجِيبُوا فَحَقِيقَ الْجَزَاءِ ضَرْبَ الرَّقَابِ !
وَانظُرْ قَوْلَهُ : « إِنْ لَمْ تُجِيبُوا » فِيهِ تَحْرِيزٌ حَسَنٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَشْرْنَا
إِلَيْهِ مِنْ جَحْدِهَا بِخِلَافِ قَوْلِ الْقَائِلِ : « وَمَنْ حَادَ عَنْ أَوْقَاتِهَا أَنَا قَاتِلُهُ » . وَهُوَ
نَفْسُ مَا قَالَهُ صَاحِبُنَا الْفَقِيهَ [١٣١ / أ] مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْمَذْكُورِ (٢) .

إِلَّا أَنْ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ تَرْجُمَةُ الْقَوْلِ فِي لَزُومِ مَا لَا يَلِيزُ ، وَهُوَ مِنَ الْبِرَاعَةِ (؟) .
وَأُنْشَدَنِي فِيهِ شَيْخُنَا الْفَقِيهَ الْمُتَمَنِّنُ أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ الْغَفَّارِ الْبُوخَلْفِيُّ :
ذَكَرْتُ ، وَلَمْ أَكُنْ لِلذِّكْرِ نَاسِي عَجَائِبَ سَيْفِ إِدْرِيسِ بِفَاسِ
فَلَمْ يَكْ بِالْمَنَارِ سُدى ، وَلَكِنْ لِيَدْفَعِ عَنْ حِمَاهَا كُلَّ بَاسِ

وَأُنْشَدَنِي فِيهِ أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْفَخَّارُ ، شَهْرٌ بِالْحِيَاكِ :

شَهْرَةُ الْمَشْرِقِيِّ فَوْقَ الْمَنَارِ عَزَّةٌ لِلوَرَى وَدِينِ النَّبِيِّ
سَيْفِ إِدْرِيسِ مُنْجِدٌ لِلْأَعَادِيِّ وَانْتِصَارُ الْمُلُوكِ بِالْمَشْرِقِيِّ

(١) هو حفيد محمد بن عمر بن رشيد صاحب الرحلة .

(٢) هنا نصف سطر غير ظاهر في « م » ومحو تماماً في « ط » .

(٣) في نبيل الابتهاج ٢١٦ ترجمة لمحمد بن أحمد الحباك . وفي الروض المتون ٦١ ترجمة لمحمد بن سعيد الحباك . كلاهما بالياء الموحدة . قلت اسم الشاعر في النسختين الحباك بالياء المثناة .

إلا أن قوله : « فوق المنار » فيه عيب من جهة النقد يسمى التجميع (لأن سامعه) (١) أولاً يقدر أن قافية البيت مثل قافية المصراع ، فيجدها على خلافه .

وأنشدني فيه لنفسه الأديب أبو عثمان سعيد بن إبراهيم السدراقي شهر بشهبون :

لإدريس سيفٌ أظهرَ الدينَ والهدى
بأفق منارٍ الأذانِ تَشِيدَا
فمن ظنَّ أن الذَّلَّ أورثنا به
فهلْ ذلٌّ إلا ظالمٌ ضلَّ واعتمدى ؟ !

ولقد أحسن في قوله : « ذل .. وصل » حيث أتى بهذا التجنيس المسمى عندهم بالتجنيس المضارع .

قال إسماعيل ، مؤلف هذا الكتاب :

« انتمى نثر الجُمان في شعر من نظمني وإياه الزمان . وإذا قد فرغت من تأليف كتابي هذا ، وكان وبلي فيه رذاذا ، إذ لُذتُ بجانب مغناه لوإذا ، جعلت العذر عن القصور فيه عيادا . ورغبت من تصفحه أن يسقط العتاب ، ويعود إلى الإعتاب ، فإنني لست برب هذا (الشأن ؛ ولا من فرسان) (٢) [هذا الميدان] (٣) .

(١) مستدرك من « ط » .

(٢) هذه العبارة من « ط » . (٣) زيادة مقترحة .

تعليقات

١ - عنوان الكتاب الأصلي - كما هو مثبت على الغلاف - نشير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان . وقد أضفت إليه على سبيل الإيضاح والبيان عنواناً رديفاً هو « أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن » جعلته وصفاً للحال بالإضافة إلى أنه عنوان فارق . ذلك أنني كنت حققت كتاب ابن الأحمر الآخر المسمى « نشير الجمان في نظم فحول الزمان » ؛ فأردتُ أن يكون صنيعي هذا فرقاً وتنبهاً .

٢ - ذكرت في مقدمة التحقيق وصف المخطوطين المعتمدين، وهما مخطوطا الكتاب المعروفان لدينا . وأثبتت في حواشي الكتاب تفاصيل دقيقة لأوصاف المخطوطين التفصيلية وما كان بينهما من اتفاق واختلاف . و صلتني بالكتاب قديمة ، فقد نسخت الكتاب لتحقيقه على نسخة دار الكتب المصرية أيام طلب العلم في القاهرة ، وشرعت في تحقيقه . ثم توقفت لما قرأت مقالة في مجلة البحث العلمي تصف مخطوطة الخزانة الملكية في الرباط من نشير الجمان هذا . إلى أن تسنى لي الرجوع إلى نسخة الرباط ثم مراجعتها على الأصل مباشرة؛ فراجعت العمل ، وبدأته من أوله في شيء كثير من الصبر ، والعكوف على حل المشكلات .

والنص المحقق من الكتاب هو أفضل ما استطعت - بجهدي المتواضع - أن أصنعه . وإنما أبرزت هذا العمل لأن فيه مادة أدبية وقارية وافرة تهتم المشتغلين بأدب المغرب والأندلس وتسد ثغرة هامة في هذا الباب . ولاشك في أن في هذا الكتاب تراجم ونصوصاً لا يمكن أن يستغني عن يؤرخ للأدب الأندلسي أو للأدب المغربي عن الرجوع إليها والاستفادة منها .

وتتمنى أن تسمح الأيام بظهور نسخة أصلية قريبة من النسخة الأم لتكون الفائدة من الكتاب كاملة .

٣ - هذا العمل في الكتاب - الذي تطاول سنين متفرقة - اضطرني إلى استخدام المراجع المتوفرة حيث أقيم . وتنقل الكتاب معي بين القاهرة ودمشق ووهران والجزائر والرباط . وكنت في بعض الأحيان أعود إلى الكتاب الواحد في غير طبعة . وعلى الرغم من التنسيق الأخير ، فإنني أخشى من هفوات يسيرة يند عنها القلم ، وتسقط إلى العمل .

وفي الكتاب بعض التراجم التي لم أجد في مراجعي التي توفر لي الرجوع إليها معلومات إضافية عنها ، أرسلتها إرسالاً ، وأكثرهم من أصحاب ابن الأحمر وتلامذته . ولا غرابة في أن يكون كتابه هذا مرجعاً رئيساً لتراجمهم . وأنا - على كل حال - في حاجة إلى ملاحظات الأساتذة والزملاء المهتمين بالدراسات المغربية والأندلسية ؛ وإلى آرائهم وحسن عونهم .

٤ - اعتمدت في تحقيق النص على ماورد في الأصلين ، والتزمت الرواية فيها ، فإذا وجدت نقولاً في كتب أخرى قابلت عليها . وعمدت إلى إثبات ما في النص على حاله ، إلا إذا رجحت قراءة المرسوم على وجه خاص ، إذا كان الرسم يمكن من ذلك .

٥ - في صفحة ١٢١ السطر ٦ « نلت » كذا قرأتها . وفي ص ٢٣٢ أحمد ابن محمد بن عبد المنان وإن كان الأرجح لدي أنه هو نفسه أحمد بن يحيى (انظر ترجمته) . وأورد المؤلف في ص ٢٧٥ اسم عبد الله بن يوسف بن محمد الينجاسني بالياء ، ثم أورده في ص ٢٧٦ بالواو هكذا الونجاسني . وقد اجتمع لدي قدر يلحق بصفحة الخطأ والصواب أثبته فيها .

الفهارس العامة

فهرس عام للأعلام

١

- إبراهيم بن أبي بكر الحفصي الموحد ٢٩٧
 إبراهيم بن زكريا الأنصاري ٢٧٧
 إبراهيم بن عبد الله اليزناسني ٣٦٧
 إبراهيم بن علي بن زيان ١٥٧ ، ٢٥٠ ، ٣١٥ ، ٣٦٤
 إبراهيم بن محمد السلمي ١٥٦
 إبراهيم بن محمد الأوسي الساحلي الطويحين ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٩
 إبراهيم بن عطية التجاني ٣٦٧
 إبراهيم بن علي العباسي ٤٤٦
 إبراهيم بن المهدي ٨٣
 إبراهيم بن أبي يحيى التسولي ٢٣٥
 ابن آجروم = محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
 أحمد بن إبراهيم المريني (المستنصر بالله) ٣١٠ ، ٣١٥
 أحمد بن إبراهيم بن صفوان ١٣١
 أحمد بن أبي بكر الزناتي ٤٥٢ ، ٤٥٥
 أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن أبي حفص ١٠٢ ، ١٠٦ ، ٤٥٢
 أحمد بن شعيب الجزنائي ٢٥٤
 أحمد بن عبد الملك بن شعيب القشتالي ٣٥٨
 أحمد بن علي بن عمرو التميمي ٢٢٧

- أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ١٧٥ ، ١٨١
- أحمد بن محمد بن أحمد بن جزى الكلبي (أبو بكر) ١٦٥ ، ١٦٧
- أحمد بن محمد بن الدباغ الخزرجي الأنصاري ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦
- أحمد بن محمد الخولاني ٢٤
- أحمد بن محمد الزواوي ٤٣٣
- أحمد بن محمد بن عبد المنان (وانظر أحمد بن يحيى) ٨٢ ، ٢٣٢ ،
٢٣٦ ، ٣١٤
- أحمد بن محمد بن يوسف الشبوكي ٤٤٣
- أحمد المكودي ٤٣٦
- أحمد بن موسى بن سعود الخزاعي ٢٤٩
- أحمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٤٥٢
- الأحيمر = علي بن أحمد الحسيني
- الأخفش = علي بن سليمان
- إدريس بن إدريس ٤٥٢ - ٤٥٦ ، ٤٦١
- إدريس بن أبي زيد التونسي ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤
- إدريس بن يحيى بن محمد الفهري ٤٦٠
- أروى بنت كرز ٤٢
- أبو إسحاق الساحلي = إبراهيم بن محمد
- إسحاق الموصلي ٥٩
- إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن الأحمر (أبو الوليد) ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣
- ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩
- ٤٠٢ ، ٤١٧ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦

- إسماعيل بن محمد بن فرج بن إسماعيل بن الأحمر ٧٨
 إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج بن الأحمر (أبو الوليد) مؤلف
 الكتاب ، ١٩ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤ ،
 ١٥٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٣٨٣ ، ٣٩٩ ، ٤٦١ .
 الأصمعي ٤٨ ، ٥٩ ، ٣٩٨ .
 الأعشى ٣٦ . ٣٧ .
 بنو الأغلب التميميون ٢٢٧
 الأقرع بن حابس ٣٣ ، ٣٤ ، ٥١
 أكتم بن صيفي ١٧٣
 امرؤ القيس ٣١ ، ٥٤ ، ٢١٢
 أمية بن أبي الصلت ٢٣٢ ، ٤٦ ، ٤٨
 أميمة بنت عبد المطلب ٤٢
 أنس بن مالك ٣٥
 إلياس ١٠٨

ب

- البحثري ٦٣
 بديع الزمان الهمداني ٤٢٢
 البرامكة ٢٢٨
 البسقي (أبو الفتح) ٤٢٢
 بشار بن برد ٥٣ ، ٦٣
 ابن البغلة = يحيى بن أحمد بن محمد
 أبو بكر بن جزري (الأمير) ١٦٦

- أبو بكر الصديق ٢٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١
 أبو بكر بن غازي بن الكأس المجدولي أبو يحيى : ٣١١
 أبو بكر بن فارس بن علي بن زيان (أبو يحيى) ٢٥٠ ، ٢٨٩ ، ٣١٥
 أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥
 بلال بن رباح ٢٤
 البليقي = محمد بن محمد السلمي
 البني = علي بن الحسن الجذامي (القاضي النباهي)
 البيضاء بنت عبد المطلب ٤٢

ت

- تاشفين أبو عمر أمير المسلمين ٣١٥
 تجين (قبيلة) ٣٦٧
 الترمذي ٣٥
 التماساني = محمد بن حسن الحسيني السبتي
 أبو تمام ٦٣ ، ٣٧٣ ، ٤٥٥

ث

- ثابت بن قيس بن شماس ٣٣

ج

- ابن جابر = محمد بن أحمد بن علي الهواري
 جرير ٥٩ ، ٦٥
 الجعدي (النابغة) ٦٠
 جميل بن معمر ٨٩ ، ١٠٨

ح

حاتم الطائي ٧٩

ابن الحاج = محمد بن علي بن عبد الرزاق

ابن الحاج = محمد بن محمد السلمي

حاجب بن زرارة ٢٣٠

حازم بن محمد بن حسن القرطاجني ٣٩٤

أبو الحجاج = يوسف بن اسماعيل بن فرج

ابن حجر = امرؤ القيس

حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٨

ابن الحسن = علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي (القاضي النباهي)

الحسن البصري ٣٨ ، ٥٠

أبو الحسن الصباغ = علي بن محمد بن عبد الحق

أبو الحسن العثماني = محمد بن عبد الله بن أبي مدين

الحسن بن عثمان بن عطية ابن موسى التجاني المعروف بالوا نشريسي

٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٩٧

الحسن بن أبي طالب ٤٤

أبو الحسن اللخمي ٢٢٧

ابن الحسن المالقي القاضي = علي بن عبد الله الجذامي (النباهي)

أبو الحسن المريني - علي بن عثمان

الحسين بن علي بن أبي طالب ٤٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥

ابن الحشرج = عبد الله بن الحشرج

ابن الحفيد = عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رشد الأموي

الحكم ٥١

حمزة بن شعيب بن أبي مدين العثماني ٢٦٦
 حمزة بن عبد المطلب ٤٢ ، ٤٤
 أبو حمو المتوكل على الله = موسى بن يوسف بن عبد الرحمن
 الحياك - أبو محمد بن علي الفخار
 أبو حية النميري ٦٤
 حبي بن أخطب ٣٨٨

خ

ابن خاتمة = أحمد بن علي بن محمد
 خالد بن أحمد بن أبي بكر (أبو البقاء) ١٠٢
 ابن الخطيب (لسان الدين) محمد بن عبد الله
 ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد
 الخليل بن أحمد ١٣٦
 الخليس الباهلي ٦٥
 الخنساء ٥٥ ، ٦٤

د

الدباغ = أحمد بن محمد الأنصاري
 ديبس (الأمير) ٢٥٠
 ابن دريد = محمد بن الحسن بن دريد
 دعل الخزاعي ٥٦

ذ

ذو الإصبع ١٧٣

ر

- الرباب بنت امرىء القيس ٤٤
 الريب = محمد بن محمد بن عبد الرحمن
 ابن رضوان = عبد الله بن يوسف بن رضوان
 رضوان بن يوسف بن رضوان النجساري الخزرجي ٢٣٤
 ابن رواحة = عبد الله بن رواحة
 ابن الرومي ٦٥

ز

- الزبرقان بن بدر ٣٣ ، ٣٤ ح
 الزبير بن عبد المطلب ٤٢
 الزبير بن العوام ٤٢
 زكريا بن عبد الواحد بن زكريا (الأمير) ١٠٨
 ابن زمور ٤٢٤
 زهير بن أبي سلمى ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٢
 زياد الأعجم ٥٢
 أبو زيان - محمد بن مسعود بن عبد الرحمن
 بنو زيان ١٠٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

س

- ابن السائب الخزومي ٣٨ .
 السَّاحلي = إبراهيم بن محمد الأنصاري
 السراج = محمد بن سعيد الرعيني .
 سعد بن عبادة ٩٣ ، ١٥٣ .

- بنو سعود ٢٤٩ .
 سعيد بن ابراهيم السدراي (شهبون) ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦١ .
 أبو سعيد = فرج بن اسماعيل .
 سعيد بن عبد الله العباسي ٤٤٦ .
 سعيد بن المسيب ٣٧ .
 أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ٣٥ ح ، ٤١ ، ٤٢ .
 سكينه بنت الحسين ٤٤ .
 سلامة ذافايش ٣٧ ح .
 سليمان بن يوسف بن يعقوب المريفي (أبو الربيع) ٢٥٧ .
 ابن سماك ١٢٦ .
 سيبويه ٢٦ ، ٢٢٥ ، ٤٢٠ .
 ابن سيرين ٣٧ .

ش

- الشافعي = محمد بن إدريس .
 الشبوكي = محمد بن يوسف بن أحمد .
 الشديد = محمد بن يوسف بن الشديد .
 الشريد بن سويد ٣٢ ، ٤٨ .
 الشريف الغرناطي = محمد بن أحمد الحسيني .
 شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي (أبو مدين) ٢٥٧ .
 شعيب بن عبد الله بن موسى الفشتالي ٣٥٨ .
 شعيب العثماني (أبو عبد الله) ٢٥٧ .
 شعيب بن محمد بن أبي مدين العثماني (أبو مدين) ٢٦٤ .
 شهبون الأديب = سعيد بن ابراهيم .

- الصاحب بن عباد ٩٢ ، ٣٩٩ .
- صالح بن حجاج اللخمي السبتي (أبو محمد) . ٢٦٠ ، ٢٦١ .
- صفوان بن إدريس ٤٢٤ ، ٤٢٥ .
- صنهاجة ٣٥٩ (قبيلة) .
- ضرار بن عبد المطلب ٤٢ .
- صفية بنت عبد المطلب ٤٢ .

ط

- ابن طاهر ٢٦ .
- طرفة بن العبد ٥٠ ، ٦٥ .
- طريح ٦١ .
- الطويحين = إبراهيم بن محمد الأنصاري .
- أبو الطيب الكناني ٢٥٦ .
- أبو الطيب المتيني ٣٧٣ .

ع

- ابن عائشة (المغني) ٩٨ .
- بنو عبد الوادي = بنو زيان .
- عامر بن يوسف بن يعقوب المريفي ٢٥٧ .
- العباس بن الأحنف ٥٤ .
- العباس بن عبد المطلب ٤٢ ، ٤٤ ، ٣٩٢ .
- ابن عباس = عبد الله بن عباس
- العباس بن مرداس ٥١
- عائشة (رضي الله عنها) ٢٤ ، ٣٥ .

- عبد الحق بن أبي بكر (الموحد) ٩٨ .
 عبد الحق بن الزيات ٤٣٣
 عبد الحق المريني ٦٧
 عبد الحق بن محمد بن عطية الحاربي ١٣٧
 عبد الحلیم بن عمر (المؤيد بالله) المريني ٧٤
 عبد الحميد (الكاتب) ٢٠٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠
 عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (أبو زيد) ٣٧٤ ، ٣٧٣ ، ٤٥٩
 عبد الرحمن أبو تاشفين العادل بالله ٢٥٠
 عبد الرحمن بن المتوكل على الله أبي عنان ٢٦٩
 عبد الرحمن بن محمد بن بلال الأشعري ٤٣٥
 عبد الرحمن بن محمد (الناصر) ٤٥٢
 عبد الرحمن بن محمد بن رشد الأموي ٣٧٠
 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ٢٩٧
 عبد الرحمن بن محمد المليبي الصنهاجي ٤٣٦ ، ٤٥٤
 عبد الرحيم بن نوح بن شعيب الشبوكي ٤٤٣
 ابن عبد الرزاق = محمد بن علي بن عبد الرزاق
 عبد العزيز بن علي المريني (أبو فارس) ٧١ ، ١١٠ ، ١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
 ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٨٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٤٤٣
 عبد الغفار بن موسى البوخلفي (أبو محمد) ٤٣٦ ، ٤١٤ ، ٤٦٠
 عبد الله الأوربي الفاسي (أبو محمد) ٤٤٠
 عبد الله بن الحشرج ٥٢
 عبد الله بن رواحة ٣٥ ، ٤١
 عبد الله بن الزبير ٤٦
 عبد الله بن الزبير الأسدي ٥٧

- عبد الله بن سعيد العباسي ٤٤٦
 عبد الله بن عباس ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦
 عبد الله بن أبي القاسم العزفي اللخمي (أبو طالب) ٢٢٤ ، ٢٧٧
 عبد الله بن عبد المطلب ٤٢
 عبد الله بن عطية بن موسى التجاني ٣٦٧
 أبو عبد الله الفشتالي = محمد بن أحمد بن عبد الملك ٣٦٨
 أبو عبد الله الماجري المقيلي ٤٢٢
 أبو عبد الله المازري ٤٧
 عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤
 عبد الله بن محمد البكري المعروف بالأندلسي ٣٩٦
 عبد الله بن محمد بن خنوست ٤٤٩
 عبد الله بن موسى الفشتالي ٣٥٨
 عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢
 عبد الله بن يوسف بن محمد الينجاسني المريفي ٢٧٥
 عبد الملك بن شعيب الفشتالي ٣٥٨
 ابن عبد المنان = أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي
 عبد المهيم بن محمد الحضرمي ٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
 عبد المؤمن بن علي (الموحّد) ٤٣٢
 عبد المؤمن بن عمر المريفي ٧٢
 عبد الواحد بن أبي حفص (الأمير) ٩٧
 عبيد الله بن يحيى (أبو مروان) ٢٤
 عبيدة بن الحارث ٤٣
 بنو عثمان (قبيلة) ٢٥٨

- عثمان بن أحمد اللخمي ٢٤
 عثمان بن إدريس الشامي ٦٣
 عثمان (الأمير العبد الوادي) ٢٥٠ ، ٢٧١
 عثمان بن عطية بن موسى التجاني ٣٦٧
 عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٧
 عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (الأمير المريني) ٢٤ ، ٤٦٠ ، ٢٦٤ ،
 ٣٢٢ ، ٣٤٥
 العرجي ٣٩٨
 عروة بن أذينة ٣٨
 عروة بن حزام ١٠٨
 أبو عزة الجمحي ٤٦
 أبو العلي التونسي - إدريس بن أبي زيد
 أبو العلاء المعري ٣٧٣ ، ٤٥٨
 العلاء بن الحضرمي ٧٢
 علي بن أحمد الحسني (المعروف بالأحيمر) ١٥٠
 علي بن موسى بدر الدين بن موسى المريني ٧٣
 علي بن سليمان (الأخفش) ١٧٤
 علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٣٨٩
 علي بن عبد الرزاق الجزولي ٣٥٥
 علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي (البني) ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
 علي بن عبد الله بن سعيد العباسي ٤٤٦
 علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن قطرال ٢٣ ، ٢٤

- علي بن عثمان بن يعقوب (السلطان المريني أبو الحسن) ٦٧ ، ٧١ ، ٢٠٦ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٤ ، ٣٢٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧
 علي بن أبي عمرو التميمي ٢٢٧
 علي بن محمد بن الصباغ العقيلي ٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
 علي بن محمد بن أحمد الخزاعي ٢٤٩ ، ٢٥٠
 علي بن محمد بن الجياب (أبو الحسن) ١٢٥
 علي بن محمد بن عمر الصنهاجي (أبو الحسن) ٤٢٧
 علي بن محمد بن معاود البلوي ٧٣
 عامر بن محمد الهنتاتي ٤٤٤
 العماد (الأصفاني) ٢٨٤
 عمر بن أحمد بن أبي بكر (الأمير الحفصي) ٩٧ ، ١٠٥
 عمر بن توقرت ٣٩٧
 عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢
 عمر بن السعود بن خرباش (الوزير) ٢٥٦
 عمر بن عبد المؤمن بن عمر الينجاسي ٤١٧
 عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني ٣١١ ، ٤٤٣
 عمر بن الفارض ١٣٢
 عمر المريني (أبو علي) ٣٥٨
 عمرو بن الأهم ١٧٣
 عمرو بن عبد الله بن عسقلجه ١٧١
 عمرو بن كلثوم ٥٤
 أبو عنان (السلطان) = المتوكل على الله فارس بن علي
 ابن العميد ٢٠٦ ، ٤٠٠

عياض (القاضي) ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩
عيسى بن الحسن بن أبي الطلاق ٢٣٦

غ

الغريض (المغني) ٩٨

غيلان ٢٦٦

ف

فارس بن علي بن عثمان (السلطان المريني - أبو عنان - المتوكل على الله)
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٢٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ،
٢٩٨ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٩ ،
٤٢٦ ، ٤٤٣ ، ٤٥٤ .

فارس بن ميمون بن ودرار الحشمي ٣٩٧

فاطمة بنت عمرو بن عائذ ٤٢

الفخار = أبو محمد بن علي

الفرزدق ٣٨

فرج بن إسماعيل بن يوسف (أبو سعيد) ٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٧ ، ٣١٥

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب ١٨٦

فشتالة (قبيلة) ٣٥٩

الفشتالي = محمد بن أحمد بن عبد الملك

ق

أبو القاسم النجاري الخزرجي = عبد الله بن يوسف رضوان

أبو القاسم بن أبي العافية (القاضي) ٢٠٧ ، ٢١٤

القاسم بن يوسف بن رضوان (أبو الفضل) ٢٤٧ ، ٢٤٨

أبو قبيس ٢٥٠

ابن أبي قحافة = أبو بكر الصديق

قدامة ٤٠٠ ، ٥٤

قريش ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨٨

قس بن ساعدة ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

القصار = علي بن محمد بن عمر الصنهاجي

القعقاع بن شور؟ ١٠٨

فيس ليلي ٢٦٦ ، ٨٩

قيس عيلان ٣٨٨

ك

كثير عزة ٦٠

كريب الحضرمي (الأمير) ٢٢٤

كسرى ١٢٣ ، ٣٨٠ ، ٤٨١

كعب بن زهير ٣٢

كعب بن مالك ٤١ ، ٤٧ ، ٤٨

كعب بن مامه ١٠٨

كبيد بن ربيعة ٢١ ، ٢٢١ ، ٣٩٨

لؤي بن غالب ٤٠

مارية ١٧٤

المازري (الإمام) ٤٩

مالك بن أنس ٢٤

مالك بن عوف ٣٩١

مالك الفشتالي ٣٥٩

- المتوكل على الله أبو عنان = فارس بن علي
المتوكل على الله أبو يحيى = أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم
محمد بن إبراهيم بن محمد الساسي ١٥٦
محمد الأبىكم (أبو عبد الله) ٨٢
محمد بن أحمد بن إبراهيم الكومي (النيار) ٤٣٢
محمد بن أحمد بن أبي بكر (الأمير الحفصي) ١٠٢
محمد بن أحمد الحسيني (الشريف الغرناطي) ١٤٥ ، ٩١
محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي ٤٣١
محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ٢٣ ، ١٩٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦١
محمد بن أحمد بن علي التميمي ٢٢٦
محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري ٢٠٠
محمد بن أحمد المكودي ٤٣٦
محمد بن أحمد بن موسى الخزاعي ٢٤٩
محمد بن إدريس (الشافعي) ٤٩
محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج (السلطان) ٢٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ،
١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٥٧ ، ٤٤٦
محمد بن باهر التسولي ٤٥٦ ، ٤٥٨
محمد بن أبي بكر بن إسحاق (الأمير الحفصي) ٩٧ ، ٩٨
محمد بن أبي بكر بن يحيى الحفصي ٩٨
محمد بن جزى = محمد بن محمد جزى
محمد بن حزب الله الطائي الوادي آشي ٤٢٦
محمد بن حسن الحسيني السبتي المعروف بالتمساني ١٧٢
محمد بن الحسن بن دريد ٣٩٥

- محمد بن خميس الحجري ٣١٦
 محمد بن داود الصنهاجي ٤١٧
 محمد بن الريب الكتامي ٢٥٦
 محمد رسول الله ﷺ ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥
 ٣٨٦ ، ٣٨١ ، ٣٧٣ ، ٢٤٧ ، ٢٣٩ ، ١٨٧ ، ٢٢٤ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٥٩ ، ٥٣
 ٤٥٣ ، ٤١٦ ، ٣٩٣ ، ٣٩٢ ، ٣٩١ ، ٣٨٩
 محمد بن رضوان النجاري الخزرجي ٢٣٤
 محمد بن سعيد الرعيبي (السراج) ٢٣
 محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري ٢٤
 محمد (الأمير المريبي الثائر يجبل هنتاته) ٤٤٤
 محمد شرف الدين البوصيري ٣٧٠
 محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي ٢٣
 محمد بن أبي عامر (المنصور) ١٧٠
 محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي ٢٦٩
 محمد بن عبد الحكيم بن تادرات ٢٥٣
 محمد بن عبد الرحمن الخزرجي (التاوري) ٤٥٤
 محمد بن عبد الرحمن الحسني (المومذاني الفاسي) ١٩٠
 محمد بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن (الأمير أبو زيان) ٧٣ ، ٢٥٠ ، ٣١٥
 محمد بن عبد الغفار بن موسى البوخلقي (أبو النور) ٤١٥ ، ٤١٦
 محمد بن عبد الله بن الخطيب (لسان الدين) ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٩١ ، ١٣٨
 ٣٦٠ ، ٣٦٤
 محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني ٢٥٥ ، ٢٥٨
 محمد بن عثمان بن يغمراسن (أبو زيان) ٢٥٠ ، ٣١١
 محمد بن علي بن عبد الله الجزولي (ابن الحاج - ابن عبد الرزاق) ٣٥٥

- أبو محمد بن علي بن الفخار المشهور بالحياك ٤٦٠
 محمد بن علي بن الصباغ العقيلي ٢٧١
 محمد بن عمار المهري ٥٧
 محمد بن عمر بن أحمد (الأمير الحفصي) ١٠٥ ، ١٠٦
 محمد بن عمر بن توقرت الموحد التينملي المصمودي ٣٩٦
 محمد بن عمر بن رشيد الفهري ٢٣ ، ١٩٠
 محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي ١٦١
 محمد العمراني ٥٧
 محمد بن أبي عمرو التميمي ٢٢٦
 محمد بن فارس بن علي بن عثمان الزباني ٤٩٤
 محمد بن القاسم الحسيني العراقي (للشريف) ٢٣٦
 محمد بن قطبة الدوسي ٨٠
 محمد الكناني ٢٥٦
 محمد بن محمد بن أحمد جزبي الكلبي الفرناطي ٢٨٣ ، ٢٨٤
 محمد بن محمد بن أحمد التميمي ٢٢٦
 محمد بن محمد داود الصنهاجي ٤١٧
 محمد بن محمد بن محمد بن داود (أبو المكارم مندیل) - ابن آجروم ٤١٦ ،
 ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦
 محمد بن محمد بن جزبي الكلبي ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٣١
 محمد بن محمد السجزي ٢٤٦
 محمد بن السلمي (أبو البركات) - البافقي - ابن الحاج ١٥٦
 محمد بن محمد بن الشديد ١٩٦
 محمد بن محمد القرشي المقرئ التلمساني ٧٠

محمد بن محمد بن محمد الغالب بالله النصري ١٢٦ ، ١٤٦ ، ١٧٠ ، ٢٢٤ ،
٢٩٨ ، ٣٦٠

محمد بن الريب ٤٥٤ ، ٤٦٠

محمد بن محمد بن أبي مدين العثماني ٢٦٢

محمد بن محمد بن يحيى اللخمي العزفي ١٢١

محمد بن أبي مدين بن شعيب العثماني ٢٦٤

محمد بن مسعود بن عبد الرحمن بن زيان ١١٤ ، ١١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٠

محمد بن موسى بن إبراهيم الماجري ٤٥٣

محمد بن موسى بن عزروق ١٧١

محمد بن وهيب ٦٤

محمد بن يحيى بن أبي بكر (الحفصي) ١٠٧ ، ٢٩٨

محمد بن يوسف بن اسماعيل (الغني بالله النصري) ٢٥ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٥

٩١ ، ١١٢ ، ١٣٨

محمد بن يحيى الغساني البرجي ٤٢٥

محمد بن يحيى بن عبد الله اللخمي العزفي ١٢٠

محمد بن يحيى بن عبد الواحد (الموحد) ٢٢٧

محمد بن يوسف بن أحمد الشبوكي ٤٤٢ ، ٤٤٣

محمد بن سليمان بن فهد الحلبي (شهاب الدين) ١٨٩ ، ١٩٠

محمود بن عنبسة السامي ١٥٧

ابن المرعزي الكاتب ١٧١ ، ١٧٢

المرقش ٢٥٠

(بنو) مرين ٢٢٣ ، ٢٣٥

مسافع بن عبد مناف ٤٦

مسعود بن أبي القاسم بن أبي طلاق ٤٥٩

مسلم بن الحجاج ٤٨

المصمودي = محمد بن عمر بن توقرت

معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ٣٧

ابن المعتز ٥٥

المعز بن مظاعن العربي ١٠٦

ابن مقلة ٨٣ ، ٢٥٠ ، ٨٤

ملوك بني الأحمر ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٣١٠ ،
٣٦٨

ملوك بني زيان ٢٩ ، ١٠٩

ملوك بني العزفي ٢٩ ، ١١٩

ملوك الموحدين ٩٧

ملوك بني مرين ٢٥ ، ٢٩ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٥٧ ، ١٨٦ ، ٢٥٥

٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٤٣٦

ملوك المغرب ٢٢ ، ٢٩

ملوك الموحدين الحفصيين ٢٩ ، ٢٣٥

ابن الملون ٥٣٣

منديل - محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي

منديل بن زنبق ٤٢٤

المنصور بن أبي عامر ١٧١

منصور بن أبي عمر بن عثمان بن يعقوب المريني ٧٢ ، ٧٣

أبو موسى الأشعري ٣٦

موسي بن سعود الخزاعي ٢٤٩

موسى بن عبد الرحمن المريني ٧٤

موسى بن عزرون ١٧١ ، ١٧٢

موسى بن نصير ١٥٧

موسى بن مالك الفشتالي ٣٥٩

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن (الزباني) أبو حمو ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٢

المومناي = محمد بن عبد الرحمن الحسيني

ن

النايعة الذيباني ٦٠

ابن نباته ٥٨

نتيلة ٤٢

(بنو) نصر ٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ،

٢٤٩ ، ٤٠٠

النعمان ٥٤

النيار - محمد بن أحمد بن إبراهيم ٤٣٢

ه

هالة بنب وهيب ٤٢

هبيرة بن أبي وهب ٤٦

ابن هانيء الأندلسي ٣٩٨

أبو هريرة (رضي الله عنه) ٢٤٩

هشام بن عروة ٢٤

هشام المؤيد (الخليفة الأموي) ١٧٠ ، ١٧١

و

واصل بن عطاء ١٨٣

الوانشريسبي = الحسن بن عثمان بن عطية ٣٦٦

أبو الوليد بن الأحمر = إسماعيل بن يوسف بن محمد

ي

يحيى بن إبراهيم الأنصاري الأوسي ٢٧٧

يحيى بن أحمد بن محمد بن البغلة الأموي ٣١٠ ، ٣١١

يحيى بن أبي طالب العزفي ٢٢٤

أبو يحيى بن عبد الله بن عبد الواحد الجفاتي ٤٣٤

يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى ٢٤

يحيى بن يحيى الليثي ٢٤

يعقوب بن عبد الحق المريني ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٢ ، ٢٤٥

يوسف بن أحمد الشبوكي ٤٤٣

يوسف بن إسماعيل بن فرج ١٢٢ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،

٣٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣٦٠

يوسف بن عبد الحق المريني ٧٤ ، ٣٢٢ ، ٣٥٨ ، ٣٦٧

يوسف بن عمر بن يعقوب بن زيان ١١١

يوسف بن مزني (أبو يعقوب) ١١٢

يوسف بن الونجاسي ٢٧٦

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ٢٥٧

يوسف بن عطية بن موسى التجاني ٣٦٧

فهرس الاماكن

- بسكرة ١١١
 بصرى ٤١
 بغداد ١٧٣ ، ٢٤٥
 بكّة - مكّة
 بلاد إفريقية ٦٩
 بلاد الأندلس ٧٣
 بلاد الزاب ١١١
 بلغيق ١٥٦
 البيضاء ٢٦٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣
 ٣٥٨
 نازا ٤٣٢ ، ٤٣٣
 تاوريرت ٣٦٦
 تلمسان ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥
 ٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ .
 تهامة ٣٨٨
 توزر ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥
 تونس ٩٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣
 ٣ - ٧ ، ٣ - ٣٤٢ .
 الجامع الأعظم بقرنطة ١٦٥ ، ١٨٦
 جامع الأندلسيين ١٦٥ ، ١٨٦
 جامع القرويين ٢٩ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
 ٤٥ ، ٤١٧
- آجلى ٢٧٥
 أرض بابل ٩٩
 أرض إفريقية ٦٩
 إشبيلية ٣١٤
 أصيلا ٣٧٠
 إطرابلس ٦٩ ، ٢٥٣ ، ٢٨٣
 إفريقية ٩٨ ، ٢٢٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٨
 أندرش ١٦٧
 الأندلس ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨
 ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٧١
 ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩
 ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٨ ، ٣١٠
 ٣١٤ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ! ٤٣١ ، ٤٤٦ .
 باب الفتوح ٤٥٦
 باب المحروق ٣٥٩
 بادس ٣٦٧
 بحاية ١٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩٨
 بدر ٥٦ ، ٣٨٧
 برجة ١٦٧
 بسطة ١٦١

الشام ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٤٥ ، ٣٨٢	جامع مدينة سجلماسة ٣٥٨
٤١١ .	جبل عامر بن محمد الهنتائي ٢٦٢
شبالش ١٥٧	جبل هنتاتة ٤٤٤
شوكة ٣٤٢ ، ٤٤٣	الجحفة ١٤
الشجر ٢٦٦	الجزيرة الخضراء ٢٣٤ ، ٢١٠ ، ٣٠٥
الصحراء ١٣٢	جلق ٢٤٥
صنعاء اليمن ١٧٣ ، ٣٣٥	جيان ١٦٦ ، ٢٨٣
صومعة جامع القرويين ٤٥١ ، ٤٥٢	الحبشة ٢٠٧
طريف ١٦٦ ، ٢٨٤	الحجاز ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢١١
الطشاتين ٧٨	حلب ٢٠٠
طنجة ٣١٠	حص (اشبيلية) ٢٥٢
العباد ٢٥٨	حنين ٢٩١
العدوة (بر العدوة) ٢٢ ، ٢٥ ، ٧٢ ، ٧٤	خيبر ٣٨٩
١١٢ ، ١٢٠ ، ١٥٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥	در ٢١٦ ، ٢١٧
٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٢١٥	رية ١٧٢
العراق ٣٧ ، ٢٤٥ ، ٤١١	زرود (جبل) ٢٠٧ ، ٢١٦
٢١ ، ٢١١	سبته ١٢٠ ، ١٤٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٧٧
غرناطة ٧٢ ، ٧٣ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٣٢	٢٨٢
١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٥٦	سجلماسة ١١٢ ، ٣٥٨ ، ٣٧٠
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥	سجن دار الإمارة ٢٩٧
٢٤٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٤٤٦ .	سقيفة بني ساعده ١٥٣
غساسة ٧٢	سلا ٣٦٨
فارس ٢٧٦ ، ٤١٤	السودان = مالي
فاس ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣	السوس ٦٩ ، ٢٧٦
٨٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧	سوق عكاظ ٣٩

مراكش ٤٣١ ، ٤٤٤	١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢١
مرج غرناطة ٢٦٩	١٥٧ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٨ ، ٢٥٦ ، ٢٧٥
المرية ١٧٦ ، ٢٠٠	٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٧
المسجد الأعظم بقرناطه ١٦٧	٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨
المسجد النبوي ٣٢	٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤
المشرق ١١١ ، ١٥٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦	٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٨
٤٤٣ ، ٣٧١	٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥
مصر ١٩٩ ، ٣٤٢	٤٥٦ ، ٤٥٩ .
المغرب ٢٩ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ٢٩٧ ، ٣٥٥	قادس ٢٧٦
٤٤٣ ، ٣٧١	قرطبة ١٧١ ، ٢٣٤
مكة ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٣٨٩	قسطنطينة ٢٢٨
٣٩٠	القسطنطينية ٢٧٦
مكناسة الزيتون ٢٥٦ ، ٣١٤ ، ٣١٥	قصر الحمراء ١٤٠
٣٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦	قصر كتامة ٢٥٦ ، ٢٥٨
الناعورة بقرطبة ١٧١	كاظمة ٢١٦
نجد ١٥٢ ، ٣٨٨	كربلاء ٤١١
نهر سبو ٤٥٨	مالقة ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٧٠ ، ١٩٦
نهر الفرات ٤١١	٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٢٧ ، ٣١٥
نهر النيل ٤١١	مالي ٢٠٦
الهند ٢٩٣	مجنة ٢٤
وادي آش ١٣٧ ، ١٦٧	مدرسة السلطان أبي عنان بفاس ٣٥٩
وادي حنين ٤٤	المدرسة التي بالعطارين بفاس ٣٥٩
وادي القرى ٣٨٩	المدينة ١١٢
	المدينة البيضاء ٧٠
	المدينة النبوية ٢٤ ، ١٩٠

فهرس الشعر

ا

يتوق لمن يهواه قلبي صبابة	٨٢
لعلك لي عن حسن عهد مكافئ	٢٩١
فله ما بلغت في الإطراء	١١٦
يا ابن الملوك الأكرمين ذوي العلا	٣٦٩
يا أوحد الفقهاء والكبراء	٣٦٩
أسرى فهبج لاعج البرحاء	٤٢٧
إن ابن زنبق جار في أحكامه	٤٢٤
قرت بفضلك ألسن الأعداء	١١٤
فيمعني عما أحب حياء	
فيسرع نحوي ودك المتباطيء	
وبثت من ود وطيب ثناء	
أهل الوفاء وملجأ الضعفاء	
وأخي التقى والفضل والعلياء	
برق أضواء له من الجرعاء	
وسطا على الفقراء والضعفاء	
يا ابن الملوك ذوي التقى الفضلاء	

ب

أنا حاجب لفظاً ومعنى	٢٣٢
تحام بلاد الغرب ماشئت إنها	٢٧١
طولت مطلي بأسن الكرام وفي	٤٤٧
علي أي حال لليالبي أعاتب	٢٩٩
اسم فلان هـين	٧٤
هو الدين عز اليوم بالنصر جائبه	٢٥١
هذا الكتاب له فضل على الكتب	٢٧
خلمي يا منديل من دون ما ريب	٤٢٨
أبا حسن لني وحقق في كرب	٤٢٧
ليس لي منها نصيب	
ظلامٌ وحزنٌ دائمٌ وحروب!	
إنجاز وعدك لي سؤل ومرغوب	
وأبي صروف الزمان أعالب	
يصبي النهى تقريبه	
وذل مناويه وهات مناصبه	
كتب القريض مع التأريخ والأدب	
أنتني قواف عن ودادكم تني	
لما قد دهاك الدهر من حادث القلب	

وأطلب حلمه يوم الحساب	وأرغب خالقي في العفوعني	٧١
وأحمي العرض من دنس ارتياب	أرضي الله في سري وجهري	٦٨
تحبي ثراها واكفات السحائب	ألمابأحداث العلى والمناصب	٢٢٨
من بعد ما اخضر النبات بإشارت	الآن أنت توبة للتائب	٤٣٢
بالمدمع السكب على الحاجب	من كان يبكي ماجداً فليجد	٢٣٢
أخي الفهم العجيب	شعر صفوات بن إدريس	٤٢٥
هو قوت للقلوب	أيها الأستاذ يا من	٤٢٥
لحرفة التعليم والتأدب	أنا الزواوي وهذا مكتي	٤٣٣
بعذراء ما أسنى سناها وأعجبا	حبوت جنابي يا سليل محمد	٩١
إليه استل من لحظ ذبابا	وذى شنب متى أنظر بطرفي	٣٧١
فلك النصيب	لئن استقمت كما أمرت وترعوي	٢٣٣

ت

ولا الجود والجدوى ولا شرف الدست	أيا ماجداً لولاه ما عرف الندى	٤٤٧
وأقطع في أوصافك الفر أوقاتي	أحبك يا مغنى الحقوق بواجب	٢٥
إرادة أن يراك في الوقت	فإن عندي أبا العلى وله	٤٢٢
أخمل ذكر البديع والبستي	يامن بأدابه الرفيعة قد	٤٢٢
أصبت به من ممات البنات	تأس أبا القاسم في الذي	٤٢٥
غوائل صهر فيها المكرمات !	وقد كنت تخشى بها المكرم من	٤٢٦
فسقى الثرى شوقاً لذاك بدمعته	حن المشوق إلى ديار أحبته	١٢٢
ولست ورب البيت أعرفها بتا	يقولون إنني بالبطالة مولع	٨٢
وما زلت أوفاهم وأحسنهم سمنا	رمانى بنوعمي بزور مزور	٨٤

ث

- ٣١١ أيحيى ميت الأحياء يرجو كلامك للوزير بغير ريث
٢٨٩ إن قلبي لمهدة الصبر ناكث عن غزال في عقدة السحر نافث

ج

- ٧٠ وإذا تعرض للرياسة خامل جرت الأمور على الطريق الأعوج!
٢٨٥ قسماً بوضاح السنأ وهاج من تحت مسدول الذوائب داج

ح

- ٣٩٧ كفوا عن اللهو والمزاح وامضوا على الجد والصلاح
٣٦٧ دعوت للخير والفلاح إذ قلت كفوا عن المزاح
٢٦٥ يا غائباً في الضمير ما برحا إني محل الورى وان نزحاً
٢٦١ شممت من ريحانها رائحه لمسك دارين غدت فاضحه
٢٦٠ ياسيدي لم أنم البارحه من فكرة سانحة بارحه
١٢١ بالله خبرني وكن صادقاً هل نلت شيئاً ليلة البارحه

خ

- ٩٣ أكتبكم يا أهل ودي وبيننا كما حكم بين المشت فراسخ

د

- ٢٥٤ سل قلبك المصدوع من بعدي ماذا لقيت لحادث البعد
٨١ إلى السادة الأخيار أبناء هاشم بني الحجر والبيت العتيق المجد
٢٠٧ لمن الركايب خضن رمل زرود وسرين بين تهائم ونجود
٢١٤ أملي على كبري وطول عمودي رجع الشبية والهوى المعهود
٢٦٢ وافت يجر الزهو فضلة بردها حسناء قد أضحيت نسيجة وحدها

- ١٠٦ لينهك أن الله فوقك مالك ودونك كل المالكين عبيد
- ٤١٧ من مبلغ الأستاذ عنا أنه شغل الخواطر والنواظر سهدا
- ٤٤١ لأنت أجل أخ يعتقد وأذكى أديب بهذا البلد
- ذ
- ٤١٨ أبا المكارم ذا الأحاجي والحجا وابن الجهاذ جلة النفاذ
- ٨٠ قل للتي نباتك هذا قد صح هذا بـ « صح هذا »
- ر
- ٢٨٦ أما ومعان قد نظمت مقصراً فأطلعها غراء في أفق الفكر
- ٢٣١ لعمراً المعالي ما وفت بحقوقها من الناس من لم يرث لابن أبي عمرو
- ٤١٦ ما المرء في هذه الدنيا بمسرور فيا أبا الحزم صبراً عن أبي نور
- ٤٣٦ فيبت طوله ستون شبراً تخيله رشاء حول بير
- ٤٣٦ الأقل لشاعرنا الأشعري شعرت وليتلك لم تشعرا!
- ٤٣٦ بشعرك يا أيها الأشعري تقوق ابن أوس مع البحثري
- ٤٣٦ أو الريح لما سرت دائماً على الخلق من فمك الأبحر
- ٣٢٧ محياك أهبي لا الهلال ولا البدر وربقك أشهى لا الزلال ولا الخمر
- ٤٣٩ وجدي بكم ليس ببقلي لا ولا يذر والصبر عنكم على حكم النوى صبر
- ٤٣٧ سرت والدجى لم يبق إلا يسيرها نسيم صبا يحيي القلوب مسيرها
- ٣١٢ أعاذلتي أن أبصرت راحتي صفرا وأن لست بمن يقتني البيض والصفرا
- ١٨٧ إذا البرق ثار أثار ادكارا لقلبي فأذكى عليها أدارا
- ٤٤٥ هنيئاً لكم يا بني خزرج أنتم السادة الخيرا
- ١٦٩ أمالي الشوق تملأ لي الدفاتر أقول هي الصحاح هي الجواهر
- ٤٣٤ اسقني شربة لذيذة طعم ليس فيها كروية وحريره

ز

- ١٢٦ يا كاملاً شوقي إليه وافر وبسيط خدي في هواه عزيز
 ١٧٩ وعد الوفاء وليته مانجزا طيف ألم بقلتي مستوفزا
 ١٨٢ مزج البلاغة بالجزالة موجزا وأتى به في الحسن بدعاً معجزا

ش

- ٣٩٦ رعباً لبدر قد ثوى بالحشا رباه مستنشقه ان مشى

ض

- ٢٥٩ ياسقى الله دهرنا المتقضي من شأبيب دمعي الرفض
 ٨٤ يانازحاً ولعهد الحب قد نفضا لا تستحل حراماً رمته غرضاً
 ٣٦٤ تعرفت أمراً ساءني ثم سرنى وفي صحة الأيام لا بد من مرض
 ١٠٧ لما وقفت على حقيقة أمركم وعلمت أن الود فيك مضيع

ع

- ٣١٦ أما المشيب فقد لاحت لوامعه فما لدمعك لا تهمي هوامعه
 ٧٠ تراهم في ظواهرهم كراما ويخفون المكيدة والحداعا
 ٨١ أردد في ليلى فرائد فكري فيحسبني صحي بليلى مولما

ف

- ١٣٣ ببهاء عزك عند ذلة موقعي عطفاً على مسترحم مستعطف
 ٩٢ لا تجزعن أبا الصدق الأمير على يحمي سليلك في الباقي لك الخلف
 ١٠٣ بالمشرفيات يحمي المجد والشرف ومن صدور المعالي تقنتي الطرف
 ٣٥٩ أيا إماماً زدى كفيه قد وكفا حسبي اعتصامي بجبل منكم وكفى!

محاسنها دانيات القطوف	وسيف منار بفاس غدت	٤٥٤
فوق منار لا لأمر نخوف	شاموا بفاس سيف إدريسهم	٤٥٣
ليس للغم لا ولا للتحافه	سيف إدريس بالمنار بفاس	٤٥٥

ق

والشوق يذهب ما عدا أشواقى	يفى الهوى وغرام عزّة باق	١٥٨
وإن كانت تعصمني بريقى	(جزى الله الحوادث كل خير)	٩٨
أخي حرق رق الجماد لما يلقى	سلام عليكم من مشوق متيم	٩٤

ك

ماذا جنته على العشاق عيناك؟	أكل شاك بداء الحب مضناك	١٧٧
من كف ملك مالك	خذها إليك هدية	٨٠
سبى فؤادي فما أبقى ولا تركا	وشادن مثل وجه البدر غرته	١٤٥

ل

حيطت بها الملة البيضاء في الملل	بشرى لدولتك الغرام في الدول	٢٦٨
عندما آذنوا بشد الجمول	عز صبري ولم أكن بالجھول	٢٦٢
والدهر كاتب آيها والتسالي؟	من ذا يعد فضائل الفشتالي	٣٦١
فكيف باللهو في دنياه يشتغل!	من المشيب على فوديه يشتعل	٤١٩
والقلب بعدك والله نخبول	هاجت لبعذك لوعة وغليل	٨٨
غداة شكت لبينهم الطلول؟	ألي في سدرة الوادي مقيـل	٢٦٧
إليك وأنت للروح الخليل	كففت عن الوصال طويل شوقي	٣١٦
عليك وأنفاسي إليك تميل	تقض ضلوعي كلما حنت الحشا	١٠٨
دمع جرى فوق صفح الخد هامله	أبان في حبه ما قال عاذله	٤٤٤
ولكنه كي يعلم الحق جاهله	وليس أوتغاعي في المنار لكربة	٤٥٩

٤١٧	ما شأنه شيئاً حلاقة رأسه	بل زاد أضعافاً بذاك جماله
١٢٦	زارت تجرر نخوة أذيالها	هيهات تخلط بالنفار دلالها
١٥٠	الآن تطلب ودها ووصالها	من بعد ما شغلت بهجرك بالها !
١٣٨	يا قاطع البيد يطوي السهل والجبلا	
	ومنضياً في الفيافي الخيل والإبلا	
١٢١	يا ماجداً ما جثته في حاجة	إلا وكان له الكريم المفضلا
٤٠٢	عجباً أيتخذ السلو خليلاً	من ليس يأمل أن يبين نحولاً ؟

م

٢٧٨	خبر الروض طي وانني النسيم	سل خبيراً عن سره المكتوم
١٦١	عادت ببرئك بهجة الأيام	واستقبلتك بثغرها البسام
٨٢	أما المعجوز فقد شغلت بكلها	عن مدحنا والسين دون السلام
٤٤٩	با ابن أسمى الملوك صيتاً وقدرأ	وأخا الفضل والرفيع المقام
٤٥٣	أنكر السيف بالمنار بفاس	قائل إن ذلك داعي اغتنام
٣٦٥	وأيم الله إبراراً لأيم	لقد جلي كتابك كل غم
١٣٦	ولما ثناني عن هوى من أحبه	عذار بدا في الخد أسود فاحم
٢٢٥	نفسى الفداء لمهد كنت أعده	وطيب عيش تقضى كله كرم
٧٤	أرقت وقد نام الخلي المسلم	وبي من أليم الشوق ما ليس أكرم
٨٨	سهرت فيمن جفنه نائم	وذبت فيمن جسمه ناعم
٣٠٠	علي لكل مكرمه ذمام	ولي بمدارك المجد اهتمام
١٩٧	لنا في كل مكرمه مقام	ومن فوق النجوم لنا مقام
٢٣٦	قف بالديار فهذه أعلامها	يهدى إليك مع النسيم سلامها
٩٨	بنديالك الوادي وذيالك الحمى	سلبت فؤادي واغتديت متبها
٤٣١	يا سعد صل دنفاً بوصلك مغرماً	أعبي الأواسي طبه بل أعجبا

١٠٦	وحياة حبك إنني	مذ غبت لا أدري المنام
١٠٦	يا أيها الخسل الذي	أرعاها من بين الأنام

ن

٢٦٥	كم بات طيفك بالزوراء يفريني	وأسهم الوجد لا تخطي وتصميني
١٤٧	دعيني من مقال العاذلين	وخلي بين تهيامي وبيني
٤٢٦	كأن الشمع سهم من نضار	يقد الدجن أو عصب يمان
٤٦٠	قال قوم سيف المثار بفاس	هو طلسم ذلة وهوان
٤٣٤	أعرض الغزي عني	هكذا ما كان ظني
٤٤٧	نزلت من الإنسان منزل عقله	ومنزل عقل المرء منه جنانه
٨٤	ألبسوها ليحجب الحسن فيها	ثوب حزن فزاد حسناً ومعنى
١١١	سكنها لياي آمنينا	وأياماً تسر الناظرينا
٨٥	يوم بان الظاعنون	لا تسل ماذا لقينا
٣٧٤	أرقني بارق نجد إذ سرى	يومض ما بين فرادى وثى
١٧٣	يا تحفة القلم الذي زان الزمن	من ذا يقوم بشكر من أهداك من؟

هـ

١١٢	رعى الله أياماً تقضت وحياها	بأنس حبيب كان أنس يحياها
-----	-----------------------------	--------------------------

ي

٤٤٧	يا سليل الملوك من آل نصر	وبني كل سؤدد خزر جي
٤٦٠	شهرة الشرفي فوق المنار	عزة لالورى ودين النبي
٤٤٧	يا ابن عم النبي أحمد إني	فيك ذو لوعة وحق علي!
٨٥	أبى الله إلا أن يملكك الدنيا	ويحمي بك الإسلام إذ حطته رعيا
١٦٨	سعود بها الإسلام نال أمانيه	أسادت ببشراه وشادت مبانيه

موشحة

٤٤٩	نشرت فيكم بني نصر	لأبي المصدق راية النصر
-----	-------------------	------------------------

فهرس الشواهد الشعرية

	ا	
وعند الله في ذاك الجزاء	هجوت محمداً فأجبت عنه	٣٦
لكان لكل منكورة كفاء	فإني لو لقيتك فاجتمعنا	٥٤
فليس يحله إلا القضاء	إذا عقد القضاء عليك أمراً	٤٣
	ب	
إليك آل التقصي وانتهى الطلب	يا مطلباً ليس لي في غيره أرب	١٨٦
وكل نعمي فمن عليك ترتقب	منك التجلي ومننا السر والحب	١٨٦
تحل به سكينه والرباب	لعمرك إنني لأحب بيتاً	٤٤
وأسيافنا ليل تهاوى كواكب	كان مثار النقع فوق رؤوسنا	٥٣
فقل عدت عن ذا كيف أكلك للضب؟	إذا ما تيممي أذاك مفاخرأ	٦٦
	ت	
ولو رضيت رمح استه لاستقرت	لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً	٣٨
مهلاً فما المكر من المكرمات	يا ما كراً بي وبجلائه	٤٢٦
	ث	
أرقت أو امر في العشرة حادث	أمن طيف سامي بالبطاح الدماث	٤٣
	ج	
في قبة ضربت على ابن الحشرج	إن السباحة والمروءة والندی	٥٢
	ح	
فمجدك حولي ولؤمك قارح	ألا أبلغ النعمان عني رسالة	٥٤
ويعلني الإبريق والقسح	ما زال يلثمني مراشه	٦٤

د

إذا وجدت أوار الحب في كبدي	٣٨
وإن سنام المجد من آل هاشم	٤١
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا	٥٠
فردت شعورهن السود بيضاً	٥٧

ر

إذا طارقات الهم ضاجعت الفقى	٤٥
هم الأختيار منسكةً وهديا	٦٥
تفى اللذادة ممن نال صفوتها	٤٣
حامى الحقيقة ، محمود الطريقة ، نفاع وضرار	٥٥
جواب قاصية جزاز ناصية	٥٥
هون عليك فإن الأمور	٤٣
شهد الفرزدق والقبائل كلها	٣٨
لا يرفع الطرف إلا عند مكرمة	٨٣
وما السر من قلبي كشاو بحفرة	٢٧
وصلنا السرى وهجرنا الديارا	١٨٩
في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر	٣٩

س

فإني إن أفتك يفتك مني	٦٠
تركت مثالب الرجال لأنني	٢٥

ص

وما ذاك إلا للذي حاز من عؤلا	
ومن مكرمات ما لها في الورى محص	

ع

- ٤٥ الأهل أتى عرسي مكري وموقفي
 بوادي حنين والأشعة تُشرع
 ٣٤ نحن الملوك فلاحى* يعادلنا
 منا الملوك وفينا تنصب البيع*
 ٣٤ إن الذوائب من فهر وإخوتهم
 قد شرعوا سنة للحق تتبع
 ٥١ أنجعل نهبي ونهب العبيد
 بين عينة والأقرع

ف

- ٥٥ وإني للشعر المخوف لكالىء
 وللشعر يجري ظلمه لرشوف

ق

- ٦١ إن حاربوا وضعوا أو سالموا رفعوا
 أو اعدوا ضمنوا أو حدثوا صدقوا
 ٥٤ قد سحب الناس أذيال الحديث بنا
 وفرق الناس فينا قولهم فرقا
 ٥٧ ليث بعثر يصطاد الرجال إذا
 ما كذت الليث عن أقرانه صدقا

ك

- ٥٦ لا تعجبي يا سلم من رجل
 ضحك المشيب برأسه فبكى

ل

- ٤٤ عشية ساروا حاشدين وكلنا
 مراجه من غيظ أصحابه تغلي
 ٣٦ يهوي كما تهوي العقاب وقد رأت
 صيداً وينصب انصباب الأجدل
 ٤٤ ومارست هذا الأمر خمسين حجة
 وخمساً أرجي قابلاً بعد قابل
 ٢٤ كل امرئ مصبح في أهله
 والموت أدنى من شراك نعله
 ٣٥ خلوا بني الكفار عن سبيله
 اليوم نضربكم على تنزيله
 ٢٤ ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
 بواد وحولي إذخر وجليل
 ٦٤ وما بلغت كف امرئ متناولاً
 من المجد إلا والذي نلت أطول
 ٣٧ قلدتك الشعر يا سلامة ذا
 فايش والشيء حيثما جعلنا

رأوك تعاملوا منك المطالا	٦٠	لو أن الباخلين - وأنت منهم -
جعلت المدامة منه بديلا	٦٦	إذا ما ظمئت إلى ريقها
تحيمتكَ الحسنى وقد يرقع التفتل	٣٣	وحي ذري الأضغان تسب قلوبهم

م

وإن خالها تخفى على الناس تعلم	٦٢	ومها تكن عند امرىء من خليفة
وبين التقا أنت أم أم سالم؟	٦٦	أيا ظبية الوعاء بين جلاجل
هدايا في أيدي الرياح النواسم	٥٧	بحيث اتخذنا الروض جاراً تزورنا
(مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)	٣٧٠	أمن تذكر جيران بندي سلم
وليلك عما ناب قومك نائم؟	٥٦	ألم تبندر كم يوم بدر سيموفنا
في الحادثات إذا دجون نجوم	٦٥	آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم
سقيت الغيث أيتها الخيام	٦٠	مق كان الخيام بندي طلوح
بفرع بشامة ، سقي البشام	٥٩	أقنسى إذا تودعنا سليمان
ملأف فؤادي لوعة وموما	٦٥	لقد ملئت عيني بحسن محاسن
وجنبه حوشيه والسلام	٤٤٢	تخير لنظمك سهل الكلام

ن

وما منها إلا أزل خؤون	٦٦	هو الذيب أو للذيب أوفى أمانة
على دهره إن الكريم معين	٦٣	خليلي من كعب أعينا أخا كما
أفانين جري غير كز ولا واني	٥٤	على هيكلك يعطيك قبل سؤاله
وحداه إن خاشنته خشان	٥٣	وكالسيف إن لا يئته لان متنه
أني يفيق فقي به سكران	٦٢	سكران سكرهوى وسكر مدامة
على الجراء أمين غير خوان	٦٣	وسابح مظل التعداء هتان
ألا كذبت كبير السن فان	٦٠	ألا زعمت بنوعيس بأني

كان للدر حسنٌ وجهك زيننا	وإذا الدر زان حسن وجوه	٦٢
لبعدي عن مزار الطاعنيننا	فؤادي يشتكي داءً دفيننا	٢٥
ي		
لبسن البلى مما لبسن الليالي	ألا حي من أجل الحبيب المغانبا	٦٥
ولكن عين السخط تبدي المساويا	وعين الرضا عن كل عيب كليله	٢٨
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا	عميرة ودع إن تجهزت غازيا	٥٠



فهرس الرسائل

- ١ - رسالة أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر إلى الشريف الغرناطي ٩١ - ٩٢
- ٢ - رسالة أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر إلى ابن عمه إسماعيل
ابن فرج ٩٣ - ٩٥
- ٣ - رسالة القاضي النباهي إلى الفقيه التلمساني ١٧٢ - ١٧٥
- ٤ - رسالة ابن خاتمة إلى أبي بكر محمد بن محمد بن جزي ١٨٥ - ١٨٦
- ٥ - رسالة القاسم بن رضوان إلى أبي عنان المريني ٤٢٨
- ٥ - رسالة أبي الحسن علي بن محمد الصباغ العقيلي إلى السلطان
أبي عنان المريني ٢٧٥ - ٢٧٦
- ٦ - رسالة الفقيه الكاتب يحيى بن إبراهيم الأنصاري
لأمير المسلمين أبي فارس عبد العزيز المريني ٢٨٢ - ٢٨٣
- ٧ - رسالة من محمد بن جزي إلى أبي عنان المريني ٢٩٤ - ٢٩٦
- ٨ - رسالة محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي ٣٥٦ - ٣٥٧
- ٩ - رسالة لسان الدين بن الخطيب إلى الفقيه محمد بن
أحمد بن الملك الفشتالي ٣٦١ - ٣٦٢
- ١٠ - رسالة الفشتالي إلى لسان الدين ردًا على الرسالة السابقة ٣٦٢ - ٣٦٤
- ١١ - رسالة أخرى لسان الدين بن الخطيب إلى الفشتالي ٣٦٤ - ٣٦٥
- ١٢ - رد الفشتالي ٣٦٥ - ٣٦٦
- ١٣ - رسالة عبد الرحمن المكودي إلى المؤلف (ابن الأحمر) ٣٧٣ -
- ١٤ - رسالة محمد بن عمر بن توقرت إلى القاضي أبي علي
حسن الوانشريسي ٣٩٧ - ٣٩٨
- ١٥ - رسالة الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد الدباغ إلى المؤلف ٣٩٩ - ٤٠١
- ١٦ - رسالة إلى أبي محمد الأوربي ٤٤٠

فهرس مصطلحات النقد والبلاغة

٤٥٩	التضمين	٤٥٦	الأخذ
٥٧	التضمين المزدوج	٦٢	الاستدراك والرجوع
٥٦	التطبيق	٦٣	الاستطراد
٦١	التعديد	٥٣	الاستعارة
٦١	التفسير	٦٤	الاستهلال
٦٥	التفويف	٥٤	الإشارة
٦٤	التلخيص	٥٦	الاشتقاق
٥٣	التمثيل	٥٩	الاعتراض
٦٦	التنبيه	٥٩	الالتفات
٦٢	رد العجز على المصدر	٦٥	التمميم
٦٢	العكس والتبديل	٦٦	التجاهل
٥٢	الكناية	٥٥	التجنيس
٥٧	لزوم ما لا يلزم	٤٦١	التجنيس المضارع
٦٠	اللف والنشر	٤٦٠	التحريز
٦١	المتواتر	٦١	التخييل
٦٢	المساواة	٦٤	التريد
٦٦	الهزل الذي يراد به الجد	٥٥	الترصيع

الكتب الوارد ذكرها في متن الكتاب

٢٩٥	كتاب الصحيحين	٤٠١	أسمى الوسائل في مختار الشعر والرسائل
٢٩٦	الطالع السعيد	٤٧-٤٨-٤٩	الإكمال للقاضي أبي الفضل
٨١ ، ٧٨	فريد العصر من شعر بني نصر	٣٠ - ٣٨١ - ٤١٣	الإنجيل
٨٣ ، ٥٨ ، ٥٣ ، ٤٥ ، ٣٧	القرآن الكريم	٣٧٠	البردة (قصيدة)
٤٢ ، ٤١٣ ، ٣٩٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦			تاريخ ابن أبي زرع المعروف بالأنيس
٢٦٨	كتاب ابن الحاجب		المطرب بروض القرطاس في أخبار
٢٢٥	كتاب سيدي	٣٥٩	ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس
٣٦٧ ، ٣٥٩	المدونة	٢٩٥	تهذيب الكمال
٤١٧	مقامات الحريري	٣٨١	التوراة
	المنتخب درر السلوك في شعر الخلفاء	٣٦٧	الجلاب
١١٤	الأربعة والملوك	٢٧٠	جليس الأديب وأنيس الغريب
٢٩٦	الموطأ	٤٢١	حرز الأمان
٢١	نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان	٢٩٦	حلية الأولياء
٤٢٦	اليتيمة (للثعالبي)	٣٦٧	الرسالة
		٢٩٦	سقط الزند

فهرس أبواب الكتاب

- مقدمة المحقق ٣ - ١٣
- مقدمة مؤلف الكتاب ١٩ - ٢٩
- الباب الأول : في فضل الشعر وإباحة إنشاده بالمساجد (٣١ - ٦٦)
- ٣١ - ٤٢ في فضل الشعر ؛ ٤٢ - ٤٦ في إباحة إنشاده ٥٦ - ٥١
المذموم من الشعر ، ٥١ - ٥٢ ما لا يبد للشاعر من معرفته
ألقاب البيان والبديع . ٥٣ - ٦٦
- الباب الثاني : فيما بلغنا من شعر كتاب بني رين ملوك المغرب (٦٧-٧٥)
- ٦٧ أمير المسلمين أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب
- ٦٩ أمير المؤمنين المتوكل على الله فارس بن علي أبو عنان
- ٧١ أمير المسلمين عبد العزيز بن علي
- ٧٢ الأمير منصور بن عمر بن عثمان
- ٧٣ الشيخ أبو الحسن علي بن بدر الدين
- الباب الثالث : في شعر ملوك بني الأحمر من بني نصر
قومي وأبنائهم (٧٧ - ٩٥)
- ٧٧ أمير المسلمين محمد بن إسماعيل بن محمد
- ٨١ الرئيس إسماعيل بن أبي سعيد فرج
- ٨١ الرئيس محمد بن يوسف (أخو المؤلف)
- ٨٤ ترجمة المؤلف إسماعيل بن يوسف

● الباب الرابع : في شعراء ملوك الموحدين الحفصيين

(٩٧ - ١٠٨)

وأبنائهم

- ٩٧ أمير المؤمنين محمد بن أبي بكر بن إسحاق
 ٩٨ أمير المؤمنين أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم
 ١٠٢ ابنه أمير المؤمنين أحمد
 ١٠٥ أخوه أمير المؤمنين عمر
 ١٠٧ أمير المؤمنين محمد بن أبي زكريا يحيى
 ١٠٨ الأمير زكريا بن أبي محمد عبد الواحد

● الباب الخامس : في شعر ملوك بني زيان من بني عابد

(١٠٩ - ١١٧)

الوادي وأبنائهم

- ١١٠ أمير المسامين موسى بن يوسف
 ١١١ الأمير يوسف بن عمر بن يمقوب
 ١١٤ محمد بن أبي سرحان مسعود

● الباب السادس : في شعر ملوك بني العزفي وأبنائهم

(١١٩ - ١٢٤)

- ١٢٠ الأمير محمد بن يحيى
 ١٢١ ابنه أبو يحيى محمد

● الباب السابع : فيما بلغنا من شعر كتاب قومي

(١٢٥ - ١٣٠)

بني الأحمر ملوك الاندلس

- ١٢٥ ذو الوزارتين علي بن محمد بن الجيئاب

- الباب الثامن فيما بلغنا من شعر وزراء قومي بني الأحمر
 (١٤٣-١٤٣) من بني نصر ملوك الأندلس
- ١٣١ الفقيه الكاتب أحمد بن إبراهيم بن صفوان
 ١٣٧ الفقيه الخطيب عبد الحق بن محمد بن عطية
- الباب التاسع : فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا
 (١٤٥ - ٢٢٢) الأندلسية وفقهائها
- ١٤٥ الفقيه الكاتب محمد بن أحمد الحسني (الشريف الغرناطي)
 ١٥٠ الفقيه الخطيب علي بن أحمد الحسني (الأحمير المالقي)
 ١٥٦ الفقيه القاضي محمد بن محمد السلمي (أبو البركات البلفيقي)
 ١٦١ الفقيه الكاتب محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي
 ١٦٥ الفقيه الكاتب أحمد بن محمد بن جزى الكلبي
 ١٧٠ الفقيه الكاتب علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي (القاضي النباهي)
 ١٧٥ الفقيه الكاتب أحمد بن علي بن محمد الأنصاري (ابن خاتمة)
 ١٨٦ الفقيه الخطيب فرج بن قاسم بن لب التغلي (ابن لب)
 ١٩٦ الفقيه الحاج محمد بن محمد بن الشديد
 ٢٠٠ الفقيه الضرير محمد بن أحمد بن جابر الهواري
 ٢٠٥ الفقيه الحاج ابراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي
- الباب العاشر : فيما بلغنا من شعر كتاب بني مرين
 (٢٢٣ - ٢٥٢)
- ٢٢٣ الفقيه الكاتب عبد المهيم بن محمد الحضرمي
 ٢٢٦ الفقيه الرئيس محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي
 ٢٤٧ الفقيه الكاتب القاسم بن يوسف بن رضوان
 ٢٤٩ الفقيه الكاتب علي بن محمد بن مسعود الخزاعي

- ٢٥٣ الفقيه الكاتب محمد بن عبد الحكيم بن تادارات
 ٢٥٤ الفقيه الكاتب أحمد بن شعيب الجزائى
 ٢٥٥ الفقيه الكاتب محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني
 ٢٦٢ الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن أبي مدين العثماني
 ٢٦٤ الفقيه الكاتب شعيب بن محمد بن أبي مدين شعيب العثماني
 ٢٦٦ الفقيه الكاتب حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين
 ٢٦٨ الفقيه القاضي علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي
 ٢٧٧ الفقيه الكاتب يحيى بن إبراهيم بن زكريا الأنصاري الأوسي
 ٢٨٣ الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن أحمد بن جزى الكلبي
 ٢٩٧ الفقيه الكاتب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي
 ٣١٠ الفقيه القاضي يحيى بن محمد بن محمد بن البغلة الاموي
 ٣١٤ الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي

● الباب الحادي عشر : فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهائها (٢٥٥)

- ٢٥٥ الفقيه القاضي الخطيب محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي
 ٣٥٨ الفقيه الخطيب القاضي محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
 ٢٦٦ الفقيه القاضي الحسن بن عثمان بن عطية الوانشريسي
 الفقيه القاضي الخطيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن
 ٣٧٠ ابن رشد الأموي
 ٣٧٢ الأستاذ النحوي المقرئ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي
 ٣٩٦ الفقيه الأستاذ المقرئ عبد الله بن محمد البكري
 ٣٩٦ الفقيه الأستاذ النحوي محمد بن عمر بن توقرت التينملي
 ٣٩٨ الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بالدباغ

- ٤١٤ الفقيه عبد الغفار بن موسى البوخلفي
 ٤١٦ الفقيه الأستاذ النحوي محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
 ٤٢٧ الأستاذ النحوي المقريء علي بن محمد بن عمر الصنهاجي
 ٤٣١ الشيخ الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي
 ٤٣٢ الفقيه العدل محمد بن أحمد بن إبراهيم الكومي
 ٤٣٦ الفقيه الصوفي محمد بن أحمد
 ٤٤٢ الفقيه محمد بن يوسف بن أحمد الشبوكي
 ٤٤٦ الفقيه العدل إبراهيم بن علي العباسي
 ٤٤٨ سعيد بن إبراهيم السدراتي

• الباب الثاني عشر : فيما قيل من الشعر في السيف

(٤٥١ - ٤٦١) الذي بصومعة جامع القرويين من مدينة فاس

- ٤٥٢ - ٤٥١ السبب في وضع السيف ، وتسمية واضعه
 ٤٥٢ أحمد بن يحيى بن عبد المنان
 ٤٥٣ أبو عبد الله محمد بن موسى الماجري ، أبو المكارم منديل بن أجروم
 محمد بن محمد الريب - محمد بن عبد الرحمن التاوري - أبو زيد عبد
 ٤٥٤ الرحمن الصنهاجي الملبلي
 أبو العباس أحمد الخزرجي الدباغ - أبو الوليد إسماعيل بن فرج
 ٤٥٥ ابن إسماعيل بن الأحمر
 ٤٥٦ محمد بن باشر التسولي - منديل بن أجروم
 ٤٥٩ مسعود بن أبي طلاق - أبو زيد بن عبد الرحمن المكودي
 أبو العلي إدريس بن رشيد الفهري - عبد الغفار البوخلفي - أبو محمد
 ٤٦٠ بن علي الفخار الحياك (الحباك؟)
 ٤٦١ أبو عثمان سعيد السدراتي

تراجم الكتاب منسوقة على الحروف الهجائية

- ٤٤٦ إبراهيم بن علي العباسي ، الفقيه العدل
٢٠٥ إبراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي الفقيه الحاج
٢٥٤ أحمد بن شعيب الجزنائي الفقيه الكاتب
١٧٥ أحمد بن علي بن محمد الأنصاري (ابن خاتمة الفقيه الكاتب)
١٣١ أحمد بن إبراهيم بن صفوان - الفقيه الكاتب
١٠٢ أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم أمير المؤمنين
٣٩٨ أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بالدباغ ، الفقيه الكاتب
١٦١ أحمد بن محمد بن جزري الكلبي - الفقيه الكاتب
٣١٤ أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي الفقيه الكاتب
٨٠ إسماعيل بن يوسف أبي سعيد فرج ، الرئيس
٨٤ إسماعيل بن يوسف (المؤلف)
٩٨ أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم أمير المؤمنين
٣٦٦ الحسن بن عثمان عطية الوائش ريسي الفقيه القاضي
٢٦٦ حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين الفقيه الكاتب
١٠٨ زكريا بن أبي محمد عبد الواحد (الأمير)
٤٤٨ سعيد بن إبراهيم السدراتي (شهبون)
٢٦٤ شعيب بن محمد بن أبي مدين شعيب العماني ، الفقيه الكاتب

- ١٣٧ عبد الحق بن محمد بن عطية ، الفقيه الخطيب
- ٣٧٢ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي ، الأستاذ النحوي المقرئ
- ٢٩٧ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الفقيه الكاتب
- ٣٧ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رشد الأموي الفقيه القاضي الخطيب
- ٧١ عبد العزيز بن علي - أمير المسلمين
- ٤١٤ عبد الغفار بن موسى البوخلفي ، الفقيه
- ٣٩٦ عبد الله بن محمد البكري ، الفقيه الأستاذ المقرئ
- ٢٣٣ عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الفقيه القاضي
- ٢٢٣ عبد المهيم بن محمد الحضرمي الفقيه الكاتب
- ١٥٠ علي بن أحمد الحسيني (الأحمير المالقي) الفقيه الخطيب
- ٣٧ علي بن بدر الدين ، أبو الحسن
- ١٥٠ علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي القاضي النباهي الفقيه الكاتب
- ٦٧ علي بن عثمان - أبو الحسن - أمير المسلمين
- ١٢٥ علي بن محمد بن الجياب (ذو الوزارتين)
- ٢٦٨ علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي - الفقيه القاضي
- ٤٢٧ علي بن عمر الصنهاجي - الأستاذ النحوي المقرئ
- ٢٤٩ علي بن محمد بن مسعود الخزاعي - الفقيه الكاتب
- ١٠٥ عمر بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم - أمير المؤمنين
- ١٨٦ فرج بن قاسم بن لب التغلي - الفقيه الخطيب
- ٢٤٧ القاسم بن يوسف بن رضوان - الفقيه الكاتب
- ٤٣٢ محمد بن أحمد بن إبراهيم الكومي - الفقيه العدل
- ٢٠٠ محمد بن أحمد بن جابر الهواري الفقيه الضرير

- ١٤٥ محمد بن أحمد الحسني (الشريف الغرناطي) الفقيه الكاتب
- ٤٣١ محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي - الفقيه القاضي الصوفي
- ٣٥٨ محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي - الخطيب القاضي
- ٤٣٦ محمد بن أحمد المكودي - الفقيه الصوفي
- ٧٧ محمد بن إسماعيل بن محمد - أمير المسلمين
- ٩٧ محمد بن أبي بكر بن إسحاق - أمير المؤمنين
- ٢٠٧ محمد بن أبي زكريا يحيى - أمير المؤمنين
- ١١٤ محمد بن أبي سرحان مسعود
- ٢٥٣ محمد بن عبد الحكيم بن تاوارات - الفقيه الكاتب
- ٢٥٥ محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني الفقيه الكاتب
- ٣٥٥ محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي - الفقيه القاضي
- ٣٩٦ محمد بن عمر بن توقرت التينملي - الفقيه الأستاذ النحوي
- ١٦١ محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي الفقيه الكاتب
- ٢٨٣ محمد بن محمد بن أحمد بن جزى الكلبي - الفقيه الكاتب
- ١٥٦ محمد بن محمد السلمي (أبو البركات البلغريقي) الفقيه القاضي
- ١٩٦ محمد بن محمد بن الشديدي (الفقيه الحاج)
- ٢٢٦ محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي الفقيه الرئيس
- ٢٦٢ محمد بن محمد بن أبي مدين العثماني ، الفقيه الكاتب
- ٤١٦ محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي - الفقيه الأستاذ النحوي
- ١٢١ محمد بن محمد بن يحيى أبو يحيى
- ١٢٠ محمد بن يحيى (الأمير)

- ٤٤٢ محمد بن يوسف بن أحمد الشبوكي (الفقيه)
 ٨٣ محمد بن يوسف (أخو المؤلف) الرئيس
 ٧٢ منصور بن عمر بن عثمان (الأمير)
 ٢٧٧ يحيى بن إبراهيم بن زكريا الأنصاري الأوسي (الفقيه الكاتب)
 ١٣٠ يحيى بن أحمد بن محمد بن البغلة الأموي (الفقيه القاضي)
 ١١١ يوسف بن عمر بن يعقوب (الأمير)

الشعراء الذين أنشدوا شعراً في سيف صومعة جامع القرويين

- ٤٥٥ أحمد بن محمد الخزرجي الدباغ
 ٤٥٦ أبو العلى إدريس بن يحيى بن رشيد الفهري
 ٤٥٦ أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر
 ٤٥٣ أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان
 ٤٦٦ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم السدراقي (شهبون)
 ٤٥٩ أبو زيد عبد الرحمن بن علي المكودي
 ٤٦٠ أبو محمد عبد الغفار البوخلفي
 ٤٥٦ أبو الفضل محمد بن باشر التسولي
 ٤٥٣ أبو عبد الله محمد بن موسى الماجري
 ٤٥٤ محمد بن عبد الرحمن الخزرجي التاوربي
 ٤٥٤ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الربيب
 ٣٦٠ أبو محمد بن علي الفخار الحياك
 ٤٥٩ مسعود بن أبي القاسم بن أبي طلاق
 ٤٥٣ (منديل) محمد بن محمد بن محمد بن آجروم

تراجم أندلسية ومغربية

وردت في حواشي الكتاب

٤٣٣	أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي
٧٧	بنو الأحمر = بنو نصر
٢٨٣، ١٦٥	بنو جزى
٦	الجند الغربي
٣٩٤	حازم بن محمد بن حسن القرطاجي
٩٧	بنو أبي حفص (الحفصيون)
١٠٩	بنو زيان = بنو عبد الوادي
٢٦٤، ٢٥٧	سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي الإشبيلي
٢٦٠	أبو محمد صالح بن حجاج اللخمي السبتي
٤٢٤	أبو بحر صفوان بن إدريس التجيمي المرسي
١٣٧	(أبو محمد) عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي
٢٣٦	أبو فارس عبد العزيز بن علي المريني
٤٤٠	أبو محمد عبد الله الأوربي
١٠٩	بنو عبد الوادي = بنو زيان
١١٩	بنو العزفي
٤٤٣	عمر بن عبد الله اليباني

- ٢٣٤ أبو سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف
- ١٦٥ أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى
- ١٩٠ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
- ١٢٩ (لسان الدين بن الخطيب) محمد بن عبد الله بن الخطيب
- ١٩٠ أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري السبتي
- ٣١٦ أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد خميس ✓
- ٨٠ أبو القاسم محمد بن قطبة الدوسي
- ٤١٧ محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
- ١٢٦ الغالب بالله محمد بن محمد بن محمد الملقب بالخلوع
- ٧٠ أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ التلمساني (الجد)
- ٤٢٥ أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي الفساني
- ٨٥ الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر
- ٢٥٥ بنو أبي مدين العثماني
- ٦٧ بنو مرين
- ٢٣٦ المولديات (احتفال المغاربة والأندلسيين بالمولد النبوي)
- ٧٧ بنو نصر = بنو الأحمر



فهرس المصادر والمراجع*

- ابو المطرف بن عميرة المخزومي - د . بنشريفة - المغرب
الإحاطة في أخبار غرناطة - ابن الخطيب - مصر جزآن
الإحاطة - بتحقيق أ . عنان - الجزء الاول
الاستبصار - لمجهول - ط الاسكندرية .
الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى - الناصري السلاوي - الطبعة الثانية -
أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري - السقا ورفاقه -
الأعلام - خير الدين الزركلي - الطبعة الثانية
أعمال الأعمال - لسان الدين بن الخطيب - قسم الأندلس - تحقيق: ل . بروفنسال
الأغانى لأبي الفرج الأصفهاني - طبعة دار الثقافة - بيروت
ألف باء لأبي الحجاج البلوي - جزآن - ط القاهرة .
الإيضاح للقزويني (بعناية محي الدين عبد الحميد) - القاهرة .
إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي
البداية والنهاية لابن الأثير - ط القاهرة
بغية الرواد - يحيى بن خلدون - ٣ أجزاء - الجزائر .
بغية الوعاة للسيوطي الطبعة الثانية - القاهرة .
البلاغة تطور وتاريخ - د . شوقي ضيف - دار المعارف بمصر .
البيان النبوي - د . عدنان زررور - دمشق .
تاج المفرق بتحليله علماء المشرق - لأبي البقاء البلوي - (مخطوطة خاصة)
تاريخ الأدب العربي - بروكلمان (النسخة الألمانية)
تاريخ ابن خلدون = العبر = ٧ أجزاء ط القاهرة .

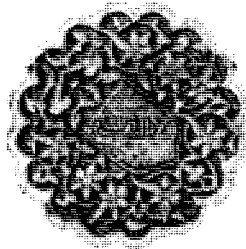
* لم أثبت المعاجم المعتمدة ، وإن كان اعتمادى - في الأكثر - على القاموس .

- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك ١٠ أجزاء - القاهرة .
- تاريخ قضاة الأندلس = المرقبة العليا للقاضي أبي الحسن النباهي - تحقيق ل . بروفسال - القاهرة .
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - د . محمد رضوان الداية - بيروت
- التبيان لابن الزملاكاني - ط بغداد
- تحرير التحبير لابن أبي الإصبع - ط القاهرة - بمناية حفقي شرف .
- التسهيل لعلوم التنزيل - لابن جزى - تحقيق د . عدنان زرزور و د . محمد رضوان الداية - طبع بيروت .
- التعريف بابن خلدون - بقلمه - ط القاهرة - بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي .
- تفسير القرطبي = الجامع لعلوم القرآن = ٢٠ جزءاً - ط القاهرة .
- التلخيص للقزويني - ط القاهرة .
- جذوة الاقتباس لابن القاضي - ط المغرب .
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم - دار المعارف بمصر -
- جنى الجنتين للمحيي - ط القاهرة -
- خزانة الأدب للبغداي - الطبعة الأولى - وط السلفية - وط هارون .
- درة الحجال في أسماء الرجال - ابن القاضي - ط القاهرة .
- الدرر الكامنة لابن حجر - ط القاهرة .
- الديباج المذهب لابن فرحون (ط ابن شقرون - القاهرة) .
- ديوان الأعشى - ط القاهرة - تحقيق د . حسين .
- ديوان امرئ القيس - ط القاهرة - بشرح الأعم الشنتمري .
- ديوان أمية بن أبي الصلت - تحقيق د . السطلي .
- ديوان البحترى (القاهرة) تحقيق الصيرفي .
- ديوان بشار بن برد - ط القاهرة - تحقيق ابن عاشور .

- ديوان أبي تمام - القاهرة - تحقيق د . عزام
ديوان جرير - تحقيق الصاوي بمصر -
ديوان = شعر = النايفة الجمدي - ط دمشق .
ديوان ابن الجياب (مخطوطة خاصة) .
ديوان حسان بن ثابت (ط البرقوقي بمصر)
ديوان ابن خاتمة - تحقيق د . الداية - دمشق .
ديوان لسان الدين بن الخطيب - الجزائر .
ديوان الخنساء ط بيروت
ديوان دعبل الحزاعي - تحقيق د . الأشر .
ديوان ابن الرومي (ط الكيلاني - القاهرة) .
ديوان زهير بن أبي سلمى - ط دار الكتب المصرية -
ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (ط دار الكتب المصرية) .
ديوان طرفة بن العبد - سلفسون - باريس
ديوان العباس بن الأحنف (ط الجوائب) .
ديوان العباس بن مرداس (جمع الأستاذ الجبوري - بغداد) .
ديوان ابن الفارض - ط مصر - بلا تاريخ -
ديوان كثير عزة بتحقيق د . إحسان عباس - بيروت .
ديوان كعب بن زهير (ط دار الكتب المصرية) .
ديوان محمد بن عمار المهري (ط بغداد) .
ذكريات مشاهير المغرب - الأستاذ كنون - بيروت
رحلة أبي البقاء البلوي = تاج المفرق .
رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة - الشريف الغرناطي - ط مصر
رقم الحلل في نظم الدول - ابن الخطيب - تونس .

- الروض المعطار للحميري - تحقيق د . عباس - بيروت
 روضة النسرين لابن الأحمر - المطبعة الملكية بالرباط -
 ریحانة الكتاب ونجعة المنتاب لابن الخطيب - مخطوطة القاهرة -
 سلوة الأنفاس - للكتاني -
 السيرة النبوية لابن هشام - السقا ورفاقه .
 شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف - القاهرة -
 صحيح البخاري = فتح الباري .
 صحيح مسلم بشرح النووي .
 العقد لابن عبد ربه - أحمد أمين ورفاقه - القاهرة .
 العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق - ط الخانجي .
 فهرس الفهارس والأثبات لعبد الحي الكتاني - ط مصر .
 الكامل للمبرد - مطبعة نهضة مصر -
 الكتيبة الكامنة لابن الخطيب - د . إحسان عباس بيروت .
 كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني ط مصر
 لسان الدين بن الخطيب - الأستاذ عنان - القاهرة
 كناسة الدكان لابن الخطيب - القاهرة -
 الملححة البدرية في الدولة النصرية - المطبعة السلفية بمصر -
 المرقبة العليا = تاريخ قضاة الأندلس .
 مستودع العلامة - لابن الأحمر - (ط المغرب) .
 مشاهدات لسان الدين - ط مصر بعناية د . العبادي
 معجم البلدان لياقوت - ط بيروت
 معجم الشعراء للمرزباني - عبد الستار فراج .
 معجم المؤلفين - كحالة - دمشق .
 معجم الأنساب والأسرات الحاكمة - لزამباور - القاهرة - (مترجم) .

- معجم ما استعجم للبكري (تحقيق السقا) مصر .
المعلقات بشرح التبريزي - مصر
معيار الاختبار لسان الدين بن الخطيب (مصر)
المقاصد الحسنة للسخاوي
النبوغ المغربي للأستاذ عبد الله كنون - بيروت -
نثير فرائد الجمان لابن الأحمر (د . الداية) ط بيروت -
نفاضة الجراب لابن الخطيب (ط القاهرة) .
نفع الطيب للمقري - تحقيق د . إحسان عباس - بيروت .
نقد الشعر لقدامة - ط الأستانة -
نهاية الاندلس - أ . عنان - الطبعة الثانية .
النهاية في غريب الحديث لابن الأثير - الطناحي ورفيقه - مصر .
نيل الابتهاج لأحمد بابا (على ذيل الديباج) .
هدية العارفين - إسماعيل البغدادي - استانبول - .



تصويبات

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٧	١٣	يصحح إلى :	٧٢٥ - ٧٣٣
١٠	١ أسفل	والمحفوظة	والمحفوظ
١١	٢ أسفل	عليها	عليها
١٢	١ هامش	سنة ١٩٧٤	سنة ١٩٧٥
٢٩	٤	الملوك	ملوك
٤٣	٢ أسفل	حازم	خازم
٥٦	١ أسفل	ديوان دعبل	صفحة : ١٦٠
٨٢	٢	ليلي	ليلي
٨٩	٥ أسفل	عبيد	عبيد بن
١٠٨	١٣	تقض	تقض ؟
١٢١	٢	له	واقراً : لي
١٨٦	١٤	ديوان ابن خاتمة ٣	ديوان ابن خاتمة ٣.
٢٥٩	٧	أبو الحسين	أبو الحسن
٢٦٥	٢	بالزرداء	بالزوراء
٣٠٩	٤	الصيحية	الصحيفة
٣١٠	٢ أسفل	بطيخة	بطنجة
٣١١	٤ أسفل	ابن زيان بن محمد	ابن زيان محمد
٤١٧	٥	شينا	واقراً أيضاً : شيناً

المحقق

● في سلسلة دراسات أندلسية :

- ١ - تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (دراسة) - دار الأنوار (بيروت)
- ٢ - المعيار في أوزان الأشعار لمحمد بن عبد الملك الشنتريني - الطبعة الأولى - دار الأنوار (بيروت - دمشق)
الطبعة الثانية - المكتب الإسلامي بدمشق .
- ٣ - مختارات من الشعر الأندلسي - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي - دمشق -
الطبعة الثانية (المكتب الإسلامي بدمشق) .
- ٤ - ديوان ابن خاتمة الأنصاري (تحقيق) صدر عن وزارة الثقافة بدمشق .
- ٥ - الإنصاف بذكر أسباب الخلاف لابن السيد البطليوسي (تحقيق)
نشر دار الفكر بدمشق .
- ٦ - شرح مشكل شعر المتنبي - لابن سيدة الأندلسي (تحقيق) نشر دار
المأمون بدمشق .
- ٧ - ديوان أبي إسحاق الإلبيري - تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة (بيروت - دمشق) .
- ٨ - أعلام المغرب والأندلس وهو كتاب « نثير الجمان في شعر من نظمهم وإيأاه
الزمان » لابن الأحمر .
- تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة (بيروت)
- ٩ - ديوان ابن عبد ربه (جمع وتحقيق) - مؤسسة الرسالة

● في سلسلة الذخائر :

- ١ - ابن خفاجة (دراسة) نشر المكتب الإسلامي - دمشق .
- ٢ - أبو البقاء الرندي (دراسة) نشر مؤسسة الرسالة (بيروت) .
- ٣ - ابن زيدون (دراسة) نشر مؤسسة الرسالة (بيروت) .

● في المكتبة الأندلسية :

- ١ - إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي (تحقيق) نشر دار الثقافة - بيروت .
- ٢ - نشير فرائد الجمان لابن الأحمر - (تحقيق نص أندلسي) + دراسة عن المؤلف وأدبه وكتابه - دار الثقافة - بيروت .

● بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عدنان زررور

- ١ - الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيما البغدادي (تحقيق) نشر وزارة الأوقاف بالكويت .
- الطبعة الثانية - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت
- ٢ - تفسير ابن جزبي الغرناطي - تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت

● أعمال أخرى

- ١ - أعلام الأدب العباسي (تراجم واختيارات) نشر دار الفارابي - دمشق
- ٢ - ابن زيدون (محاولة لإعادة النظر في دراسة شخصيته وشعره) بحث قدم إلى مهرجان ابن زيدون في ذكره الألفية بالرباط (المغرب) - منهج جديد لدراسته .